مجاني الأدب
في
حدائق العرب

المطبعة الكاثوليكية - بيروت

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الأول

•

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>
32101 028331179

(SY)
2260
.252
.11
v.1

كل الحقوق محفوظة

البابُ الأول
في التديّنِ والتقوى

اعتقاد وجود الله

١ إعلَمْ أيُّها الإنسانُ أنّكَ مخلوقٌ ولكَ خالقٌ. وهُوَ خالقُ العالمِ وجميعِ ما في العالمِ. وأنّهُ واحدٌ. كانَ في الأزلِ وليسَ لكونِهِ زوالٌ. ويكونُ معَ الأبدِ وليسَ لبقائِهِ فناءٌ. وجودُهُ في الأزلِ والأبدِ واجبٌ وما للعدمِ إليهِ سبيلٌ. وهُوَ موجودٌ بذاتِهِ. وكلُّ أحدٍ إليهِ محتاجٌ وليسَ لهُ إلى أحدٍ احتياجٌ. وجودُهُ بهِ ووجودُ كلِّ شيءٍ بهِ (للغزّالي)

قدرة الله

٢ إنّهُ تعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ. وإنَّ قدرتَهُ ومُلكَهُ في نهايةِ الكمالِ ولا سبيلَ إليهِ للعجزِ والنقصانِ. وإنَّ السماواتِ السبعَ في قبضتِهِ وقدرتِهِ وتحتَ قهرِهِ وتسخيرِهِ ومشيئتِهِ. وهُوَ مالكُ المُلكِ لا مُلكَ إلّا مُلكُهُ (ولهُ)

علم الله

٣ إنّهُ تعالى عالمٌ بكلِّ معلومٍ وعلمُهُ محيطٌ بكلِّ شيءٍ. وليسَ شيءٌ منَ العلى إلى الثرى إلّا وقدْ أحاطَ بهِ علمُهُ. لأنَّ الأشياءَ بعلمِهِ ظهرتْ وبقدرتِهِ انتشرتْ. وإنّهُ تعالى يعلمُ عددَ رمالِ القفارِ وقطراتِ الأمطارِ وورقِ الأشجارِ وغوامضِ الأفكارِ. وإنَّ ذرّاتِ

ٱلرِّيَاحِ وَٱلْهَوَاءِ فِي عِلْمِهِ ظَاهِرَةٌ مِثْلَ عَدَدِ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ (وله)

قَالَ ٱلْبُرْعِيُّ:

يَرَى حَرَكَاتِ ٱلنَّمْلِ فِي ظُلَمِ ٱلدُّجَى
وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
وَيُحْصِي عَدِيدَ ٱلنَّمْلِ وَٱلْقَطْرِ وَٱلْحَصَى
وَمَا ٱشْتَمَلَتْ بَحْرٌ عَلَيْهِ وَأَنْهَارُ

حكمة الله وتدبيره

٤ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ رَاحَةٍ أَوْ نَصَبٍ صِحَّةٍ أَوْ وَصَبٍ إِلَّا بِحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ. وَلَوِ ٱجْتَمَعَ ٱلْبَشَرُ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلشَّيَاطِينُ عَلَى أَنْ يُحَرِّكُوا فِي ٱلْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يُسَكِّنُوهَا أَوْ يُنْقِصُوا مِنْهَا أَوْ يَزِيدُوا فِيهَا بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَعَجَزُوا عَنْ ذٰلِكَ وَلَمْ يَقْدِرُوا. مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَا يَشَاءُ لَا يَكُونُ. وَلَا يَرُدُّ مَشِيئَتَهُ شَيْءٌ. وَمَهْمَا كَانَ وَيَكُونُ فَإِنَّهُ بِتَدْبِيرِهِ وَأَمْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ (للغزالي)

تقوى الله

٥ قَالَ ٱلْبُسْتِيُّ:

وَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱللهِ مُعْتَصِمًا
فَإِنَّهُ ٱلرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ

وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ:

وَٱتَّقِ ٱللهَ فَتَقْوَى ٱللهِ مَا
جَاوَرَتْ قَلْبَ ٱمْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ

لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا   إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي ٱللهَ ٱلْبَطَلْ

٦ قَالَ ٱبْنُ عِمْرَانَ:

وَسَلِ ٱلْإِلٰهَ وَلُذْ بِهِ لَا تَنْسَهُ   فَٱللهُ يَذْكُرُ عَبْدَهُ إِذْ يَذْكُرُهْ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

لَا تَجْعَلَنَّ ٱلْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا   وَتُقَى إِلٰهِكَ فَٱجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ أَبُو نُوَاسٍ لِهٰرُونَ ٱلرَّشِيدِ وَقَدْ أَرَادَ عِقَابَهُ:

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنَنِي   مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ ٱللهَ

حمد الله تعالى

٧ لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلِذُّ بِهِ ذِكْرَا
وَإِنْ كُنْتُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرَا
لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ ٱلسَّمَا
وَأَقْطَارَهَا وَٱلْأَرْضَ وَٱلْبَرَّ وَٱلْبَحْرَا
لَكَ ٱلْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا
لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَى لَكَ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُخْرَى (للبرعي)

ملازمة الصلاة

٨ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً مِنَ ٱلنَّارِ. وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُمَّالِهِ: إِنَّ أَهَمَّ أُمُورِكُمْ عِنْدِي ٱلصَّلَاةُ. مَنْ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ. وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ (للشريشي)

ذكر الآخرة

٩ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ نَوْعَيْنِ مِنْ شَخْصٍ وَرُوحٍ . وَجَعَلَ ٱلْجَسَدَ مَنْزِلًا لِلرُّوحِ لِتَأْخُذَ زَادًا لِآخِرَتِهَا مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مُدَّةً مُقَدَّرَةً تَكُونُ فِي ٱلْجَسَدِ . وَآخِرُ تِلْكَ ٱلْمُدَّةِ هُوَ أَجَلُ تِلْكَ ٱلرُّوحِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ . فَإِذَا جَاءَ ٱلْأَجَلُ فَرَّقَ بَيْنَ ٱلرُّوحِ وَٱلْجَسَدِ (للغزالي)

١٠ قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

لَا دَارَ لِلْمَرْءِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ يَسْكُنُهَا ... إِلَّا ٱلَّتِي هُوَ قَبْلَ ٱلْمَوْتِ بَانِيهَا

وَقَالَ آخَرُ :

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيَفْنَى ... وَيُبْقِي ٱلدَّهْرُ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسُرُّكَ فِي ٱلْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

(ألف ليلةٍ وليلة)

١١ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ . وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ . وَٱعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ (للغزالي)

قَالَ أَبُو مَحْفُوظٍ ٱلْكَرْخِي :

مَوْتُ ٱلتَّقِيِّ حَيَاةٌ لَا نَفَادَ لَهَا ... قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ أَحْيَاءُ

وَقَالَ ٱلشَّبْرَاوِي :

إِذَا مَا تَحَيَّرْتَ فِي حَالَةٍ ... وَلَمْ تَدْرِ فِيهَا ٱلْخَطَا وَٱلصَّوَابْ

فَخَالِفْ هَوَاكَ فَإِنَّ ٱلْهَوَى ... يَقُودُ ٱلنُّفُوسَ إِلَى مَا يُعَابْ

١٢ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا حَاسَبَ نَفْسَهُ . فَحَسَبَ عُمْرَهُ فَإِذَا هُوَ سِتُّونَ عَامًا . فَحَسَبَ أَيَّامَهَا فَإِذَا هِيَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ يَوْمٍ وَتِسْعُمِائَةِ يَوْمٍ . فَصَاحَ : يَا وَيْلَاهْ . إِذَا كَانَ لِي كُلَّ يَوْمٍ ذَنْبٌ فَكَيْفَ أَلْقَى ٱللّٰهَ بِهٰذَا ٱلْعَدَدِ مِنْهَا . فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ أَعَادَ عَلَى نَفْسِهِ ذٰلِكَ وَقَالَ : فَكَيْفَ بِمَنْ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشَرَةُ آلَافِ ذَنْبٍ . فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ (للقليوبي)

١٣ سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : مَا كَانَ بَدْءُ تَوْبَتِكَ . فَقَالَ : كُنْتُ يَوْمًا أَضْرِبُ غُلَامًا لِي فَقَالَ : ٱذْكُرْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ ٱلَّتِي تَكُونُ صَبِيحَتَهَا ٱلْقِيَامَةُ . فَعَمِلَ ذٰلِكَ ٱلْكَلَامُ فِي قَلْبِي (للغزالي)

ذلّة الدنيا

١٤ قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ إِبْلِيسَ يَعْرِضُ ٱلدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ عَلَى ٱلنَّاسِ فَيَقُولُ : مَنْ يَشْتَرِي شَيْئًا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ وَيَهُمُّهُ وَلَا يَسُرُّهُ . فَيَقُولُ أَصْحَابُهَا وَعُشَّاقُهَا : نَحْنُ . فَيَقُولُ : إِنَّمَا ثَمَنُهَا لَيْسَ دَرَاهِمَ وَلَا دَنَانِيرَ . وَإِنَّمَا هُوَ نَصِيبُكُمْ مِنَ ٱلْجَنَّةِ . فَإِنِّي ٱشْتَرَيْتُهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ بِلَعْنَةِ ٱللّٰهِ وَغَضَبِهِ وَسُخْطِهِ وَعَذَابِهِ وَبِعْتُ ٱلْجَنَّةَ بِهَا . فَيَقُولُونَ : رَضِينَا بِذٰلِكَ . فَيَقُولُ : أُرِيدُ أَنْ أَرْبَحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا . فَيَقُولُونَ : نَعَمْ . فَيَبِيعُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ يَقُولُ : بِئْسَتِ ٱلتِّجَارَةُ (لهُ)

١٥ قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَمَا أَهْلُ ٱلْحَيَاةِ لَنَا بِأَهْلٍ وَلَا دَارُ ٱلْفَنَاءِ لَنَا بِدَارِ

وَمَا أَمْوَالُنَا إِلَّا عَوَارٍ   سَيَأْخُذُهَا ٱلْمُعِيرُ مِنَ ٱلْمُعَارِ

وَقَالَ ٱلْفَقِيهُ ٱلْبَاجِيُّ:

فَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا   بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ
فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِينًا بِهَا   وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ

قَالَ آخَرُ:

لَا أَسْعَدَ ٱللهُ أَيَّامًا عَزَزْتُ بِهَا   دَهْرًا وَفِي طَيِّ ذَاكَ ٱلْعِزِّ إِذْلَالُ

زهد ابرهيم بن ادهم في الدنيا

١٦ حَدَّثَ إِبْرٰهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: صَحِبْتُ إِبْرٰهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ بْنِ مَنْصُورِ ٱبْنِ إِسْحٰقَ ٱلْبَلْخِيَّ بِٱلشَّامِ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحٰقَ خَبِّرْنِي عَنْ بَدْءِ أَمْرِكَ كَيْفَ كَانَ. فَقَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ مُلُوكِ خُرَاسَانَ وَكُنْتُ شَابًّا. فَرَكِبْتُ يَوْمًا عَلَى دَابَّةٍ وَمَعِي كَلْبٌ. وَخَرَجْتُ إِلَى ٱلصَّيْدِ فَأَثَرْتُ ثَعْلَبًا. فَبَيْنَمَا أَنَا فِي طَلَبِهِ إِذْ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ: أَلِهٰذَا خُلِقْتَ أَمْ بِهٰذَا أُمِرْتَ. فَفَزِعْتُ وَوَقَفْتُ. ثُمَّ عُدْتُ فَرَكَضْتُ ٱلثَّانِيَةَ فَفَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَفَكَّرْتُ بِنَفْسِي: لَا وَٱللهِ مَا لِهٰذَا خُلِقْتُ وَلَا بِهٰذَا أُمِرْتُ. ثُمَّ نَزَلْتُ وَصَادَفْتُ رَاعِيًا لِأَبِي فَأَخَذْتُ مِنْهُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ. فَلَبِسْتُهَا وَأَعْطَيْتُهُ ٱلْفَرَسَ وَمَا كَانَ مَعِي ثُمَّ دَخَلْتُ ٱلْبَادِيَةَ (للشريشي)

١٧ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ: مَنْ يَبِيعُ ٱلْآخِرَةَ بِٱلدُّنْيَا يَخْسَرُهُمَا جَمِيعًا (للثعالبي)

١٨ قِيلَ: إِنَّ مِثَالَ ٱلدُّنْيَا كَمُسَافِرِ طَرِيقٍ. أَوَّلُهُ ٱلْمَهْدُ وَآخِرُهُ ٱللَّحْدُ.

وفيما بينهما منازل معدودة. وإن كل سنة كمنزلة. وكل شهر كفرسخ. وكل يوم كميل. وكل نفس كخطوة. وهو يسير دائماً دائماً. فيبقى لواحد من طريقه فرسخ. ولآخر أقل أو أكثر (للغزالي)

١٩ قال أبو عبد الرحمان الخليل: الدنيا أمد والآخرة أبد. وقال أيضاً: الدنيا أضداد متجاورة وأشباه متباينة. وأقارب متباعدة وأباعد متقاربة (للشريشي)

قال بعضهم: إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت
كل ما فيها لعمري عن قليل سيفوت
ولقد يكفيك منها أيها العاقل قوت

٢٠ قال أبو العتاهية:

فلو كان هول الموت لاشيء بعده لهان علينا الأمر واحتقر الأمر
ولكنه حشر ونشر وجنة ونار وما قد يستطيل به الخبر

٢١ سئل بعض الفلاسفة: من الذي لا عيب فيه. فقال: الذي لا يموت (للمستعصي)

قال الميداني:

ألعمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامه
وأخو الحجا في سائر الـ أحوال مرتقب حمامه
والجاهل المغتر من لم يجعل التقوى اغتنامه

البابُ الثاني
في الحِكَم

٢٢ ما اكْتَسَبَ أحدٌ أفضلَ مِنْ عقلٍ يَهْدِيهِ إلى هُدًى، وَيَرُدُّهُ عَنْ رَدًى (للمستعصمي)

٢٣ ألمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْتَرِي الْعَبِيدَ بِمَالِهِ وَلَا يَشْتَرِي الْأَحْرَارَ بِفِعَالِهِ. قِيلَ: أَلسَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ. وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ (للمستعصمي)

٢٤ مِنْ ظَرِيفِ كَلَامِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ: كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو صَغِيرًا ثُمَّ يَكْبُرُ إِلَّا الْمُصِيبَةَ فَإِنَّهَا تَبْدُو كَبِيرَةً ثُمَّ تَصْغُرُ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَرْخُصُ إِذَا كَثُرَ إِلَّا الْأَدَبَ فَإِذَا كَثُرَ غَلَا (من لطائف الملوك)

٢٥ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ: أَلْمُرُوَّةُ أَنْ لَا تَعْمَلَ عَمَلًا فِي السِّرِّ تَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ (للشريشي)

٢٦ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَلْعُلُومُ أَرْبَعَةٌ: أَلْفِقْهُ لِلْأَدْيَانِ. وَالطِّبُّ لِلْأَبْدَانِ. وَالنُّجُومُ لِلْأَزْمَانِ. وَالْبَلَاغَةُ لِلِّسَانِ (للابشيهي)

٢٧ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ الْعُلَمَاءَ سُرُجُ الْأَزْمِنَةِ. فَكُلُّ عَالِمٍ سِرَاجُ زَمَانِهِ يَسْتَضِيءُ بِهِ أَهْلُ عَصْرِهِ (وله)

٢٨ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَا آتَى اللهُ تَعَالَى عَالِمًا عِلْمًا إِلَّا أَخَذَ

عَلَيهِ ٱلْمِيثَاقَ أَنْ لا يَكْتُمَهُ . وقَالَ أَيضاً : ما أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْجُهَّالِ أَنْ يَتعلَّمُوا حتَّى أَخَذَ عَلَى ٱلْعُلَمَاء أَنْ يعلِّمُوا (للشريشي)

٢٩ قِيلَ لِأَفلاطُونَ : ما هُوَ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي لا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ وإِنْ كانَ حقًّا . قالَ : مدحُ ٱلْإِنسانِ نفسَهُ (للابشيهي)

٣٠ قالَ ٱبْنُ قُرَّةَ : راحةُ ٱلْجِسْمِ فِي قِلَّةِ ٱلطَّعَامِ . وراحةُ ٱلنَّفسِ فِي قِلَّةِ ٱلْآثامِ . وراحةُ ٱلْقَلْبِ فِي قِلَّةِ ٱلِاهْتِمامِ . وراحةُ ٱللِّسانِ فِي قِلَّةِ ٱلْكَلامِ (من لطائف الوزراء)

٣١ قالَ أَفلاطُونُ ٱلْحَكِيمُ : لا تطْلُبْ سُرْعَةَ ٱلْعَمَلِ وٱطْلُبْ تَجْوِيدَهُ . فإِنَّ ٱلنَّاسَ لا يَسأَلُونَ فِي كَمْ فَرَغَ . وإِنَّمَا يَنظُرُونَ إِلَى إِتقانِهِ وجُودَةِ صَنْعَتِهِ (امثال العرب)

٣٢ مَثَلُ ٱلَّذِي يُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلْخَيْرَ ولَا يَعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ أَعمَى بِيَدِهِ سِراجٌ يَستَضِيءُ بِهِ غَيْرُهُ وهُوَ لا يَرَاهُ (امثال العرب)

٣٣ قالَ عامِرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْقَيْسِ . إِذا خرَجَتِ ٱلْكَلِمَةُ مِنَ ٱلْقَلْبِ دَخَلَتْ فِي ٱلْقَلْبِ . وإِذا خرَجَتْ مِنَ ٱللِّسانِ لَمْ تَتَجاوَزِ ٱلْآذانَ

٣٤ قالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ بَعْضَ ٱلْعَرَبِ يَقُولُ : ٱلْفَقْرُ فِي ٱلْوَطَنِ غُرْبَةٌ . وٱلْغِنَى فِي ٱلْغُرْبَةِ وطَنٌ . وقَالَ آخَرُ : ٱخْتَرْ وطَناً ما أَرْضَاكَ . فإِنَّ ٱلْحُرَّ يَضِيعُ فِي بَلَدِهِ ولَا يُعْرَفُ قَدْرُهُ (للشريشي)

٣٥ قِيلَ : عشَرةٌ تَقْبُحُ فِي عشَرةٍ . ضِيقُ ٱلصَّدْرِ فِي ٱلْمُلُوكِ . وٱلْغَدْرُ فِي ٱلْأَشْرافِ . وٱلْكَذِبُ فِي ٱلْقُضَاةِ . وٱلْخَدِيعَةُ فِي ٱلْعُلَمَاء .

وَٱلْغَضَبُ فِي ٱلْأَبْرَارِ. وَٱلْحِرْصُ فِي ٱلْأَغْنِيَاءِ. وَٱلسَّفَهُ فِي ٱلشُّيُوخِ. وَٱلْمَرَضُ فِي ٱلْأَطِبَّاءِ. وَٱلتَّهَزُّؤُ فِي ٱلْفُقَرَاءِ. وَٱلْفَخْرُ فِي مَنْ لَا آلَ لَهُ

٣٦ نَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى غُلَامٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ يَتَعَلَّمُ ٱلْعِلْمَ فَقَالَ: أَحْسَنْتَ إِنْ قَرَنْتَ بِحُسْنِ خَلْقِكَ حُسْنَ خُلْقِكَ (للثعالبي)

٣٧ قَالَتِ ٱلْعَرَبُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ قَبِيحٌ إِلَّا وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِيهِ (وله)

٣٨ أَضْعَفُ ٱلنَّاسِ مَنْ ضَعُفَ عَنْ كِتْمَانِ سِرِّهِ. وَأَقْوَاهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى غَضَبِهِ. وَأَصْبَرُهُمْ مَنْ سَتَرَ فَاقَتَهُ. وَأَغْنَاهُمْ مَنْ قَنِعَ بِمَا تَيَسَّرَ لَهُ (امثال العرب)

٣٩ قِيلَ: كَانَ قُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرَ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيُعَظِّمُهُ. فَقَالَ لَهُ قَيْصَرُ: مَا أَفْضَلُ ٱلْعِلْمِ. قَالَ: مَعْرِفَةُ ٱلْإِنْسَانِ نَفْسَهُ. قَالَ: وَمَا أَفْضَلُ ٱلْعَقْلِ. قَالَ: وُقُوفُ ٱلْمَرْءِ عِنْدَ عِلْمِهِ. قَالَ: فَمَا ٱلْمَالُ. قَالَ: مَا قُضِيَ بِهِ ٱلْحَقُّ (للاصبهاني)

٤٠ قَالَ حَكِيمٌ: مَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مَقَامًا جَسِيمًا فَلَمْ يَبْطَرْ. وَٱتَّبَعَ ٱلْهَوَى فَلَمْ يَعْطَبْ. وَطَلَبَ إِلَى ٱللِّئَامِ فَلَمْ يُهَنْ. وَوَاصَلَ ٱلْأَشْرَارَ فَلَمْ يَنْدَمْ. وَصَحِبَ ٱلسُّلْطَانَ فَدَامَتْ سَلَامَتُهُ (للمستعصمي)

٤١ قَالَ حَكِيمٌ لِآخَرَ: يَا أَخِي كَيْفَ أَصْبَحْتَ. قَالَ: أَصْبَحْتُ وَبِنَا مِنْ نِعَمِ ٱللهِ مَا لَا نُحْصِيهِ مَعَ كَثِيرِ مَا نَعْصِيهِ. فَمَا نَدْرِي أَيَّهُمَا نَشْكُرُ. أَجَمِيلَ مَا يَنْشُرُ أَوْ قَبِيحَ مَا يَسْتُرُ (امثال العرب)

٤٢ لَا تحمل على يومك هم سنتك . كفاك كل يوم ما قُدِّر لك فيه . فإن تكن السنة من عمرك فإن الله سبحانه سيأتيك في كل غد جديد بما قسم لك . وإن لم تكن من عمرك فما همّك بما ليس لك

٤٣ قال عليٌّ : من استطاع أن يمنع نفسه من أربع خصال فهو خليق أن لا ينزل به مكروه : اللجاج والعجلة والتواني والعجب . فثمرة اللجاج الحيرة . وثمرة العجلة الندامة . وثمرة التواني الذلة . وثمرة العجب البغضة (للمستعصمي)

٤٤ ذو الشرف لا تبطره منزلة نالها وإن عظمت كالجبل الذي لا تزعزعه الرياح . والدنيء تبطره أدنى منزلة كالكلإ الذي يحركه مرّ النسيم (امثال العرب)

٤٥ قال الحكيم : ثمانية تجلب الذلة على أصحابها وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع إليها . والتأمّر على صاحب البيت . والطمع في الإحسان من الأعداء . ومضي المرء إلى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما . واحتقار السلطان . وجلوس المرء فوق مرتبته . والتكلم عند من لا يستمع الكلام . ومصادقة من ليس بأهل (للغزالي)

٤٦ قال الرشيد لحاجبه : احجب عني من إذا قعد أطال وإذا سأل أحال . ولا تستخفن بذي الحرمة . وقدم أبناء الدعوة (للثعالبي)

٤٧ أشد الناس عذابًا يوم القيامة إمام جائر ومن يري الناس أن فيه خيرًا ولا خير فيه (للسيوطي)

٤٨ لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرَءًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ   وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيبِ
إِنَّ ٱلرِّجَالَ صَنَادِيقٌ مُقْفَلَةٌ   وَمَا مَفَاتِيحُهَا غَيْرُ ٱلتَّجَارِيبِ

(للشبراوي)

٤٩ قَدْ قِيلَ: إِنَّ ٱلْكِتَابَ هُوَ ٱلْجَلِيسُ ٱلَّذِي لَا يُنَافِقُ وَلَا يَمَلُّ. وَلَا يُعَاتِبُكَ إِذَا جَفَوْتَهُ وَلَا يُفْشِي سِرَّكَ (لابن الطقطقي)

٥٠ قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَحْوَصِ يَذُمُّ مَنْ نَفَعَ ٱلْأَبَاعِدَ دُونَ ٱلْأَقَارِبِ:

مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَغْشَى ٱلْأَبَاعِدَ نَفْعُهُ   وَيَشْقَى بِهِ حَتَّى ٱلْمَمَاتِ أَقَارِبُهْ
وَمَا خَيْرُ مَنْ لَا يَنْفَعُ ٱلْأَهْلَ عَيْشُهُ   وَإِنْ مَاتَ لَمْ يَجْزَعْ عَلَيْهِ قَرَائِبُهْ

٥١ قِيلَ: مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ. وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ. وَطَلَاقَةُ ٱلْوَجْهِ عُنْوَانُ ٱلضَّمِيرِ. وَشَرَكُ ٱلْأَمَلِ ٱلْبَصِيرِ. وَقِيلَ: حُسْنُ ٱلْبِشْرِ ٱكْتِسَابُ ٱلذِّكْرِ. وَٱلْبَشَاشَةُ مَصْيَدَةُ ٱلْمَوَدَّةِ. قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ:

بُنَيَّ إِنَّ ٱلْبِرَّ شَيْءٌ هَيِّنٌ   وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ

(للثعالبي)

٥٢ قِيلَ: ثَلَاثَةٌ تُورِثُ ثَلَاثَةً: ٱلنَّشَاطُ يُورِثُ ٱلْغِنَى. وَٱلْكَسَلُ يُورِثُ ٱلْفَقْرَ. وَٱلشَّرَاهَةُ تُورِثُ ٱلْمَرَضَ

صَاحِبُ ٱلشَّهْوَةِ عَبْدٌ فَإِذَا   غَلَبَ ٱلشَّهْوَةَ صَارَ ٱلْمَلِكَا

٥٣ أَلْعِلْمُ شَجَرَةٌ وَٱلْعَمَلُ ثَمَرَتُهَا. وَلَوْ قَرَأْتُ ٱلْعِلْمَ مِائَةَ سَنَةٍ وَجَمَعْتُ أَلْفَ كِتَابٍ لَا أَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِرَحْمَةِ ٱللهِ تَعَالَى إِلَّا بِٱلْعَمَلِ. لِأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى. فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا لِأَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولٰئِكَ هُمْ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (للغزالي)

٥٤ قَالَ مُعَاوِيَةُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا بِٱلْغَلَبَةِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِٱلْحُجَّةِ. وَلِمَنْ يَطْلُبُهُ بِخُرْقٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ بِرِفْقٍ

٥٥ وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَثَرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً فَبَاعَهَا فَلَمَّا بَصُرَ بِٱلرَّجُلِ ٱسْتَحْيَا. فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ تَكُنْ طَلَبْتَ هٰذِهِ ٱلدُّرَّةَ مِنِّي فَوَهَبْتُهَا لَكَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: نَعَمْ. فَخَلَّى سَبِيلَهُ

٥٦ جَنِّبْ كَرَامَتَكَ ٱللِّئَامَ فَإِنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا. وَإِنْ أَنْزَلْتَ بِهِمْ شَدِيدَةً لَمْ يَصْبِرُوا (للثعالبي)

أَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

إِنْ قَلَّ مَالِي فَلَا خِلٌّ يُصَاحِبُنِي ... أَوْ زَادَ مَالِي فَكُلُّ ٱلنَّاسِ خِلَّانِي
فَكَمْ عَدُوٍّ لِبَذْلِ ٱلْمَالِ صَاحَبَنِي ... وَصَاحِبٍ عِنْدَ فَقْدِ ٱلْمَالِ خَلَّانِي

(الف ليلة وليلة)

٥٧ قَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ ذَاكِرًا ٱلْمَوْتَ:

لَيْتَ شِعْرِي فَإِنَّنِي لَسْتُ أَدْرِي ... أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ آخِرَ عُمْرِي
وَبِأَيِّ ٱلْبِلَادِ تُقْبَضُ رُوحِي ... وَبِأَيِّ ٱلْبِقَاعِ يُحْفَرُ قَبْرِي

٥٨ قَالَ شَمْسُ ٱلدِّينِ ٱلنَّوَاجِيُّ:

خَلْوَةُ ٱلْإِنْسَانِ خَيْرٌ ... مِنْ جَلِيسِ ٱلسُّوءِ عِنْدَهْ
وَجَلِيسُ ٱلْخَيْرِ خَيْرٌ ... مِنْ جُلُوسِ ٱلْمَرْءِ وَحْدَهْ

٥٩ قالوا: المملكة تخصب بالسخاء وتعمر بالعدل وتثبت بالعقل وتحرس بالشجاعة وتساس بالرئاسة. وقالوا: الشجاعة لصاحب الدولة (عن الفخري)

إذا ملك لم يكن ذا هبة   فدعه فدولته ذاهبة

٦٠ قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بثلثة لم أطالبه بغيرها. إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنبه (للثعالبي)

٦١ سأل الإسكندر أرسطاطاليس: أيهما أفضل للملوك الشجاعة أم العدل. فقال أرسطاطاليس: إذا عدل السلطان لم يحتج إلى الشجاعة (للغزالي)

٦٢ قال الشافعي: أنفع الأشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ثم يعمل بحسبه (للثعالبي)

٦٣ قال عمر بن الخطاب: يا أيها الناس إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للقلب ومورثة للسقم. وقال علي بن أبي طالب: إذا كنت بطنًا فعد نفسك زمنًا

٦٤ قال لقمان لابنه: يا بني لا تجالس الفجار ولا تماشهم. إتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم. وجالس الفضلاء والعلماء فإن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بالفضيلة والعلم كما يحيي الأرض بوابل المطر (للشريشي)

٦٥ قيل للإسكندر: ما بالك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك

لِأَبِيكَ. فَقَالَ: إِنَّ أَبِي سَبَبُ حَيَاتِي ٱلْفَانِيَةِ وَمُؤَدِّبِي سَبَبُ حَيَاتِي ٱلْبَاقِيَةِ. وَلِلّٰهِ دَرُّ مَنْ قَالَ:

أُقَدِّمُ أُسْتَاذِي عَلَى نَفْسِ وَالِدِي
وَإِنْ نَالَنِي مِنْ وَالِدِي ٱلْفَضْلُ وَٱلشَّرَفْ
فَذَاكَ مُرَبِّي ٱلرُّوحِ وَٱلرُّوحُ جَوْهَرٌ
وَهٰذَا مُرَبِّي ٱلْجِسْمِ وَٱلْجِسْمُ مِنْ صَدَفْ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ:

كُنِ ٱبْنَ مَنْ شِئْتَ وَٱكْتَسِبْ أَدَبًا يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ ٱلنَّسَبِ
إِنَّ ٱلْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا لَيْسَ ٱلْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

٦٦ سَمِعَ مُعَاوِيَةُ رَجُلًا يَقُولُ: غَرِيبٌ. فَقَالَ لَهُ: كَلَّا ٱلْغَرِيبُ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ

٦٧ قِيلَ: ٱلْمَرْءُ مِنْ حَيْثُ يَثْبُتُ. لَا مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ. وَمِنْ حَيْثُ يُوجَدُ. لَا مِنْ حَيْثُ يُولَدُ (للابشيهي)

قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

لِكُلِّ شَيْءٍ زِينَةٌ فِي ٱلْوَرَى وَزِينَةُ ٱلْمَرْءِ تَمَامُ ٱلْأَدَبْ
قَدْ يَشْرُفُ ٱلْمَرْءُ بِآدَابِهِ فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ ٱلنَّسَبْ

٦٨ وَقِيلَ: ٱلْفَضْلُ بِٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ. لَا بِٱلْأَصْلِ وَٱلْحَسَبِ. وَقِيلَ: ٱلْمَرْءُ بِفَضِيلَتِهِ لَا بِفَصِيلَتِهِ. وَبِكَمَالِهِ لَا بِجَمَالِهِ. وَبِآدَابِهِ لَا بِثِيَابِهِ (للابشيهي)

قَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ :

لَيْسَ ٱلْجَمَالُ بِأَثْوَابٍ تُزَيِّنُنَا   إِنَّ ٱلْجَمَالَ جَمَالُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ
لَيْسَ ٱلْيَتِيمُ ٱلَّذِي قَدْ مَاتَ وَالِدُهُ   بَلِ ٱلْيَتِيمُ يَتِيمُ ٱلْعِلْمِ وَٱلْحَسَبِ

٦٩ قَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : ٱلْأَدَبُ حُلِيٌّ فِي ٱلْغِنَى . كَنْزٌ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ . عَوْنٌ عَلَى ٱلْمُرُوءَةِ . صَاحِبٌ فِي ٱلْمَجْلِسِ . مُؤْنِسٌ فِي ٱلْوَحْدَةِ . تَعْمُرُ بِهِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْوَاهِيَةُ . وَتَحْيَا بِهِ ٱلْأَلْبَابُ ٱلْمَيِّتَةُ . وَتَنْفُذُ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ ٱلْكَلِيلَةُ . وَيُدْرِكُ بِهِ ٱلطَّالِبُونَ مَا يُحَاوِلُونَ (امثال العرب)

٧٠ قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ فِي أَدَبِ ٱلْأَحْدَاثِ :

قَدْ يَنْفَعُ ٱلْأَدَبُ ٱلْأَطْفَالَ فِي صِغَرٍ   وَلَيْسَ يَنْفَعُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَدَبُ
إِنَّ ٱلْغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا ٱعْتَدَلَتْ   وَلَا يَلِينُ وَلَوْ قَوَّمْتَهُ ٱلْخَشَبُ

وَقَالَ ٱلْإِمَامُ عَلِيٌّ يُفَاخِرُ ٱلْأَغْنِيَاءَ ٱلْجُهَّالَ :

رَضِينَا قِسْمَةَ ٱلْجَبَّارِ فِينَا   لَنَا عِلْمٌ وَلِلْجُهَّالِ مَالُ
فَإِنَّ ٱلْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيبٍ   وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ لَيْسَ لَهُ زَوَالُ

وَلِلّٰهِ مَا قَالَ ٱلْآخَرُ :

أَلْعِلْمُ فِي ٱلصَّدْرِ مِثْلُ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْفَلَكِ
وَٱلْعَقْلُ لِلْمَرْءِ مِثْلُ ٱلتَّاجِ لِلْمَلِكِ
فَٱشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ ٱلْعِلْمِ مُعْتَصِمًا
فَٱلْعِلْمُ لِلْمَرْءِ مِثْلُ ٱلْمَاءِ لِلسَّمَكِ

وَقَالَ ٱلْحَلَبِيُّ فِي حِفْظِ ٱللُّغَاتِ:

بِقَدْرِ لُغَاتِ ٱلْمَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ   وَتِلْكَ لَهُ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ أَعْوَانُ
فَبَادِرْ إِلَى حِفْظِ ٱللُّغَاتِ مُسَارِعًا   فَكُلُّ لِسَانٍ بِٱلْحَقِيقَةِ إِنْسَانُ

٧١ سَأَلَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ يَوْمًا جَمَاعَةً مِنْ حُكَمَائِهِ. وَكَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى سَفَرٍ. فَقَالَ: أَوْضِحُوا لِي سَبِيلًا مِنَ ٱلْحِكْمَةِ أُحْكِمُ فِيهِ أَعْمَالِي وَأُتْقِنُ بِهِ أَشْغَالِي. فَقَالَ كَبِيرُ ٱلْحُكَمَاءِ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تُدْخِلْ قَلْبَكَ مَحَبَّةَ شَيْءٍ وَلَا بُغْضَتَهُ. لِأَنَّ ٱلْقَلْبَ خَاصِيَّتُهُ كَٱسْمِهِ وَإِنَّمَا سُمِّيَ قَلْبًا لِتَقَلُّبِهِ. وَأَعْمِلِ ٱلْفِكْرَ وَٱتَّخِذْهُ وَزِيرًا. وَٱجْعَلِ ٱلْعَقْلَ صَاحِبًا وَمُشِيرًا. وَٱجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ فِي لَيْلِكَ مُتَيَقِّظًا وَلَا تَشْرَعْ فِي أَمْرٍ بِغَيْرِ مَشُورَةٍ. وَتَجَنَّبِ ٱلْمَيْلَ وَٱلْمُحَابَاةَ فِي وَقْتِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ. فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جَرَتِ ٱلْأُمُورُ عَلَى إِيثَارِكَ. وَتَصَرَّفْتَ بِٱخْتِيَارِكَ (للغزّالي)

قَالَ بَعْضُهُمْ:

سُرُورُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا غُرُورُ   غُرُورُ ٱلْمَرْءِ فِي ٱلدُّنْيَا سُرُورُ
خَلِيلُ ٱلْمَرْءِ فَهْوَ دَلِيلُ عَقْلٍ   وَعَقْلُ ٱلْمَرْءِ مِصْبَاحٌ يُنِيرُ

٧٢ أَلْعِلْمُ خَلِيلُ ٱلْمُؤْمِنِ. وَٱلْحِلْمُ وَزِيرُهُ. وَٱلْعَقْلُ دَلِيلُهُ. وَٱلْعَمَلُ قَائِدُهُ. وَٱلرِّفْقُ وَالِدُهُ. وَٱلصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ. فَنَاهِيكَ بِخَصْلَةٍ تَتَأَمَّرُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْخَصْلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ (للشبراوي)

الباب الثالث
في الأمثال السائرة

٧٣ إثنان لا يشبعان طالب علم وطالب مال . أخوك من صدقك . إذا أردت أن تطاع فسل ما يستطاع . إذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة . إذا ضافك مكروه فاقره صبرًا . إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرًا . آفة العلم النسيان . آفة المروءة خلف الوعد . إن الجواد قد يعثر . إن الحديد بالحديد يفلح . إن خيرًا من الخير فاعله . إنك لا تجني من الشوك العنب . إن لم تغض على القذى لم ترض أبدًا . إن لم يكن وفاق ففراق . إن يكن الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة . أول الغضب جنون وآخره ندم

أحسن إن أردت أن يحسن إليك . ألحر حر وإن مسه الضر . ألحكمة ضالة المؤمن . حال الأجل دون الأمل . حافظ على الصديق ولو في الحريق . حفظك لسرك أوجب من حفظ غيرك له

خير الأمور أوسطها

دواء الدهر الصبر عليه

رأس الحكمة مخافة الله . رب حرب شبت من لفظة . رب

ضَنْكٍ أَفْضَى إِلَى سَاحَةٍ وَتَعَبٍ إِلَى رَاحَةٍ . رُبَّ فَرْحَةٍ تَعُودُ تَرْحَةً . رُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً . رُبَّمَا كَانَ ٱلسُّكُوتُ جَوَابًا

سُلْطَانٌ غَشُومٌ خَيْرٌ مِنْ فِتْنَةٍ تَدُومُ . سُوءُ ٱلْخُلُقِ يُعْدِي

أَلشَّرُّ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ . شَرُّ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ ٱلنَّاسُ .

شَهَادَاتُ ٱلْفِعَالِ خَيْرٌ مِنْ شَهَادَاتِ ٱلرِّجَالِ

أَصْعَبُ مَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ مَعْرِفَةُ نَفْسِهِ

طُولُ ٱلتَّجَارِبِ زِيَادَةٌ فِي ٱلْعَقْلِ

ظَاهِرُ ٱلْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ ٱلْحِقْدِ

عَثْرَةُ ٱلْقَدَمِ أَسْلَمُ مِنْ عَثْرَةِ ٱللِّسَانِ . عِنْدَ ٱلِٱمْتِحَانِ يُكْرَمُ ٱلْمَرْءُ أَوْ يُهَانُ

أَلْغَائِبُ حُجَّتُهُ مَعَهُ

فِي ٱلْعَجَلَةِ ٱلنَّدَامَةُ وَفِي ٱلتَّأَنِّي ٱلسَّلَامَةُ

أَقْلِلْ طَعَامَكَ تَحْمَدْ مَنَامَكَ . قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ ٱلْعُمْيَانُ تَهْدِيهِ

كَثْرَةُ ٱلضَّحِكِ تُذْهِبُ ٱلْهَيْبَةَ . كُلُّ مَمْنُوعٍ مَتْبُوعٌ

لَا رَسُولَ كَٱلدِّرْهَمِ . قَلْبُ ٱلْأَحْمَقِ فِي فِيهِ وَلِسَانُ ٱلْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ . لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ . لَا تَكُنْ رَطْبًا فَتُعْصَرَ وَلَا يَابِسًا فَتُكْسَرَ . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ ٱلْكِرَامِ تَأْخِيرُ ٱلْإِنْعَامِ . لَيْسَ مِنْ عَادَةِ ٱلْأَشْرَافِ تَعْجِيلُ ٱلِٱنْتِقَامِ . أَلْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ

مَثَلُ ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱلْبُخَلَاءِ كَمَثَلِ ٱلْبِغَالِ وَٱلْحَمِيرِ تَحْمِلُ ٱلذَّهَبَ

وَٱلْفِضَّةَ وَتَعْتَلِفُ بِٱلتِّبْنِ وَٱلشَّعِيرِ . مَنْ مَحَضَكَ مَوَدَّتَهُ . فَقَدْ خَوَّلَكَ مُهْجَتَهُ . مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ . مَنِ ٱسْتَحْسَنَ قَبِيحًا فَقَدْ عَمِلَهُ . مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ بَلَغَ مُرَادَهُ . مَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ . مَنْ تَأَنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى . مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ . مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ . مَنْ سَلِمَتْ سَرِيرَتُهُ صَلَحَتْ عَلَانِيَتُهُ . مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ . نَمْ آمِنًا تَكُنْ فِي أَمْهَدِ ٱلْفُرُشِ . نِعْمَ ٱلْمُؤَدِّبُ ٱلدَّهْرُ . وَضْعُ ٱلْإِحْسَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ظُلْمٌ . وَعْدُ ٱلْكَرِيمِ دَيْنٌ . وَيْلٌ أَهْوَنُ مِنْ وَيْلَيْنِ

يَعْمَلُ ٱلنَّمَّامُ فِي سَاعَةٍ فِتْنَةَ شَهْرٍ . يَوْمٌ وَاحِدٌ لِلْعَالِمِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْحَيَاةِ كُلِّهَا لِلْجَاهِلِ

---

٧٤ هٰذِهِ أَبْيَاتٌ تَتَمَثَّلُ بِهَا ٱلْعَرَبُ وَهِيَ لِشُعَرَاءَ مُخْتَلِفِينَ :

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُدْعَى مُبَارَكَةً ... دَارٌ مُبَارَكٌ ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي فِيهَا
إِذَا ثَارَتْ خُطُوبُ ٱلدَّهْرِ يَوْمًا ... عَلَيْكَ فَكُنْ لَهَا ثَبْتَ ٱلْجَنَانِ
إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْرًا فَدَعْهُ ... وَجَاوِزْهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
إِذَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَمْ أَتَّخِذْ يَدًا ... وَلَمْ أَسْتَفِدْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي
أَلْعِلْمُ يَنْهَضُ بِٱلْخَسِيسِ إِلَى ٱلْعُلَى ... وَٱلْجَهْلُ يَقْعُدُ بِٱلْفَتَى ٱلْمَنْسُوبِ
أَلْكُفْرُ بِٱلنِّعْمَةِ يَدْعُو إِلَى ... زَوَالِهَا وَٱلشُّكْرُ أَبْقَى لَهَا
أَلْمَاءُ يَغْسِلُ مَا بِٱلثَّوْبِ مِنْ دَرَنٍ ... وَلَيْسَ يَغْسِلُ قَلْبَ ٱلْمُذْنِبِ ٱلْمَاءُ

أَلِابْنُ يَنْشَا عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ   إِنَّ ٱلْعُرُوقَ عَلَيْهَا يَنْبُتُ ٱلشَّجَرُ
إِنَّ ٱلْعَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالَمَةً   إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا غِرَّةً وَثَبَا
بِٱلْمِلْحِ تُصْلِحُ مَا تَخْشَى تَغَيُّرَهُ   فَكَيْفَ بِٱلْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ ٱلْغِيَرُ
بَلَوْتُ ٱلرِّجَالَ وَأَفْعَالَهُمْ   فَكُلٌّ يَعُودُ إِلَى عُنْصُرِهْ
تَبًّا لِمَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ لَاهِيًا   وَمَرَامُهُ ٱلْمَأْكُولُ وَٱلْمَشْرُوبُ
تَعَوَّدْ فَعَالَ ٱلْخَيْرِ دَأْبًا فَكُلُّ مَا   تَعَوَّدَهُ ٱلْإِنْسَانُ كَانَ لَهُ طَبْعَا
تُلْجِي ٱلضَّرُورَاتُ فِي ٱلْأُمُورِ إِلَى   سُلُوكِ مَا لَا يَلِيقُ بِٱلْأَدَبِ
جَزَى ٱللهُ ٱلشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ   عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي
جِرَاحَاتُ ٱلسِّنَانِ لَهَا ٱلْتِئَامٌ   وَلَا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ ٱللِّسَانُ
حَيَّاكَ مَنْ لَمْ تَكُنْ تَرْجُو تَحِيَّتَهُ   لَوْلَا ٱلدَّرَاهِمُ مَا حَيَّاكَ إِنْسَانُ
خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ غَنِيمَةً   إِنَّ ٱلْجُلُوسَ مَعَ ٱلْعِيَالِ قَبِيحُ
خَفِّضِ ٱلْجَأْشَ وَٱصْبِرَنْ رُوَيْدًا   فَٱلرَّزَايَا إِذَا تَوَالَتْ تَوَلَّتْ
دُخُولُكَ مِنْ بَابِ ٱلْهَوَى إِنْ أَرَدْتَهُ   يَسِيرٌ وَلٰكِنَّ ٱلْخُرُوجَ عَسِيرُ
دَعْوَى ٱلصَّدَاقَةِ فِي ٱلرَّخَاءِ كَثِيرَةٌ   بَلْ فِي ٱلشَّدَائِدِ يُعْرَفُ ٱلْإِخْوَانُ
ذَهَبَ ٱلشَّبَابُ فَأَيْنَ تَذْهَبُ بَعْدَهُ   نَزَلَ ٱلْمَشِيبُ وَحَانَ مِنْكَ رَحِيلُ
رُبَّ مَنْ تَرْجُو بِهِ دَفْعَ ٱلْأَذَى   عَنْكَ يَأْتِيكَ ٱلْأَذَى مِنْ قِبَلِهْ
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا   صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ
زِيَادَةُ ٱلْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ   وَشُغْلُهُ غَيْرَ فِعْلِ ٱلْخَيْرِ خُسْرَانُ
سَتَذْكُرُنِي إِذَا جَرَّبْتَ غَيْرِي   وَتَعْلَمُ أَنَّنِي نِعْمَ ٱلصَّدِيقُ

سَكَتُّ عَنِ ٱلسَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي   عَيِيتُ عَنِ ٱلْجَوَابِ وَمَا عَيِيتُ

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَثِيرٌ   وَمَا لَكَ عِنْدَ فَقْرِكَ مِنْ صَدِيقِ

صُنِ ٱلْعِلْمَ وَٱرْفَعْ قَدْرَهُ وَٱرْعَ حَقَّهُ   وَلَا تُلْقِهِ إِلَّا إِلَى كُلِّ مُنْصِفِ

ضِدَّانِ لَمَّا ٱسْتَجْمَعَا حَسُنَا   وَٱلضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ ٱلضِّدُّ

ظَاهِرِي دُونَ بَاطِنِي مُسْتَجَادٌ   لَيْتَ حَالِي يَكُونُ بِٱلْمَقْلُوبِ

عَتَبْتُ عَلَى عَمْرٍو فَلَمَّا فَقَدْتُهُ   وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرِو

عَجِبْتُ لِمَنْ يَشْرِي ٱلْعَبِيدَ بِمَالِهِ   وَلَا يَشْتَرِي حُرًّا بِلِينِ مَقَالِهِ

عَلَيْكَ نَفْسَكَ فَتِّشْ عَنْ مَعَايِبِهَا   وَخَلِّ عَنْ عَثَرَاتِ ٱلنَّاسِ لِلنَّاسِ

فَإِنْ كَانَتِ ٱلْأَجْسَامُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ   فَإِنَّ ٱلْمَدَى بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ قَرِيبُ

فَتًى إِنْ يَرْضَ لَمْ يَنْفَعْكَ شَيْئًا   وَإِنْ يَغْضَبْ عَلَيْكَ فَلَا تُبَالِ

فَلَمْ أَرَ كَٱلْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ وَاعِظًا   وَلَا كَصُرُوفِ ٱلدَّهْرِ لِلْمَرْءِ هَادِيَا

فَمَا أَكْثَرَ ٱلْأَصْحَابَ حِينَ تَعُدُّهُمْ   وَلَكِنَّهُمْ فِي ٱلنَّائِبَاتِ قَلِيلُ

قَدْ يَجْمَعُ ٱلْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ   وَيَأْكُلُ ٱلْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهْ

قَدْ زَالَ مُلْكُ سُلَيْمَانٍ فَغَادَرَهُ   وَٱلشَّمْسُ تَنْحَطُّ فِي ٱلْمَجْرَى وَتَرْتَفِعُ

قَنِّعِ ٱلنَّفْسَ بِٱلْكَفَافِ وَإِلَّا   طَلَبَتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

كَانُوا بَنِي أُمٍّ فَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ   عَدَمُ ٱلْعُقُولِ وَخِفَّةُ ٱلْأَحْلَامِ

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ ٱلنُّفُوسِ مُرَكَّبٌ   فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ ٱلْأَنَامِ حَبِيبُ

كُلُّ ٱلْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى ٱلْفَتَى   فَتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ ٱلْأَعْدَاءِ

كُلُّ مَنْ أَحْوَجَكَ ٱلدَّهْرُ إِلَيْهِ   وَتَعَرَّضْتَ لَهُ هُنْتَ عَلَيْهِ

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات
لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق
لعمرك ما الأيام إلا معارة ... فما استطعت من معروفها فتزود
لكل داء دواء يستطب به ... إلا الحماقة أعيت من يداويها
لكل شيء حسن زينة ... وزينة العاقل حسن الأدب
للموت فينا سهام وهي صائبة ... من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
ليس السعيد الذي دنياه تسعده ... إن السعيد الذي ينجو من النار
ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس
ما بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي ارتفعت لا بجدودي
ما حك جلدك مثل ظفرك ... فتول أنت جميع أمرك
ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
من يصنع الخير مع من ليس يعرفه ... كواقد الشمع في بيت لعميان
من يحمد الناس يحمدوه ... والناس من عابهم يعاب
من كان فوق محل الشمس رتبته ... فليس يرفعه شيء ولا يضع
نحن بنو الموتى فما بالنا ... نعاف ما لا بد من شربه
ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناه ما صنعت يداه
هب الدنيا تقاد إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى الزوال
وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

وَجَانِبْ صِغَارَ ٱلذَّنْبِ لَا تَرْكَبَنَّهَا   فَإِنَّ صِغَارَ ٱلذَّنْبِ يَوْمًا تَجَمَّعُ
وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أَعُودَ مُمَتَّعًا   فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أَعُودَ مُسَلَّمَا
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ   عَلَى نَائِبَاتِ ٱلدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ
وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا ٱلْفَتَى   ذَرْعًا وَعِنْدَ ٱللهِ مِنْهَا ٱلْمَخْرَجُ
وَلَيْسَ أَخِي إِلَّا ٱلصَّحِيحَ وِدَادُهُ   وَمَنْ هُوَ فِي وَصْلِي وَقُرْبِي رَاغِبُ
وَلَمْ أَرَ كَٱلْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ   فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ
وَمَنْ عَاشَ فِي ٱلدُّنْيَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَى   مِنَ ٱلْعَيْشِ مَا يَصْفُو وَمَا يَتَكَدَّرُ
لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا   إِنَّمَا أَصْلُ ٱلْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ
لَا تَسْأَلِ ٱلْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ   فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ ٱلْخَبَرِ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى ٱمْرِئٍ مَا أَصْلُهُ   وَٱنْظُرْ إِلَى أَفْعَالِهِ ثُمَّ ٱحْكُمِ
لَا تُذِلَّ ٱلْفَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَسْقُطَ يَوْمًا وَٱلدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ
يُرِيكَ ٱلْبَشَاشَةَ عِنْدَ ٱللِّقَا   وَيَبْرِيكَ فِي ٱلسِّرِّ بَرْيَ ٱلْقَلَمْ
يُفَارِقُنِي مَنْ لَا أُطِيقُ فِرَاقَهُ   وَيَصْحَبُنِي فِي ٱلنَّاسِ مَنْ لَا أُرِيدُهُ
يَمُوتُ ٱلْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ مِنْ لِسَانِهِ   وَلَيْسَ يَمُوتُ ٱلْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ ٱلرِّجْلِ
يَنَالُ ٱلْفَتَى بِٱلْعِلْمِ كُلَّ غَنِيمَةٍ   وَيَعْلُو مَقَامًا بِٱلتَّوَاضُعِ وَٱلْأَدَبْ
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا   وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ
يَهَشُّ لِلشَّعِيرِ إِذَا رَآهُ   وَيَعْبِسُ إِنْ رَأَى وَجْهَ ٱللِّجَامِ

البابُ الرابع
في أمثالٍ عن ألسنةِ الحيوانات

كِلابٌ وثعلبٌ

٧٥ كِلابٌ مرّةً أصابوا جلدَ سبعٍ . فأقبلوا عليهِ ينهشونهُ . فبصُرَ بهم الثعلبُ فقالَ لهم : أما أنّهُ لو كانَ حيًّا لرأيتُم مخالبهُ كأنيابكُم وأطولَ (مَغزاهُ) النهيُ عن الشماتةِ بالموتى

ألوزُّ والخُطّافُ

٧٦ ألوزُّ والخُطّافُ تشاركا في المعيشةِ . فكانَ مرعاهما كليهما في محلٍّ واحدٍ . فمرَّ بهما الصيّادونَ يومًا . فما كانَ من الخُطّافِ إلّا أن طارَ وسلِمَ . فأمّا الوزُّ فأُدرِكَ وذُبحَ (مَغزاهُ) مَنْ عاشرَ مَنْ لا يُشاكلُهُ أحاقَ بهِ السوءُ

قِطٌّ

٧٧ قِطٌّ مرّةً دخلَ دُكّانَ حدّادٍ . فأصابَ المِبرَدَ . فأقبلَ يلحسهُ بلسانهِ والدمُ يسيلُ منهُ وهو يبلعهُ ويظنّهُ من المِبرَدِ إلى أن فنيَ لسانهُ فماتَ (مَغزاهُ) أنَّ الجاهلَ لا يُفيقُ من جهلهِ ما دامَ الطمعُ غالبًا عليهِ

صبيٌّ وعقربٌ

٧٨ صبيٌّ مرّةً كانَ يصيدُ الجرادَ . فنظرَ عقربًا فظنّها جرادةً . فمدَّ

يَدَهُ لِيأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ لَتَخَلَّيْتَ عَنْ صَيْدِ ٱلْجَرَادِ (مَغْزَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ ٱلْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ. وَيُدَبِّرَ لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حِدَتِهِ

اَلنِّمُوسُ وَٱلدَّجَاجُ

٧٩ بَلَغَ ٱلنِّمُوسَ أَنَّ ٱلدَّجَاجَ قَدْ مَرِضُوا. فَلَبِسُوا جُلُودَ طَوَاوِيسَ وَأَتَوْا لِيَزُورُوهُمْ. فَقَالُوا لَهُمْ: اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلدَّجَاجُ. كَيْفَ أَنْتُمْ وَكَيْفَ أَحْوَالُكُمْ. فَقَالُوا: إِنَّا بِخَيْرٍ يَوْمَ لَا نَرَى وُجُوهَكُمْ (مَغْزَاهُ) أَنَّ كَثِيرًا يُظْهِرُونَ ٱلْمَحَبَّةَ وَيُبْطِنُونَ ٱلْبَغْضَاءَ

إِنْسَانٌ وَصَنَمٌ

٨٠ إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ صَنَمٌ فِي بَيْتِهِ يَعْبُدُهُ وَيَذْبَحُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ ذَبِيحَةً حَتَّى أَفْنَى عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا كَانَ يَمْلِكُهُ. فَشَخَصَ لَهُ ٱلصَّنَمُ أَخِيرًا وَقَالَ لَهُ: لَا تُفْنِ مَالَكَ عَلَيَّ ثُمَّ تَلُمْنِي عِنْدَ إِلٰهٍ آخَرَ (مَغْزَاهُ) يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يُنْفِقَ مَالَهُ فِي ٱلْخَطِيئَةِ ثُمَّ يَحْتَجَّ أَنَّ ٱللّٰهَ أَفْقَرَهُ

إِنْسَانٌ وَٱلْمَوْتُ

٨١ إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ جُرْزَةَ حَطَبٍ. فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَعْيَا وَضَجِرَ مِنْ حَمْلِهَا رَمَى بِهَا عَنْ كَتِفِهِ وَدَعَا عَلَى رُوحِهِ بِٱلْمَوْتِ. فَشَخَصَ لَهُ ٱلْمَوْتُ قَائِلًا: هَا أَنَا ذَا. لِمَ دَعَوْتَنِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْإِنْسَانُ: دَعَوْتُكَ لِتُحَوِّلَ هٰذِهِ جُرْزَةَ ٱلْحَطَبِ عَلَى كَتِفِي (مَغْزَاهُ) أَنَّ ٱلْعَالَمَ بِأَسْرِهِ يُحِبُّ ٱلدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَمَلُّ مِنَ ٱلضَّعْفِ وَٱلشَّقَاءِ (لقمان)

قِطَّتَانِ وَقِرْدٌ

٨٢ قِطَّتَانِ اُخْتَطَفَتَا جُبْنَةً وَذَهَبَتَا بِهَا إِلَى ٱلْقِرْدِ لِكَي يَقْسِمَهَا بَيْنَهُمَا. فَقَسَمَهَا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ ٱلْآخَرِ وَوَضَعَهُمَا فِي مِيزَانِهِ. فَرَجَحَ ٱلْأَكْبَرُ. فَأَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِأَسْنَانِهِ وَهُوَ يُظْهِرُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُسَاوَاتَهُ بِٱلْأَصْغَرِ. وَلٰكِنْ إِذْ كَانَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ ٱللَّازِمِ رَجَحَ ٱلْأَصْغَرُ. فَفَعَلَ بِهٰذَا مَا فَعَلَهُ بِذَاكَ ثُمَّ فَعَلَ بِذَاكَ مَا فَعَلَهُ بِهٰذَا حَتَّى كَادَ يَذْهَبُ بِٱلْجُبْنَةِ. فَقَالَتْ لَهُ ٱلْقِطَّتَانِ: نَحْنُ رَضِينَا بِهٰذِهِ ٱلْقِسْمَةِ فَأَعْطِنَا ٱلْجُبْنَةَ. فَقَالَ: إِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا رَضِيتُمَا فَإِنَّ ٱلْعَدْلَ لَا يَرْضَى. وَمَا زَالَ يَهْضِمُ ٱلْقِسْمَ ٱلرَّاجِحَ مِنْهُمَا كَذٰلِكَ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِمَا جَمِيعًا. فَرَجَعَتِ ٱلْقِطَّتَانِ بِحُزْنٍ وَخَيْبَةٍ وَهُمَا تَقُولَانِ:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ ٱللهِ فَوْقَهَا ... وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِأَظْلَمِ

صَائِدٌ وَعُصْفُورٌ

٨٣ كَانَ صَائِدٌ يَصِيدُ ٱلْعَصَافِيرَ فِي يَوْمٍ بَارِدٍ. فَكَانَ يَذْبَحُهَا وَٱلدُّمُوعُ تَسِيلُ. فَقَالَ عُصْفُورٌ لِصَاحِبِهِ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنَ ٱلرَّجُلِ أَمَا تَرَاهُ يَبْكِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْآخَرُ: لَا تَنْظُرْ إِلَى دُمُوعِهِ بَلْ إِلَى مَا تَصْنَعُ يَدَاهُ (للشريشي)

أَسْوَدُ

٨٤ أَسْوَدُ فِي فَصْلِ ٱلشِّتَاءِ أَقْبَلَ يَأْخُذُ ٱلثَّلْجَ وَيَفْرُكُ بِهِ بَدَنَهُ. فَقِيلَ لَهُ: لِمَاذَا ذٰلِكَ. فَقَالَ: لَعَلِّي أَبْيَضُّ. فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ: يَا هٰذَا لَا

تُتعِبُ نَفْسَكَ فَرُبَّمَا أَسْوَدَّ ٱلثَّلْجُ مِنْ جِسْمِكَ وَهُوَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ (مَعْنَاه) أَنَّ ٱلشِّرِّيرَ يَقْدِرُ أَنْ يُفْسِدَ ٱلْخَيْرَ وَقَلِيلًا مَا يُصْلِحُهُ ٱلْخَيْرُ (لقمان)

ثَعْلَبٌ وَطَبْلٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَسْتَكْبِرُ ٱلشَّيْءَ حَتَّى يُجَرِّبَهُ فَيَسْتَصْغِرَهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَبًا أَتَى أَجَمَةً فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ. وَكُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ. فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِمَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ وَجَدَهُ ضَخْمًا فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ. فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ: لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ ٱلْأَشْيَاءِ أَجْهَرُهَا صَوْتًا وَأَعْظَمُهَا جُثَّةً

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ وَذِئْبٌ

وَهُوَ مَثَلُ مَنِ ٱتَّعَظَ بِغَيْرِهِ وَٱعْتَبَرَ بِهِ

٨٦ أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ وَذِئْبٌ ٱصْطَحَبُوا فَخَرَجُوا يَتَصَيَّدُونَ. فَصَادُوا حِمَارًا وَأَرْنَبًا وَظَبْيًا. فَقَالَ ٱلْأَسَدُ لِلذِّئْبِ: ٱقْسِمْ بَيْنَنَا. فَقَالَ: ٱلْأَمْرُ بَيِّنٌ. ٱلْحِمَارُ لِلْأَسَدِ وَٱلْأَرْنَبُ لِلثَّعْلَبِ وَٱلظَّبْيُ لِي. فَخَبَطَهُ ٱلْأَسَدُ فَأَطَاحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلثَّعْلَبِ وَقَالَ: مَا كَانَ أَجْهَلَ صَاحِبَكَ بِٱلْقِسْمَةِ هَاتِ أَنْتَ. فَقَالَ: يَا أَبَا ٱلْحَارِثِ ٱلْأَمْرُ وَاضِحٌ. ٱلْحِمَارُ لِغَدَائِكَ وَٱلظَّبْيُ لِعَشَائِكَ وَتَخَلَّلْ بِٱلْأَرْنَبِ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ: مَا أَقْضَاكَ. مَنْ عَلَّمَكَ هٰذَا ٱلْفِقْهَ. فَقَالَ:

رَأْسُ ٱلذِّئْبِ ٱلطَّائِرُ مِنْ جُثَّتِهِ (للقليوبي)

مَثَلُ فَارَةِ ٱلْبَيْتِ وَفَارَةِ ٱلصَّحْرَاءِ

٨٧ قِيلَ إِنَّ فَارَةَ ٱلْبُيُوتِ رَأَتْ فَارَةَ ٱلصَّحْرَاءِ فِي شِدَّةٍ وَمِحْنَةٍ فَقَالَتْ لَهَا: مَا تَصْنَعِينَ هٰهُنَا اذْهَبِي مَعِي إِلَى ٱلْبُيُوتِ ٱلَّتِي فِيهَا أَنْوَاعُ ٱلنَّعِيمِ وَٱلْخِصْبِ. فَذَهَبَتْ مَعَهَا. وَإِذَا صَاحِبُ ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَسْكُنُهُ قَدْ هَيَّأَ لَهَا ٱلرَّصَدَ لَبِنَةً تَحْتَهَا شَحْمَةٌ. فَٱقْتَحَمَتْ لِتَأْخُذَ ٱلشَّحْمَةَ فَوَقَعَتْ عَلَيْهَا ٱللَّبِنَةُ فَحَطَمَتْهَا. فَهَرَبَتِ ٱلْفَارَةُ ٱلْبَرِّيَّةُ وَهَزَّتْ رَأْسَهَا مُتَعَجِّبَةً وَقَالَتْ: أَرَى نِعْمَةً كَثِيرَةً وَبَلَاءً شَدِيدًا. إِنَّ ٱلْعَافِيَةَ وَٱلْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ غِنًى يَكُونُ فِيهِ ٱلْمَوْتُ. ثُمَّ فَرَّتْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ (للابشيهي)

خُنْفُسَةٌ وَنَحْلَةٌ

٨٨ خُنْفُسَةٌ قَالَتْ مَرَّةً لِنَحْلَةٍ: لَوْ أَخَذْتِنِي مَعَكِ لَعَسَّلْتُ مِثْلَكِ وَأَكْثَرَ. فَأَجَابَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ إِلَى ذٰلِكَ. فَلَمَّا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى وَفَاءِ مَا قَالَتْ ضَرَبَتْهَا ٱلنَّحْلَةُ بِحُمَتِهَا. وَفِيمَا هِيَ تَمُوتُ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: لَقَدِ ٱسْتَوْجَبْتُ مَا نَالَنِي مِنَ ٱلسُّوءِ. فَإِنِّي لَا أُحْسِنُ ٱلزِّفْتَ فَكَيْفَ ٱلْعَسَلَ (مَغْزَاهُ) أَنَّ أُنَاسًا كَثِيرِينَ يَدَّعُونَ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُمْ فَتَنْفَضِحُ عَاقِبَتُهُمْ (للقمان)

مَثَلُ ٱلْخِنْزِيرِ وَٱلْأَتَانِ

٨٩ كَانَ عِنْدَ رُومِيٍّ خِنْزِيرٌ فَرَبَطَهُ إِلَى أُسْطُوَانَةٍ وَوَضَعَ ٱلْعَلَفَ

بَيْنَ يَدَيْهِ لِيُسَمِّنَهُ . وَكَانَ بِجَنْبِهِ أَتَانٌ لَهَا جَحْشٌ . وَكَانَ ذٰلِكَ الْجَحْشُ يَلْتَقِطُ مِنَ الْعَلَفِ مَا يَتَنَاثَرُ فَقَالَ لِأُمِّهِ : يَا أُمَّاهُ مَا أَطْيَبَ هٰذَا الْعَلَفَ لَوْ دَامَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ لَا تَقْرَبْهُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى . فَلَمَّا أَرَادَ الرُّومِيُّ أَنْ يَذْبَحَ الْخِنْزِيرَ وَوَضَعَ السِّكِّينَ عَلَى حَلْقِهِ جَعَلَ يَضْطَرِبُ وَيَنْفُخُ . فَهَرَبَ الْجَحْشُ وَأَتَى إِلَى أُمِّهِ وَأَخْرَجَ لَهَا أَسْنَانَهُ وَقَالَ : وَيْحَكِ يَا أُمَّاهُ انْظُرِي هَلْ بَقِيَ فِي خِلَالِ أَسْنَانِي شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ الْعَلَفِ فَاقْلَعِيهِ . فَمَا أَحْسَنَ الْقَنَعَ مَعَ السَّلَامَةِ (للابشيهي)

كَلْبٌ وَشُوحَةٌ

٩٠ كَلْبٌ مَرَّةً خَطِفَ بَضْعَةَ لَحْمٍ مِنَ الْمَسْلَخِ وَنَزَلَ يَخُوضُ فِي النَّهْرِ . فَنَظَرَ ظِلَّهَا فِي الْمَاءِ وَإِذَا هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الَّتِي مَعَهُ . فَرَمَى الَّتِي مَعَهُ فَانْحَدَرَتْ شُوحَةٌ فَأَخَذَتْهَا . وَجَعَلَ الْكَلْبُ يَجْرِي فِي طَلَبِ الْكَبِيرَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا . فَرَجَعَ فِي طَلَبِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ فَلَمْ يُصِبْهَا . فَقَالَ : وَيْحِي أَنَا الَّذِي أَلْقَيْتُ نَفْسِي فِي الْغُرُورِ . لِأَنِّي ضَيَّعْتُ مَا كَانَ تَحْتَ يَدِي . وَسَعَيْتُ فِي طَلَبِ مَا لَيْسَ هُوَ تَحْتَ يَدِي وَلَا يَصْلُحُ لِي (مغزاه) لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئًا قَلِيلًا مَوْجُودًا وَيَطْلُبَ شَيْئًا كَثِيرًا مَفْقُودًا

أَرَانِبُ وَثَعَالِبُ

٩١ أَلنُّسُورُ مَرَّةً وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَرَانِبِ حَرْبٌ . فَمَضَتِ الْأَرَانِبُ إِلَى الثَّعَالِبِ يَسُومُونَ مِنْهُمُ الْحِلْفَ وَالْمُعَاضَدَةَ عَلَى

النُّسُورِ. فَقَالُوا لَهُمْ : لَوْلَا عَرَفْنَاكُمْ وَنَعْلَمُ لِمَنْ تُحَارِبُونَ لَفَعَلْنَا ذٰلِكَ (مَعْنَاهُ) أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَلَّا يُحَارِبَ مَنْ هُوَ أَشَدُّ بَأْسًا مِنْهُ

غَزَالٌ وَثَعْلَبٌ

٩٢ غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَجَاءَ إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ وَكَانَ الْمَاءُ فِي جُبٍّ عَمِيقٍ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا حَاوَلَ الطُّلُوعَ لَمْ يَقْدِرْ فَنَظَرَهُ الثَّعْلَبُ فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي أَسَأْتَ فِي فِعْلِكَ إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ طُلُوعَكَ قَبْلَ نُزُولِكَ

أَسَدٌ وَثَوْرٌ

٩٣ أَسَدٌ مَرَّةً أَرَادَ أَنْ يَفْتَرِسَ ثَوْرًا فَلَمْ يَجْسُرْ عَلَيْهِ لِشِدَّتِهِ . فَمَضَى إِلَيْهِ مُتَمَلِّقًا قَائِلًا : قَدْ ذَبَحْتُ خَرُوفًا سَمِينًا وَأَشْتَهِي أَنْ تَأْكُلَ عِنْدِي هٰذِهِ اللَّيْلَةَ مِنْهُ . فَأَجَابَ الثَّوْرُ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْعَرِينِ وَنَظَرَهُ فَإِذَا الْأَسَدُ قَدْ أَعَدَّ حَطَبًا كَثِيرًا وَخَلَاقِينَ كِبَارًا فَوَلَّى هَارِبًا . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا لَكَ وَلَّيْتَ بَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَى هُنَا . فَقَالَ لَهُ الثَّوْرُ : لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ هٰذَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْخَرُوفِ (مَعْنَاهُ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يُصَدِّقَ عَدُوَّهُ (للقمان)

كَلْبَانِ

٩٤ كَلْبٌ مَرَّةً كَانَ فِي دَارِ أَصْحَابِهِ دَعْوَةٌ . فَخَرَجَ إِلَى السُّوقِ فَلَقِيَ كَلْبًا آخَرَ . فَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَنَا الْيَوْمَ دَعْوَةً . فَامْضِ بِنَا لِنَقْصِفَ الْيَوْمَ جَمِيعًا . فَمَضَى مَعَهُ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ . فَلَمَّا نَظَرَهُ الْخُدَّامُ قَبَضَ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنَبِهِ وَرَمَى بِهِ مِنَ الْحَائِطِ إِلَى

خَارِجَ ٱلدَّارِ فَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ ٱنْتَفَضَ مِنَ ٱلتُّرَابِ فَرَآهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا : أَيْنَ كُنْتَ ٱلْيَوْمَ . أَكُنْتَ تَقْصِفُ . فَإِنَّا نَرَاكَ خَرَجْتَ ٱلْيَوْمَ لَا تَدْرِي كَيْفَ ٱلطَّرِيقُ (مَعْنَاهُ) أَنَّ كَثِيرِينَ يَتَطَفَّلُونَ فَيَخْرُجُونَ مَطْرُودِينَ بَعْدَ ٱلِٱسْتِخْفَافِ بِهِمْ وَٱلْهَوَانِ

نَاسِكٌ وَمُحْتَالُونَ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ صَدَّقَ ٱلْكَذُوبَ ٱلْمُحْتَالَ فَكَانَ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ

٩٥ **زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشْتَرَى عَرِيضًا** ضَخْمًا لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا وَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ . فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنْهُ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : مَا هٰذَا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ آخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هٰذَا نَاسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَهُ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي بَاعَهُ لَهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ (كليلة ودمنة)

إِنْسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ فِي بِئْرٍ

٩٦ حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنْ أَسَدٍ فَوَقَعَ فِي بِئْرٍ . وَجَدَ فِيهِ دُبًّا ثُمَّ وَقَعَ بَعْدَهُمَا ٱلْأَسَدُ . فَقَالَ لِلدُّبِّ : كَمْ لَكَ هٰهُنَا . فَقَالَ لَهُ : مُنْذُ أَيَّامٍ وَقَدْ قَتَلَنِي ٱلْجُوعُ . فَقَالَ لَهُ : دَعْنَا نَأْكُلُ هٰذَا ٱلْإِنْسَانَ وَقَدْ كُفِينَا ٱلْجُوعَ . فَقَالَ لَهُ : وَإِذَا عَاوَدَنَا ٱلْجُوعُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاذَا نَصْنَعُ . وَلٰكِنِ ٱلْأَوْلَى أَنَّنَا نَحْلِفُ لَهُ أَنْ لَا نُؤْذِيَهُ فَيَحْتَالَ فِي

خَلَاصِنَا لِأَنَّهُ أَقْدَرُ مِنَّا عَلَى ٱلْحِيلَةِ. فَحَلَفَا لَهُ فَٱحْتَالَ حَتَّى خَلَصَ وَخَلَّصَهُمَا. فَكَانَ نَظَرُ ٱلدُّبِّ أَكْمَلَ مِنْ نَظَرِ ٱلْأَسَدِ (للقليوبي)

ثَعْلَبٌ وَضَبُعٌ

٩٧ حُكِيَ أَنَّ ٱلثَّعْلَبَ ٱطَّلَعَ فِي بِئْرٍ وَهُوَ عَطِشٌ وَعَلَيْهَا رِشَاءٌ فِي طَرَفَيْهِ دَلْوَانِ. فَقَعَدَ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْعُلْيَا فَٱنْحَدَرَتْ فَشَرِبَ. فَجَاءَتِ ٱلضَّبُعُ فَٱطَّلَعَتْ فِي ٱلْبِئْرِ فَأَبْصَرَتِ ٱلْقَمَرَ فِي ٱلْمَاءِ مُنْتَصِفًا وَٱلثَّعْلَبُ قَاعِدٌ فِي قَعْرِ ٱلْبِئْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: مَا تَصْنَعُ هٰهُنَا. فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أَكَلْتُ نِصْفَ هٰذِهِ ٱلْجُبْنَةِ وَبَقِيَ نِصْفُهَا لَكِ فَٱنْزِلِي فَكُلِيهَا. فَقَالَتْ: وَكَيْفَ أَنْزِلُ. قَالَ: تَقْعُدِينَ فِي ٱلدَّلْوِ. فَقَعَدَتْ فِيهَا فَٱنْحَدَرَتْ وَٱرْتَفَعَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلدَّلْوِ ٱلْأُخْرَى. فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا فِي وَسَطِ ٱلْبِئْرِ. قَالَتْ لَهُ: مَا هٰذَا. قَالَ: كَذَا ٱلتُّجَّارُ يَخْتَلِفُ. فَضَرَبَتِ ٱلْعَرَبُ بِهِمَا ٱلْمَثَلَ فِي ٱلْمُخْتَلِفَيْنِ (للشريشي)

إِنْسَانٌ وَأَسَدٌ وَدُبٌّ

٩٨ حُكِيَ أَنَّ إِنْسَانًا هَرَبَ مِنْ أَسَدٍ فَٱلْتَجَأَ إِلَى شَجَرَةٍ فَصَعِدَ عَلَيْهَا. وَإِذَا فَوْقَهَا دُبٌّ يَلْقُطُ ثَمَرَهَا. فَجَاءَ ٱلْأَسَدُ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ثُمَّ ٱفْتَرَشَ يَنْتَظِرُ نُزُولَ ٱلْإِنْسَانِ. فَٱلْتَفَتَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ٱلدُّبِّ فَإِذَا هُوَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِهِ عَلَى فِيهِ أَنِ: ٱسْكُتْ لِئَلَّا يَشْعُرَ ٱلْأَسَدُ أَنِّي هٰهُنَا. فَتَحَيَّرَ ٱلرَّجُلُ وَكَانَ مَعَهُ سِكِّينٌ لَطِيفٌ فَأَخَذَ يَقْطَعُ ٱلْغُصْنَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلدُّبُّ حَتَّى أَنْهَاهُ. فَوَقَعَ ٱلدُّبُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْأَسَدُ فَتَصَارَعَا فَٱفْتَرَسَ

الأَسَدُ الذِّئْبَ وَكَرَّ رَاجِعًا وَنَجَا الرَّجُلُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى (للقليوبي)

حِمَارٌ وَثَوْرٌ

٩٩ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ قَدْ أَبْطَرَتْهُ الرَّاحَةُ وَثَوْرٌ قَدْ أَذَلَّهُ التَّعَبُ. فَشَكَا الثَّوْرُ أَمْرَهُ يَوْمًا إِلَى الْحِمَارِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ لَكَ يَا أَخِي أَنْ تَنْصَحَنِي بِمَا يُرِيحُنِي مِنْ تَعَبِي هٰذَا الشَّدِيدِ. فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ: تَمَارَضْ وَلَا تَأْكُلْ عَلَفَكَ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ وَرَآكَ صَاحِبُنَا هٰكَذَا تَرَكَكَ وَلَمْ يَأْخُذْكَ لِلْحِرَاثَةِ فَتَسْتَرِيحَ. قَالُوا: وَكَانَ صَاحِبُهُمَا يَفْهَمُ بِلِسَانِ الْحَيَوَانَاتِ فَفَهِمَ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَدِيثِ. ثُمَّ إِنَّ الثَّوْرَ أَخَذَ بِنَصِيحَةِ الْحِمَارِ وَعَمِلَ بِمُوجَبِهَا. وَلَمَّا أَقْبَلَ الصَّبَاحُ حَضَرَ صَاحِبُهُمَا فَرَأَى الثَّوْرَ غَيْرَ آكِلٍ عَلَفَهُ فَتَرَكَهُ وَأَخَذَ الْحِمَارَ بَدَلَهُ. وَحَرَثَ عَلَيْهِ كُلَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ تَعَبًا. فَنَدِمَ عَلَى نَصِيحَتِهِ لِلثَّوْرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِنْدَ الْمَسَاءِ قَالَ لَهُ الثَّوْرُ: كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي. فَقَالَ: بِخَيْرٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ الْيَوْمَ مَا قَدْ هَالَنِي عَلَيْكَ. فَقَالَ لَهُ الثَّوْرُ: وَمَا ذَاكَ. قَالَ الْحِمَارُ: سَمِعْتُ صَاحِبَنَا يَقُولُ إِذَا بَقِيَ الثَّوْرُ هٰكَذَا مَرِيضًا يَجِبُ ذَبْحُهُ لِئَلَّا نَخْسَرَ ثَمَنَهُ. فَالرَّأْيُ الْآنَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى عَادَتِكَ وَتَأْكُلَ عَلَفَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَحِلَّ بِكَ هٰذَا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ. فَقَالَ لَهُ الثَّوْرُ: صَدَقْتَ. وَقَامَ لِلْحَالِ إِلَى عَلَفِهِ فَأَكَلَهُ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ ضَحِكَ صَاحِبُهُمَا (مغزاه) مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالًا عَلَيْهِ (الف ليلة وليلة)

الباب الخامس
في الفضائل والنقائص

النصيحة والمشورة

١٠٠ إِنَّ ٱلْحَكِيمَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا شَاوَرَ فِيهِ ٱلرِّجَالَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا خَبِيرًا . لِأَنَّ مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ . وَمَنِ ٱسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ . قَالَ ٱلْحَسَنُ : ٱلنَّاسُ ثَلٰثَةٌ . فَرَجُلٌ رَجُلٌ . وَرَجُلٌ نِصْفُ رَجُلٍ . وَرَجُلٌ لَا رَجُلٌ . فَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلرَّجُلُ فَذُو ٱلرَّأْيِ وَٱلْمَشُورَةِ . وَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي هُوَ نِصْفُ رَجُلٍ فَٱلَّذِي لَهُ رَأْيٌ وَلَا يُشَاوِرُ . وَأَمَّا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي لَيْسَ بِرَجُلٍ فَٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ وَلَا يُشَاوِرُ

١٠١ وَقَالَ ٱلْمَنْصُورُ لِوَلَدِهِ : خُذْ عَنِّي ثِنْتَيْنِ . لَا تَقُلْ فِي غَيْرِ تَفْكِيرٍ . وَلَا تَعْمَلْ بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ . وَقَالَ ٱلْفَضْلُ : ٱلْمَشُورَةُ فِيهَا بَرَكَةٌ . وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : لَا مَالَ أَوْفَرُ مِنَ ٱلْعَقْلِ . وَلَا فَقْرَ أَعْظَمُ مِنَ ٱلْجَهْلِ . وَلَا ظَهْرَ أَقْوَى مِنَ ٱلْمَشُورَةِ . وَقِيلَ : ٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ أَحْمَى مِنَ ٱلْبَطَلِ ٱلشَّدِيدِ . قَالَ أَرْدَشِيرُ : لَا تَسْتَحْقِرِ ٱلرَّأْيَ ٱلْجَزِيلَ مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلْحَقِيرِ فَإِنَّ ٱلدُّرَّةَ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا لِهَوَانِ غَائِصِهَا

١٠٢ قَالَ بَعْضُ ٱلْخُلَفَاءِ لِجَرِيرِ بْنِ يَزِيدَ : إِنِّي قَدْ أَعْدَدْتُكَ لِأَمْرٍ . قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى قَدْ أَعَدَّ لَكَ مِنِّي قَلْبًا مَعْقُودًا بِنَصِيحَتِكَ . وَيَدًا مَبْسُوطَةً لِطَاعَتِكَ . وَسَيْفًا مُجَرَّدًا عَلَى عَدُوِّكَ

أنشد الأصمعي :

أَلنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا بَاعَ ٱلرِّجَالُ فَلَا تَرْدُدْ عَلَى نَاصِحٍ نُصْحاً وَلَا تَلُمِ
إِنَّ ٱلنَّصَائِحَ لَا تَخْفَى مَنَاهِلُهَا عَلَى ٱلرِّجَالِ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ وَٱلْفَهَمِ

(للابشيهي)

المودّة والصداقة

١٠٣ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : يَا بُنَيَّ لِيَكُنْ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكْسِبُهُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ خَلِيلًا صَالِحاً . فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْخَلِيلِ كَمَثَلِ ٱلنَّخْلَةِ . إِنْ قَعَدْتَ فِي ظِلِّهَا أَظَلَّتْكَ . وَإِنِ ٱحْتَطَبْتَ مِنْ حَطَبِهَا نَفَعَكَ . وَإِنْ أَكَلْتَ مِنْ ثَمَرِهَا وَجَدْتَهُ طَيِّباً (امثال العرب)

١٠٤ قَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ أَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ :

أَلْمَرْءُ فِي زَمَنِ ٱلْإِقْبَالِ كَٱلشَّجَرَهْ وَٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهَا مَا دَامَتِ ٱلثَّمَرَهْ
حَتَّى إِذَا رَاحَ عَنْهَا حَمْلُهَا ٱنْصَرَفُوا وَخَلَّفُوهَا تُقَاسِي ٱلْحَرَّ وَٱلْغَبَرَهْ

قَالَ زُهَيْرٌ :

أَلْوُدُّ لَا يَخْفَى وَإِنْ أَخْفَيْتَهُ وَٱلْبُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ ٱلْعَيْنَانِ

قَالَ آخَرُ :

إِحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَٱحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّهْ
فَلَرُبَّمَا ٱنْقَلَبَ ٱلصَّدِيقُ فَكَانَ أَعْلَمَ بِٱلْمَضَرَّهْ

لسباب العداوة

١٠٥ قِيلَ لِلشَّبِيبِ بْنِ شَيْبَةَ : مَا بَالُ فُلَانٍ يُعَادِيكَ . فَقَالَ : لِأَنَّهُ

شَقِيقِي فِي ٱلنَّسَبِ . وَجَارِي فِي ٱلْبَلَدِ وَرَفِيقِي فِي ٱلصِّنَاعَةِ . وَقَالَ رَجُلٌ لِآخَرَ : إِنِّي أُخْلِصُ لَكَ ٱلْمَوَدَّةَ . فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ . قَالَ : وَكَيْفَ عَلِمْتَ وَلَيْسَ مَعِي مِنَ ٱلشَّاهِدِ إِلَّا قَوْلِي . قَالَ : لِأَنَّكَ لَسْتَ بِجَارٍ قَرِيبٍ . وَلَا بِٱبْنِ عَمٍّ نَسِيبٍ . وَلَا بِمُشَاكِلٍ فِي صِنَاعَةٍ

(للثعالبي)

حفظ اللسان

١٠٦ قَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ : ٱلْزَمِ ٱلسُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً . وَتَجَنَّبِ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ ٱلنَّدَامَةُ (كليلة ودمنة)

وَمِمَّا أَنْشَدُوهُ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ :

إِحْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي ٱلْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ ٱلشُّجْعَانُ

١٠٧ قَالَ لُقْمَانُ لِوَلَدِهِ : يَا بُنَيَّ إِذَا ٱفْتَخَرَ ٱلنَّاسُ بِحُسْنِ كَلَامِهِمْ . فَٱفْتَخِرْ أَنْتَ بِحُسْنِ صَمْتِكَ (للابشيهي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

أَلصَّمْتُ زَيْنٌ وَٱلسُّكُوتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِكْثَارَا
مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى ٱلْكَلَامِ مِرَارَا

١٠٨ بَلَغَنَا أَنَّ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ وَأَكْثَمَ بْنَ صَيْفِيٍّ ٱجْتَمَعَا فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : كَمْ وَجَدْتَ فِي ٱبْنِ آدَمَ مِنَ ٱلْعُيُوبِ . فَقَالَ : هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ . وَقَدْ وَجَدْتُ خَصْلَةً إِنِ ٱسْتَعْمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ

سَتَرَتِ ٱلْعُيُوبَ كُلَّهَا . قَالَ : مَا هِيَ . قَالَ : حِفْظُ ٱللِّسَانِ

(للابشيهي)

كتمان السرّ

١٠٩ قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ : سِرُّكَ أَسِيرُكَ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ أَسِيرَهُ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : ٱلْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ وَٱلشِّفَاهُ أَقْفَالُهَا وَٱلْأَلْسُنُ مَفَاتِيحُهَا . فَلْيَحْفَظْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِفْتَاحَ سِرِّهِ

١١٠ قَالَ ٱلشَّاعِرُ :

صُنِ ٱلسِّرَّ عَنْ كُلِّ مُسْتَصْحِبٍ وَحَاذِرْ فَمَا ٱلرَّأْيُ إِلَّا ٱلْحَذَرْ
أَسِيرُكَ سِرُّكَ إِنْ صُنْتَهُ وَأَنْتَ أَسِيرٌ لَهُ إِنْ ظَهَرْ

قَالَ غَيْرُهُ :

كُلُّ عِلْمٍ لَيْسَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ ضَاعْ كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ ٱلْإِثْنَيْنِ شَاعْ

١١١ أَسَرَّ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلَى رَجُلٍ حَدِيثًا وَأَمَرَهُ بِكِتْمَانِهِ . فَلَمَّا ٱنْقَضَى ٱلْحَدِيثُ قَالَ لَهُ : أَفَهِمْتَ . قَالَ بَلْ جَهِلْتُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَحَفِظْتَ . قَالَ : بَلْ نَسِيتُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ : إِذَا أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَى صَدِيقِي فَأَذَاعَهُ كَانَ ٱللَّوْمُ عَلَيَّ لَا عَلَيْهِ . قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . قَالَ : لِأَنِّي أَنَا كُنْتُ أَوْلَى بِصِيَانَتِهِ مِنْهُ (للثعالبي)

جَاءَ فِي ٱلْفَخْرِيِّ :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ ٱلْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ
فَصَدْرُ ٱلَّذِي يَسْتَوْدِعُ ٱلسِّرَّ أَضْيَقُ

الصدق والكذب

١١٢ إِنَّ ٱلصِّدْقَ عَمُودُ ٱلدِّينِ وَرُكْنُ ٱلْأَدَبِ وَأَصْلُ ٱلْمُرُوءَةِ. فَلَا تَتِمُّ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةُ إِلَّا بِهِ. وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ: أَحْسَنُ ٱلْكَلَامِ مَا صَدَقَ فِيهِ قَائِلُهُ وَٱنْتَفَعَ بِهِ سَامِعُهُ. وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ مَعَ ٱلصِّدْقِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْحَيَاةِ مَعَ ٱلْكَذِبِ. وَمِمَّا جَاءَ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ قَوْلُ مَحْمُودٍ ٱلْوَرَّاقِ:

أَلصِّدْقُ مَنْجَاةٌ لِأَرْبَابِهِ   وَقُرْبَةٌ تُدْنِي مِنَ ٱلرَّبِّ

(للابشيهي)

١١٣ وَخَطَبَ ٱلْحَجَّاجُ فَأَطَالَ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: ٱلصَّلَاةَ. فَإِنَّ ٱلْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَٱلرَّبَّ لَا يَعْذِرُكَ. فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ. فَأَتَاهُ قَوْمُهُ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مَجْنُونٌ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: إِنْ أَقَرَّ بِٱلْجُنُونِ خَلَّيْتُهُ. فَقَالَ: مَعَاذَ ٱللهِ لَا أَزْعُمُ أَنَّ ٱللهَ ٱبْتَلَانِي وَقَدْ عَافَانِي. فَبَلَغَ ذٰلِكَ ٱلْحَجَّاجَ فَعَفَا عَنْهُ لِصِدْقِهِ (للثعالبي)

١١٤ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ: إِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ وَٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى ٱلنَّارِ. وَإِنَّ ٱلصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ وَٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

إِذَا عُرِفَ ٱلْإِنْسَانُ بِٱلْكَذِبِ لَمْ يَزَلْ
لَدَى ٱلنَّاسِ كَذَّابًا وَلَوْ كَانَ صَادِقَا
فَإِنْ قَالَ لَا تُصْغِي لَهُ جُلَسَاؤُهُ
وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ نَاطِقَا

وَقَالَ مَحْمُودُ بْنُ أَبِي ٱلْجُنُودِ:

لِي حِيلَةٌ فِي مَنْ يَنِمْ م وَلَيْسَ فِي ٱلْكَذَّابِ حِيلَهْ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو لُ فَحِيلَتِي فِيهِ قَلِيلَهْ

مذمّة الحسود

١١٥ وَقَفَ ٱلْأَحْنَفُ عَلَى قَبْرِ ٱلْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ: رَحِمَكَ ٱللهُ كُنْتَ لَا تَحْقِرُ ضَعِيفًا. وَلَا تَحْسِدُ شَرِيفًا

قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ:

إِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ ٱلْحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
كَٱلنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

١١٦ قَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ: ٱلْحَسَدُ حَسَدَانِ مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ. فَٱلْمَحْمُودُ أَنْ تَرَى عَالِمًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ. أَوْ زَاهِدًا فَتَشْتَهِيَ مِثْلَ فِعْلِهِ. وَٱلْمَذْمُومُ أَنْ تَرَى عَالِمًا أَوْ فَاضِلًا فَتَشْتَهِيَ أَنْ يَمُوتَ (للثعالبي)

قَالَ مَنْصُورُ ٱلْفَقِيهُ:

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ ٱلْأَدَبْ
أَسَأْتَ عَلَى ٱللهِ فِي فَضْلِهِ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْضَ مَا قَدْ وَهَبْ

ذمّ سوء الخلق

١١٧ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ: ٱلْكَلَامُ ٱللَّيِّنُ يُلِينُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَقْسَى مِنَ ٱلصُّخُورِ. وَٱلْكَلَامُ ٱلْخَشِنُ يُخَشِّنُ ٱلْقُلُوبَ ٱلَّتِي هِيَ أَنْعَمُ مِنَ ٱلْحَرِيرِ (للغزّالي)

١١٨ قِيلَ: سُوءُ ٱلْخُلُقِ يُعْدِي لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى أَنْ يُقَابَلَ بِمِثْلِهِ. وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلسَّلَفِ: ٱلْحَسَنُ ٱلْخُلُقِ ذُو قَرَابَةٍ عِنْدَ ٱلْأَجَانِبِ وَٱلسَّيِّئُ ٱلْخُلُقِ أَجْنَبِيٌّ عِنْدَ أَهْلِهِ (للابشيهي)

١١٩ صَحِبَ رَجُلٌ رَجُلًا بِسُوءِ ٱلْخُلُقِ. فَلَمَّا فَارَقَهُ قَالَ: قَدْ فَارَقْتُهُ وَخُلُقُهُ لَمْ يُفَارِقْهُ. وَنَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ فَقَالَ: بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ

ذمّ الغضب

١٢٠ قِيلَ لِحَكِيمٍ: أَيُّ ٱلْأَحْمَالِ أَثْقَلُ. فَقَالَ: ٱلْغَضَبُ. وَرُوِيَ أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: مَهْمَا أَعْجَزَنِي ٱبْنُ آدَمَ فَلَنْ يُعْجِزَنِي إِذَا غَضِبَ لِأَنَّهُ يَنْقَادُ لِي فِيمَا أَبْتَغِيهِ وَيَعْمَلُ بِمَا أُرِيدُهُ وَأَرْتَضِيهِ. وَقِيلَ لِأَبِي عَبَّادٍ: مَنْ أَبْعَدُ مِنَ ٱلرَّشَادِ ٱلسَّكْرَانُ أَمِ ٱلْغَضْبَانُ. فَقَالَ: ٱلْغَضْبَانُ لَا يَعْذِرُهُ أَحَدٌ فِي مَأْثَمٍ يَجْتَرِحُهُ. وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْذِرُ ٱلسَّكْرَانَ

مدح التواضع وذمّ الكبر

١٢١ قِيلَ: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ دُونَ قَدْرِهِ رَفَعَهُ ٱلنَّاسُ فَوْقَ قَدْرِهِ. وَمَنْ رَفَعَهَا عَنْ حَدِّهِ وَضَعَهُ ٱلنَّاسُ دُونَ حَدِّهِ. وَقِيلَ لِبُزُرْجُمْهِرَ: هَلْ تَعْرِفُ نِعْمَةً لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا. قَالَ: نَعَمِ ٱلتَّوَاضُعَ. قِيلَ: فَهَلْ تَعْرِفُ بَلَاءً لَا يُرْحَمُ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ. قَالَ: نَعَمِ ٱلْكِبْرُ

١٢٢ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ: أُرِيدُ رَجُلًا إِذَا كَانَ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ أَمِيرُهُمْ كَانَ كَبَعْضِهِمْ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ أَمِيرَهُمْ فَكَأَنَّهُ أَمِيرُهُمْ.

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى:

مُتَبَذِّلٌ فِي ٱلْقَوْمِ وَهُوَ مُبَجَّلٌ مُتَوَاضِعٌ فِي ٱلْحَيِّ وَهُوَ مُعَظَّمُ

وَقَالَ آخَرُ:

مُتَوَاضِعٌ وَٱلنُّبْلُ يَحْرُسُ قَدْرَهُ وَأَخُو ٱلتَّوَاضُعِ بِٱلنَّبَاهَةِ يَنْبُلُ

وَقَالَ ٱلْخُوَارَزْمِيُّ:

عَجِبْتُ لَهُ لَمْ يَلْبَسِ ٱلْكِبْرَ حُلَّةً وَفِينَا لِأَنْ جُزْنَا عَلَى بَابِهِ كِبْرُ

(للثعالبي)

١٢٣ مَنْ أَرَادَ ٱلدُّخُولَ فِي مَجْلِسِ ٱلْعُلَمَاءِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِٱلتَّوَاضُعِ وَٱلذُّلِّ وَٱلْخُشُوعِ وَٱلِٱنْكِسَارِ. فَمَنْ أَتَى بِهٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ يَنَالُ ٱلْمَغْفِرَةَ مِنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَبَّارِ. وَمَنْ أَتَى مِثْلَ قَارُونَ بِٱلْكِبْرِ وَٱلْإِكْثَارِ يَجِدُ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْعُقُوبَةَ مِنَ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ (للسيوطي)

١٢٤ قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ: كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْمُتَوَاضِعَ. وَقَالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ: أَفْضَلُ ٱلرِّجَالِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ وَعَفَا عَنْ قُدْرَةٍ وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ. وَقَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ: عَلِّمْنِي ٱلتَّوَاضُعَ. فَقَالَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقَنِي إِلَى ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَإِذَا رَأَيْتَ أَصْغَرَ مِنْكَ فَقُلْ: سَبَقْتُهُ إِلَى ٱلذُّنُوبِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَقَالَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

يَا مَنْ تَشَرَّفَ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَذَّتِهَا لَيْسَ ٱلتَّشَرُّفُ رَفْعَ ٱلطِّينِ بِٱلطِّينِ

إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ ٱلْقَوْمِ كُلِّهِمِ فَٱنْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيِّ مِسْكِينِ

وَقَالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ .

مَنْ شَاءَ عَيْشاً رَغِيداً يَسْتَفِيدُ بِهِ ... فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالَا
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدَباً ... وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالَا

(للشريشي)

١٢٥ وَقِيلَ: دَعِ ٱلْكِبْرَ . مَتَى كُنْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلنُّبْلِ لَمْ يَضُرَّكَ ٱلتَّبَذُّلُ وَمَتَى لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ لَمْ يَنْفَعْكَ ٱلتَّنَبُّلُ . قَالَ ٱلْمَأْمُونُ: مَا تَكَبَّرَ أَحَدٌ إِلَّا لِنَقْصٍ وَجَدَهُ فِي نَفْسِهِ . وَلَا تَطَاوَلَ إِلَّا لِوَهْنٍ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ . قَالَ بُزُرْجُمْهِرُ: وَجَدْنَا ٱلتَّوَاضُعَ مَعَ ٱلْجَهْلِ وَٱلْبُخْلِ أَحْمَدَ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ مِنَ ٱلْكِبْرِ مَعَ ٱلْأَدَبِ وَٱلسَّخَاءِ . قَالَ مَنْصُورٌ ٱلْفَقِيهُ: يَا قَرِيبَ ٱلْعَهْدِ بِٱلْمَخْرَجِ لِمَ لَا تَتَوَاضَعُ (للثعالبي)

ذمّ من اعتذر فأساء

١٢٦ قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ: عُذْرُهُ أَشَدُّ مِنْ جُرْمِهِ . رُبَّ إِصْرَارٍ أَحْسَنُ مِنِ ٱعْتِذَارٍ . وَقِيلَ: تُبْ مِنْ عُذْرِكَ ثُمَّ مِنْ ذَنْبِكَ

قَالَ ٱلْخُبْزَرِيُّ:

وَكَمْ مُذْنِبٍ لَمَّا أَتَى بِٱعْتِذَارِهِ ... جَنَى عُذْرُهُ ذَنْباً مِنَ ٱلذَّنْبِ أَعْظَمَا

(للثعالبي)

ذمّ الخمر

١٢٧ كَانَ ٱلْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ ٱلْمَنْصُورِ يَأْخُذُ ٱلْكَأْسَ بِيَدِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهَا: أَمَّا ٱلْمَالَ فَتُتْلِفِينَ . وَأَمَّا ٱلْمُرُوءَةَ فَتَخْلَعِينَ . وَأَمَّا ٱلدِّينَ فَتُفْسِدِينَ

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ ٱلْفَضْلِ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ وَشُرَّابَهُ وَصِرْتُ صَدِيقًا لِمَنْ عَابَهُ
شَرَابٌ يُضِلُّ طَرِيقَ ٱلْهُدَى وَيَفْتَحُ لِلشَّرِّ أَبْوَابَهُ

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ :

تَرَكْتُ ٱلنَّبِيذَ لِأَهْلِ ٱلنَّبِيذِ وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ عَذْبًا قَرَاحَا

قَالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ :

أُتْرُكِ ٱلْخَمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كَيْفَ يَسْعَى بِجُنُونٍ مَنْ عَقَلْ

(للشريشي)

مدح الكرم

١٢٨ قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ : أَصْلُ ٱلْمَحَاسِنِ كُلِّهَا ٱلْكَرَمُ . وَأَصْلُ ٱلْكَرَمِ نَزَاهَةُ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱلْحَرَامِ وَسَخَاؤُهَا بِمَا تَمْلِكُ عَلَى ٱلْخَاصِّ وَٱلْعَامِّ . وَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلسَّخِيَّ أَحَبُّ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلعَابِدِ ٱلْبَخِيلِ

قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : صَاحِبُ ٱلْمَعْرُوفِ لَا يَقَعُ وَإِنْ وَقَعَ يَجِدُ لَهُ مُتَّكَأً . وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : لَا خَيْرَ فِي ٱلسَّرَفِ . فَقَالَ : لَا سَرَفَ فِي ٱلْخَيْرِ . فَقَلَبَ ٱللَّفْظَ وَٱسْتَوْفَى ٱلْمَعْنَى

١٢٩ سَأَلَ مُعَاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ . فَقَالَ : يَا أَبَا يَحْيَى كَيْفَ ٱلزَّمَانُ . قَالَ : ٱلزَّمَانُ أَنْتَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ صَلَحْتَ صَلَحَ ٱلزَّمَانُ . وَإِنْ فَسَدْتَ فَسَدَ (للغزالي)

مدح العدل

١٣٠ قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : اَلْعَدْلُ سُورٌ لَا يُغْرِقُهُ مَاءٌ وَلَا يُحْرِقُهُ نَارٌ وَلَا يَهْدِمُهُ مَنْجَنِيقٌ . وَقِيلَ : عَدْلٌ قَائِمٌ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ دَائِمٍ . وَقِيلَ أَيضًا : لَا يَكُونُ ٱلْعُمْرَانُ حَيْثُ لَا يَعْدِلُ ٱلسُّلْطَانُ . وَقِيلَ لِحَكِيمٍ : مَا قِيمَةُ ٱلْعَدْلِ . قَالَ : مُلْكُ ٱلْأَبَدِ . فَقِيلَ : فَقِيمَةُ ٱلْجَوْرِ . قَالَ : ذُلُّ ٱلْحَيَاةِ

١٣١ قِيلَ : بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَى ٱلْمَعَادِ ظُلْمُ ٱلْعِبَادِ . وَقِيلَ : اَلظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ . كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ : إِذَا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ إِلَى ظُلْمِ ٱلنَّاسِ فَاذْكُرْ قُدْرَةَ ٱللهِ عَلَيْكَ . وَكَانَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ لَقِيَهُ ٱلرَّشِيدُ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَسْأَلُهُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ :

نَامَتْ عُيُونُكَ وَٱلْمَظْلُومُ مُنْتَصِبٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ ٱللهِ لَمْ تَنَمِ

(للثعالبي)

قَالَ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ ٱلسَّفَّاحُ : لَأَعْمِلَنَّ ٱللِّينَ حَتَّى لَا يَنْفَعَ إِلَّا ٱلشِّدَّةُ . وَلَأُكْرِمَنَّ ٱلْخَاصَّةَ مَا أَمِنْتُهُمْ عَلَى ٱلْعَامَّةِ . وَلَأُغْمِدَنَّ سَيْفِي حَتَّى يَسُلَّهُ ٱلْحَقُّ . وَلَأُعْطِيَنَّ حَتَّى لَا أَرَى لِلْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا (للشبراوي)

مدح الصفح

١٣٢ قَالَ ٱبْنُ طَبَاطِبَا : كَانَ جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ كَلَامٌ ٱحْتَمَلْتُهُ عَنْهُ ثُمَّ نَدِمْتُ . فَرَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ كَأَنَّ شَيْخًا أَتَانِي فَأَنْشَدَنِي :

أَنَدِمْتَ حِينَ صَفَحْتَ عَمَّنْ قَدْ أَسَاءَ وَقَدْ ظَلَمْ

لَا تَنْدَمَنْ فَشَرُّنَا مَنْ أَتْبَعَ ٱلْخَيْرَ ٱلنَّدَمْ

(للثعالبي)

قَالَ ٱلشَّبْرَاوِيُّ :

لَا تَنْتَقِمْ إِنْ كُنْتَ ذَا قُدْرَةٍ فَٱلصَّفْحُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ أَصْلَحْ
وَٱصْفَحْ إِذَا أَذْنَبَ خِلٌّ عَسَى تَلْقَى إِذَا أَذْنَبْتَ مَنْ يَصْفَحْ

١٣٣ قِيلَ : لَذَّةُ ٱلْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ ٱلتَّشَفِّي . لِأَنَّ لَذَّةَ ٱلْعَفْوِ يَلْحَقُهَا حَمْدُ ٱلْعَاقِبَةِ وَلَذَّةَ ٱلتَّشَفِّي يَلْحَقُهَا غَمُّ ٱلنَّدَامَةِ . وَقِيلَ : ٱلْعَفْوُ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ زَكَاةُ ٱلنَّفْسِ . وَقِيلَ ؛ وَمِنْ كَرَمِ ٱلْأَخْلَاقِ أَنْ يُغْفَرَ ٱلذَّنْبُ . وَقِيلَ : ٱلِاحْتِمَالُ قَبْرُ ٱلْعُيُوبِ (للطرطوشي)

قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَضْرِبْ عَنِ ٱلْحِقْدِ لَمْ تَفُزْ بِشُكْرٍ وَلَمْ تَسْعَدْ بِتَقْرِيظِ مَادِحِ

ذم المماراة

١٣٤ قَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : لَا تُمَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . فَإِنَّهُ يَخْتَزِنُ عَنْكَ عِلْمَهُ وَلَمْ تَضُرَّهُ شَيْئًا . وَقَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ : مَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ . وَمَنْ يُكْثِرِ ٱلْمِرَاءَ يُشْتَمْ . وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ يُتَّهَمْ . يَا بُنَيَّ لَا تُمَارِ ٱلْعُلَمَاءَ فَيَمْقُتُوكَ . أَلْمِرَاءُ يُقَسِّي ٱلْقُلُوبَ وَيُورِثُ ٱلضَّغَائِنَ . إِذَا رَأَيْتَ ٱلرَّجُلَ لَجُوجًا مُمَارِيًا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ

١٣٥ قَالَ مِسْعَرُ بْنُ كُدَامٍ يُخَاطِبُ ٱبْنَهُ :

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كُدَامُ نَصِيحَتِي فَٱسْمَعْ لِقَوْلِ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقِ
أَمَّا ٱلْمُزَاحَةَ وَٱلْمِرَاءَ فَدَعْهُمَا خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَخْتَرْهُمَا لِمُجَاوِرٍ جَارًا وَلَا لِرَفِيقِ

مُرَّ حَكِيمٌ بِقَوْمٍ فَقَالُوا لَهُ شَرًّا فَقَالَ خَيْرًا. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ: كُلٌّ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ (للشريشي)

ذمّ المزاحة

١٣٦ سَأَلَ ٱلْحَجَّاجُ ٱبْنَ ٱلْقِرِّيَّةِ عَنِ ٱلْمَزْحِ فَقَالَ: أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرَحٌ. قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ: لَا يَكُونُ ٱلْمَزْحُ إِلَّا مِنْ سُخْفٍ أَوْ بَطَرٍ. رُوِيَ عَنْ بَعْضِ ٱلْأُدَبَاءِ: إِيَّاكُمْ وَٱلْمُزَاحَ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ بَهَاءَ ٱلْمُؤْمِنِ وَيُسْقِطُ مُرُوءَتَهُ. وَقِيلَ: ٱلْمُزَاحُ مَجْلَبَةٌ لِلْبَغْضَاءِ مَسْلَبَةٌ لِلْبَهَاءِ مَقْطَعَةٌ لِلْإِخَاءِ. وَقِيلَ: إِذَا كَانَ ٱلْمُزَاحُ أَوَّلَ ٱلْكَلَامِ كَانَ آخِرَهُ ٱلشَّتْمُ وَٱللِّطَامُ (للثعالبي)

قِيلَ لِرَجُلٍ: كَيْفَ وَجَدْتَ فُلَانًا. قَالَ: طَوِيلَ ٱللِّسَانِ فِي ٱللَّوْمِ وَٱلْمَزْحِ قَصِيرَ ٱلْبَاعِ فِي ٱلْكَرَمِ وَثَّابًا عَلَى ٱلشَّرِّ مَنَّاعًا لِلْخَيْرِ. وَكَانَ نَقْشُ خَاتَمِ رُسْتَمَ وَهُوَ أَحَدُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ: ٱلْهَزْلُ مَبْغَضَةٌ وَٱلْكَذِبُ مَنْقَصَةٌ وَٱلْجَوْرُ مَفْسَدَةٌ (للطرطوشي)

وصية نزار لبنيه

١٣٧ لَمَّا حَانَ ٱرْتِحَالُ نِزَارٍ مِنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا إِلَى دَارِ ٱلْآخِرَةِ أَحْضَرَ أَوْلَادَهُ ٱلْأَرْبَعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: ٱعْلَمُوا يَا أَوْلَادِي أَنِّي رَاحِلٌ

عنكُمْ إلى دارِ الآخرة . وما أحضرتكُمْ إلا لأشرحَ لكُمْ وصيتي . فاحفظوا ما أقولُ لكُمْ ولا تخالفوا وصيتي فيحلَّ بكُمُ الوبالُ في مخالفتي . قالوا: ماهيَ وصيتكَ يا أبانا . قال: وصيتي لكُمْ هي أن يُوقرَ صغيرُكُمْ كبيرَكُمْ . يا أولادي إياكُمْ والتكبرَ فإنَّهُ مهلكُ الجبابرةِ ما ولعَ بهِ أحدٌ إلا هلكَ وفي غيرِ طريقِ الحقِّ سلكَ . يا أولادي إياكُمْ والحسدَ فإنَّهُ يقللُ الرزقَ ويذيبُ الجسدَ . والحسودُ لا يسودُ ولا يموتُ إلا وهوَ مكمودٌ . وإياكُمْ والطمعَ فإنَّهُ يرمي صاحبَهُ في البلاءِ والعذابِ . والقناعةُ غناءٌ . يا أولادي إياكُمْ والبخلَ فيبعدكُمْ منَ اللهِ ومنَ الخلقِ . ومنْ هانَ عليهِ مالُهُ حسنتْ حالُهُ وسمعَ مقالُهُ . يا أولادي آسوا الناسَ بالطعامِ وأكثروا البشاشةَ وأفشوا السلامَ . وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ . يا أولادي إياكُمْ والكسلَ فإنَّهُ يورثُ الفشلَ . يا أولادي إياكُمْ والغضبَ فإنَّهُ يورثُ السخطَ . والبشاشةُ في الوجهِ تورثُ المحبةَ وهيَ خيرٌ منَ القِرى . ومنْ لانتْ كلمتُهُ . وجبتْ محبتُهُ . يا أولادي لا تخالفوا وصيتي . واعلموا أني قدْ قسمتُ أموالي بينكُمْ بالسويةِ . وجعلتُ قسمَ كلِّ واحدٍ منكُمْ في كتابي هذا . فإذا وضعتموني في حفرتي وغابتْ عنكُمْ جثتي وأتتِ العربُ لعزائي فاذبحوا لهمْ منْ نعمي . وإذا تفرقتِ العربُ عنكُمْ فاعتمدوا على كتابي ووصيتي ولا تثيروا الحربَ بينكُمْ (للاصمعي)

البابُ السّادسُ
في الحكاياتِ واللطائفِ

١٣٨ قِيلَ لِمجنُونٍ: عُدَّ لنَا المَجانِينَ. قَالَ: هٰذَا يطولُ بِي. ولكِنْ أَعُدُّ العُقَلاءَ (للمستعصمي)

١٣٩ قِيلَ للُقمانَ: ما أَقْبَحَ وَجهَكَ. قَالَ: أَتَعِيبُ هٰذَا النَّقْشَ عليَّ أَمْ على النَّقَّاشِ (للشريشي)

١٤٠ جلَسَ الإِسكَنْدَرُ يومًا فَما رُفِعَ إِلَيْهِ حاجَةٌ فقَالَ: لا أَعُدُّ هٰذَا اليَومَ مِنْ أَيَّامِ مُلْكِي (للابشيهي)

١٤١ رُوِيَ أَنَّ أَبَا العَتَاهِيَةِ مَرَّ بِدُكَّانِ وَرَّاقٍ فَإِذَا كِتَابٌ فِيهِ بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ:

لَنْ تَرْجِعَ الأَنْفُسُ عَنْ غَيِّهَا   ما لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرُ

فقَالَ: لِمَنْ هٰذَا. فَقِيلَ: لِأَبِي نُوَاسٍ. فقَالَ: وَدِدْتُ أَنَّهُ لِي بِنِصْفِ شِعْرِي (للطرطوشي)

١٤٢ قَالَ رَجُلٌ لِأُقْلِيدُسَ الحَكِيمِ: لا أَسْتَرِيحُ أَوْ أُتْلِفَ رُوحَكَ. فَقَالَ: وَأَنَا لا أَسْتَرِيحُ حَتَّى أُخْرِجَ الحِقْدَ مِنْ قَلْبِكَ (للغزالي)

١٤٣ دَخَلَ ذُو ذَنْبٍ عَلَى سُلْطَانٍ فقَالَ لَهُ: بِأَيِّ وَجْهٍ تَلْقَانِي. فَقَالَ: بِالوَجْهِ الَّذِي أَلْقَى بِهِ اللهَ وَذُنُوبِي إِلَيْهِ أَعْظَمُ وَعِقَابُهُ أَكْبَرُ. فعَفَا عَنْهُ (للمستعصمي)

١٤٤ رأى الإسكندر رجلاً حسن الاسم قبيح السيرة فقال له: إمّا أن تغيّر اسمك أو سيرتك (للغزالي)

١٤٥ تكلّم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كلّ مذهب فقال له وقد أعجبه: ابن من أنت يا غلام. فقال: ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي نلت بها هذا المقعد منك. قال: صدقت. أخذ هذا المعنى ابن دريد فقال:

كن ابن من شئت وكن مؤدّبًا فإنّما المرء بفضل حسّه
وليس من تكرمه لغيره مثل الذي تكرمه لنفسه

(للشريشي)

١٤٦ رجل غضب عليه مولاه فقال: أسألك بالله إن علمت أنّي لك أطوع منك لله فاعفُ عنّي عفا الله عنك. فعفا عنه

(للمستعصمي)

١٤٧ كان الإسكندر يومًا على تخت مملكته وقد رفع الحجاب. فقدّم بين يديه لصّ فأمر بصلبه فقال: أيّها الملك إنّي سرقت ولم يكن لي شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي. فقال الإسكندر: لا جرم أنّك تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده (للغزالي)

١٤٨ كان إبرهيم بن أدهم يومًا يحفظ كرمًا فمرّ به جنديّ فقال: أعطنا من هذا العنب. فقال: ما أمرني صاحبه. فأخذ يضربه بالسوط. فطأطأ رأسه وقال: اضرب رأسًا طالما عصى الله.

فانحجز الرجل ومضى (للطرطوشي)

١٤٩ عاد الخليفة المعتصم خاقان عند مرضه وكان الخاقان إذ ذاك ابن اسمه الفتح. فقال له المعتصم: داري أحسن أم دار أبيك. فقال: ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فهي أحسن (لطائف الملوك)

١٥٠ وقال المعتصم للفتح وعلى يده خاتم ياقوت أحمر في غاية الحسن: أرأيت أحسن من هذا الخاتم. فقال: نعم اليد التي فيها (للغزالي)

١٥١ قال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت ببذل المال. فقال: بأبي أنتما وأمي. إن الله عودني أن يتفضل عليّ وعودته أن أتفضل على عبيده. فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني عادته (للشريشي)

١٥٢ حكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن. فقال: ابن من أنت. قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين. قال: نعم النسب انتسبت إليه (للابشيهي)

١٥٣ لقي هارون الرشيد الكسائي في بعض طرقه فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله. فقال: أنا بخير يا أمير المؤمنين. ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافيا محتسبا (للشريشي)

١٥٤ لطم رجل قيس بن عاصم في جامع البصرة فقال له:

لَعَلَّكَ خَاطَرْتَ أَنْ تَلْطِمَ سَيِّدَ بَنِي تَمِيمٍ • قَالَ: نَعَمْ • فَقَالَ: اُرْجِعْ فَلَسْتَ بِهِ (للطرطوشي)

١٥٥ قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُيَيْنَةَ: اَلْمِزَاحُ سُبَّةٌ • فَقَالَ: سُنَّةٌ وَلَكِنْ لِمَنْ يُحْسِنُهُ (للثعالبي)

١٥٦ أَبُو الْعَيْنَاءِ قَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ: كَيْفَ تَرَى دَارَنَا هٰذِهِ • فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ النَّاسَ يَبْنُونَ الدُّورَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَبْنِي الدُّنْيَا فِي دَارِكَ • وَقَدْ نَظَمَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ فِي هٰذَا الْمَعْنَى:

وَلِي مَسْأَلَةٌ بَعْدُ فَعَاجِلْنِي بِإِخْبَارِي
بَنَيْتَ الدَّارَ فِي دُنْيَا كَ أَمْ دُنْيَاكَ فِي الدَّارِ

(من لطائف الوزراء)

الاعرابيّ والقمر

١٥٧ حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَضَلَّ الطَّرِيقَ • فَمَاتَ جَزَعًا وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ • فَلَمَّا طَلَعَ الْقَمَرُ اهْتَدَى وَوَجَدَ الطَّرِيقَ • فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ لِيَشْكُرَهُ فَقَالَ لَهُ: وَاللّٰهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ وَلَا مَا أَقُولُ فِيكَ • أَأَقُولُ رَفَعَكَ اللّٰهُ فَاللّٰهُ قَدْ رَفَعَكَ • أَمْ أَقُولُ نَوَّرَكَ اللّٰهُ فَاللّٰهُ قَدْ نَوَّرَكَ • أَمْ أَقُولُ حَسَّنَكَ اللّٰهُ فَاللّٰهُ قَدْ حَسَّنَكَ • وَلٰكِنْ مَا بَقِيَ إِلَّا الدُّعَاءُ أَنْ يُنْسِئَ اللّٰهُ فِي أَجَلِكَ • وَإِنْ يَجْعَلَنِي مِنَ السُّوءِ فِدَاكَ

الاعرابيّ والناقة المفقودة

١٥٨ ضَلَّتْ نَاقَةٌ لِأَعْرَابِيٍّ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ • فَأَكْثَرَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ

يجدها. فلمَّا طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية. وقد كان اجتاز بموضعها مرارًا فلم يرها لشدة الظلام. فرفع رأسه إلى القمر وقال:

ماذا أقول وقولي فيك ذو حصرٍ
وقد كفيتني التفصيل والجملا
إن قلت لازلت مرفوعًا فأنت كذا
أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

(للشريشي)

١٥٩ غنَّى يومًا إبرهيم مغنِّي الرشيد بين يديه فقال له: أحسنت أحسن الله إليك. فقال له: يا أمير المؤمنين إنَّما يحسن الله إليَّ بك. فأمر له بمائة ألف درهم

١٦٠ كان بهرام جالسًا ذات ليلةٍ تحت شجرةٍ. فسمع منها صوت طائرٍ فرماه فأصابه وقال: ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والإنسان. لو حفظ هذا لسانه لما هلك (للاصبهاني)

١٦١ أبو عبد الله الفارسيُّ كان يتقلَّد قضاء بلخ. وكان صديق أبي يحيى الحماديِّ. فكتب هذا إليه يعاتبه على ترك المهاداة بما يجلب من بلخ. فأجابه أبو عبد الله: قد أهديت للشيخ عدل صابونٍ ليغسل به طمعه والسلام (من لطائف الوزراء)

١٦٢ يُقال إنَّ أنوشروان ركب في بعض الأيام في الربيع

عَلَى سَبِيلِ ٱلْفُرْجَةِ . فَجَعَلَ يَسِيرُ فِي ٱلرِّيَاضِ ٱلْمُخْضَرَّةِ وَيُشَاهِدُ ٱلشَّجَرَ ٱلْمُثْمِرَةَ وَيَنْظُرُ إِلَى ٱلْكُرُومِ أَلْفَ مَرَّةٍ . فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ شُكْرًا لِرَبِّهِ وَخَرَّ سَاجِدًا وَاضِعًا خَدَّهُ عَلَى ٱلتُّرَابِ زَمَانًا طَوِيلًا . فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ خِصْبَ ٱلسِّنِينَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلسَّلَاطِينِ وَحُسْنِ نِيَّتِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ . فَٱلْمِنَّةُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي قَدْ أَظْهَرَ حُسْنَ نِيَّتِنَا فِي سَائِرِ ٱلْأَشْيَاءِ (للغزالي)

لقمان والعبيد

١٦٣ رُوِيَ عَنْ لُقْمَانَ أَنَّ مَوْلَاهُ سَكِرَ يَوْمًا فَخَاطَرَ قَوْمًا أَنْ يَشْرَبَ مَاءَ بُحَيْرَةٍ . فَلَمَّا أَفَاقَ عَرَفَ مَا وَقَعَ فِيهِ . فَدَعَا لُقْمَانَ وَقَالَ لَهُ : لِمِثْلِ هٰذَا كُنْتُ أَخْتَبِئُكَ . فَقَالَ لِمَوْلَاهُ : أَخْرِجْ أَبَارِيقَكَ ثُمَّ ٱجْمَعْهُمْ . فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا قَالَ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ خَاطَرْتُمُوهُ . قَالُوا : عَلَى أَنْ يَشْرَبَ مَاءَ هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ . قَالَ : فَإِنَّ لَهَا مَوَادَّ فَٱحْبِسُوا عَنْهَا مَوَادَّهَا . قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ . قَالَ لُقْمَانُ : وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ هُوَ أَنْ يَشْرَبَهَا وَلَهَا مَوَادُّ

١٦٤ وَحَكَى أَبُو إِسْحٰقَ ٱلثَّعْلَبِيُّ قَالَ : كَانَ لُقْمَانُ مِنْ أَهْوَنِ مَمَالِيكِ سَيِّدِهِ عَلَيْهِ . فَبَعَثَهُ مَوْلَاهُ مَعَ عَبِيدٍ لَهُ إِلَى بُسْتَانِهِ يَأْتُونَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ثَمَرٍ . فَجَاؤُوهُ وَمَا مَعَهُمْ شَيْءٌ وَقَدْ أَكَلُوا ٱلثَّمَرَ وَأَحَالُوا عَلَى لُقْمَانَ . فَقَالَ لُقْمَانُ لِمَوْلَاهُ : ذُو ٱلْوَجْهَيْنِ لَا يَكُونُ عِنْدَ ٱللّٰهِ وَجِيهًا . فَٱسْقِنِي وَإِيَّاهُمْ مَاءً حَمِيمًا ثُمَّ أَرْسِلْنَا لِنَعْدُوَ . فَفَعَلَ فَجَعَلُوا يَتَقَيَّأُونَ تِلْكَ ٱلْفَاكِهَةَ وَلُقْمَانُ يَتَقَيَّأُ مَاءً . فَعَرَفَ مَوْلَاهُ صِدْقَهُ وَكَذِبَهُمْ (للشريشي)

الحاج والوديعة

١٦٥ وَصَلَ بعضُ المُسَافِرِينَ لِقَصْدِ الْحَجِّ مَدِينَةً وَنَزَلَ عِنْدَ صَاحِبٍ لَهُ. فلمَّا تَمَّتْ مُدَّةُ الإقامةِ وعزمَ على الرحيلِ أخبرَ صاحِبَهُ أنَّ عِندَهُ أمانةً وهيَ جملةٌ مِنَ النُّقودِ والجواهرِ ويُريدُ أنْ يودِعَها مُؤتمِنًا إلى أنْ يَرْجِعَ. فلمَّا سمعَ مِنهُ صاحبُهُ ذلكَ استحى أنْ يقولَ لهُ ضَعْها عِندي خوفًا مِنْ أنْ يظنَّ أنَّهُ طامعٌ فيها فأشارَ عليهِ أنْ يضعَها عِندَ القاضي. فأخذَها وذهبَ إلى القاضي وقالَ لهُ: إنِّي رجلٌ غريبٌ وأريدُ الحجَّ وعندي أمانةٌ قدرُها كذا مِنَ النُّقودِ والجواهرِ وأُريدُ أنْ أُسلِّمَها إلى مولانا القاضي لِيحفظَها إلى أنْ أعودَ مِنَ الحجِّ وأستلمَها. فقالَ لهُ القاضي: نَعَمْ. خُذْ هذا المفتاحَ وافتحْ هذا الصُّندوقَ وضعْها فيهِ وأغلِقِ الصُّندوقَ جيِّدًا. ففعلَ وسلَّمَ المفتاحَ إلى القاضي وسلَّمَ عليهِ وتوجَّهَ. فلمَّا قضى حجَّهُ ورجعَ ذهبَ إلى القاضي لِيطلبَ الأمانةَ. فقالَ لهُ: إنِّي لا أعرفُكَ وأنا عِندي أماناتٌ كثيرةٌ فمِنْ أينَ أعرفُ أنَّ لكَ أمانةً عِندي. وأطالَ المحاولةَ معهُ فانصرفَ الرجلُ إلى صاحبِهِ وأعلمَهُ بذلكَ وغابَهُ في هذهِ المشورةِ. فأخذَهُ وذهبَ إلى بعضِ الأمراءِ المقرَّبينَ إلى الملكِ وأخبرَهُ بتلكَ القضيَّةِ. فوعدَهُما أنَّهُ في غدٍ يذهبُ إلى القاضي ويجلسُ عِندَهُ ويُخبرُهُ بقضيَّةٍ أُخرى تخصُّهُ ويدخلُ ذلكَ الشخصُ صاحبُ الأمانةِ عليهما ويطلبُ أمانتَهُ مِنَ القاضي. فلمَّا كانَ الغدُ

ذَهَبَ ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرُ إِلَى ٱلْقَاضِي وَجَلَسَ بِجَانِبِهِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى تَعْظِيمُهُ وَإِجْلَالُهُ مِنَ ٱلْقَاضِي عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ . قَالَ لَهُ : لَعَلَّ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي أَوْجَبَكَ إِلَى تَشْرِيفِنَا بِقُدُومِكَ خَيْرٌ . فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى . فَقَالَ : مَا هُوَ . قَالَ ٱلْأَمِيرُ : إِنِّي فِي لَيْلَةِ أَمْسِ طَلَبَنِي ٱلْمَلِكُ فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَجْلِسُ وَٱنْصَرَفَ ٱلنَّاسُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَنْصَرِفَ إِذَا هُوَ أَمَرَنِي أَنْ أَتَخَلَّفَ عِنْدَهُ . فَلَمَّا ٱخْتَلَيْنَا أَسَرَّ إِلَيَّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَحُجَّ فِي ٱلْعَامِ ٱلْقَابِلِ وَيُرِيدُ أَنْ يُسَلِّمَ ٱلْمَمْلَكَةَ جَمِيعَهَا لِمَنْ يَعْتَمِدُ وَيُؤْتَمَنُ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ بِٱلسَّلَامَةِ . فَٱسْتَشَارَنِي فِي ٱلْأَمْرِ فَأَشَرْتُ عَلَيْهِ أَنْ يُسَلِّمَهَا لِجَنَابِكَ لِمَا نَعْهَدُ عِنْدَكَ مِنَ ٱلْأَمَانَةِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱلصَّدَاقَةِ أَوْلَى مِنْ تَسْلِيمِهَا لِبَعْضِ ٱلذَّوَاتِ فَرُبَّمَا يَعْمَلُ مُخَالَفَةً أَوْ تَطْمَعُ نَفْسُهُ فِي ٱلْمَمْلَكَةِ فَيُثِيرُ فِتْنَةً أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ . فَأَعْجَبَهُ هٰذَا ٱلرَّأْيُ وَأَجْمَعَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَعْقِدُ مَجْلِسًا عَامًّا وَيَفْعَلُ مَا أَشَرْتُ بِهِ عَلَيْهِ . فَفَرِحَ ٱلْقَاضِي بِذٰلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ ٱلْأَمَانَةِ دَاخِلٌ عَلَيْهِمَا فَتَمَثَّلَ أَمَامَ ٱلْقَاضِي وَسَلَّمَ . وَقَالَ : يَا حَضْرَةَ مَوْلَانَا ٱلْقَاضِي إِنَّ لِي أَمَانَةً عِنْدَكَ وَهِيَ كَذَا وَكَذَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكَ وَقْتَ كَذَا وَكَذَا . فَمَا أَتَمَّ كَلَامَهُ حَتَّى قَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي : نَعَمْ يَا وَلَدِي وَأَنَا تَذَكَّرْتُكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ وَعَرَفْتُكَ وَعَرَفْتُ أَمَانَتَكَ فَخُذْ هٰذَا ٱلْمِفْتَاحَ وَٱسْتَلِمْ أَمَانَتَكَ . فَأَخَذَهَا وَسَلَّمَ وَٱنْصَرَفَ . وَٱنْصَرَفَ ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرُ أَيْضًا .

فَلَمَّا مضى ٱلميعادُ ٱلَّذي وعدهُ ٱلقاضي ذهب إلى ٱلأمير وسأله في شأن ٱلمملكة وٱلملك. فقال له: أيها ٱلقاضي نحن لم نخلص منك أمانة ٱلرجل ٱلغريب ٱلحاج إلا لما ملّكناك ٱلدنيا بأجمعها. فإذا ملّكتها بأي شيء نخلّصها. فعرف أنها حيلة وعاد خائبًا

١٦٦ حُكي عن حاتم ٱلطائي أنه مرّ يومًا بحلّة بني عنزة. فاجتاز بأسير عندهم وكان ٱلأسير صعلوكًا لا يملك ٱلفدى. فلمّا رأى حاتمًا صاح: أغثني يا أبا سفّانة. ولم يكن مع حاتم ما يفديه به فضمن ٱلفداء لأمير ٱلحلّة فأبى إلّا أن يقبضه قبل إطلاق ٱلأسير. فأقام حاتم مكانه في ٱلأسر وأرسل ٱلأعرابيّ إلى قومه في أحياء طيّ بعلامة منه حتى أتى بٱلفدى. فدفعه إلى ٱلقوم وأطلق نفسه من أسرهم (للحموي)

امير بلخ وكلبه

١٦٧ حكى حاتم ٱلأصمّ أنّ عليّ بن عيسى بن ماهان كان أمير بلخ. وكان يحبّ كلاب ٱلصيد. ففقد كلب من كلابه يومًا فاتّهم به جار شقيق فٱستجار به. فدخل شقيق على ٱلأمير وقال: خلّوا سبيله فإني أردّ لكم كلبكم إلى ثلاثة أيام. فخلّوا سبيله فٱنصرف شقيق مهتمًّا لما صنع. فلمّا كان ٱليوم ٱلثالث كان رجل من أهل بلخ غائبًا وكان من رفقاء شقيق. وكان لشقيق فتى وهو رفيقه رأى في ٱلصحراء كلبًا في رقبته قلادة فقال: أهديه إلى شقيق. فحمله إليه فإذا هو كلب ٱلأمير فسلّمه إليه (للقزويني)

أبو دلف وجارهُ

١٦٨ يُرْوَى أَنَّ رَجُلًا كَانَ جَارًا لِأَبِي دُلَفَ بِبَغْدَادَ . فَأَدْرَكَتْهُ حَاجَةٌ وَرَكِبَهُ دَيْنٌ فَادِحٌ حَتَّى ٱحْتَاجَ إِلَى بَيْعِ دَارِهِ . فَسَاوَمُوهُ فِيهَا فَسَمَّى لَهُمْ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ دَارَكَ تُسَاوِي خَمْسَمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : أَبِيعُ دَارِي بِخَمْسِمَائَةٍ وَجِوَارَ أَبِي دُلَفَ بِخَمْسِمَائَةٍ . فَبَلَغَ أَبَا دُلَفَ ٱلْخَبَرُ فَأَمَرَ بِقَضَاءِ دَيْنِهِ وَوَصَلَهُ وَقَالَ : لَا تَنْتَقِلْ مِنْ جِوَارِنَا . فَٱنْظُرْ كَيْفَ صَارَ ٱلْجِوَارُ يُبَاعُ كَمَا يُبَاعُ ٱلْعَقَارُ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ :

يَلُومُونَنِي أَنْ بِعْتُ بِٱلرُّخْصِ مَنْزِلِي وَلَمْ يَعْلَمُوا جَارًا هُنَاكَ يُنَغِّصُ
فَقُلْتُ لَهُمْ كُفُّوا ٱلْمَلَامَ فَإِنَّمَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُو ٱلدِّيَارُ وَتَرْخُصُ

(للشريشي)

ابو العلاء المعرّي والغلام

١٦٩ حُكِيَ أَنَّ غُلَامًا لَقِيَ أَبَا ٱلْعَلَاءِ ٱلْمَعَرِّيَّ فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ يَا شَيْخُ . قَالَ : فُلَانٌ . قَالَ : أَنْتَ ٱلْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱلْأَخِيرَ زَمَانُهُ لَآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ ٱلْأَوَائِلُ

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : يَا عَمَّاهُ إِنَّ ٱلْأَوَائِلَ قَدْ رَتَّبُوا ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ حَرْفًا لِلْهِجَاءِ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَزِيدَ عَلَيْهَا حَرْفًا . (قَالَ) فَدَهِشَ ٱلْمَعَرِّيُّ مِنْ ذٰلِكَ وَقَالَ : إِنَّ هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَعِيشُ لِشِدَّةِ حِذْقِهِ وَتَوَقُّدِ فُؤَادِهِ (للقليوبي)

يزيد وبدويّة

١٧٠ كَانَ يَزِيدُ بْنُ ٱلْمُهَلَّبِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ سِجْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ

ٱلْعَزِيزِ يُسَافِرُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ مَعَ ٱبْنِهِ مُعَاوِيَةَ. فَمَرَّ بِٱمْرَأَةٍ بَدَوِيَّةٍ فَذَبَحَتْ لَهُمَا عَنْزَةً. فَلَمَّا أَكَلَا قَالَ يَزِيدُ لِٱبْنِهِ: مَا يَكُونُ مَعَكَ مِنَ ٱلنَّفَقَةِ. قَالَ: مِائَةُ دِينَارٍ. قَالَ: أَعْطِهَا إِيَّاهَا. هٰذِهِ فَقِيرَةٌ يُرْضِيهَا ٱلْقَلِيلُ وَهِيَ مَا تَعْرِفُكَ. قَالَ: إِنْ كَانَ يُرْضِيهَا ٱلْقَلِيلُ فَأَنَا لَا يُرْضِينِي إِلَّا ٱلْكَثِيرُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْرِفُنِي فَأَنَا أَعْرِفُ نَفْسِي (لابن قتيبة)

العفو

١٧١ وَقَعَتْ دِمَاءٌ بَيْنَ حَيَّيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ. فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ وَاضِعٌ رَأْسَهُ إِلَّا رَفَعَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ لَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ أَوْ فِي مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْحَقِّ. قَالُوا: وَهَلْ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْحَقِّ. قَالَ: نَعَمِ ٱلْعَفْوُ. فَبَادَرَ ٱلْقَوْمُ فَٱصْطَلَحُوا (للشريشي)

الرشيد وحميد

١٧٢ غَضِبَ ٱلرَّشِيدُ عَلَى حُمَيْدٍ ٱلطُّوسِيِّ فَدَعَا لَهُ بِٱلنِّطَعِ وَٱلسَّيْفِ فَبَكَى. فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ. فَقَالَ: وَٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا أَفْزَعُ مِنَ ٱلْمَوْتِ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ وَإِنَّمَا بَكَيْتُ أَسَفًا عَلَى خُرُوجِي مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. فَضَحِكَ وَعَفَا عَنْهُ (للابشيهي)

المصوّر المسروق

١٧٣ حُكِيَ عَنْ أَهْلِ ٱلرُّومِ أَنَّ مُصَوِّرًا دَخَلَ بَلَدًا لَيْلًا وَنَزَلَ بِقَوْمٍ. فَضَيَّفُوهُ فَلَمَّا سَكِرَ قَالَ: إِنِّي صَاحِبُ مَالٍ وَمَعِي كَذَا وَكَذَا دِينَارًا. فَسَقَوْهُ حَتَّى طَفَحَ وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى مَوْضِعٍ

بَعِيدٍ مِنْهُمْ. فَلَمَّا أَصْبَحَ وَكَانَ غَرِيبًا لَمْ يَعْرِفِ ٱلْقَوْمَ وَلَا ٱلْمَكَانَ ذَهَبَ إِلَى وَالِي ٱلْمَدِينَةِ وَشَكَا. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: هَلْ تَعْرِفُ ٱلْقَوْمَ. قَالَ: لَا. قَالَ: هَلْ تَعْرِفُ ٱلْمَكَانَ. قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى ذٰلِكَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ: إِنِّي أُصَوِّرُ صُورَةَ ٱلرَّجُلِ وَصُورَةَ أَهْلِهِ فَأَعْرِضُهَا عَلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّ أَحَدًا يَعْرِفُهُمْ. فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَعَرَضَهَا ٱلْوَالِي عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالُوا: إِنَّهَا صُورَةُ فُلَانٍ ٱلْحَمَّامِيِّ وَأَهْلِهِ. فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ فَإِذَا هُوَ صَاحِبُهُ فَٱسْتَرَدَّ مِنْهُ ٱلْمَالَ (آثار البلاد للقزويني)

النديم والجام

١٧٤ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ لِأَنُوشِرْوَانَ نَدِيمٌ. وَكَانَ فِي مَجْلِسِ ٱلشَّرَابِ جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٌ بِٱلْجَوْهَرِ. فَسَرَقَهُ ٱلنَّدِيمُ. وَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنُوشِرْوَانُ وَرَآهُ وَهُوَ يُخْفِيهِ. فَجَاءَ ٱلشَّرَابِيُّ وَطَلَبَ ٱلْجَامَ فَلَمْ يَجِدْهُ. فَنَادَى يَا أَهْلَ ٱلْمَجْلِسِ قَدْ ضَاعَ لَنَا جَامٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٌ بِٱلْجَوْهَرِ. فَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ حَتَّى يَرُدَّ ٱلْجَامَ. فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ لِلشَّرَابِيِّ: مَكِّنْهُمْ مِنَ ٱلْخُرُوجِ فَإِنَّ ٱلَّذِي سَرَقَ مَا يُعِيدُهُ. وَٱلَّذِي رَآهُ مَا يَغْمِزُ عَلَيْهِ (للطرطوشي)

الكنز والسيّاح

١٧٥ كَانَ فِي غَابِرِ ٱلزَّمَانِ ثَلَاثَةٌ سَائِرِينَ فَوَجَدُوا كَنْزًا فَقَالُوا: قَدْ جُعْنَا فَلْيَمْضِ وَاحِدٌ مِنَّا وَلْيَبْتَعْ لَنَا طَعَامًا. فَمَضَى لِيَأْتِيَهُمْ بِطَعَامٍ فَقَالَ: ٱلصَّوَابُ أَنْ أَجْعَلَ لَهُمَا فِي ٱلطَّعَامِ سُمًّا قَاتِلًا لِيَأْكُلَاهُ فَيَمُوتَا وَأَنْفَرِدَ أَنَا بِٱلْكَنْزِ دُونَهُمَا. فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَسَمَّ ٱلطَّعَامَ. وَٱتَّفَقَ

ٱلرَّجُلَانِ ٱلْآخَرَانِ أَنَّهُمَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِٱلطَّعَامِ قَتَلَاهُ وَٱنْفَرَدَا بِٱلْكَنْزِ دُونَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمَا بِٱلطَّعَامِ ٱلْمَسْمُومِ قَتَلَاهُ وَأَكَلَا مِنَ ٱلطَّعَامِ فَمَاتَا. فَٱجْتَازَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ بِذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا. فَٱنْظُرُوا كَيْفَ قَتَلَتْ هٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةَ وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ. وَيْلٌ لِطُلَّابِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدَّيَّانِ (للغزالي)

الجارية والقصعة

١٧٦ جَاءَتْ جَارِيَةٌ لِأَبِي عَبْدِ ٱللّٰهِ جَعْفَرٍ بِقَصْعَةٍ مِنْ ثَرِيدٍ تُقَدِّمُهَا إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ. فَأَسْرَعَتْ بِهَا فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهَا فَٱنْكَسَرَتْ فَأَصَابَهُ وَأَصْحَابَهُ مِمَّا كَانَ فِيهَا. فَٱرْتَاعَتِ ٱلْجَارِيَةُ عِنْدَ ذٰلِكَ. فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ تَعَالَى. لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِلرَّوْعِ ٱلَّذِي أَصَابَكِ (للطرطوشي)

هرون الرشيد وابو معاوية

١٧٧ كَانَ هُرُونُ ٱلرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ. قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ ٱلضَّرِيرُ وَكَانَ مِنْ عُلَمَاءِ ٱلنَّاسِ: أَكَلْتُ مَعَ ٱلرَّشِيدِ يَوْمًا. فَصَبَّ عَلَى يَدَيَّ ٱلْمَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا مُعَاوِيَةَ أَتَدْرِي مَنْ صَبَّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدِكَ. فَقُلْتُ: لَا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: أَنَا. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هٰذَا إِجْلَالًا لِلْعِلْمِ. قَالَ: نَعَمْ (الفخري)

١٧٨ لَمَّا مَرِضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ٱسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي ٱلْعِيَادَةِ فَسَأَلَ عَنْهُمْ. فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ

مِنَ ٱلدَّيْنِ . فقَالَ : أَخزَى ٱللّٰهُ مالًا يَمنَعُ ٱلإخوانَ مِنَ ٱلزِّيارةِ . ثُمَّ أَمَرَ مَنْ يُنادي : مَنْ كَانَ لِقَيسٍ عِندَهُ مالٌ فَهُوَ مِنْهُ في حِلٍّ . فكُسِرَتْ عَتَبةُ بَابِهِ بِٱلعَشِيِّ لِكَثْرَةِ ٱلعُوَّادِ (للطرطوشي)

رسول قيصر وعمر بن الخطاب

١٧٩ أَرْسَلَ قَيصَرُ رَسُولًا إلى عُمَرَ بْنِ ٱلخَطَّابِ لِيَنظُرَ أَحوالَهُ وَيُشاهِدَ أَفعالَهُ . فلمَّا دخلَ ٱلمدينةَ سأَلَ أَهلَها وقالَ : أَيْنَ مَلِكُكُمْ . فَقالُوا : ما لَنا مَلِكٌ بَلْ لَنا أَميرٌ قَدْ خَرَجَ إلى ظاهِرِ ٱلمدينةِ . فخرجَ ٱلرَّسُولُ في طَلَبِهِ . فرآهُ نائمًا في ٱلشَّمسِ على ٱلأَرضِ فوقَ ٱلرَّملِ ٱلحارِّ وقَدْ وَضَعَ دِرَّتَهُ كَٱلوِسادةِ وَٱلعَرَقُ يَسقُطُ مِنْ جَبينِهِ إلى أَنْ بَلَّ ٱلأَرضَ . فلمَّا رآهُ على هذهِ ٱلحالةِ وقعَ ٱلخُشُوعُ في قلبِهِ وقالَ : رَجُلٌ يَكُونُ جَميعُ ٱلمُلوكِ لا يَقِرُّ لَهُمْ قَرارٌ في هَيبَتِهِ وتَكُونُ هذهِ حالَهُ . ولٰكِنَّكَ يا عُمَرُ عَدَلْتَ فَأَمِنْتَ فنِمْتَ ومَلِكُنا يَجُورُ فَلَا جَرَمَ إنَّهُ لا يَزالُ ساهِرًا خائفًا (للغزالي)

عفو زياد

١٨٠ أَمَرَ زِيادٌ بِضَربِ عُنُقِ رَجُلٍ فَقالَ : أَيُّها ٱلأَميرُ إنَّ لي بِكَ حُرْمَةً . قالَ : وما هِيَ . قالَ : إنَّ أَبِي جارُكَ بِٱلبَصرةِ . قالَ : وَمَنْ أَبُوكَ . قالَ : يا مَولايَ إنِّي نَسيتُ ٱسْمَ نَفْسِي فكيفَ لا أَنسَى ٱسْمَ أَبِي . فرَدَّ زِيادٌ كُمَّهُ على فَمِهِ وضَحِكَ وعَفا عنهُ (للابشيهي)

١٨١ رُوِيَ أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلمُلوكِ بَنَى قَصرًا وقالَ : ٱنظُرُوا مَنْ

عَابَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَصْلِحُوهُ وَأَعْطُوهُ دِرْهَمَيْنِ. فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ فِي هٰذَا ٱلْقَصْرِ عَيْبَيْنِ. قَالَ: وَمَا هُمَا. قَالَ: يَمُوتُ ٱلْمَلِكُ وَيَخْرَبُ ٱلْقَصْرُ. قَالَ: صَدَقْتَ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَرَكَ ٱلدُّنْيَا (للطرطوشي)

عفو عبد الملك

١٨٢ تَغَيَّظَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى رَجَاءِ بْنِ حَيَاةَ فَقَالَ: وَٱللّٰهِ لَئِنْ أَمْكَنَنِي ٱللّٰهُ مِنْهُ لَأَفْعَلَنَّ بِهِ كَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ رَجَاءُ بْنُ حَيَاةَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَنَعَ ٱللّٰهُ مَا أَحْبَبْتَ فَٱصْنَعْ مَا أَحَبَّ ٱللّٰهُ. فَعَفَا عَنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ

جعفر وغلامهُ

١٨٣ حُكِيَ عَنْ جَعْفَرٍ ٱلصَّادِقِ أَنَّ غُلَامًا لَهُ وَقَفَ يَصُبُّ ٱلْمَاءَ عَلَى يَدَيْهِ. فَوَقَعَ ٱلْإِبْرِيقُ مِنْ يَدِ ٱلْغُلَامِ فِي ٱلطَّسْتِ فَطَارَ ٱلرَّشَاشُ فِي وَجْهِهِ. فَنَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ ٱللّٰهُ يَأْمُرُ بِكَظْمِ ٱلْغَيْظِ. قَالَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكَ. قَالَ: وَٱللّٰهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ. قَالَ: ٱذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ ٱللّٰهِ تَعَالَى (للابشيهي)

المهدي وابو العتاهية

١٨٤ لَمَّا حَبَسَ ٱلْمَهْدِيُّ أَبَا ٱلْعَتَاهِيَةِ تَكَلَّمَ فِيهِ يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ٱلْحِمْيَرِيُّ حَتَّى أَطْلَقَهُ. فَقَالَ فِيهِ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ:

مَا قُلْتُ فِي فَضْلِهِ شَيْئًا لِأَمْدَحَهُ

إِلَّا وَفَضْلُ يَزِيدٍ فَوْقَ مَا قُلْتُ

مَا زِلْتُ مِنْ رَيْبِ دَهْرِي خَائِفًا وَجِلًا
فَقَدْ كَفَانِي بَعْدَ ٱللهِ مَا خِفْتُ
(للاصبهاني)

المؤبذ وانوشروان

١٨٥ سمع ٱلْمُوبَذُ فِي مَجْلِسِ أَنُوشِرْوَانَ ضَحِكَ ٱلْخَدَمِ فَقَالَ: أَمَا يَهَابُ هؤُلَاءِ ٱلْغِلْمَانُ. فَقَالَ أَنُوشِرْوَانُ: إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا (للثعالبي)

الايثار

١٨٦ مِنْ عَجَائِبِ مَا ذُكِرَ فِي ٱلْإِيثَارِ مَا حَكَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْأَزْدِيُّ. قَالَ: لَمَّا ٱحْتَرَقَ ٱلْمَسْجِدُ بِمَرْوَ ظَنَّ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّ ٱلنَّصَارَى أَحْرَقُوهُ فَأَحْرَقُوا خَانَاتِهِمْ. فَقَبَضَ ٱلسُّلْطَانُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ ٱلَّذِينَ أَحْرَقُوا ٱلْخَانَاتِ. وَكَتَبَ رِقَاعًا فِيهَا ٱلْقَطْعُ وَٱلْجَلْدُ وَٱلْقَتْلُ وَنَثَرَهَا عَلَيْهِم فَمَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ رُقْعَةٌ فُعِلَ بِهِ مَا فِيهَا. فَوَقَعَتْ رُقْعَةٌ فِيهَا ٱلْقَتْلُ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: وَٱللهِ مَا كُنْتُ أُبَالِي لَوْلَا أُمٌّ لِي. وَكَانَ بِجَنْبِهِ بَعْضُ ٱلْفِتْيَانِ فَقَالَ لَهُ: فِي رُقْعَتِي ٱلْجَلْدُ وَلَيْسَ لِي أُمٌّ. فَخُذْ أَنْتَ رُقْعَتِي وَأَعْطِنِي رُقْعَتَكَ. فَفَعَلَ فَقُتِلَ ذٰلِكَ ٱلْفَتَى وَتَخَلَّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ (للطرطوشي)

الاعرابي والجراد

١٨٧ قَالَ ٱلْأَصْمَعِيُّ: حَضَرْتُ ٱلْبَادِيَةَ فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ زَرَعَ بُرًّا لَهُ.

فَلَمَّا قَامَ عَلَى سُوقِهِ وَجَادَ سُنْبُلُهُ أَتَتْ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ . فَجَعَلَ ٱلرَّجُلُ يَنظُرُ إِلَيْهِ وَلَا يَدْرِي كَيْفَ ٱلْحِيلَةُ فِيهِ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

مَرَّ ٱلْجَرَادُ عَلَى زَرْعِي فَقُلْتُ لَهُ   إِلْزَمْ طَرِيقَكَ لَا تُولَعْ بِإِفْسَادِ

فَقَامَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سُنْبُلَةٍ   إِنَّا عَلَى سَفَرٍ لَا بُدَّ مِنْ زَادِ

(للدميري)

١٨٨ قِيلَ لِبَعْضِ ٱلسَّلَاطِينِ : لِمَ لَا تُغْلِقُ ٱلْبَابَ وَتُقْعِدُ عَلَيْهِ ٱلْحُجَّابَ . فَقَالَ : إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ أَحْفَظَ أَنَا رَعِيَّتِي لَا أَنْ يَحْفَظُونِي

(للثعالبي)

عبد الرحمان بن عوف وعمر بن الخطّاب

١٨٩ قَالَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ بْنُ عَوْفٍ : دَعَانِي عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَالَ : قَدْ نَزَلَ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ قَافِلَةٌ وَأَخَافُ عَلَيْهِمْ إِذَا نَامُوا أَنْ يُسْرَقَ شَيْءٌ مِنْ مَتَاعِهِمْ . فَمَضَيْتُ مَعَهُ فَلَمَّا وَصَلْنَا قَالَ لِي : نَمْ أَنْتَ . ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ يَحْرُسُ ٱلْقَافِلَةَ طُولَ لَيْلَتِهِ   (للغزالي)

راكب البغل

١٩٠ حَدَّثَ شَبِيبُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : كُنْتُ فِي ٱلْمَوْقِفِ وَاقِفًا عَلَى بَابِ ٱلرَّشِيدِ فَإِذَا رَجُلٌ بَشِعُ ٱلْهَيْئَةِ عَلَى بَغْلٍ قَدْ جَاءَ فَوَقَفَ وَجَعَلَ ٱلنَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُسَائِلُونَهُ وَيُضَاحِكُونَهُ . ثُمَّ وَقَفَ فِي ٱلْمَوْقِفِ فَأَقْبَلَ ٱلنَّاسُ يَشْكُونَ أَحْوَالَهُمْ . فَوَاحِدٌ يَقُولُ : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ يَصْنَعْ بِي خَيْرًا . وَيَقُولُ آخَرُ : أَمَّلْتُ فُلَانًا

فَخَابَ أَمَلِي وَفَعَلَ بِي . وَيَشْكُو آخَرُ مِنْ حَالِهِ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ :
فَتَّشْتُ ذِي ٱلدُّنْيَا فَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ أَرَاهُ لِآخَرٍ حَامِدْ
حَتَّى كَأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ قَدْ أُفْرِغُوا فِي قَالَبٍ وَاحِدْ
فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هُوَ أَبُو ٱلْعَتَاهِيَةِ (للاصبهاني)

يحيى وابو جعفر

١٩١ كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ خَفِيفَ ٱلْحَالِ فَٱسْتَقْضَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ : مَنْ كَانَتْ نَفْسُهُ وَاحِدَةً لَمْ يُغَيِّرْهُ ٱلْمَالُ (للثعالبي)

عمر والسكران

١٩٢ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ رَأَى سَكْرَانَ فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ لِيُعَزِّرَهُ . فَشَتَمَهُ ٱلسَّكْرَانُ فَرَجَعَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَمَّا شَتَمَكَ تَرَكْتَهُ . قَالَ : إِنَّمَا تَرَكْتُهُ لِأَنَّهُ أَغْضَبَنِي . فَلَوْ عَزَّرْتُهُ لَكُنْتُ قَدِ ٱنْتَصَرْتُ لِنَفْسِي فَلَا أُحِبُّ أَنْ أَضْرِبَ مُسْلِمًا لِحَمِيَّةِ نَفْسِي (للشريشي)

عروة وعبد الملك

١٩٣ دَخَلَ عُرْوَةُ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى بُسْتَانٍ . وَكَانَ عُرْوَةُ مُعْرِضًا عَنِ ٱلدُّنْيَا . فَحِينَ رَأَى فِي ٱلْبُسْتَانِ مَا رَأَى قَالَ : مَا أَحْسَنَ هٰذَا ٱلْبُسْتَانَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ : أَنْتَ وَٱللّٰهِ أَحْسَنُ مِنْهُ لِأَنَّهُ يُؤْتِي أُكُلَهُ كُلَّ عَامٍ وَأَنْتَ تُؤْتِي أُكُلَكَ كُلَّ يَوْمٍ (للشريشي)

الفيلسوف والحسن الوجه

١٩٤ نَظَرَ فَيْلَسُوفٌ إِلَى رَجُلٍ حَسَنِ ٱلْوَجْهِ خَبِيثِ ٱلنَّفْسِ. فَقَالَ: بَيْتٌ حَسَنٌ وَفِيهِ سَاكِنٌ نَذْلٌ. وَرَأَى آخَرُ شَابًّا جَمِيلًا فَقَالَ: سَلَبَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِكَ فَضَائِلَ نَفْسِكَ. قَالَ ٱلْمُوسَوِيُّ:
لَا تَجْعَلَنَّ دَلِيلَ ٱلْمَرْءِ صُورَتَهُ كَمْ مُخْبَرٍ سَمِجٍ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنِ
(للثعالبي)

عمر والغلام

١٩٥ يُقَالُ إِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ كَانَ يَنْظُرُ لَيْلًا فِي قِصَصِ ٱلرَّعِيَّةِ فِي ضَوْءِ ٱلسِّرَاجِ. فَجَاءَ غُلَامٌ لَهُ فَحَدَّثَهُ فِي مَعْنًى سَبَبٍ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِبَيْتِهِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَطْفِئِ ٱلسِّرَاجَ ثُمَّ حَدِّثْنِي. لِأَنَّ هٰذَا ٱلدُّهْنَ مِنْ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَجُوزُ ٱسْتِعْمَالُهُ إِلَّا فِي أَشْغَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ (للغزالي)

صلاح الدين والمرأة المفقودة الولد

١٩٦ كَانَ صَلَاحُ ٱلدِّينِ إِمَامًا كَامِلًا لَمْ يَلِ مِصْرَ بَعْدَ ٱلصَّحَابَةِ مِثْلُهُ لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ. وَكَانَ رَقِيقَ ٱلْقَلْبِ جِدًّا وَٱلنَّاسُ يَأْمَنُونَ ظُلْمَهُ لِعَدْلِهِ. وَمِنْ صَنَائِعِهِ مَا أَخْبَرَ ٱلْعِمَادُ قَالَ: قَدْ كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ لُصُوصٌ يَدْخُلُونَ لَيْلًا خِيَامَ ٱلْفِرَنْجِ فَيَسْرِقُونَ. فَٱتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَخَذَ صَبِيًّا رَضِيعًا مِنْ مَهْدِهِ ٱبْنَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ. فَوَجَدَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَجْدًا شَدِيدًا وَٱشْتَكَتْ إِلَى مُلُوكِهِمْ. فَقَالُوا لَهَا:

إنَّ سُلطَانَ ٱلمُسلِمِينَ رَحِيمُ ٱلقَلبِ فَاذهَبِي إِلَيهِ . فَجَاءَتْ إِلَى ٱلسُّلْطَانِ صَلَاحِ ٱلدِّينِ . فَبَكَتْ وَشَكَتْ أَمرَ وَلَدِهَا . فَرَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَمَرَ بِإِحضَارِ وَلَدِهَا فَإِذَا هُوَ بِيعَ فِي ٱلسُّوقِ . فَرَسَمَ بِدَفعِ ثَمَنِهِ إِلَى ٱلمُشتَرِي . وَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى جِيءَ بِٱلغُلَامِ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ وَحَمَلَهَا عَلَى فَرَسٍ إِلَى قَومِهَا مُكَرَّمَةً

(حسن المحاضرة في اخبار القاهرة للسيوطي)

الربيع والاجانة

١٩٧ رُوِيَ أَنَّ ٱلرَّبِيعَ ٱلجِيزِيَّ صَاحِبَ ٱلإِمَامِ ٱلشَّافِعِيِّ مَرَّ يَومًا فِي أَزِقَّةِ مِصرَ وَإِذَا إِجَّانَةٌ مَملُوءَةٌ رَمَادًا طُرِحَتْ عَلَى رَأْسِهِ . فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَخَذَ يَنفُضُ ثِيَابَهُ فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَزجُرُهُمْ . فَقَالَ : مَنِ ٱستَحَقَّ ٱلنَّارَ وَصُولِحَ بِٱلرَّمَادِ فَلَيسَ لَهُ أَنْ يَغضَبَ (للقليوبي)

١٩٨ حَضَرَ رَجُلٌ بَينَ يَدَيْ بَعضِ ٱلمُلُوكِ فَأَغلَظَ لَهُ ٱلسُّلطَانُ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : إِنَّمَا أَنتَ كَٱلسَّمَاءِ إِذَا أَرعَدَتْ وَأَبرَقَتْ فَقَدْ قَرُبَ خَيرُهَا . فَسَكَنَ غَضَبُهُ وَأَحسَنَ إِلَيهِ (للطرطوشي)

غلامٌ وعمُّهُ

١٩٩ غُلَامٌ هَاشِمِيٌّ أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يُجَازِيَهُ بِسَهوٍ مِنهُ . فَقَالَ : يَا عَمِّ إِنِّي قَدْ أَسَأْتُ وَلَيسَ لِي عَقلٌ فَلَا تُسِئْ وَمَعَكَ عَقلُكَ (للثعالبي)

الجار السوء

٢٠٠ عُرِضَ عَلَى أَبِي مُسلِمٍ ٱلخَولَانِيِّ حِصَانٌ جَوَادٌ مُضَمَّرٌ فَقَالَ

لِفُوَادِهِ: لِمَاذَا يَصْلُحُ هذا. فَقَالُوا لَهُ: لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ ٱللهِ. فَقَالَ: لَا. قَالُوا: لِلِقَاءِ ٱلْعَدُوِّ. فَقَالَ: لَا. فَقَالُوا لَهُ: فَلِمَاذَا يَصْلُحُ أَصْلَحَكَ ٱللهُ. فَقَالَ: أَنْ يَرْكَبَهُ ٱلرَّجُلُ وَيَهْرُبَ مِنَ ٱلْجَارِ ٱلسُّوءِ (للقليوبي)

٢٠١ لَمَّا أُتِيَ عُمَرُ بِٱلْهُرْمُزَانِ أَرَادَ قَتْلَهُ فَٱسْتَسْقَى مَاءً فَأَتَاهُ بِقَدَحٍ فَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ فَٱضْطَرَبَ وَقَالَ: لَا تَقْتُلْنِي حَتَّى أَشْرَبَ هذَا ٱلْمَاءَ. فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَلْقَى ٱلْقَدَحَ مِنْ يَدِهِ. فَأَمَرَ عُمَرُ بِأَنْ يُقْتَلَ فَقَالَ: أَوَلَمْ تُؤَمِّنِّي وَقُلْتَ: لَا أَقْتُلُكَ حَتَّى تَشْرَبَ هذَا ٱلْمَاءَ. فَقَالَ عُمَرُ: قَاتَلَهُ ٱللهُ أَخَذَ أَمَانًا وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ (للثعالبي)

السليك بن السلكة

٢٠٢ رُوِيَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّ ٱلسُّلَيْكَ بْنَ ٱلسُّلَكَةِ نَزَلَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ كِنَانَةَ ضَيْفًا. فَأَكْرَمُوهُ وَجَمَعُوا لَهُ إِبِلًا كَثِيرَةً وَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا. وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَشَاخَ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ وَٱنْتَقَصَ عَدْوُهُ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرِيَنَا مَا بَقِيَ مِنْ عَدْوِكَ. قَالَ: نَعَمْ. أَلْقُوا إِلَيَّ أَرْبَعِينَ شَابًّا. وَأْتُونِي بِدِرْعٍ ثَقِيلَةٍ عَظِيمَةٍ. فَأَتَوْهُ بِهَا وَٱخْتَارُوا مِنْ شُبَّانِهِمْ أَرْبَعِينَ أَقْوِيَاءَ عَدَّائِينَ. فَلَبِسَ سُلَيْكٌ ٱلدِّرْعَ. ثُمَّ قَالَ لِلشُّبَّانِ: ٱلْحَقُونِي. ثُمَّ عَدَا عَدْوًا وَسَطًا وَعَدَا ٱلشُّبَّانُ وَرَاءَهُ جُهْدَهُمْ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ حَتَّى غَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا حَتَّى عَادَ إِلَى ٱلْقَوْمِ وَحْدَهُ يَخْطِرُ وَٱلدِّرْعُ عَلَيْهِ وَسَبَقَ ٱلشُّبَّانَ (للشريشي)

صباح ابو العتاهية

٢٠٣ قِيلَ لِأَبِي ٱلْعَتَاهِيَةِ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ. قَالَ: عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ ٱللهُ وَعَلَى غَيْرِ مَا أُحِبُّ وَعَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ إِبْلِيسُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ. فَقَالَ: لِأَنَّ ٱللهَ يُحِبُّ أَنْ أُطِيعَهُ وَأَنَا لَسْتُ كَذٰلِكَ. وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لِي ثَرْوَةٌ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ. وَإِبْلِيسُ يُحِبُّ مِنِّي ٱلْمَعْصِيَةَ وَلَسْتُ كَذٰلِكَ (للقليوبي)

يحيي بن اكثم والمأمون

٢٠٤ حُكِيَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَالَ: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ ٱلْمَأْمُونِ فَٱنْتَبَهَ فِي بَعْضِ ٱللَّيْلِ فَظَنَّ أَنِّي نَائِمٌ. فَعَطِشَ وَلَمْ يَدَعِ ٱلْغُلَامَ لِئَلَّا أَنْتَبِهَ. وَقَامَ مُتَسَلِّلًا خَائِفًا هَادِئًا فِي خُطَاهُ. حَتَّى أَتَى ٱلْبَرَّادَةَ فَشَرِبَ ثُمَّ رَجَعَ وَهُوَ يُخْفِي صَوْتَهُ كَأَنَّهُ لِصٌّ حَتَّى ٱضْطَجَعَ. وَأَخَذَهُ سُعَالٌ فَرَأَيْتُهُ يَجْمَعُ كُمَّهُ فِي فَمِهِ كَيْلَا أَسْمَعَ سُعَالَهُ. وَطَلَعَ ٱلْفَجْرُ فَأَرَادَ ٱلْقِيَامَ وَقَدْ تَنَاوَمْتُ فَصَبَرَ إِلَى أَنْ كَادَتْ تَفُوتُ ٱلصَّلَاةُ فَتَحَرَّكْتُ فَقَالَ: ٱللهُ أَكْبَرُ يَا غُلَامُ نَبِّهْ أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رَأَيْتُ بِعَيْنِي جَمِيعَ مَا كَانَ ٱللَّيْلَةَ مِنْ صَنِيعِكَ. وَكَذٰلِكَ جَعَلَنَا ٱللهُ لَكُمْ عَبِيدًا وَجَعَلَكُمْ لَنَا أَرْبَابًا (لشمس الدين النواجي)

يحيي البرمكي وسائلة

٢٠٥ يُقَالُ إِنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ ٱلْبَرْمَكِيَّ خَرَجَ مِنْ دَارِ ٱلْخِلَافَةِ رَاكِبًا إِلَى دَارِهِ فَرَأَى عَلَى بَابِ ٱلدَّارِ رَجُلًا. فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُ يَحْيَى نَهَضَ قَائِمًا

وَسلَمَ عليهِ وقالَ: يا أبا علي إليّ ما في يديك وقد جعلتُ الله وسيلتي إليك. فأمر يحيى أن يُفرد له موضعٌ في داره وأن يُحمل إليه في كل يوم ألفُ درهم وأن يكون طعامه من خاص طعامه. فبقي على ذلك شهراً كاملاً. فلمّا انقضى الشهر كان قد وصل إليه ثلاثون ألف درهم. فأخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال: واللهِ لو أقام عندي مدة عمري وطول دهره لما منعتهُ صلتي ولا قطعتُ عنه ضيافتي (للغزالي)

الاطيبان الاخبثان

٢٠٦ ذُكر أن لقمان النوبي الحكيم بن عنقاء بن بروق من أهل أيلة أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها. فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. ثم أعطاه شاة أخرى وأمره بذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها. فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها. فسأله عن ذلك فقال له: ياسيدي لا أخبث منهما إذا خبثا. ولا أطيب منهما إذا طابا (للقليوبي)

حكاية ادهم

٢٠٧ يُذكر أن أدهم مرّ ذات يوم ببساتين مدينة بخارى. وتوضأ من بعض الأنهار التي تتخللها فإذا بتفاحة يحملها ماء النهر فقال: هذه لا خطر لها. فأكلها ثم وقع في خاطره من ذلك وسواس فعزم على أن يستحل من صاحب البستان. فقرع باب

ٱلْبُسْتَانِ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ فَقَالَ لَهَا: ٱدْعِي لِي صَاحِبَ ٱلْمَنْزِلِ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ لِٱمْرَأَةٍ فَقَالَ: ٱسْتَأْذِنِي لِي عَلَيْهَا. فَفَعَلَتْ. فَأَخْبَرَ ٱلْمَرْأَةَ بِخَبَرِ ٱلتُّفَّاحَةِ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ هٰذَا ٱلْبُسْتَانَ نِصْفُهُ لِي وَنِصْفُهُ لِلسُّلْطَانِ وَٱلسُّلْطَانُ يَوْمَئِذٍ بِبَلْخَ وَهِيَ مَسِيرُ عَشْرٍ مِنْ بُخَارَى. وَأَحَلَّتْهُ ٱلْمَرْأَةُ مِنْ نِصْفِهَا. وَذَهَبَ إِلَى بَلْخَ فَٱعْتَرَضَهُ ٱلسُّلْطَانُ فِي مَوْكِبِهِ فَأَخْبَرَهُ ٱلْخَبَرَ وَٱسْتَحَلَّهُ. فَٱنْذَهَلَ ٱلسُّلْطَانُ مِنْ أَمْرِهِ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ (لابن بطوطة)

حكاية عبد العزيز

٢٠٨ كَانَ عَبْدُ ٱلْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ أَمِيرًا بِمِصْرَ. فَرَكِبَ يَوْمًا بِمَوْضِعٍ وَإِذَا رَجُلٌ يُنَادِي وَلَدَهُ يَا عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ. فَسَمِعَ ٱلْأَمِيرُ نِدَاءَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِيُنْفِقَهَا عَلَى ذٰلِكَ ٱلْوَلَدِ ٱلَّذِي هُوَ سَمِيُّهُ. فَفَشَا ٱلْخَبَرُ بِمَدِينَةِ مِصْرَ فَكُلُّ مَنْ وُلِدَ لَهُ فِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ وَلَدٌ سَمَّاهُ عَبْدَ ٱلْعَزِيزِ. وَبِضِدِّ ذٰلِكَ كَانَ ٱلْحَاجِبُ تَاشُ ٱلْأَمِيرُ ٱلْحَاجِبُ ٱلْكَبِيرُ بِخُرَاسَانَ مُجْتَازًا يَوْمًا بِصَيَارِفِ بُخَارَى وَرَجُلٌ يُنَادِي غُلَامَهُ وَكَانَ ٱسْمُ ٱلْغُلَامِ تَاشًا. فَأَمَرَ بِإِزَالَةِ ٱلصَّيَارِفِ وَمُصَادَرَتِهِمْ. قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُمُ ٱلِٱسْتِخْفَافَ بِٱسْمِي. فَٱنْظُرِ ٱلْآنَ ٱلْفَرْقَ بَيْنَ ٱلْحُرِّ ٱلْقُرَشِيِّ وَبَيْنَ ٱلْمَمْلُوكِ ٱلْمُسْتَرَقِّ بِٱلدِّرْهَمِ (للغزالي)

لقمان والناسك

٢٠٩ قَالَ لُقْمَانُ ٱلْحَكِيمُ: كُنْتُ أَسِيرُ فِي طَرِيقٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا

عَلَى مِسْحٍ فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ. فَقَالَ: آدَمِيٌّ. قُلْتُ: مَا ٱسْمُكَ. قَالَ: حَتَّى أَنْظُرَ بِمَاذَا أُسَمِّي نَفْسِي. فَقُلْتُ لَهُ. مِنْ أَيْنَ يُعْطِيكَ. فَقَالَ: مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ. فَقُلْتُ: طُوبَى لَكَ وَقُرَّةُ عَيْنٍ. فَقَالَ: وَمَنِ ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ عَنْ هٰذِهِ ٱلطُّوبَى وَقُرَّةِ ٱلْعَيْنِ (للاصبهاني)

المتوكل وابو العيناء

٢١٠ سَأَلَ ٱلْمُتَوَكِّلُ أَبَا ٱلْعَيْنَاءِ: مَا أَشَدُّ مَا عَلَيْكَ فِي ذَهَابِ بَصَرِكَ. قَالَ: مَا حُرِمْتُهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رُؤْيَتِكَ. مَعَ إِجْمَاعِ ٱلنَّاسِ عَلَى جَمَالِكَ (للشريشي)

السفيه والحليم

٢١١ شَتَمَ سَفِيهٌ حَلِيمًا وَهُوَ سَاكِتٌ. فَقَالَ: إِيَّاكَ أَعْنِي. فَقَالَ: وَعَنْكَ أُغْضِي. قَالَ ٱلشَّاعِرُ:

شَاتَمَنِي عَبْدُ بَنِي مِسْمَعٍ فَصُنْتُ عَنْهُ ٱلنَّفْسَ وَٱلْعِرْضَا
وَلَمْ أُجِبْهُ لِٱحْتِقَارِي لَهُ مَنْ ذَا يَعَضُّ ٱلْكَلْبَ إِنْ عَضَّا

(للثعالبي)

قَدْ رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْحُكَمَاءِ رَأَى شَيْخًا يَطْلُبُ ٱلْعِلْمَ وَيُحِبُّ ٱلنَّظَرَ فِيهِ وَيَسْتَحِي فَقَالَ: يَا هٰذَا أَتَسْتَحِي أَنْ تَكُونَ فِي آخِرِ عُمْرِكَ أَفْضَلَ مِمَّا كُنْتَ فِي أَوَّلِهِ. وَلَأَنَّ ٱلصِّغَرَ أَعْذَرُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ٱلْجَهْلِ عُذْرٌ (للطرطوشي)

الرازي وصبيان

٢١٢ حكى أَبو عليٍّ ٱلرَّازيُّ قال: مررتُ بصبيانٍ في طريقِ ٱلشَّامِ يلعبون بالتُّرابِ وقد ٱرتفع ٱلغبارُ فقلتُ: مهلًا قد غبَّرتم. فقال صبيٌّ منهم: يا شيخُ أينَ تفرُّ إذا هيلَ عليكَ ٱلتُّرابُ في ٱلقبرِ. فغُشِيَ عليَّ فأفقتُ والصَّبيُّ قاعدٌ عند رأسي مع ٱلصِّبيانِ يبكون. فقلتُ له: أعندكَ حيلةٌ في ٱلفرارِ من ٱلتُّرابِ. قال: أنا لا أعلمُ ولكن سَلْ غيري. فقلتُ: ومَن غيرُكَ. قال: عقلُكَ (للشريشي)

الحاج والعجوز

٢١٣ يُقالُ إنَّهُ ٱنقطعَ رجلٌ من قافلةِ ٱلحاجِّ وغلطَ ٱلطَّريقَ ووقعَ في ٱلرَّملِ. فجعلَ يسيرُ إلى أن وصلَ إلى خيمةٍ فرأى في ٱلخيمةِ ٱمرأةً عجوزًا وعلى بابِ ٱلخيمةِ كلبًا نائمًا. فسلَّمَ ٱلحاجُّ على ٱلعجوزِ وطلبَ منها طعامًا. فقالتِ ٱلعجوزُ: ٱمضِ إلى ذلكَ ٱلوادي. وٱصطدْ من ٱلحيَّاتِ بقدرِ كفايتكَ لأشويَ لكَ منها وأُطعمكَ. فقالَ ٱلرَّجلُ: أنا لا أجسرُ أن أصطادَ ٱلحيَّاتِ. فقالتِ ٱلعجوزُ: أنا أصطادُ معكَ فلا تخفْ. فمضيا وتبعهما ٱلكلبُ فأخذا من ٱلحيَّاتِ بقدرِ حاجتهما. فأتتِ ٱلعجوزُ وجعلت تشوي ٱلحيَّاتِ فلم يرَ ٱلحاجُّ بُدًّا من ٱلأكلِ وخافَ أن يموتَ من ٱلجوعِ وٱلهزالِ فأكلَ. ثمَّ إنَّهُ عطشَ فطلبَ منها ٱلماءَ فقالت: دونكَ ٱلعينَ فٱشربْ. فمضى إلى ٱلعينِ فوجدَ ٱلماءَ مُرًّا مالحًا ولم يجدْ من شربهِ

بُدًّا. فشَرِبَ وعادَ إلى العجوزِ وقالَ: أعجبُ منكِ أيتها العجوزُ ومن مُقامِكِ في هذا المكانِ واغتذائكِ بهذا الطعامِ. فقالتِ العجوزُ: كيفَ تكونُ بلادُكم. فقالَ: يكونُ في بلادِنا الدورُ الرحبةُ الواسعةُ والفواكهُ اليانعةُ والمياهُ العذبةُ والأطعمةُ الطيبةُ واللحومُ السمينةُ والنعمُ الكثيرةُ والعيونُ الغزيرةُ. فقالتِ العجوزُ: قد سمعتُ هذا كلَّهُ فقلْ لي هل تكونونَ تحتَ يدَي سلطانٍ يجورُ عليكم وإذا كانَ لكم ذنبٌ أخذَ أموالَكم واستأصلَ أحوالَكم وأخرجكم من بيوتِكم وأملاكِكم. فقالَ: قد يكونُ ذلكَ. فقالتْ: إذًا يعودُ ذلكَ الطعامُ اللطيفُ والعيشُ الظريفُ والحلوى العجيبةُ مع الجورِ والظلمِ سمًّا ناقعًا. وتعودُ أطعمتنا مع الأمنِ دِرياقًا نافعًا. أما سمعتَ أنَّ أجلَّ النعمِ بعدَ نعمةِ الهدى الصحةُ والأمنُ (للغزالي)

حكاية ابي يعقوب يوسف

٢١٤ قصدنا من مدينةِ بيروتَ زيارةَ قبرِ أبي يعقوبَ يوسفَ الذي يزعمونَ أنهُ من ملوكِ المغربِ. وهو بموضعٍ يُعرَفُ بكركِ نوحٍ من بقاعِ العزيزِ. ويُذكَرُ أنهُ كانَ ينسجُ الحصرَ ويقتاتُ بثمنها. وحُكيَ عنهُ أنهُ دخلَ مدينةَ دمشقَ فمرضَ بها مرضًا شديدًا وأقامَ مطروحًا بالأسواقِ. فلمَّا برئَ من مرضهِ خرجَ إلى ظاهرِ دمشقَ ليلتمسَ بستانًا يكونُ حارسًا لهُ. فاستؤجرَ

لِحِرَاسَةِ بُسْتَانٍ لِلْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ وَأَقَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَانِ الْفَاكِهَةِ أَتَى السُّلْطَانُ إِلَى ذَلِكَ الْبُسْتَانِ فَأَمَرَ وَكِيلَ الْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَّانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ السُّلْطَانُ. فَأَتَاهُ بِرُمَّانٍ فَوَجَدَهُ حَامِضًا. فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ: أَتَكُونُ فِي حِرَاسَةِ الْبُسْتَانِ مُنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ الْحُلْوَ مِنَ الْحَامِضِ. فَقَالَ: إِنَّمَا اسْتَأْجَرْتَنِي عَلَى الْحِرَاسَةِ لَا عَلَى الْأَكْلِ. فَأَتَى الْوَكِيلُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. فَبَعَثَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ وَكَانَ قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَبِي يَعْقُوبَ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ. فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ. قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ. ثُمَّ احْتَمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ فَأَضَافَهُ بِضِيَافَةٍ مِنَ الْحَلَالِ الْمُكْتَسَبِ بِكَدِّ يَمِينِهِ. وَقَامَ عِنْدَهُ أَيَّامًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ فَارًّا بِنَفْسِهِ فِي أَوَانِ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ (لابن بطوطة)

المنصور والمعتدى عليه

٢١٥ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعُقَلَاءِ غَصَبَهُ بَعْضُ الْوُلَاةِ ضَيْعَةً لَهُ وَاعْتَدَى عَلَيْهِ. فَذَهَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللّٰهُ أَذْكُرُ لَكَ حَاجَتِي أَمْ أَضْرِبُ لَكَ قَبْلَهَا مَثَلًا. فَقَالَ لَهُ: بَلِ اضْرِبْ لِي قَبْلَهَا مَثَلًا. فَقَالَ: أَصْلَحَكَ اللّٰهُ إِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ فَإِنَّهُ يَفِرُّ إِلَى أُمِّهِ لِنُصْرَتِهِ إِذْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهَا ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَا نَاصِرَ لَهُ فَوْقَهَا. فَإِذَا تَرَعْرَعَ وَاشْتَدَّ كَانَ فِرَارُهُ وَشَكْوَاهُ

إِلَى أَبِيهِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ أَبَاهُ أَقْوَى مِنْ أُمِّهِ عَلَى نُصْرَتِهِ . فَإِذَا بَلَغَ وَصَارَ رَجُلًا وَحَزَبَهُ أَمْرٌ شَكَا إِلَى الْوَالِي لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنْ أَبِيهِ . فَإِنْ زَادَ عَقْلُهُ وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ شَكَا إِلَى السُّلْطَانِ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِمَّنْ سِوَاهُ . فَإِنْ لَمْ يُنْصِفْهُ السُّلْطَانُ شَكَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُ أَقْوَى مِنَ السُّلْطَانِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِي نَازِلَةٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ أَقْوَى مِنْكَ إِلَّا اللهُ تَعَالَى . فَإِنْ أَنْصَفْتَنِي وَإِلَّا رَفَعْتُ أَمْرَهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى . قَالَ : بَلْ نُنْصِفُكَ . وَأَمَرَ بِأَنْ يُكْتَبَ إِلَى وَالِيهِ بِرَدِّ ضَيْعَتِهِ إِلَيْهِ

النجاة بعون الله

٢١٦ رُوِيَ أَنَّ سُلْطَانَ صِقِلِّيَةَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمُنِعَ النَّوْمَ . فَأَرْسَلَ إِلَى قَائِدِ الْبَحْرِ وَقَالَ : أَنْفِذِ الْآنَ مَرْكَبًا إِلَى أَفْرِيقِيَةَ يَأْتُونِي بِأَخْبَارِهَا . فَعَمَّرَ الْقَائِدُ الْمَرْكَبَ وَأَرْسَلَهُ لِحِينِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا بِالْمَرْكَبِ فِي مَوْضِعِهِ لَمْ يَبْرَحْ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَلَيْسَ قَدْ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ . قَالَ : نَعَمْ امْتَثَلْتُ أَمْرَكَ وَأَنْفَذْتُ الْمَرْكَبَ وَرَجَعَ بَعْدَ سَاعَةٍ وَسَيُحَدِّثُكَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ . فَجَاءَ مُقَدَّمُ الْمَرْكَبِ وَمَعَهُ رَجُلٌ فَقَالَ الْمَلِكُ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَذْهَبَ حَيْثُ أُمِرْتَ . قَالَ : ذَهَبْتُ فِي الْمَرْكَبِ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَالْبَحَّارُونَ يَجْذِفُونَ فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ يَقُولُ : يَا اللهُ يَا اللهُ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ يُكَرِّرُهَا مِرَارًا . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ صَوْتُهُ فِي أَسْمَاعِنَا

نَادَيْنَاهُ مِرَارًا: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ. وَنَحْنُ نُجِيبُهُ: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. وَتَوَجَّهْنَا نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَلْفَيْنَا هٰذَا الرَّجُلَ غَرِيقًا فِي آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَيَاةِ. فَأَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْبَحْرِ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ: كُنَّا مُقْلِعِينَ مِنْ أَفْرِيقِيَةَ فَغَرِقَتْ سَفِينَتُنَا مُنْذُ أَيَّامٍ وَمَا زِلْتُ أَسْبَحُ حَتَّى وَجَدْتُ الْمَوْتَ فَلَمْ أَشْعُرْ بِالْغَوْثِ إِلَّا مِنْ نَاحِيَتِكُمْ. فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْهَرَ سُلْطَانًا وَأَرَّقَ جَبَّارًا فِي قَصْرِهِ لِغَرِيقٍ فِي الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ مِنْ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ الثَّلَاثِ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَظُلْمَةِ الْبَحْرِ وَظُلْمَةِ الْوَحْشَةِ. لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ (للطرطوشي)

الجندي والمحتال

٢١٧ إِنَّهُ كَانَ بِثَغْرِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَالٍ يُقَالُ لَهُ حُسَامُ الدِّينِ. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دَسْتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ جُنْدِيٌّ وَقَالَ لَهُ: اعْلَمْ يَا مَوْلَانَا الْوَالِي أَنِّي دَخَلْتُ هٰذِهِ الْمَدِينَةَ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَنَزَلْتُ فِي خَانِ كَذَا. فَنِمْتُ فِيهِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْتَبَهْتُ وَجَدْتُ خُرْجِي مَشْرُوطًا وَقَدْ سُرِقَ مِنْهُ كِيسٌ فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ. فَلَمْ يُتِمَّ كَلَامَهُ حَتَّى أَرْسَلَ الْوَالِي وَأَحْضَرَ الْمُقَدَّمِينَ وَأَمَرَهُمْ بِإِحْضَارِ جَمِيعِ مَنْ فِي الْخَانِ وَأَمَرَ بِسَجْنِهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ. فَلَمَّا جَاءَ الصُّبْحُ أَمَرَ بِإِحْضَارِ آلَةِ الْعُقُوبَةِ وَأَحْضَرَ هٰؤُلَاءِ النَّاسَ بِحَضْرَةِ الْجُنْدِيِّ صَاحِبِ الدَّرَاهِمِ وَأَرَادَ عِقَابَهُمْ. وَإِذَا بِرَجُلٍ قَدْ

أَقْبَلَ وَشَقَّ ٱلنَّاسَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ أَطْلِقْ هٰؤُلَاءِ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مَظْلُومُونَ. وَأَنَا ٱلَّذِي أَخَذْتُ مَالَ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ وَهَا هُوَ ٱلْكِيسُ ٱلَّذِي أَخَذْتُهُ مِنْ خُرْجِهِ. ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ كُمِّهِ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ. فَقَالَ ٱلْوَالِي لِلْجُنْدِيِّ: خُذْ مَالَكَ وَتَسَلَّمْهُ فَمَا بَقِيَ لَكَ عَلَى ٱلنَّاسِ سَبِيلٌ. وَصَارَ ٱلنَّاسُ وَجَمِيعُ ٱلْحَاضِرِينَ يُثْنُونَ عَلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ وَيَدْعُونَ لَهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ قَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ مَا ٱلشَّطَارَةُ أَنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي وَأَحْضَرْتُ هٰذَا ٱلْكِيسَ وَإِنَّمَا ٱلشَّطَارَةُ فِي أَخْذِ هٰذَا ٱلْكِيسِ ثَانِيًا مِنْ هٰذَا ٱلْجُنْدِيِّ. فَقَالَ لَهُ ٱلْوَالِي: وَكَيْفَ فَعَلْتَ يَا شَاطِرُ حِينَ أَخَذْتَهُ. فَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ إِنِّي كُنْتُ فِي مِصْرَ فِي سُوقِ ٱلصَّيَارِفِ إِذْ رَأَيْتُ هٰذَا ٱلْجُنْدِيَّ لَمَّا صَرَفَ هٰذَا ٱلذَّهَبَ وَوَضَعَهُ فِي هٰذَا ٱلْكِيسِ فَتَبِعْتُهُ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى زُقَاقٍ فَلَمْ أَجِدْ لِي إِلَى أَخْذِ ٱلْمَالِ مِنْهُ سَبِيلًا. ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ فَتَبِعْتُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَصِرْتُ أَحْتَالُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ ٱلطَّرِيقِ فَمَا قَدَرْتُ عَلَى أَخْذِهِ مِنْهُ. فَلَمَّا دَخَلَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةَ تَبِعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ فِي هٰذَا ٱلْخَانِ. فَنَزَلْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَرَصَدْتُهُ حَتَّى نَامَ وَسَمِعْتُ غَطِيطَهُ. فَمَشَيْتُ إِلَيْهِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَقَطَعْتُ ٱلْخُرْجَ بِهٰذِهِ ٱلسِّكِّينِ وَأَخَذْتُ ٱلْكِيسَ هٰكَذَا. وَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَ ٱلْكِيسَ مِنْ بَيْنِ أَيَادِي ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ وَتَأَخَّرَ إِلَى خَلْفِ ٱلْوَالِي وَٱلْجُنْدِيِّ وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ

إِلَيْهِ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ يُرِيهِمْ كَيْفَ أَخَذَ ٱلْكِيسَ مِنَ ٱلْخُرْجِ. وَإِذَا بِهِ قَدْ جَرَى وَرَمَى نَفْسَهُ فِي بِرْكَةٍ. فَصَاحَ ٱلْوَالِي عَلَى حَاشِيَتِهِ وَقَالَ: ٱلْحَقُوهُ وَٱنْزِلُوا خَلْفَهُ. فَمَا نَزَعُوا ثِيَابَهُمْ وَنَزَلُوا فِي ٱلدَّرَجِ حَتَّى كَانَ ٱلشَّاطِرُ مَضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ وَفَتَّشُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ. وَذٰلِكَ لِأَنَّ أَزِقَّةَ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ كُلَّهَا تَنْفُذُ إِلَى بَعْضِهَا. وَرَجَعَ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يُحَصِّلُوا ٱلشَّاطِرَ. فَقَالَ ٱلْوَالِي لِلْجُنْدِيِّ: لَمْ يَبْقَ لَكَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ حَقٌّ لِأَنَّكَ عَرَفْتَ غَرِيمَكَ وَتَسَلَّمْتَ مَالَكَ وَمَا حَفِظْتَهُ. فَقَامَ ٱلْجُنْدِيُّ وَقَدْ ضَاعَ مَالُهُ وَخَلَصَتِ ٱلنَّاسُ مِنْ أَيْدِي ٱلْجُنْدِيِّ وَٱلْوَالِي (الف ليلة وليلة)

المأمون والصائغ

٢١٨ حَدَّثَ سُلَيْمَانُ ٱلْوَرَّاقُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَعْظَمَ حِلْمًا مِنَ ٱلْمَأْمُونِ. دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا وَفِي يَدِهِ فَصٌّ مُسْتَطِيلٌ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ لَهُ شُعَاعٌ قَدْ أَضَاءَ لَهُ ٱلْمَجْلِسُ وَهُوَ يُقَلِّبُهُ بِيَدِهِ وَيَسْتَحْسِنُهُ. ثُمَّ دَعَا بِرَجُلٍ صَائِغٍ وَقَالَ لَهُ: ٱصْنَعْ بِهٰذَا ٱلْفَصِّ كَذَا وَكَذَا وَأَحِلْ فِيهِ كَذَا وَكَذَا. وَعَرَّفَهُ كَيْفَ يَعْمَلُ بِهِ. فَأَخَذَهُ ٱلصَّائِغُ وَٱنْصَرَفَ. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ بَعْدَ ثَلَاثٍ فَتَذَكَّرَهُ فَٱسْتَدْعَى بِٱلصَّائِغِ. فَأُتِيَ بِهِ وَهُوَ يُرْعَدُ وَقَدِ ٱنْتُقِعَ لَوْنُهُ. فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ: مَا فَعَلْتَ بِٱلْفَصِّ. فَتَلَجْلَجَ ٱلرَّجُلُ وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلَامٍ. فَفَهِمَ ٱلْمَأْمُونُ بِٱلْفِرَاسَةِ أَنَّهُ حَصَلَ فِيهِ خَلَلٌ. فَوَلَّى وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى

سكَنَ جَأشُهُ ثُمَّ ٱلتَفَتَ إِلَيهِ وَأَعادَ ٱلقَولَ. فَقالَ: ٱلأَمانَ يا أَميرَ ٱلمُؤمِنينَ. قالَ: لَكَ ٱلأَمانُ. فَأَخرَجَ ٱلفَصَّ أَربَعَ قِطَعٍ وَقالَ: يا أَميرَ ٱلمُؤمِنينَ سَقَطَ مِن يَدي عَلَى ٱلسَّندانِ فَصارَ كَما تَرى. فَقالَ ٱلمَأمونُ: لا بَأسَ عَلَيكَ أَصنَعْ بِهِ أَربَعَ خَواتِمَ. وَأَلطَفَ لَهُ فِي ٱلكَلامِ حَتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ كانَ يَشتَهي ٱلفَصَّ عَلَى أَربَعِ قِطَعٍ. فَلَمَّا خَرَجَ ٱلرَّجُلُ مِن عِندِهِ قالَ: أَتَدرونَ كَم قيمَةُ هٰذا ٱلفَصِّ. قُلنا: لا. قالَ: ٱشتَراهُ ٱلرَّشيدُ بِمائَةِ أَلفٍ وَعِشرينَ أَلفًا

(للاتليدي)

حكاية نظام الملك وابي سعيد الصوفي

٢١٩ حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا يُقالُ لَهُ أَبو سَعيدٍ قَصَدَ نِظامَ ٱلمُلكِ فَقالَ لَهُ: يا أَميرَ ٱلمُؤمِنينَ أَنا أَبني لَكَ مَدرَسَةً بِبَغدادَ مَدينَةِ ٱلسَّلامِ لا يَكونُ في مَعمورِ ٱلأَرضِ مِثلُها يُخَلَّدُ بِها ذِكرُكَ إِلَى أَن تَقومَ ٱلسَّاعَةُ. قالَ: فَافعَلْ. فَكَتَبَ إِلَى وُكَلائِهِ بِبَغدادَ أَن يُمَكِّنوهُ مِنَ ٱلأَموالِ. فَٱبتاعَ بُقعَةً عَلى شاطِئِ دِجلَةَ وَخَطَّ ٱلمَدرَسَةَ ٱلنِّظامِيَّةَ وَبَناها أَحسَنَ بُنيانٍ وَكَتَبَ عَلَيها ٱسمَ نِظامِ ٱلمُلكِ. وَبَنى حَولَها أَسواقًا تَكونُ مُحبَسَةً عَلَيها وَٱبتاعَ ضِياعًا وَخاناتٍ وَحَمّاماتٍ وُقِفَت عَلَيها. فَكَمَلَت لِنِظامِ ٱلمُلكِ بِذٰلِكَ رِئاسَةٌ وَسُؤدُدٌ وَذِكرٌ جَميلٌ طَبَّقَ ٱلأَرضَ خَبَرُهُ. وَعَمَّ ٱلمَشارِقَ وَٱلمَغارِبَ أَثَرُهُ. وَكانَ ذٰلِكَ في سِنِي عَشرِ ٱلخَمسينَ وَأَربَعِمائَةٍ مِنَ ٱلهِجرَةِ.

ثُمَّ رفعَ حسابَ النَّفقاتِ إلى نظامِ الملكِ فبلغَ ما يقاربُ ستّينَ ألفَ دينارٍ . ثمّ نمى الخبرُ إلى نظامِ الملكِ من الكُتّابِ وأهلِ الحسابِ أنَّ جميعَ ما أنفقَ نحوُ تسعةِ آلافِ دينارٍ وأنَّ سائرَ الأموالِ احتجبَها لنفسِهِ وخانَكَ فيها . فدعاهُ نظامُ الملكِ إلى أصبهانَ للحسابِ . فلمّا أحسَّ أبو سعيدٍ بذلكَ أرسلَ إلى الخليفةِ أبي العبّاسِ يقولُ لهُ : هلْ لكَ في أنْ أطبقَ الأرضَ بذكرِكَ وأنشرَ لكَ فخرًا لا تمحوهُ الأيّامُ . قالَ : وما هوَ . قالَ : أنْ تمحوَ اسمَ نظامِ الملكِ عن هذهِ المدرسةِ وتكتبَ اسمكَ عليها وتزنَ لهُ ستّينَ ألفَ دينارٍ . فأرسلَ إليهِ الخليفةُ يقولُ : أنفذْ من يقبضُ المالَ . فلمّا استوثقَ منهُ مضى إلى أصبهانَ فقالَ لهُ نظامُ الملكِ : إنّكَ رفعتَ لنا نحوًا من ستّينَ ألفَ دينارٍ وأحبُّ أنْ تخرجَ الحسابَ . فقالَ لهُ أبو سعيدٍ : لا تطلِ الخطابَ إنْ رضيتَ فيها وإلّا محوتُ اسمكَ المكتوبَ عليها وكتبتُ عليها اسمَ غيرِكَ فأرسلْ معي من يقبضُ المالَ . فلمّا أحسَّ نظامُ الملكِ بذلكَ قالَ : يا شيخُ قد سوّغنا لكَ جميعَ ذلكَ ولا تمحُ اسمنا . ثمّ إنَّ أبا سعيدٍ بنى بتلكَ الأموالِ الرِّباطاتِ للصّوفيّةِ واشترى الضِّياعَ والخاناتِ والبساتينَ والدّورَ ووقفَ جميعَ ذلكَ على الصّوفيّةِ (للطرطوشي)

الباب السابع
في الفكاهات

٢٢٠ نظر بعض الحكماء إلى أحمق على حجر فقال: حجر على حجر (للابشيهي)

٢٢١ نظر رجل إلى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال له: ما تصنع. قال: أغسل حبشياً لعله يبيض (للمستعصمي)

٢٢٢ قال الحاجري يهجو طبيباً:

يمشي وعزرائيل من خلفه يشمر الأردان للقبض

٢٢٣ قيل إن رجلا ادعى النبوة في أيام أحد الملوك. فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي. قال: نعم. قال: وإلى من بعثت. قال: إليك. قال: أشهد أنك سفيه أحمق. قال: إنما يبعث لكل قوم مثلهم. فضحك الملك وأمر له بشيء (للابشيهي)

٢٢٤ ترك رجل النبيذ فقيل له: لم تركته وهو رسول السرور إلى القلب. فقال: ولكنه بئس الرسول. يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس (للشريشي)

٢٢٥ تنبأ إنسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة. فقال: إني أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب. قالوا: رضينا. فأخرج حصاة من جيبه وطرحها في الماء فذابت. فقالوا: هذه حيلة. نعطيك

حَصَاةٌ مِنْ عِنْدِنَا وَدَمْعُهَا تَذُوبُ . فَقَالَ : لَسْتُمْ أَجَلَّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَلَا أَعْظَمَ كَرَامَةً مِنْ مُوسَى . فَلَمْ يَقُلْ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : لَمْ أَرْضَ بِمَا تَفْعَلُهُ بِعَصَاكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ عَصًا مِنْ عِنْدِي تَجْعَلُهَا ثُعْبَانًا . فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَجَازَهُ (للابشيهي)

٢٢٦ سَرَقَ رَجُلٌ صُرَّةً مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ وَمَضَى حَتَّى أَتَى إِلَى ٱلْمَسْجِدِ فَدَخَلَ يُصَلِّي . فَقَرَأَ ٱلْإِمَامُ : وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . وَكَانَ ٱسْمَ ٱلْأَعْرَابِيِّ . فَقَالَ : لَا شَكَّ أَنَّكَ سَاحِرٌ . ثُمَّ رَمَى ٱلصُّرَّةَ وَخَرَجَ هَارِبًا (للقليوبي)

٢٢٧ قَالَ بَعْضُ ٱلْمُلُوكِ لِصَاحِبِ خَيْلِهِ : قَدِّمْ لِي ٱلْفَرَسَ ٱلْأَبْيَضَ . فَقَالَ لَهُ وَزِيرُهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَقُلِ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَبْيَضَ . فَإِنَّهُ عَيْبٌ يُخِلُّ بِهَيْبَةِ ٱلْمُلُوكِ وَلٰكِنِ ٱلْفَرَسَ ٱلْأَشْهَبَ . فَلَمَّا أُحْضِرَ ٱلطَّعَامُ قَالَ لِصَاحِبِ ٱلسِّمَاطِ : قَدِّمِ ٱلصَّحْنَ ٱلْأَشْهَبَ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : قُلْ مَا شِئْتَ فَمَا لِي حِيلَةٌ فِي تَقْوِيمِكَ (للابشيهي)

٢٢٨ نَظَرَ أَشْعَبُ إِلَى رَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا . فَقَالَ لَهُ : أَسْأَلُكَ بِٱللّٰهِ إِلَّا مَا زِدْتَ فِي سَعَتِهِ طَوْقًا أَوْ طَوْقَيْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ : مَا مَعْنَى ذٰلِكَ . قَالَ : لَعَلَّهُ أَنْ يُهْدَى إِلَيَّ يَوْمًا فِيهِ شَيْءٌ (للشريشي)

٢٢٩ كَانَ ٱلشَّيْخُ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلشَّيْخِ ٱلْكَرْمَانِيِّ شَاعِرًا عَلَى زِيِّ ٱلْفُقَرَاءِ عَلِيلَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَكَانَ يَصْنَعُ ٱلْأَكْحَالَ وَيَبِيعُ ٱلطَّالِبِينَ . فَٱشْتَرَى مِنْهُ أَحَدٌ يَوْمًا كُحْلًا بِدِرْهَمٍ وَرَأَى ٱلْمُشْتَرِي أَنَّ عَيْنَهُ عَلِيلَةٌ فَأَعْطَاهُ

درهمين وقال : هذا ثمن كحلك وهذا الآخر لك . اشترِ به أنت أيضاً كحلاً وكحل عينيك . فاستحسن الشيخ ذلك (لابن طقطقي)

الحجّاج والشيخ

٢٣٠ حُكِيَ أَنَّ ٱلْحَجَّاجَ خَرَجَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ لِلتَّنَزُّهِ فَصَرَفَ عَنْهُ أَصْحَابَهُ وَٱنْفَرَدَ بِنَفْسِهِ فَلَاقَى شَيْخًا مِنْ بَنِي عِجْلٍ فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَنْتَ يَا شَيْخُ . قَالَ : مِنْ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ . قَالَ : مَا رَأْيُكُمْ بِحُكَّامِ ٱلْبِلَادِ . قَالَ : كُلُّهُمْ أَشْرَارٌ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَخْتَلِسُونَ أَمْوَالَهُمْ . قَالَ : وَمَا قَوْلُكَ فِي ٱلْحَجَّاجِ . قَالَ : هٰذَا أَنْجَسُ ٱلْكُلِّ سَوَّدَ ٱللهُ وَجْهَهُ وَوَجْهَ مَنِ ٱسْتَعْمَلَهُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْبِلَادِ . فَقَالَ ٱلْحَجَّاجُ : تَعْرِفُ مَنْ أَنَا . قَالَ : لَا وَٱللهِ . قَالَ : أَنَا ٱلْحَجَّاجُ . قَالَ : أَنَا فِدَاكَ وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَنْ أَنَا . قَالَ : لَا . قَالَ : أَنَا زَيْدُ بْنُ عَامِرٍ مَجْنُونُ بَنِي عِجْلٍ أُصْرَعُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ . فَضَحِكَ ٱلْحَجَّاجُ وَأَجَازَهُ (لابن قتيبة)

الرشيد ومدّعي النبوءة

٢٣١ إِدَّعَى رَجُلٌ ٱلنُّبُوءَةَ فِي زَمَانِ ٱلرَّشِيدِ . فَلَمَّا أَحْضَرُوهُ قُدَّامَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَالَ لَهُ : لِكُلِّ نَبِيٍّ بَيِّنَةٌ تَدُلُّ عَلَى نُبُوءَتِهِ . فَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ دَلَائِلِكَ . قَالَ : ٱسْأَلْ مَا تُرِيدُ . قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُصَيِّرَ هٰؤُلَاءِ ٱلْمَمَالِيكَ ٱلْمُرْدَ كُلَّهُمْ بِلِحًى . فَأَطْرَقَ إِلَى ٱلْأَرْضِ سَاعَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : كَيْفَ يَحِلُّ أَنْ أُصَيِّرَ هٰؤُلَاءِ ٱلْمُرْدَ بِلِحًى وَأُغَيِّرَ هٰذِهِ ٱلصُّورَةَ ٱلْحَسَنَةَ وَلٰكِنْ أُصَيِّرُ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ بِلِحًى مُرْدًا فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ .

فَاسْتَحْسَنَ الرَّشِيدُ جَوَابَهُ وَعَفَا عَنْهُ (لابن طقطقي)

٢٣٢ يُقَالُ إِنَّ هَبَنَّقَةَ كَانَ يَرْعَى غَنَمَ أَهْلِهِ فَيَرْعَى السِّمَانَ فِي الْعُشْبِ وَيُنَحِّي الْمَهَازِيلَ. فَقِيلَ لَهُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَعُ. فَقَالَ: لَا أُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ اللّٰهُ وَلَا أُفْسِدُ مَا أَصْلَحَ اللّٰهُ (لطائف العرب)

المعتصم وابن الجنيد

٢٣٣ كَانَ الْمُعْتَصِمُ يَأْنَسُ بِعَلِيِّ بْنِ الْجُنَيْدِ الْإِسْكَافِيِّ. وَكَانَ عَجِيبَ الصُّورَةِ وَالْحَدِيثِ. فَقَالَ الْمُعْتَصِمُ لِابْنِ حَمَّادٍ: اذْهَبْ إِلَى ابْنِ الْجُنَيْدِ وَقُلْ لَهُ يَتَهَيَّأُ لِيُزَامِلَنِي. فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: تَهَيَّأْ لِمُزَامَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ مُزَامَلَةَ الْخُلَفَاءِ كَبِيرَةٌ. فَقَالَ: كَيْفَ أَتَهَيَّأُ لَهَا. أُصِيبُ رَأْسًا غَيْرَ رَأْسِي. أَشْتَرِي لِحْيَةً غَيْرَ لِحْيَتِي. قَالَ ابْنُ حَمَّادٍ: شُرُوطُهَا الْإِمْتَاعُ بِالْحَدِيثِ وَالْمُذَاكَرَةِ وَالْمُنَادَمَةِ. وَأَنْ لَا تَبْصُقَ وَلَا تَسْعُلَ وَلَا تَمْخُطَ وَلَا تَتَنَحْنَحَ. وَأَنْ تَتَقَدَّمَ فِي الرُّكُوبِ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ مِنَ الْمَيْلِ وَأَنْ يَتَقَدَّمَكَ فِي النُّزُولِ. فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ هٰذَا الْمُعَادِلُ كَانَ وَمُثَقَّلَةُ الرَّصَاصِ الَّتِي يُعَدَّلُ بِهَا الْقُبَّةُ وَاحِدًا. فَقَالَ لِابْنِ حَمَّادٍ: اذْهَبْ قُلْ لَهُ: لَا يُزَامِلُكَ إِلَّا مَنْ كَانَ دَنِيءَ الْأَصْلِ. فَرَجَعَ إِلَى الْمُعْتَصِمِ وَأَعْلَمَهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: عَلَيَّ بِهِ. فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عَلِيُّ أَبْعَثُ إِلَيْكَ أَنْ تُزَامِلَنِي فَلَا تَفْعَلُ. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَكَ هٰذَا الْأَزْعَرَ جَاءَنِي بِشُرُوطِ حَسَّانَ الشَّامِيِّ وَخَالَوَيْهِ الْحَاكِمِيِّ. فَقَالَ: لَا تَبْصُقْ وَلَا تَعْطِسْ. وَجَعَلَ يُفَرْقِعُ بِصَادَاتِهِ وَهٰذَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ. فَإِنْ رَضِيتَ أَنْ أُزَامِلَكَ إِذَا أَتَتْنِي

العطشة عطشت وإلا فليس بيني وبينك عمل. فضحك المعتصم حتى فحص برجليه وقال: نعم زاملني على هذه الشروط (للشريشي)

الضيف المضجر الممل

٢٣٤ أضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه. فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه. فقالت له: ألق بيننا شرا حتى نتحاكم إليه. ففعل. فقالت المرأة للضيف: بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم. فقال: والذي يبارك لي في قيامي عندكم شهرا ما أعلم

البصري والمدني

٢٣٥ نزل بصري على مدني وكان صديقا له. فألح عليه في الجلوس فقال المدني لامرأته: إذا كان يوم غد فإني أقول لضيفنا: كم ذراع يقفز فأقفز. فإذا قفز فأغلقي الباب خلفه. فلما كان الغد قال المدني: كم قفزك يا أبا فلان. قال: جيد. فعرض عليه أن يقفز معه فأجابه. فوثب المدني من داره إلى خارج أذرعا. وقال للضيف: ثب أنت. فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين. فقال له: وثبت أنا إلى خارج الدار أذرعا وأنت إلى داخلها ذراعين. فقال الضيف: ذراعان في الدار خير من أربع إلى خارج (للمبرد)

الشاعر والمأمون

٢٣٦ أتى شاعر المأمون فقال: لقد قلت فيك شعرا. فقال:

أَنشِدْنِيهِ. فَقَالَ:

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا · إِذْ بِجَمَالِ ٱلْوَجْهِ رَقَّاكَا
بَغْدَادُ مِنْ نُورِكَ قَدْ أَشْرَقَتْ · وَأَوْرَقَ ٱلْعُودُ بِجَدْوَاكَا

(قَالَ) فَأَطْرَقَ ٱلْمَأْمُونُ سَاعَةً وَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ وَأَنَا قَدْ قُلْتُ فِيكَ شِعْرًا وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

حَيَّاكَ رَبُّ ٱلنَّاسِ حَيَّاكَا · إِنَّ ٱلَّذِي أَمَّلْتَ أَخْطَاكَا
أَتَيْتَ شَخْصًا قَدْ خَلَا كِيسُهُ · وَلَوْ حَوَى شَيْئًا لَأَعْطَاكَا

فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلشِّعْرُ بِٱلشِّعْرِ حَرَامٌ. فَٱجْعَلْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا يُسْتَطَابُ. فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ (للاتليدي)

هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدوي

٢٣٧ مِمَّا يُحْكَى أَنَّ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ ٱلرَّشِيدَ خَرَجَ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ هُوَ وَأَبُو يَعْقُوبَ ٱلنَّدِيمُ وَجَعْفَرٌ ٱلْبَرْمَكِيُّ وَأَبُو نُوَاسٍ وَسَارُوا فِي ٱلصَّحْرَاءِ. فَرَأَوْا شَيْخًا مُتَّكِئًا عَلَى حِمَارٍ لَهُ فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ لِجَعْفَرٍ: ٱسْأَلْ هٰذَا ٱلشَّيْخَ مِنْ أَيْنَ هُوَ. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: مِنْ أَيْنَ جِئْتَ. قَالَ: مِنَ ٱلْبَصْرَةِ. قَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: وَإِلَى أَيْنَ سَيْرُكَ. قَالَ: إِلَى بَغْدَادَ. قَالَ لَهُ: وَمَا تَصْنَعُ فِيهَا. قَالَ: أَلْتَمِسُ دَوَاءً لِعَيْنِي. فَقَالَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ: يَا جَعْفَرُ مَازِحْهُ. فَقَالَ: إِذَا مَازَحْتُهُ أَسْمَعُ مِنْهُ مَا أَكْرَهُ. فَقَالَ: بِحَقِّي عَلَيْكَ أَنْ تُمَازِحَهُ. فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلشَّيْخِ: إِنْ وَصَفْتُ لَكَ دَوَاءً يَنْفَعُكَ فَمَا ٱلَّذِي تُكَافِئُنِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ: ٱللّٰهُ تَعَالَى

يُكَافِئُكَ عَنِّي بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مُكَافَأَتِي. فَقَالَ: أَنْصِتْ إِلَيَّ حَتَّى أَصِفَ لَكَ هٰذَا ٱلدَّوَاءَ ٱلَّذِي لَا أَصِفُهُ لِأَحَدٍ غَيْرِكَ. فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ. فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: خُذْ لَكَ ثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ هُبُوبِ ٱلرِّيحِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ زَهْرِ ٱلْقَمَرِ وَثَلَاثَ أَوَاقٍ مِنْ نُورِ ٱلسِّرَاجِ. وَٱجْمَعِ ٱلْجَمِيعَ وَضَعْهَا فِي ٱلرِّيحِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ ضَعْهَا فِي هَاوُنٍ بِلَا قَعْرٍ وَدُقَّهَا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. فَإِذَا دَقَقْتَهَا فَضَعْهَا فِي جَفْنَةٍ مَشْقُوقَةٍ وَضَعِ ٱلْجَفْنَةَ فِي ٱلرِّيحِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ ٱسْتَعْمِلْ هٰذَا ٱلدَّوَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ عِنْدَ ٱلنَّوْمِ. وَٱسْتَمِرَّ عَلَى ذٰلِكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فَإِنَّكَ تُعَافَى إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى. فَلَمَّا سَمِعَ ٱلشَّيْخُ كَلَامَ جَعْفَرٍ قَالَ: لَا عَافَاكَ ٱللهُ يَا صَاقِعَ ٱلذَّقَنِ. خُذْ مِنِّي هٰذِهِ ٱللَّطْمَةَ مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى وَصْفِكَ هٰذَا ٱلدَّوَاءَ. وَبَادَرَهُ بِضَرْبَةٍ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ. فَضَحِكَ هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ حَتَّى ٱسْتَلْقَى وَأَمَرَ لِذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ (أَلْف لَيْلَةٍ وَلَيْلَة)

٢٣٨ قِيلَ لِغُلَامٍ: أَمَا يَكْسُوكَ مُعَلِّمُكَ. فَأَجَابَ: إِنَّ مُعَلِّمِي لَوْ كَانَ لَهُ بَيْتٌ مَمْلُوٌّ إِبَرًا وَجَاءَ يَعْقُوبُ وَمَعَهُ ٱلْأَنْبِيَاءُ شُفَعَاءُ وَٱلْمَلَائِكَةُ ضُمَنَاءُ يَسْتَعِيرُ مِنْهُ إِبْرَةً لِيَخِيطَ بِهَا ثَوْبَ ٱبْنِهِ يُوسُفَ ٱلَّذِي قُدَّ مَا أَعَارَهُ إِيَّاهَا فَكَيْفَ يَكْسُونِي. وَقَدْ نَظَمَ ذٰلِكَ مَنْ قَالَ:

لَوْ أَنَّ دَارَكَ أَنْبَتَتْ لَكَ وَٱحْتَشَتْ ... إِبَرًا يَضِيقُ بِهَا فِنَاءُ ٱلْمَنْزِلِ
وَأَتَاكَ يُوسُفُ يَسْتَعِيرُكَ إِبْرَةً ... لِيَخِيطَ قَدَّ قَمِيصِهِ لَمْ تَفْعَلِ

الطفيلي والناسك

٢٣٩ نَزَلَ رَجُلٌ بِصَوْمَعَةِ نَاسِكٍ فَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ أَرْبَعَةَ أَرْغِفَةٍ وَذَهَبَ لِيُحْضِرَ إِلَيْهِ عَدَسًا . فَحَمَلَهُ وَجَاءَ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ ٱلْخُبْزَ فَذَهَبَ فَأَتَى بِخُبْزٍ فَوَجَدَهُ قَدْ أَكَلَ ٱلْعَدَسَ . فَفَعَلَ مَعَهُ ذٰلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ . فَسَأَلَهُ ٱلنَّاسِكُ أَيْنَ مَقْصِدُهُ . قَالَ : إِلَى ٱلْأُرْدُنِّ . قَالَ : لِمَاذَا . قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ بِهَا طَبِيبًا حَاذِقًا أَسْأَلُهُ عَمَّا يُصْلِحُ مَعِدَتِي . فَإِنِّي قَلِيلُ ٱلشَّهْوَةِ لِلطَّعَامِ . فَقَالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : إِذَا ذَهَبْتَ وَأَصْلَحْتَ مَعِدَتَكَ فَلَا تَجْعَلْ رُجُوعَكَ عَلَيَّ وَقَالَ :

يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجَدْتَنَا نَحْنُ ٱلضُّيُوفُ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْمَنْزِلِ

الاعرابيان

٢٤٠ قِيلَ خَرَجَ أَعْرَابِيٌّ قَدْ وَلَّاهُ ٱلْحَجَّاجُ بَعْضَ ٱلنَّوَاحِي فَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً طَوِيلَةً . فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ وَرَدَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ مِنْ حَيِّهِ . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلطَّعَامَ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ جَائِعًا فَسَأَلَهُ عَنْ أَهْلِهِ وَقَالَ : مَا حَالُ ٱبْنِي عُمَيْرٍ . قَالَ : عَلَى مَا تُحِبُّ قَدْ مَلَأَ ٱلْأَرْضَ وَٱلْحَيَّ رِجَالًا وَنِسَاءً . قَالَ : فَمَا حَالُ أُمِّ عُمَيْرٍ . قَالَ : صَالِحَةٌ أَيْضًا . قَالَ : فَمَا حَالُ ٱلدَّارِ . قَالَ : عَامِرَةٌ بِأَهْلِهَا . قَالَ : وَكَلْبُنَا إِيقَاعُ . قَالَ : قَدْ مَلَأَ ٱلْحَيَّ نُبَاحًا . قَالَ : فَمَا حَالُ جَمَلِي زُرَيْقٍ . قَالَ : عَلَى مَا يَسُرُّكَ . (قَالَ) فَٱلْتَفَتَ إِلَى خَادِمِهِ وَقَالَ : ٱرْفَعِ ٱلطَّعَامَ . فَرَفَعَهُ وَلَمْ يَشْبَعِ ٱلْأَعْرَابِيُّ . ثُمَّ

أقبل عليه يسأله وقال: يا مبارك الناصية أعِدْ عليَّ ما ذكرت قال: سل عمّا بدا لك. قال: فما حال كلبي إيقاع. قال: مات. قال: وما الذي أماته. قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات. قال: أو مات جملي زريق. قال: نعم. قال: وما الذي أماته. قال: كثر نقل الماء إلى قبر أم عمير. قال: أو ماتت أم عمير. قال: نعم. قال: وما الذي أماتها. قال: كثرة بكائها على عمير. قال: أو مات عمير. قال: نعم. قال: وما الذي أماته. قال: سقطت عليه الدار. قال: أو سقطت الدار. قال: نعم. فقام له بالعصا ضاربًا. فولّى من بين يديه هاربًا (للابشيهي)

قصّة ابي دلامة والخليفة السفّاح

٢٤١ قيل إنّ أبا دلامة الشاعر كان واقفًا بين يدي السفّاح في بعض الأيام فقال له الخليفة: سلني حاجتك. فقال له أبو دلامة: أريد كلب صيد. فقال: أعطوه إيّاه. فقال: وأريد دابّة أتصيّد عليها. قال: أعطوه إيّاها. قال: وغلامًا يقود الكلب ويصيد به. قال: أعطوه غلامًا. قال: وجارية تصلح الصيد وتطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك. فلا بدّ لهم من دار يسكنونها. فقال: أعطوه دارًا تجمعهم. قال: وإن لم يكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون. قال: قد أقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة. قال: وما الغامرة يا أمير

الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: مَا لَا نَبَاتَ فِيهَا. قَالَ: قَدْ أَقْطَعْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِائَةَ ضَيْعَةٍ غَامِرَةٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أَسَدٍ. فَضَحِكَ مِنْهُ وَقَالَ: اجْعَلُوهَا كُلَّهَا عَامِرَةً (للاتليدي)

٢٤٢ يُحْكَى أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِ الْبُخَلَاءِ: إِنَّ لِكُلِّ رَئِيسٍ عَلَامَةً يَنْصَرِفُ بِهَا نُدَمَاؤُهُ. فَمَا عَلَامَتُكَ. قَالَ: إِذَا قُلْتُ: يَا غُلَامُ هَاتِ الطَّعَامَ (للنواجي)

المأمون والطفيلي

٢٤٣ رَوَى ابْنُ عَامِرٍ الْفِهْرِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ: أَمَرَ الْمَأْمُونُ أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَشَرَةُ رِجَالٍ كَانُوا قَدْ رُمُوا عِنْدَهُ بِالزَّنْدَقَةِ فَحُمِلُوا إِلَيْهِ. فَمَرَّ بِهِمْ طُفَيْلِيٌّ فَرَآهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَّ خَيْرًا وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى السَّاحِلِ وَقَالَ: مَا اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِوَلِيمَةٍ. فَانْسَلَّ وَدَخَلَ الزَّوْرَقَ وَقَالَ: لَا شَكَّ أَنَّهَا نُزْهَةٌ. فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا يَسِيرٌ حَتَّى قَيَّدُوا الْقَوْمَ وَقُيِّدَ مَعَهُمْ. فَعَلِمَ أَنَّهُ وَقَعَ فِيمَا لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ وَرَامَ الْخَلَاصَ فَلَمْ يَقْدِرْ. وَسَارُوا إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى بَغْدَادَ وَأُدْخِلُوا عَلَى الْمَأْمُونِ. فَاسْتَدْعَى بِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وَجَعَلَ يَذْكُرُهُ بِفِعْلِهِ وَبِقَوْلِهِ وَيَضْرِبُ عُنُقَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا الطُّفَيْلِيُّ. وَفَرَغَتِ الْعَشَرَةُ فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلْمُتَوَكِّلِ: مَنْ هٰذَا. فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَنَّا رَأَيْنَاهُ مَعَهُمْ فَجِئْنَا بِهِ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَعْرِفْ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْئًا وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُمْ مُجْتَمِعِينَ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا وَلِيمَةٌ

يُدْعَوْنَ إِلَيْهَا فَلَحِقْتُ بِهِمْ. فَضَحِكَ ٱلْمَأْمُونُ وَقَالَ: أَوَقَدْ بَلَغَ مِنْ شُؤْمِ ٱلتَّطَفُّلِ أَنْ يَحُلَّ بِصَاحِبِهِ هٰذَا ٱلْمَحَلَّ. لَقَدْ سَلِمَ هٰذَا ٱلْجَاهِلُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلٰكِنْ يُؤَدَّبُ حَتَّى لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِهَا (للاتليدي)

اللصان والحمار

٢٤٤ قِيلَ إِنَّ لِصَّيْنِ سَرَقَا حِمَارًا وَمَضَى أَحَدُهُمَا لِيَبِيعَهُ. فَقَابَلَهُ رَجُلٌ مَعَهُ طَبَقٌ فِيهِ سَمَكٌ فَقَالَ لَهُ: أَتَبِيعُ هٰذَا ٱلْحِمَارَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ لَهُ: أَمْسِكْ هٰذَا ٱلطَّبَقَ حَتَّى أَرْكَبَهُ وَأُجَرِّبَهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي ٱشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ يُعْجِبُكَ. فَأَمْسَكَ ٱللِّصُّ ٱلطَّبَقَ وَرَكِبَ ٱلرَّجُلُ ٱلْحِمَارَ وَأَخَذَ يُرَدِّدُهُ وَيُجْرِيهِ ذَهَابًا وَإِيَابًا حَتَّى ٱبْتَعَدَ عَنِ ٱللِّصِّ كَثِيرًا. فَدَخَلَ بَعْضَ ٱلْأَزِقَّةِ وَمَا زَالَ يَقْطَعُ بِهِ مِنْ زُقَاقٍ إِلَى آخَرَ حَتَّى ٱخْتَفَى عَنْهُ بِٱلْكُلِّيَّةِ. فَأَخَذَتِ ٱللِّصَّ ٱلْحَيْرَةُ مِنْ ذٰلِكَ وَعَرَفَ أَخِيرًا أَنَّهَا حِيلَةٌ عَلَيْهِ. فَرَجَعَ بِٱلطَّبَقِ فَٱلْتَقَاهُ رَفِيقُهُ فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ بِٱلْحِمَارِ هَلْ بِعْتَهُ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: بِكَمْ. قَالَ: بِرَأْسِ مَالِهِ وَهٰذَا ٱلطَّبَقُ رِبْحٌ. فَقَالَ مُتَمَثِّلًا:

وَكَمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَٱصْطِيدَ وَلَمْ يَلْقَ غَيْرَ خُفَّيْ حُنَيْنِ

القاضي والتاجر

٢٤٥ كَانَ ٱلْقَاضِي ٱبْنُ حَدِيدٍ نَاظِرَ ٱلدِّيوَانِ بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَقَاضِيَهَا. فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي ٱلدِّيوَانِ أَحْضَرَ ٱلتَّرْجُمَانُ بَعْضَ تُجَّارِ ٱلْفِرَنْجِ ٱلْوَاصِلِينَ وَلِحْيَتُهُ مَحْلُوقَةٌ وَشَوَارِبُهُ سَالِمَةٌ. وَكَانَ ٱبْنُ حَدِيدٍ لَهُ لِحْيَةٌ طَوِيلَةٌ وَشَوَارِبُهُ خَفِيفَةٌ لَا تَكَادُ أَنْ تَتَبَيَّنَ

إلَّا مِنْ قُرْبٍ . فَسأَلَ ٱبْنُ حَدِيدٍ ٱلتَّاجِرَ عَنْ بِضَاعَتِهِ وَبَلَدِهِ وَٱلتَّرْجُمَانُ يُفَسِّرُ لَهُ . ثُمَّ قَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ لِأَيِّ مَعْنًى حَلَقْتَ لِحْيَتَكَ وَتَرَكْتَ شَوَارِبَكَ . فَسَأَلَهُ ٱلتَّرْجُمَانُ عَنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ ٱلْفَرَنْجِيُّ : قُلْ لِلْقَاضِي إِنَّ ٱلْأَسَدَ بِشَوَارِبَ بِلَا لِحْيَةٍ . وَٱلتَّيْسَ بِلِحْيَةٍ بِلَا شَوَارِبَ . فَخَجِلَ ٱلْقَاضِي وَٱنْقَطَعَ عَنْ رَدِّ ٱلْجَوَابِ (للقليوبي)

٢٤٦ كَانَ أَبُو دُلَامَةَ مَعَ أَبِي مُسْلِمٍ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ . فَدَعَا رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَعْدَاءِ إِلَى ٱلْبِرَازِ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ لِأَبِي دُلَامَةَ : ٱخْرُجْ إِلَيْهِ . فَأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَلَا لَا تَلُمْنِي إِنْ فَرَرْتُ فَإِنَّنِي   أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحَطَّمَا
فَلَوْ أَنَّنِي فِي ٱلسُّوقِ أَبْتَاعُ مِثْلَهَا   وَجَدِّكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا

فَضَحِكَ أَبُو مُسْلِمٍ وَأَعْفَاهُ (للاصبهاني)

٢٤٧ كَانَ لِلْفَرَزْدَقِ نَدِيمٌ يُسَمَّى زِيَادًا ٱلْأَقْطَعَ . فَأَتَى بَابَهُ فَخَرَجَ ٱبْنٌ لَهُ صَغِيرٌ فَقَالَ لَهُ : ٱبْنُ مَنْ أَنْتَ . قَالَ : ٱبْنُ ٱلْفَرَزْدَقِ . قَالَ : فَمَا بَالُكَ حَبَشِيًّا . قَالَ : فَمَا بَالُ يَدِكَ مَقْطُوعَةً . قَالَ : قُطِعَتْ فِي حَرْبِ ٱلْحَرُورِيَّةِ . قَالَ : بَلْ قُطِعَتْ فِي ٱللُّصُوصِيَّةِ . فَقَالَ : عَلَيْكَ وَعَلَى أَبِيكَ لَعْنَةُ ٱللهِ . ثُمَّ أَخْبَرَ ٱلْفَرَزْدَقَ بِٱلْخَبَرِ . فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّهُ ٱبْنِي حَقًّا

٢٤٨ قُدِّمَ لِأَعْرَابِيٍّ كَامَخٌ (وَهُوَ أَكْلَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱللَّبَنِ) فَلَمْ يَسْتَطِبْهُ . وَأَكَلَ مِنْهُ شَيْئًا وَخَرَجَ وَدَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ وَٱلْإِمَامُ فِي ٱلصَّلَاةِ يَقْرَأُ : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنْزِيرِ . فَقَالَ

ٱلْأَعْرَابِيُّ : وَٱلْكَامِخَ لَا تَنْسَهُ أَصْلَحَكَ ٱللهُ

٢٤٩ مَرَّ ٱبْنُ حَمَامَةَ بِٱبْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ جَالِسٌ بِفِنَاءِ بَيْتِهِ . فَقَالَ : ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالَ : قَدْ قُلْتَ مَا لَا يُنْكَرُ . قَالَ : خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي بِغَيْرِ زَادٍ . قَالَ : مَا ضَمِنْتُ لِأَهْلِكَ قِرَاكَ . قَالَ : أَفَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ ظِلَّ بَيْتِكَ . قَالَ : دُونَكَ ٱلْجَبَلَ يَفِيءُ عَلَيْكَ . قَالَ : أَنَا ٱبْنُ حَمَامَةَ . قَالَ : ٱنْصَرِفْ وَكُنِ ٱبْنَ أَيِّ طَائِرٍ شِئْتَ

المتشوّق الى الحرب

٢٥٠ قَالَ أَفْلَحُ ٱلتُّرْكِيُّ : خَرَجْنَا مَرَّةً إِلَى حَرْبٍ لَنَا وَمَعَنَا رَجُلٌ كَانَ يَقُولُ : أَنَا أَتَمَنَّى أَنْ أَرَى ٱلْحَرْبَ كَيْفَ هِيَ . فَأَخْرَجْنَاهُ مَعَنَا فَأَوَّلُ سَهْمٍ جَاءَ وَقَعَ فِي رَأْسِهِ . فَلَمَّا ٱنْصَرَفْنَا دَعَوْنَا لَهُ مُعَالِجًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنْ خَرَجَ ٱلزُّجُّ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ مَاتَ . وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ دِمَاغِهِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَأْسٌ . فَسَبَقَ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : بَشَّرَكَ ٱللهُ بِخَيْرٍ ٱنْزَعْهُ فَمَا فِي رَأْسِي دِمَاغٌ . فَقَالَ ٱلطَّبِيبُ : وَكَيْفَ ذٰلِكَ . قَالَ : لَوْ كَانَ فِي ذَرَّةٌ مِنْ دِمَاغٍ مَا كُنْتُ هٰهُنَا (للشريشي)

٢٥١ ٱخْتَلَفَ أَعْرَابِيَّانِ فِي رَجُلٍ فَقَالَ ٱلْأَوَّلُ : مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَقَالَ ٱلثَّانِي : بَلْ مِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَمَرَّ بِهِمَا بَاقِلُ ٱلرَّبْعِيُّ . فَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : أَلْقُوهُ فِي ٱلْمَاءِ فَإِنْ رَسَبَ فَهُوَ مِنْ بَنِي رَاسِبٍ . وَإِنْ طَفَا فَمِنْ بَنِي طُفَاوَةَ . فَضُرِبَ ٱلْمَثَلُ فِي حُكْمِهِ (للقليوبي)

٢٥٢ أَعْرَابِيٌّ لَقِيَ آخَرَ فَقَالَ : مَا ٱسْمُكَ . قَالَ : فَيْضٌ . فَقَالَ :

ٱبْنُ مَنْ. قَالَ: ٱبْنُ ٱلْفُرَاتِ. قَالَ: أَبُو مَنْ. قَالَ: أَبُو بَحْرٍ.
قَالَ: لَيْسَ لَنَا أَنْ نُكَلِّمَكَ إِلَّا فِي زَوْرَقٍ (للشريشي)

الراعي والجرّة

٢٥٣ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ لِأَحَدِ ٱلْأَغْنِيَاءِ رَاعٍ يَرْعَى غَنَمًا فِي إِحْدَى ٱلْبَرَارِي. وَكَانَ قَدْ عَيَّنَ لَهُ مَعَاشًا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلسَّمْنِ. فَكَانَ ٱلرَّاعِي يُبْقِي ٱلسَّمْنَ وَيَدَّخِرُهُ فِي جَرَّةٍ لَهُ كَانَتْ مُعَلَّقَةً فِي كُوخِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي كُوخِهِ عِنْدَ غُرُوبِ ٱلشَّمْسِ. وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَصَاهُ. أَخَذَ يُفَكِّرُ بِمَا يَعْمَلُهُ فِيمَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلسَّمْنِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي سَأَذْهَبُ بِهِ غَدًا إِلَى ٱلسُّوقِ وَأَبِيعُهُ وَأَشْتَرِي بِثَمَنِهِ نَعْجَةً حَامِلًا فَتَضَعُ لِي نَعْجَةً أُخْرَى. ثُمَّ تَكْبَرُ هٰذِهِ وَتَلِدُ لِي مَعَ أُمِّهَا نِعَاجًا أُخَرَ وَهٰكَذَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ عِنْدِي قَطِيعٌ كَبِيرٌ. فَأَرُدُّ مَا عِنْدِي مِنَ ٱلْغَنَمِ إِلَى صَاحِبِهِ وَأَتَّخِذُ لِي أَجِيرًا يَرْعَى غَنَمِي. وَأَبْتَنِي لِي قَصْرًا عَظِيمًا فَأُزَيِّنُهُ بِٱلْمَفْرُوشَاتِ ٱلْحَسَنَةِ وَٱلْأَوَانِي ٱلْمُرَصَّعَةِ وَٱلْمَنْقُوشَاتِ ٱلْبَهِجَةِ. وَمَتَى بَلَغَ رُشْدُ وَلَدِي أُحْضِرُ لَهُ مُعَلِّمًا أَدِيبًا حَكِيمًا يُعَلِّمُهُ ٱلْأَدَبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَآمُرُهُ بِطَاعَتِي وَٱحْتِرَامِي. فَإِنِ ٱمْتَثَلَ وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْعَصَا. وَرَفَعَ يَدَهُ بِعَصَاهُ فَأَصَابَتِ ٱلْجَرَّةَ فَكَسَرَتْهَا. فَسَقَطَ ٱلسَّمْنُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ وَثِيَابِهِ مُتَبَدِّدًا فِي كُلِّ جِهَةٍ. فَحَزِنَ لِذٰلِكَ حُزْنًا عَظِيمًا قَائِلًا: لَعَلَّ هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يُصْغِي إِلَى تَخَيُّلَاتِهِ

٢٥٤ حُكِيَ أَنَّ جُحَى قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ وَهٰذَا ٱلرَّجُلُ جَارُهُ:

هَلْ سَمِعْتَ يَا أَخِي ٱلْبَارِحَةَ صُرَاخَنَا. فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ. وَأَيُّ شَيْءٍ نَزَلَ بِكُمْ. قَالَ لَهُ: سَقَطَ ثَوْبِي مِنْ أَعْلَى ٱلسَّطْحِ إِلَى ٱلْأَرْضِ. فَقَالَ لَهُ: وَإِذَا سَقَطَ مَا ٱلَّذِي يَضُرُّهُ. قَالَ لَهُ: يَا أَحْمَقُ لَوْ كُنْتُ فِيهِ أَلَسْتُ كُنْتُ أَتَكَسَّرُ وَأَمُوتُ (القليوبي)

المنصور وابن هرمة

٢٥٥ دَخَلَ ٱبْنُ هَرْمَةَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ وَٱمْتَدَحَهُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ: تَكْتُبُ إِلَى عَامِلِكَ بِٱلْمَدِينَةِ أَنَّهُ إِذَا وَجَدَنِي سَكْرَانَ لَا يَحُدُّنِي. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَنْصُورُ: هٰذَا حَدٌّ لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ. فَقَالَ: مَا لِي حَاجَةٌ غَيْرُهَا. فَقَالَ لِكَاتِبِهِ: ٱكْتُبْ إِلَى عَامِلِنَا بِٱلْمَدِينَةِ. مَنْ أَتَاكَ بِٱبْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ سَكْرَانُ فَٱجْلِدْهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَٱجْلِدِ ٱلَّذِي جَاءَ بِهِ مِائَةً. فَكَانَ ٱلشُّرْطَةُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَكْرَانُ وَيَقُولُونَ: مَنْ يَشْتَرِي ثَمَانِينَ بِمِائَةٍ. فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَتْرُكُونَهُ (للاتليدي)

٢٥٦ قَالَ هِلَالُ ٱلرَّائِي وَهُوَ هِلَالُ بْنُ عَطِيَّةَ لِبَشَّارٍ ٱلشَّاعِرِ وَكَانَ لَهُ صَدِيقًا يُمَازِحُهُ: إِنَّ ٱللّٰهَ لَمْ يُذْهِبْ بَصَرَ أَحَدٍ إِلَّا عَوَّضَهُ بِشَيْءٍ. فَمَا عَوَّضَكَ. قَالَ: ٱلطَّوِيلَ ٱلْعَرِيضَ. قَالَ: وَمَا هٰذَا. قَالَ: أَنْ لَا أَرَاكَ وَلَا أَمْثَالَكَ مِنَ ٱلثُّقَلَاءِ (للاصبهاني)

حكاية بشار الطفيلي

٢٥٧ حُكِيَ عَنْ بَشَّارٍ ٱلطُّفَيْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رَحَلْتُ يَوْمًا إِلَى ٱلْبَصْرَةِ فَلَمَّا دَخَلْتُهَا قِيلَ لِي: إِنَّ هُنَا عَرِيفًا لِلطُّفَيْلِيِّينَ يَبَرُّهُمْ وَيَكْسُوهُمْ

ويرشدهم إلى الأعمال ويقاسمهم . فسرت إليه فبرني وكساني وأقمت عنده ثلاثة أيام . وله جماعة يصيرون إليه بالزلات فيأخذ النصف ويعطيهم النصف . فوجهني معهم في اليوم الرابع فحصلت في وليمة فأكلت وأزلت معي شيئاً كثيراً . وجئته به فأخذ النصف وأعطاني النصف فبعت ما وقع لي بدراهم . فلم أزل على هذه الحالة أياماً . ثم دخلت يوماً على عرس جليل فأكلت وخرجت بزلة حسنة . فلقيني إنسان فاشتراها بدينار فأخذته وكتمته وكتمت أمرها . فدعا جماعة من الطفيليين فقال : إن هذا البغدادي قد خان . فظن أني لا أعلم ما فعل . فأصفعوه وعرفوه ما كتمنا . فأجلسوني شئت أم أبيت وما زالوا يصفعوني واحداً بعد واحد . فيصفعني الأول منهم ويشم يدي ويقول : أكل مضيرة . ويصفعني الآخر ويشم يدي ويقول : أكل كذا . ويصفعني الآخر . حتى ذكروا كل شيء أكلته ما غلطوا بشيء منه . ثم صفعني شيخ منهم صفعة عظيمة وقال : باع الزلة بدينار . وصفعني آخر وقال : هات الدينار . فدفعته إليه وجردني من الثياب التي أعطانيها وقال : أخرج يا خائن في غير حفظ الله . فخرجت إلى بغداد وحلفت أن لا أقيم ببلد فيه طفيلية يعلمون الغيب

كرم معن بن زائدة

٢٥٨ حكي في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : أحملني

أيّها الأمير. فأمر له بناقةٍ وفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ. ثمّ قال له: لو علمتُ أنّ الله خلق مركوبًا غير هذا لحملتك عليه. وقد أمرنا لك من الخزّ بجبّةٍ وقميصٍ ودرّاعةٍ وسراويل وعمامةٍ ومنديلٍ ومطرفٍ ورداءٍ وكساءٍ وجوربٍ وكيسٍ. ولو علمنا لباسًا غير هذا من الخزّ لأعطيناكه. ثمّ أمر بإدخاله إلى الخزانة وصبّ تلك الخلع عليه

طُفَيلي ومسافر

٢٥٩ صحب طفيليّ رجلًا في سفرٍ. فلمّا نزلوا ببعض المنازل قال له الرجل: خذ درهمًا وامض اشترِ لنا لحمًا. فقال له الطفيليّ: قم أنت والله إنّي لتعبٌ فاشترِ أنت. فمضى الرجل فاشتراه. ثمّ قال له الرجل: قم فاطبخه. فقال: لا أحسن. فقام الرجل فطبخه. ثمّ قال الرجل للطفيليّ: قم فاثرد. فقال: والله إنّي لكسلان. فثرد ثمّ قال له: قم فاغترف. قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي. فغرف الرجل حتّى ارتوى الثريد. فقال له: قم الآن فكل. قال: نعم إلى متى هذا الخلاف قد والله استحيت من كثرة خلافك. وتقدّم فأكل (للشريشي

المهدي والاعرابي

٢٦٠ يُحكى أنّ المهديّ خرج يتصيّد. فغار به فرسه حتّى دخل إلى خباء أعرابيّ فقال: يا أعرابيّ هل من قرى. قال: نعم. فأخرج له قرص شعيرٍ فأكله. ثمّ أخرج له فضلةً من لبنٍ

فَسقاهُ. ثُمَّ أَتاهُ بِنبيذٍ في رَكْوَةٍ فَسقاهُ قَعْباً. فَلَمَّا شَرِبَ قالَ: يا أَخا الْعَرَبِ أَتدري مَنْ أَنا. قالَ: لا وَاللهِ. قالَ: أَنا مِنْ خَدَمِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ الْخاصَّةِ. قالَ لَهُ: بارَكَ اللهُ في مَوْضِعِكَ. ثُمَّ سقاهُ قَعْباً آخَرَ فَشَرِبَهُ فَقالَ: يا أَعْرابِيُّ أَتدري مَنْ أَنا. قالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ خَدَمِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ الْخاصَّةِ. قالَ: لا بَلْ أَنا مِنْ قُوَّادِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ. قالَ: رَحُبَتْ بِلادُكَ وَطابَ مُرادُكَ. ثُمَّ سقاهُ ثالِثاً فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قالَ: يا أَعْرابِيُّ أَتدري مَنْ أَنا. قالَ: زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ قُوَّادِ أَميرِ الْمُؤْمِنينَ. قالَ: لا وَلٰكِنِّي أَميرُ الْمُؤْمِنينَ. فَأَخَذَ الْأَعْرابِيُّ الرَّكْوَةَ وَأَوْكاها وَقالَ: وَاللهِ لَوْ شَرِبْتَ الرَّابِعَ لَادَّعَيْتَ أَنَّكَ رَسولُ اللهِ. فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ. وَأَحاطَتْ بِهِ الْخَيْلُ وَنَزَلَتْ إِلَيْهِ الْمُلوكُ وَالْأَشْرافُ فَطارَ قَلْبُ الْأَعْرابِيِّ فَقالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ: لا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلا خَوْفَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِكُسْوَةٍ وَمالٍ (للاتليدي)

ابو سلمة الطفيلي

٢٦١ كانَ بِالْبَصْرَةِ طُفَيْلِيٌّ يُكْنَى أَبا سَلَمَةَ. وَكانَ اذا بَلَغَهُ خَبَرُ وَليمَةٍ لَبِسَ لُبْسَ الْقُضاةِ وَأَخَذَ ابْنَيْهِ مَعَهُ وَعَلَيْهِما الْقَلانِسُ الطِّوالُ وَالطَّيالِسَةُ. فَيَتَقَدَّمُ أَحَدُهُما فَيَدُقُّ الْبابَ وَيَقولُ: افْتَحْ يا غُلامُ لِأَبي سَلَمَةَ. م لا يَلْبَثُ حَتَّى يَلْحَقَهُ الْآخَرُ فَيَقولُ: افْتَحْ وَيْلَكَ قَدْ جاءَ أَبو سَلَمَةَ. وَيَتْلوهُما. فَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُمُ الْبَوَّابُ فَتَحَ لَهُمْ وَإِنْ عَرَفَهُمْ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ. وَمَعَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ فِهْرٌ مُدَوَّرٌ يُسَمُّونَهُ كَيْسانَ.

فَيَنْتَظِرُونَ مَنْ دُعِيَ فَإِذَا جَاءَ وَفُتِحَ لَهُ طَرَحُوا ٱلْفِهْرَ فِي ٱلْعَتَبَةِ حَيْثُ يَدُورُ ٱلْبَابُ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى إِغْلَاقِهِ فَيَهْجُمُونَ وَيَدْخُلُونَ . فَأَكَلَ أَبُو سَلَمَةَ يَوْمًا عَلَى بَعْضِ ٱلْمَوَائِدِ لُقْمَةً حَارَّةً مِنْ فَالُوذَجٍ وَبَلَعَهَا بِشِدَّةِ حَرَارَتِهَا . فَتَجَمَّعَتْ أَحْشَاؤُهُ فَمَاتَ عَلَى ٱلْمَائِدَةِ (للشريشي)

حكاية باقل

٢٦٢ اَلْعَرَبُ تَقُولُ : أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ . وَمِنْ عِيِّهِ أَنَّهُ ٱشْتَرَى ظَبْيًا فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ فَسُئِلَ عَنْ ثَمَنِهِ فَحَلَّ عَنْهُ يَدَيْهِ وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ وَأَشَارَ بِهَا . وَأَخْرَجَ لِسَانَهُ يُرِيدُ أَنَّهُ بِأَحَدَ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَهَرَبَ ٱلظَّبْيُ . وَلَمْ يُلْهَمْ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ سَوْمِهِ بِلِسَانِهِ . وَلَمَّا عُيِّرَ بَاقِلٌ بِفِعْلِهِ قَالَ :

يَلُومُونَ فِي عِيِّهِ بَاقِلًا كَأَنَّ ٱلْحَمَاقَةَ لَمْ تُخْلَقِ
فَلَا تُكْثِرُوا ٱلْعَتْبَ فِي عِيِّهِ فَلَلْعِيُّ أَجْمَلُ بِٱلْأَمْوَقِ
خُرُوجُ ٱللِّسَانِ وَفَتْحُ ٱلْبَنَانِ أَخَفُّ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَنْطِقِ

اسحاق الموصلي وكلثوم العتّابي

٢٦٣ مِنْ طُرَفِ إِسْحَاقَ أَنَّ كُلْثُومًا ٱلْعَتَّابِيَّ كَانَ مِنَ ٱلْعِلْمِ وَغَزَارَةِ ٱلْأَدَبِ وَكَثْرَةِ ٱلْحِفْظِ وَٱلتَّرَسُّلِ وَٱلنَّظْمِ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فَحَضَرَ مَجْلِسَ ٱلْمَأْمُونِ فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَغَمَزَ إِسْحَاقَ بِٱلْعَبَثِ بِهِ فَأَقْبَلَ إِسْحَاقُ يُعَارِضُهُ فِي كُلِّ بَابٍ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِسْحَاقَ . فَقَالَ : أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي نِسْبَةِ هٰذَا ٱلرَّجُلِ

وَٱلسُّؤَالِ عَنِ ٱسْمِهِ . فَقَالَ : أَفْعَلُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : مَا ٱسْمُكَ وَمَنْ أَنْتَ . فَقَالَ: أَنَا مِنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْمِي كُلُ بَصَلٍ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : أَمَّا ٱلنِّسْبَةُ فَمَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا ٱلِٱسْمُ فَمُنْكَرٌ . فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ : مَا أَقَلَّ إِنْصَافَكَ أَوَ مَا كُلُ ثُومٍ مِنَ ٱلْأَسْمَاءِ . فَٱلْبَصَلُ أَطْيَبُ مِنَ ٱلثُّومِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ : قَاتَلَكَ ٱللهُ مَا أَمْلَحَكَ . مَا رَأَيْتُ كَٱلرَّجُلِ حَلَاوَةً . أَيَأْذَنُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي صِلَتِهِ بِمَا وَصَلَنِي فَقَدْ وَٱللهِ غَلَبَنِي . فَقَالَ ٱلْمَأْمُونُ : بَلْ ذٰلِكَ مَوْفُورٌ عَلَيْكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِثْلِهِ . فَٱنْصَرَفَ إِسْحَاقُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَادَمَهُ ٱلْعَتَّابِيُّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ (الاغاني)

٢٦٤ ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ دَلِيلٍ : مَرَرْتُ بِمُعَلِّمٍ يَضْرِبُ صَبِيًّا وَيَقُولُ : وَٱللهِ لَأَضْرِبَنَّكَ حَتَّى تَقُولَ لِي مَنْ حَفَرَ ٱلْبَحْرَ . فَقَالَ : أَعَزَّكَ ٱللهُ وَٱللهِ لَا أَدْرِي أَنَا مَنْ حَفَرَ ٱلْبَحْرَ فَقُلْ لِي حَتَّى أَتَعَلَّمَ أَنَا . فَقَالَ : حَفَرَ ٱلْبَحْرَ كُرْدُمُ أَبُو آدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (للشريشي)

جعفر والرشيدُ

٢٦٥ حُكِيَ أَنَّ ٱلرَّشِيدَ أَرِقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَرَقًا شَدِيدًا . فَٱسْتَدْعَى جَعْفَرًا وَقَالَ : أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تُزِيلَ مَا بِقَلْبِي مِنَ ٱلضَّجَرِ . فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ يَكُونُ عَلَى قَلْبِكَ ضَجَرٌ وَقَدْ خَلَقَ ٱللهُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تُزِيلُ ٱلْهَمَّ عَنِ ٱلْمَهْمُومِ وَٱلْغَمَّ عَنِ ٱلْمَغْمُومِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهَا . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : وَمَا هِيَ يَا جَعْفَرُ . فَقَالَ لَهُ : قُمْ بِنَا ٱلْآنَ حَتَّى نَطْلَعَ إِلَى فَوْقِ سَطْحِ هٰذَا ٱلْقَصْرِ فَنَتَفَرَّجَ عَلَى ٱلنُّجُومِ وَٱشْتِبَاكِهَا

وَٱرْتِفَاعِهَا وَٱلْقَمَرِ وَحُسْنِ طَلْعَتِهِ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : يَا جَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱفْتَحْ شُبَّاكَ ٱلْقَصْرِ ٱلَّذِي يُطِلُّ عَلَى ٱلْبُسْتَانِ وَتَفَرَّجْ عَلَى حُسْنِ تِلْكَ ٱلْأَشْجَارِ. وَٱسْمَعْ صَوْتَ تَغْرِيدِ ٱلْأَطْيَارِ . وَٱنْظُرْ إِلَى هَدِيرِ ٱلْأَنْهَارِ. وَشُمَّ رَوَائِحَ تِلْكَ ٱلْأَزْهَارِ. فَقَالَ: يَا جَعْفَرُ مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ. فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ : ٱفْتَحِ ٱلشُّبَّاكَ ٱلَّذِي يُطِلُّ عَلَى دِجْلَةَ حَتَّى تَتَفَرَّجَ عَلَى تِلْكَ ٱلْمَرَاكِبِ وَٱلْمَلَّاحِينَ . فَهٰذَا يُصَفِّقُ وَهٰذَا يُنْشِدُ مَوَالِيَ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ: مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ جَعْفَرٌ : قُمْ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ حَتَّى تَنْزِلَ إِلَى ٱلْإِصْطَبْلِ ٱلْخَاصِّ وَتَنْظُرَ إِلَى ٱلْخَيْلِ ٱلْعَرَبِيَّاتِ. وَتَتَفَرَّجَ عَلَى حُسْنِ أَلْوَانِهَا مَا بَيْنَ أَدْهَمَ كَٱللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ وَأَشْقَرَ وَأَشْهَبَ وَكُمَيْتٍ وَأَحْمَرَ وَأَبْيَضَ وَأَخْضَرَ وَأَبْلَقَ وَأَصْفَرَ وَأَلْوَانٍ تُحَيِّرُ ٱلْعُقُولَ . فَقَالَ ٱلرَّشِيدُ : مَا تَهُمُّ نَفْسِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَا بَقِيَ إِلَّا ضَرْبُ عُنُقِ مَمْلُوكِكَ جَعْفَرٍ فَإِنِّي وَٱللّٰهِ قَدْ عَجَزْتُ عَنْ إِزَالَةِ هَمِّ مَوْلَانَا . فَضَحِكَ ٱلرَّشِيدُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ وَزَالَ عَنْهُ كَرْبُهُ (للاتليدي)

الشيخ المحتال والمرأة

٢٦٦ حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْمُجَاوِرِينَ كَانَ لَا يَعْرِفُ ٱلْخَطَّ وَلَا ٱلْقِرَاءَةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَحْتَالُ عَلَى ٱلنَّاسِ بِحِيَلٍ يَأْكُلُ مِنْهَا ٱلْخُبْزَ . فَخَطَرَ بِبَالِهِ يَوْمًا مِنَ ٱلْأَيَّامِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ مَكْتَبًا . وَيُقْرِئَ فِيهِ ٱلصِّبْيَانَ فَجَمَعَ أَلْوَاحًا

وَأَوْرَاقاً مَكْتُوبَةً وَعَلَّقَهَا فِي مَكَانٍ وَكَبَّرَ عِمَامَتَهُ وَجَلَسَ عَلَى بَابِ ٱلْمَكْتَبِ . فَصَارَ ٱلنَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى عِمَامَتِهِ وَإِلَى ٱلْأَلْوَاحِ وَٱلْأَوْرَاقِ فَيَظُنُّونَ أَنَّهُ فَقِيهٌ جَيِّدٌ فَيَأْتُونَ إِلَيْهِ بِأَوْلَادِهِمْ . فَصَارَ يَقُولُ لِهٰذَا : ٱكْتُبْ . وَلِهٰذَا : ٱقْرَأْ . فَصَارَ ٱلْأَوْلَادُ يُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ فِي بَابِ ٱلْمَكْتَبِ عَلَى عَادَتِهِ وَإِذَا بِٱمْرَأَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ بَعِيدٍ وَبِيَدِهَا مَكْتُوبٌ . فَقَالَ فِي بَالِهِ : لَا بُدَّ أَنَّ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةَ تَقْصِدُنِي لِأَقْرَأَ لَهَا ٱلْمَكْتُوبَ ٱلَّذِي مَعَهَا فَكَيْفَ يَكُونُ عَمَلِي مَعَهَا وَأَنَا لَا أَعْرِفُ قِرَاءَةَ ٱلْخَطِّ . وَهَمَّ بِٱلنُّزُولِ لِيَهْرُبَ مِنْهَا . فَلَحِقَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ وَقَالَتْ لَهُ : إِلَى أَيْنَ . فَقَالَ لَهَا : أُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ ٱلظُّهْرَ وَأَعُودَ . فَقَالَتْ لَهُ : ٱلظُّهْرُ بَعِيدٌ فَٱقْرَأْ لِي هٰذَا ٱلْكِتَابَ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَصَارَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَهُزُّ عِمَامَتَهُ تَارَةً وَيُرَقِّصُ حَوَاجِبَهُ تَارَةً أُخْرَى وَيُظْهِرُ غَيْظاً . وَكَانَ زَوْجُ ٱلْمَرْأَةِ غَائِباً وَٱلْكِتَابُ مُرْسَلٌ إِلَيْهَا مِنْ عِنْدِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ ٱلْفَقِيهَ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : لَاشَكَّ أَنَّ زَوْجِي مَاتَ وَهٰذَا ٱلْفَقِيهُ يَسْتَحِي أَنْ يَقُولَ لِي إِنَّهُ مَاتَ . فَقَالَتْ لَهُ : يَاسَيِّدِي إِنْ كَانَ مَاتَ فَقُلْ لِي . فَهَزَّ رَأْسَهُ وَسَكَتَ . فَقَالَتْ لَهُ ٱلْمَرْأَةُ : هَلْ أَشُقُّ ثِيَابِي . فَقَالَ لَهَا : شُقِّي . فَقَالَتْ لَهُ : هَلْ أَلْطِمُ وَجْهِي . فَقَالَ لَهَا : ٱلْطِمِي . فَأَخَذَتِ ٱلْكِتَابَ مِنْ يَدِهِ وَعَادَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا وَصَارَتْ تَبْكِي هِيَ وَأَوْلَادُهَا . فَسَمِعَ بَعْضُ جِيرَانِهَا ٱلْبُكَاءَ فَسَأَلُوا عَنْ حَالِهَا فَقِيلَ لَهُمْ : إِنَّهُ جَاءَهَا

كِتَابٌ بِمَوْتِ زَوْجِهَا . فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هٰذَا كَلَامٌ كَذِبٌ لِأَنَّ زَوْجَهَا أَرْسَلَ لِي مَكْتُوبًا بِالْأَمْسِ يُخْبِرُ فِيهِ أَنَّهُ طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَأَنَّهُ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ يَكُونُ عِنْدَهَا . فَقَامَ مِنْ سَاعَتِهِ وَجَاءَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لَهَا : أَيْنَ الْكِتَابُ الَّذِي جَاءَكِ فَجَاءَتْ بِهِ إِلَيْهِ . فَأَخَذَهُ مِنْهَا وَقَرَأَهُ وَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي طَيِّبٌ بِخَيْرٍ وَعَافِيَةٍ وَبَعْدَ عَشَرَةِ أَيَّامٍ أَكُونُ عِنْدَكُمْ وَقَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَأَخَذَتِ الْكِتَابَ وَعَادَتْ بِهِ إِلَى الْفَقِيهِ وَقَالَتْ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي فَعَلْتَهُ مَعِي . وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ جَارُهَا مِنْ سَلَامَةِ زَوْجِهَا وَإِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِلْحَفَةً وَمِرْطًا . فَقَالَ لَهَا : صَدَقْتِ وَلٰكِنْ يَا حُرْمَةُ اعْذِرِينِي فَإِنِّي كُنْتُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مُغْتَاظًا مَشْغُولَ الْخَاطِرِ وَرَأَيْتُ الْمِرْطَ مَلْفُوفًا فِي الْمِلْحَفَةِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَاتَ وَكَفَّنُوهُ . وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ لَا تَعْرِفُ الْحِيلَةَ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ مَعْذُورٌ . وَأَخَذَتِ الْكِتَابَ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ

المُغفَّل والشاطر

٢٦٧ إِنَّ بَعْضَ الْمُغَفَّلِينَ كَانَ سَائِرًا وَبِيَدِهِ مِقْوَدُ حِمَارِهِ وَهُوَ يَجُرُّهُ خَلْفَهُ . فَنَظَرَهُ رَجُلَانِ مِنَ الشُّطَّارِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَنَا آخُذُ هٰذَا الْحِمَارَ مِنْ هٰذَا الرَّجُلِ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَأْخُذُهُ . فَقَالَ لَهُ : اتْبَعْنِي وَأَنَا أُرِيكَ . فَتَبِعَهُ . فَتَقَدَّمَ ذٰلِكَ الشَّاطِرُ إِلَى الْحِمَارِ وَفَكَّ مِنْهُ الْمِقْوَدَ وَأَعْطَاهُ لِصَاحِبِهِ وَجَعَلَ الْمِقْوَدَ فِي رَأْسِهِ . وَمَشَى خَلْفَ الْمُغَفَّلِ حَتَّى عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ ذَهَبَ بِالْحِمَارِ ثُمَّ وَقَفَ فَجَرَّهُ الْمُغَفَّلُ

بالمقود فلم يمش . فالتفت إليه فرأى المقود في رأس رجل . فقال له : أي شيء أنت . فقال له : أنا حمارك ولي حديث عجيب . وهو أنه كان لي والدة عجوز صالحة جئت إليها في بعض الأيام وأنا سكران فقالت لي : يا ولدي تب إلى الله تعالى من هذه المعاصي . فأخذت العصا وضربتها بها فدعت علي فمسخني الله تعالى حمارا وأوقعني في يدك . فمكثت عندك هذا الزمان كله فلما كان هذا اليوم تذكرتني أمي وحن قلبها علي فدعت لي فأعادني الله آدميا كما كنت . فقال الرجل : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم . بالله عليك يا أخي أن تجعلني في حل مما فعلت بك من الركوب وغيره . ثم خلى سبيله فمضى ورجع صاحب الحمار إلى داره وهو سكران من الهم والغم فقالت له زوجته : ما الذي دهاك وأين الحمار . فقال لها : أنت ما عندك خبر بأمر الحمار فأنا أخبرك به . ثم حكى لها الحكاية . فقالت : يا ويلتنا من الله تعالى كيف مضى لنا هذا الزمان كله ونحن نستخدم ابن آدم . ثم تصدقت واستغفرت وجلس الرجل في الدار مدة من غير شغل . فقالت له زوجته : إلى متى هذا القعود في البيت من غير شغل امض إلى السوق واشتر حمارا واشتغل عليه . فمضى إلى السوق ووقف ينظر إلى الحمير فإذا هو بحماره يباع . فلما عرفه تقدم إليه ووضع فمه على أذنه وقال له : ويلك يا مشؤوم أظنك رجعت إلى السكر وضربت أمك . والله لن أشتريك أبدا (الف ليلة وليلة)

الْبَابُ الثَّامِنُ
فِي النَّوَادِرِ

٢٦٨ كَانَ عُمَرُ يَقُولُ : لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا لَمَا اخْتَرْتُ عَلَى الْعِطْرِ . فَإِنْ فَاتَنِي رِبْحُهُ لَمْ يَفُتْنِي رِيحُهُ (من لطائف الصحابة)

٢٦٩ قِيلَ : فِي التُّفَّاحَةِ الصُّفْرَةُ الدُّرِّيَّةُ . وَالْحُمْرَةُ الذَّهَبِيَّةُ . وَبَيَاضُ الْفِضَّةِ . وَنُورُ الْقَمَرِ . يَلْتَذُّ بِهَا مِنَ الْحَوَاسِّ ثَلَاثٌ : الْعَيْنُ بِلَوْنِهَا . وَالْأَنْفُ بِعَرْفِهَا . وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا (للمستعصمي)

قوّة المستعصم

٢٧٠ كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعْصِمُ بَطَلًا شُجَاعًا وَفَارِسًا صِنْدِيدًا . لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي الْعَبَّاسِ أَشْجَعُ مِنْهُ وَلَا أَشَدُّ قَلْبًا . قَالَ ابْنُ أَبِي دُؤَادَ : كَانَ الْمُسْتَعْصِمُ يَقُولُ لِي : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ عَضَّ عَلَى سَاعِدِي بِأَكْثَرِ قُوَّتِكَ . فَأَقُولُ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَطِيبُ نَفْسِي بِذَلِكَ . فَيَقُولُ : مَا يَضُرُّنِي فَأَرُومُ ذَلِكَ . فَإِذَا هُوَ لَا تَعْمَلُ فِيهِ الْأَسِنَّةُ فَكَيْفَ تَعْمَلُ فِيهِ الْأَسْنَانُ . وَيُقَالُ إِنَّهُ طَعَنَهُ بَعْضُ الْخَوَارِجِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ . فَأَقَامَ الْمُسْتَعْصِمُ ظَهْرَهُ . فَقَصَمَ الرُّمْحَ نِصْفَيْنِ . وَكَانَ يَشُدُّ يَدَهُ عَلَى كِتَابَةِ الدِّينَارِ فَيَمْحُوهَا . وَيَأْخُذُ عَمُودَ الْحَدِيدِ فَيَلْوِيهِ حَتَّى يَصِيرَ طَوْقًا فِي الْعُنُقِ (للابشيهي)

٢٧١ ذُكِرَ أَنَّ أَهْلَ أَصْفَهَانَ مَوْصُوفُونَ بِالشُّحِّ . نُقِلَ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِرَغِيفٍ عَلَى ضَرِيرٍ بِأَصْفَهَانَ فَقَالَ الضَّرِيرُ : أَحْسَنَ اللهُ غُرْبَتَكَ . فَقَالَ الرَّجُلُ : كَيْفَ عَرَفْتَ غُرْبَتِي . قَالَ : لِأَنِّي مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ رَغِيفًا صَحِيحًا (للقزويني)

المعتصم والحمار

٢٧٢ حُكِيَ أَنَّ الْمُعْتَصِمَ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ وَحْدَهُ وَقَدِ انْقَطَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ فِي يَوْمِ مَطَرٍ إِذْ رَأَى شَيْخًا مَعَهُ حِمَارٌ عَلَيْهِ شَوْكٌ وَقَدْ زَلَقَ الْحِمَارُ وَسَقَطَ فِي الْأَرْضِ وَالشَّيْخُ قَائِمٌ . فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ لِيُخَلِّصَ الْحِمَارَ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُهْلِكْ ثِيَابَكَ . فَقَالَ لَهُ : لَا عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّهُ خَلَّصَ الْحِمَارَ وَجَعَلَ الشَّوْكَ عَلَيْهِ وَغَسَلَ يَدَهُ ثُمَّ رَكِبَ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا شَابُّ . ثُمَّ لَحِقَهُ أَصْحَابُهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَهٰذَا دَلِيلٌ عَلَى غَايَةِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ طِيبِ أَعْرَاقِ الْمُلُوكِ وَسَعَةِ أَخْلَاقِهِمْ (لابي الفرج الملطي)

السلطان وناصر الدولة

٢٧٣ أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَضْلِ الْمُعْتَزُّ بِمِصْرَ قَالَ : كَانَ بِمِصْرَ مُلُوكُ آلِ حَمْدَانَ . وَكَانَ الرَّئِيسُ نَاصِرَ الدَّوْلَةِ . وَكَانَ يَشْكُو دُمَّلَةً فَأَعْيَا الْأَطِبَّاءَ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ شِفَاءً . ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ دَسَّ عَلَى قَتْلِهِ فَأَرْصَدَ لَهُ رَجُلًا مَعَهُ خَنْجَرٌ . فَلَمَّا جَاءَ فِي بَعْضِ دَهَالِيزِ الْقَصْرِ وَثَبَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ وَضَرَبَهُ بِالْخَنْجَرِ . فَجَاءَتِ الضَّرْبَةُ أَسْفَلَ مِنْ خَاصِرَتِهِ فَأَصَابَ

طَرَفُ ٱلْخَنْجَرِ ٱلدُّمَّلَةَ. فَخَرَجَ مَا فِيهَا مِنَ ٱلْخِلْطِ ثُمَّ عَافَاهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَصَحَّ وَبَرِئَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ (للطرطوشي)

المعتصم والطبيب سلمويه

٢٧٤ حَكَى حُنَيْنٌ قَالَ: إِنَّ سَلْمَوَيْهِ ٱلنَّصْرَانِيَّ كَانَ عَالِمًا بِصِنَاعَةِ ٱلطِّبِّ فَاضِلًا فِي وَقْتِهِ. وَلَمَّا مَرِضَ عَادَهُ ٱلْمُعْتَصِمُ وَبَكَى عِنْدَهُ وَقَالَ لَهُ: أَشِرْ عَلَيَّ بَعْدَكَ بِمَنْ يُصْلِحُنِي. فَقَالَ: عَلَيْكَ بِهٰذَا ٱلْفُضُولِيِّ يُوحَنَّا ٱبْنِ مَاسَوَيْهِ وَإِذَا وَصَفَ شَيْئًا فَخُذْهُ. وَلَمَّا مَاتَ سَلْمَوَيْهِ قَالَ ٱلْمُعْتَصِمُ: سَأَلْحَقُ بِهِ لِأَنَّهُ كَانَ يُمْسِكُ حَيَاتِي وَيُدَبِّرُ جِسْمِي. وَٱمْتَنَعَ عَنِ ٱلْأَكْلِ فِي ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ جِنَازَتِهِ إِلَى ٱلدَّارِ. وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهَا بِٱلشَّمْعِ وَٱلْبَخُورِ عَلَى رَأْيِ ٱلنَّصَارَى فَفَعَلَ ذٰلِكَ وَهُوَ يَرَاهُمْ (لابي الفرج)

البخيل والدينار

٢٧٥ كَانَ بَعْضُ ٱلْبُخَلَاءِ إِذَا وَقَعَ ٱلدِّرْهَمُ فِي يَدِهِ يُخَاطِبُهُ وَيَقُولُ لَهُ: أَنْتَ عَقْلِي وَدِينِي. وَصَلَاتِي وَصِيَامِي. وَجَامِعُ شَمْلِي وَقُرَّةُ عَيْنِي. وَأُنْسِي وَقُوَّتِي. وَعُدَّتِي وَعِمَادِي. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ زَائِرٍ كُنْتُ إِلَى وَجْهِكَ مُشْتَاقَا

ثُمَّ يَقُولُ: يَا نُورَ عَيْنِي وَحَبِيبَ قَلْبِي. قَدْ صِرْتَ إِلَى مَنْ يَصُونُكَ. وَيَعْرِفُ قَدْرَكَ. وَيُعَظِّمُ حَقَّكَ. وَيَرْعَى قِيمَتَكَ. وَيُشْفِقُ عَلَيْكَ. وَكَيْفَ لَا تَكُونُ كَذٰلِكَ وَأَنْتَ تُعَظِّمُ ٱلْأَقْدَارَ. وَتُعَمِّرُ ٱلدِّيَارَ. وَتَسْمُو عَلَى ٱلْأَشْرَافِ. وَتَرْفَعُ ٱلذِّكْرَ. وَتُعْلِي ٱلْقَدْرَ. وَتُؤْنِسُ مِنَ

ٱلْوَحْشَةِ . ثُمَّ يَطْرَحُهُ فِي ٱلْكِيسِ وَيَقُولُ :

بِنَفْسِي مَحْجُوبٌ عَنِ ٱلْعَيْنِ شَخْصُهُ   وَمَنْ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ لِسَانِي وَلَا قَلْبِي

فَٱنْظُرْ يَا عَاقِلُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْخَسَاسَةِ   (للشريشي)

ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك

٢٧٦ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ كَثِيرَ ٱلْأَكْلِ . حَجَّ مَرَّةً وَكَانَ ٱلْحَرُّ فِي ٱلْحِجَازِ إِذْ ذَاكَ شَدِيدًا فَتَوَجَّهَ إِلَى ٱلطَّائِفِ طَلَبًا لِلْبُرُودَةِ . وَأُتِيَ بِرُمَّانٍ فَأَكَلَ سَبْعِينَ رُمَّانَةً . ثُمَّ أُتِيَ بِجَدْيٍ وَسِتِّ دَجَاجَاتٍ فَأَكَلَهَا . ثُمَّ أُتِيَ بِزَبِيبٍ مِنْ زَبِيبِ ٱلطَّائِفِ فَأَكَلَ مِنْهُ كَثِيرًا . وَنَعَسَ فَنَامَ ثُمَّ ٱنْتَبَهَ . فَأَتَوْهُ بِٱلْغَدَاءِ فَأَكَلَ عَلَى عَادَتِهِ . وَقِيلَ : كَانَ سَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّهُ أَتَاهُ نَصْرَانِيٌّ وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى دَابِقٍ بِزِنْبِيلَيْنِ مَمْلُوءَيْنِ تِينًا وَبَيْضًا . فَأَمَرَ مَنْ يُقَشِّرُ لَهُ ٱلْبَيْضَ وَجَعَلَ يَأْكُلُ بَيْضَةً وَتِينَةً حَتَّى أَتَى عَلَى ٱلزِّنْبِيلَيْنِ . ثُمَّ أَتَوْهُ بِمُخٍّ وَسُكَّرٍ فَأَكَلَهُ . فَأُتْخِمَ وَمَرِضَ وَمَاتَ   (لابي الفداء)

طباع الهنود

٢٧٧ إِنَّ أَهْلَ ٱلْهِنْدِ يَعِيبُونَ ٱلْمَلَاهِيَ وَلَا يَتَّخِذُونَهَا . وَلَا يَشْرَبُونَ ٱلشَّرَابَ وَلَا يَتَنَاوَلُونَ ٱلْخَلَّ لِأَنَّهُ مِنَ ٱلشَّرَابِ وَلَيْسَ ذٰلِكَ دِينًا وَلٰكِنْ أَنَفَةً . وَيَقُولُونَ أَيُّ مَلِكٍ شَرِبَ ٱلشَّرَابَ فَلَيْسَ بِمَلِكٍ . وَذٰلِكَ أَنَّ حَوْلَهُمْ مُلُوكًا يُقَاتِلُونَهُمْ فَيَقُولُونَ كَيْفَ يُدَبِّرُ أَمْرَ مُلْكِهِ مَنْ هُوَ سَكْرَانُ

ملبوس ملوك الهند

٢٧٨ إنَّ مُلوكَ ٱلهندِ تلبَسُ في آذانِهِم ٱلأقراطَ مِن ٱلجوهرِ ٱلنفيسِ ٱلمركَّبِ في ٱلذهبِ. وتضعُ في أعناقِهِم ٱلقلائدَ ٱلنفيسةَ ٱلمشتملةَ على فاخرِ ٱلجوهرِ ٱلأحمرِ وٱلأخضرِ وٱللؤلؤِ ممّا يعظُمُ قيمتُهُ. وهيَ ٱليومَ كنوزُهم وذخائرُهم وتلبسُهُ قوّادُهم ووجوهُهم. وٱلرئيسُ منهم يركَبُ على عنقِ رجلٍ منهم وفي يدِهِ شيءٌ يُعرفُ بٱلجترةِ وهي مظلّةٌ من ريشِ ٱلطواويسِ يأخذُها بيدِهِ فيتّقي بها ٱلشمسَ وأصحابُهُ مُحدقونَ بهِ (سلسلة التواريخ)

ذكر عمود السواري في الاسكندريّة

٢٧٩ مِن غرائبِ مدينةِ ٱلإسكندريّةِ عمودُ ٱلرخامِ ٱلهائلُ ٱلذي بخارجِها ٱلمسمّى عندهم بعمودِ ٱلسواري. وهو متوسّطٌ في غابةِ نخلٍ وقد ٱمتازَ عن شجراتِها سموًّا وٱرتفاعًا. وهو قطعةٌ واحدةٌ محكمةُ ٱلنحتِ قد أُقيمَ على قواعدِ حجارةٍ مربّعةٍ أمثالِ ٱلدكاكينِ ٱلعظيمةِ. ولا تُعرفُ كيفيّةُ وضعِهِ هنالكَ ولا يتحقّقُ من وضعَهُ (لابن بطوطة)

سبب موت الوليد بن عبد الملك

٢٨٠ وقعَ بينَ ٱلوليدِ بنِ عبدِ ٱلملكِ و (بينَ) أخيهِ سليمانَ كلامٌ. فعجَّلَ عليهِ سليمانُ بأمرٍ يلحقُ أمَّهُ. ففتحَ فاهُ ليجيبَهُ. وإذا بجنبِهِ عمرُ بنُ عبدِ ٱلعزيزِ فأمسكَ على فيهِ وردَّ كلمتَهُ وقالَ: يا ٱبنَ عبدِ ٱلملكِ. أخوكَ وٱبنُ أمِّكَ ولهُ ٱلسبقُ عليكَ. فقالَ:

يا أبا حفص قتلتني . قال : وما صنعت بك . قال : رددت في صدري أحرّ من الجمر . ومال لجنبه فمات (للطرطوشي)

دير سمعان

٢٨١ دير سمعان بناحية دمشق في موضع نزه مُحدقة به البساتين والدور والقصور . وكان فيه حبيس مشهور منقطع عن الخلق جداً . وكان يُخرج رأسه من كوة في كل سنة يوماً معلوماً فكل من وقع عليه بصره من المرضى والزمنى عوفي . فسمع به إبرهيم ابن أدهم فذهب إليه حتى يشاهد ذلك . قال : رأيت عند الدير خلقاً كثيراً من الواقفين حذاء تلك الكوة يترقبون خروج رأس الحبيس . فلما كان ذلك اليوم أخرج رأسه ونظر إليهم يميناً وشمالاً . فكل من وقع نظره عليه قام سليماً معافى (للقزويني)

ذكر موتى أهل الصين

٢٨٢ إذا مات رجل من أهل الصين لم يدفن إلا في اليوم الذي مات في مثله من قابل . يجعلونه في تابوت ويخلونه في منازلهم ويجعلون عليه النورة . وأما الملوك فيجعلونهم في الصبر والكافور سنين . ومن لم يبك ضرب بالخشب كذلك النساء والرجال (سلسلة التواريخ)

محمد بن مروان وملك النوبة

٢٨٣ ذكر محمد بن مروان للمهدي قال : لما شتت شمل بني

مروان وقعت أنا بأرض النوبة . فأحببت أن يمكنني ملكهم من المقام عنده زمانا . فجاءني زائرا وهو رجل طويل أسود اللون . فخرجت إليه من قبتي وسألته أن يدخلها . فأبى أن يجلس إلا خارج القبة على التراب . فسألته عن ذلك فقال : إن الله تعالى أعطاني الملك فحق علي أن أقابله بالتواضع (للقزويني)

الطبيب والميت

٢٨٤ حدث بعض الشاميين أن رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش . (قال) فاشترى منه وجعل يأكله بالخبز الحار . فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروه فإذا هو ميت . فجعلوا يتربصون به ويحملون إليه الأطباء فيلتمسون دلائله ومواضع الحياة منه فقضوا بأنه ميت . فغسل وكفن وحمل إلى الجبانة . فلما خرجوا به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي وكان طبيبا ماهرا حاذقا بالطب فسمع الناس يلهجون بقصته فقال لهم : حطوه حتى أبصره فحطوه وجعل يقلبه وينظر في أمارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح فمه وسقاه شيئا وإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان إلى دكانه (للطرطوشي)

المستحسن من أفعال السودان

٢٨٥ - من أفعالهم الحسنة قلة الظلم . فهم أبعد الناس عنه

وَسُلْطَانُهُمْ لَا يُسَامِحُ أَحَدًا فِي شَيْءٍ مِنْهُ . وَمِنْهَا شُمُولُ ٱلْأَمْنِ فِي بِلَادِهِمْ فَلَا يَخَافُ ٱلْمُسَافِرُ فِيهَا وَلَا ٱلْمُقِيمُ مِنْ سَارِقٍ وَلَا غَاصِبٍ . وَمِنْهَا عَدَمُ تَعَرُّضِهِمْ لِمَالِ مَنْ يَمُوتُ بِبِلَادِهِمْ مِنَ ٱلْبِيضَانِ وَلَوْ كَانَ ٱلْقَنَاطِيرَ ٱلْمُقَنْطَرَةَ . إِنَّمَا يَتْرُكُونَهُ بِيَدِ ثِقَةٍ مِنَ ٱلْبِيضَانِ حَتَّى يَأْخُذَهُ مُسْتَحِقُّهُ . وَمِنْهَا مُوَاظَبَتُهُمْ لِلصَّلَوَاتِ وَٱلْتِزَامُهُمْ لَهَا فِي ٱلْجَمَاعَاتِ وَضَرْبُهُمْ أَوْلَادَهُمْ عَلَيْهَا . وَإِذَا كَانَ يَوْمُ ٱلْجُمُعَةِ إِنْ لَمْ يُبَكِّرِ ٱلْإِنْسَانُ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ لَمْ يَجِدْ أَيْنَ يُصَلِّي لِكَثْرَةِ ٱلزِّحَامِ (لابن بطوطة)

غناء ابرهيم بن المهدي

٢٨٦ حَكَى ٱلْمُنَجِّمُ قَالَ: حُكِيَ لِي أَنَّ إِبْرٰهِيمَ بْنَ ٱلْمَهْدِيِّ كَانَ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ غِنَاءً . وَذٰلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَرَاهُ فِي مَجَالِسِ ٱلْخُلَفَاءِ مِثْلِ ٱلْمَأْمُونِ وَٱلْمُعْتَصِمِ يُغَنِّي ٱلْمُغَنُّونَ فَإِذَا ٱبْتَدَأَ هُوَ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْغِلْمَانِ وَٱلْمُتَصَرِّفِينَ وَأَصْحَابِ ٱلصِّنَاعَاتِ وَٱلْمِهَنِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَ مَا فِي يَدِهِ وَصَارَ بِأَقْرَبِ مَوْضِعٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ . فَلَا يَزَالُ مُصْغِيًا إِلَيْهِ لَاهِيًا عَمَّا كَانَ فِيهِ مَا دَامَ يُغَنِّي فَإِذَا أَمْسَكَ وَغَنَّى غَيْرُهُ رَجَعُوا إِلَى أَشْغَالِهِمْ . وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا عَجِيبًا لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ مَا صُدِّقَ . كَانَ إِذَا ٱبْتَدَأَ يُغَنِّي أَصْغَتِ ٱلْوَحْشُ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا وَلَمْ تَزَلْ تَدْنُو مِنْهُ حَتَّى تَضَعَ رُؤُوسَهَا عَلَى ٱلدُّكَّانِ ٱلَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ . فَإِذَا سَكَتَ نَفَرَتْ عَنَّا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ يُمْكِنُهَا ٱلتَّبَاعُدُ فِيهَا عَنَّا

٢٨٧ قَدْ جَاءَ فِي ٱلنَّوَادِرِ عَنْ لَيْلَى ٱلْأَخْيَلِيَّةِ أَنْ قَالَ ٱلْحَجَّاجُ: يَا غُلَامُ

اذهب إلى فلانٍ فقل له يقطع لسانها . فأمر بإحضار الحجام فقالت : ثكلتك أمك . إنما أمرك أن تقطع لساني بالصلة . وهي لفظة مستعملة عند من له أمر ونهي . فتعجب من ذكائها (للشريشي)

انصاف هرمز لرعيته

٢٨٨ كان هرمز بن أنوشروان عادلاً يأخذ للأدنى من الشريف . وبالغ في ذلك حتى أبغضه خواصه وأقام الحق على بنيه ومحبيه . وأفرط في العدل والتشديد على الأكابر وقصر أيديهم عن الضعفاء إلى الغاية . ووضع صندوقاً في أعلاه خرق وأمر أن يلقي المتظلم قصته فيه والصندوق مختوم بخاتمه . وكان يفتح الصندوق وينظر في المظالم خوفاً من أن لا توصل إليه الشكاوى على بطانته وأهله . ثم طلب أن يعلم بظلم المتظلم ساعة فساعة فأمر باتخاذ سلسلة من الطريق وخرق لها في داره إلى موضع جلوسه وقت خلوته وجعل فيها جرساً . فكان المتظلم يجيء من ظاهر الدار فيحرك السلسلة فيعلم به فيتقدم بإحضاره وإزالة ظلامته

شهادة جالينوس للنصارى

٢٨٩ قد أدرك جالينوس عهد قومودوس وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه . وقد ذكرهم جالينوس في كتابه في جوامع كتاب أفلاطون في سياسة المدن فقال : إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سياقة الأقاويل البرهانية ولذلك صاروا محتاجين إلى

رُمُوزٍ يَنْتَفِعُونَ بِهَا . (يَعْنِي بِالرُّمُوزِ الْإِخْبَارَ عَنِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ) . مِنْ ذَلِكَ أَنَّا نَرَى الْآنَ الْقَوْمَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ نَصَارَى إِنَّمَا أَخَذُوا إِيمَانَهُمْ عَنِ الرُّمُوزِ . وَقَدْ يَظْهَرُ مِنْهُمْ أَفْعَالُ مِثْلِ أَفْعَالِ مَنْ تَفَلْسَفَ بِالْحَقِيقَةِ . وَذَاكَ أَنَّ عَدَمَ جَزَعِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ أَمْرٌ قَدْ نَرَاهُ كُلُّنَا . وَكَذَلِكَ أَيْضًا عَفَافُهُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ قَوْمًا رِجَالًا وَنِسَاءً أَيْضًا قَدْ أَقَامُوا جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ مُمْتَنِعِينَ عَنِ الْمَآثِمِ . وَمِنْهُمْ قَوْمٌ قَدْ بَلَغَ مِنْ ضَبْطِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ فِي التَّدْبِيرِ وَشِدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى الْعَدْلِ أَنْ صَارُوا غَيْرَ مُقَصِّرِينَ عَنِ الَّذِينَ يَتَفَلْسَفُونَ بِالْحَقِيقَةِ . انْتَهَى كَلَامُ جَالِينُوسَ (لابي الفداء)

محمد الزيّات

٢٩٠ قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتَ عَمِلَ تَنُّورًا مِنْ حَدِيدٍ . وَوَضَعَ مَسَامِيرَ فِي دَاخِلِهِ لِيُعَذِّبَ مَنْ يُرِيدُ عَذَابَهُ . فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ جُعِلَ فِيهِ وَقِيلَ لَهُ : ذُقْ مَا رُمْتَ أَنْ تُذِيقَ النَّاسَ (لابن طقطقي)

ظلم أبي رغال

٢٩١ كَانَ أَبُو رِغَالٍ مَلِكًا بِالطَّائِفِ وَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ . فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ تُرْضِعُ صَبِيًّا يَتِيمًا بِلَبَنِ عَنْزٍ لَهَا فَأَخَذَهَا مِنْهَا . وَكَانَتْ سَنَةً مُجْدِبَةً فَبَقِيَ الصَّبِيُّ بِلَا مُرْضِعَةٍ فَمَاتَ . فَرَمَى اللهُ أَبَا رِغَالٍ بِقَارِعَةٍ فَأَهْلَكَهُ . فَرَجَمَتِ الْعَرَبُ قَبْرَهُ وَهُوَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ (للاصبهاني)

المتظلمون في بلاد الصين

٢٩٢ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ ٱلصِّينِ شَيْءٌ يُدْعَى ٱلدِّرَا. وَهُوَ جَرَسٌ عَلَى رَأْسِ مَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ. مَرْبُوطٌ بِخَيْطٍ مَارٍّ عَلَى ظَهْرِ ٱلطَّرِيقِ لِلْعَامَّةِ كَافَّةً. وَبَيْنَ ٱلْمَلِكِ وَبَيْنَهُ نَحْوٌ مِنْ فَرْسَخٍ. فَإِذَا حُرِّكَ ٱلْخَيْطُ ٱلْمَمْدُودُ أَدْنَى حَرَكَةٍ تَحَرَّكَ ٱلْجَرَسُ. فَمَنْ كَانَتْ لَهُ ظُلَامَةٌ حَرَّكَ هٰذَا ٱلْخَيْطَ فَيَتَحَرَّكُ ٱلْجَرَسُ مِنْهُ عَلَى رَأْسِ ٱلْمَلِكِ. فَيُؤْذَنُ لَهُ فِي ٱلدُّخُولِ حَتَّى يُنْهِيَ حَالَهُ بِنَفْسِهِ وَيَشْرَحَ ظُلَامَتَهُ. وَجَمِيعُ ٱلْبِلَادِ فِيهَا مِثْلُ ذٰلِكَ (سلسلة التواريخ)

نظام الملك والشيخ الفقير

٢٩٣ كَانَ نِظَامُ ٱلْمُلْكِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلْأَئِمَّةُ ٱلْأَكَابِرُ يَقُومُ لَهُمْ وَيَجْلِسُ فِي مَسْنَدِهِ. وَكَانَ لَهُ شَيْخٌ فَقِيرٌ إِذَا دَخَلَ إِلَيْهِ يَقُومُ لَهُ وَيُجْلِسُهُ فِي مَكَانِهِ وَيَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ: إِنَّ أُولٰئِكَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيَّ يُثْنُونَ عَلَيَّ بِمَا لَيْسَ فِيَّ فَيَزِيدُنِي كَلَامُهُمْ عُجْبًا وَتِيهًا. وَهٰذَا يُذَكِّرُنِي عُيُوبَ نَفْسِي وَمَا أَنَا فِيهِ مِنَ ٱلظُّلْمِ. فَتَنْكَسِرُ نَفْسِي لِذٰلِكَ فَأَرْجِعُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا أَنَا فِيهِ (لابي الفرج)

قيس بن سعد والاعرابي

٢٩٤ قِيلَ لِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ: هَلْ رَأَيْتَ قَطُّ أَسْخَى مِنْكَ. قَالَ: نَعَمْ. نَزَلْنَا بِٱلْبَادِيَةِ عَلَى ٱمْرَأَةٍ فَحَضَرَ زَوْجُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانُ. فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا وَقَالَ: شَأْنَكُمْ. فَلَمَّا جَاءَ ٱلْغَدُ جَاءَ بِأُخْرَى

وَنَحَرَهَا وَقَالَ: شَأْنَكُمْ. فَقُلْتُ: مَا أَكَلْنَا مِنَ ٱلَّتِي نَحَرْتَ ٱلْبَارِحَةَ إِلَّا ٱلْيَسِيرَ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أُطْعِمُ أَضْيَافِي ٱلْغَابَّ. فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ أَيَّامًا وَٱلسَّمَاءُ تُمْطِرُ وَهُوَ يَفْعَلُ كَذٰلِكَ. فَلَمَّا أَرَدْنَا ٱلرَّحِيلَ وَضَعْنَا فِي بَيْتِهِ مِائَةَ دِينَارٍ وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: ٱعْتَذِرِي لَنَا مِنْهُ وَمَضَيْنَا. فَلَمَّا مَتَعَ ٱلنَّهَارُ إِذَا رَجُلٌ يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا أَيُّهَا ٱلرَّكْبُ ٱللِّئَامُ أَعْطَيْتُمُونَا ثَمَنَ ٱلْقِرَى. لَتَأْخُذُنَّهَا وَإِلَّا طَعَنْتُكُمْ بِرُمْحِي. فَأَخَذْنَاهَا وَٱنْصَرَفَ (للطرطوشي)

قلعة ماردين

٢٩٥ قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: هِيَ قَلْعَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى قُلَّةِ جَبَلٍ بِٱلْجَزِيرَةِ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ قَلْعَةٌ أَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا أَحْكَمَ وَلَا أَعْظَمَ. وَهِيَ مُشْرِفَةٌ عَلَى دُنَيْسِرَ وَدَارَا وَنَصِيبِينَ وَقُدَّامَهَا رَبَضٌ عَظِيمٌ فِيهِ أَسْوَاقٌ وَفَنَادِقُ وَمَدَارِسُ وَرُبُطٌ. وَوَضْعُهَا وَضْعٌ عَجِيبٌ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ ٱلْبُلْدَانِ مِثْلُهَا. وَذٰلِكَ أَنَّ دُورَهُمْ كَٱلدَّرَجِ كُلُّ دَارٍ فَوْقَ أُخْرَى. وَجُلُّ شُرْبِهِمْ مِنَ ٱلصَّهَارِيجِ ٱلْمُعَدَّةِ فِي دُورِهِمْ. وَقَالَ بَعْضُ ٱلظُّرَفَاءِ.

فِي مَارِدِينَ حَمَاهَا ٱللّٰهُ لِي سَكَنٌ ... لَوْلَا ٱلضَّرُورَةُ مَا فَارَقْتُهَا نَفَسَا

موت ملوك السودان

٢٩٦ إِذَا مَاتَ مَلِكُ ٱلسُّودَانِ عَقَدُوا لَهُ قُبَّةً عَظِيمَةً مِنْ خَشَبِ ٱلسَّاجِ وَوَضَعُوهَا فِي مَوْضِعِ قَبْرِهِ. ثُمَّ أَتَوْا بِهِ عَلَى سَرِيرٍ قَلِيلِ ٱلْفَرْشِ وَٱلْوِطَاءِ فَأَدْخَلُوهُ فِي تِلْكَ ٱلْقُبَّةِ. وَوَضَعُوا مَعَهُ حِلْيَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَآنِيَتَهُ ٱلَّتِي كَانَ يَأْكُلُ فِيهَا وَيَشْرَبُ وَأَدْخَلُوا فِيهَا ٱلْأَطْعِمَةَ وَٱلْأَشْرِبَةَ

وَأَدْخَلُوا مَعَهُ رِجَالًا مِمَّنْ كَانَ يَخْدُمُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ بَابَ ٱلْقُبَّةِ وَجَعَلُوا فَوْقَ ٱلْقُبَّةِ ٱلْحُصُرَ وَٱلْأَمْتِعَةَ. ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَرَدَمُوا فَوْقَهَا بِٱلتُّرَابِ حَتَّى تَأْتِيَ كَٱلْجَبَلِ ٱلضَّخْمِ. ثُمَّ يُخَنْدِقُونَ حَوْلَهَا حَتَّى لَا يُوصَلَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْكَوْمِ إِلَّا مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. وَهُمْ يَذْبَحُونَ لِمَوْتَاهُمُ ٱلذَّبَائِحَ (لابن عبد العزيز البكري)

ضعف رأي الخليفة الامين

٢٩٧ مِمَّا يُحْكَى مِنْ تَفْرِيطِ ٱلْأَمِينِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى حَرْبِ أَخِيهِ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِيهِ يُقَالُ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ. وَأَرْسَلَ مَعَهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. وَكَانَ أَوَّلَ بَعْثٍ بَعَثَهُ إِلَى أَخِيهِ. فَمَضَى عَلِيُّ ٱبْنُ عِيسَى بْنِ مَاهَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْعَسْكَرِ ٱلْكَثِيفِ. وَكَانَ شَيْخًا مِنْ شُيُوخِ ٱلدَّوْلَةِ جَلِيلًا وَمَهِيبًا. فَٱلْتَقَى بِطَاهِرِ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ ظَاهِرَ ٱلرَّيِّ وَعَسْكَرُ طَاهِرٍ نَحْوُ أَرْبَعَةِ آلَافِ فَارِسٍ. فَٱقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا كَانَتِ ٱلْغَلَبَةُ فِيهِ لِطَاهِرٍ. وَقُتِلَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى فَأَرْسَلَ طَاهِرٌ رَأْسَهُ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا نُسْخَتُهُ: أَمَّا بَعْدُ فَهٰذَا كِتَابِي إِلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ ٱللّٰهُ بَقَاءَهُ وَرَأْسُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى بَيْنَ يَدَيَّ وَخَاتَمُهُ فِي يَدِي وَجُنْدُهُ تَحْتَ أَمْرِي وَٱلسَّلَامُ. وَأَرْسَلَ ٱلْكِتَابَ عَلَى ٱلْبَرِيدِ فَوَصَلَ إِلَى ٱلْمَأْمُونِ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرُ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَرْسَخًا. ثُمَّ إِنَّ خَبَرَ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى وَرَدَ إِلَى ٱلْأَمِينِ وَهُوَ يَصْطَادُ ٱلسَّمَكَ فَقَالَ لِلَّذِي أَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ: دَعْنِي فَإِنَّ كَوْثَرًا قَدِ ٱصْطَادَ

سمكتين وأنا إلى الآن ما اصطدت شيئاً. وكان كوثر خادماً له وكان يحبّه (للفخري)

موت ملوك بلاد سرنديب

٢٩٨ إذا مات الملك ببلاد سرنديب صُيّر على عجلة قريباً من الأرض وعُلّق في مؤخرها مستلقياً على ظهره يجرّ شعر رأسه التراب عن الأرض. وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادي: أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد ملككم وكان أمره نافذاً فيكم وقد صار إلى ما ترون من ترك الدنيا وأخذ روحه ملاك الموت فلا تغترّوا بالحياة بعده. وكلام نحو هذا ثلاثة أيام. ثم يهيّأ له الصندل والكافور والزعفران فيحرق به ثم يُرمى برماده في الريح. والهند كلّهم يحرقون موتاهم بالنار. وسرنديب آخر الجزائر. وهي من بلاد الهند. وربما أُحرق الملك فتدخل نساؤه النار فيحترقن معه

حذاقة اهل الصين

٢٩٩ أهل الصين من أحذق خلق الله كفّاً بنقش وصناعة وكل عمل لا يتقدّمهم فيه أحد من سائر الأمم. والرجل منهم يصنع بيده ما يقدّر أن غيره يعجز عنه فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع. فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك إلى سنة. فإن لم يُخرج أحد فيه عيباً جازاه وأدخله في جملة صنّاعه وإن أُخرج فيه عيب اطّرحه ولم يجازه. وإن رجلاً منهم صوّر سنبلة

عَلَيهَا عُصفُورٌ في ثَوبِ حَرِيرٍ لا يَشُكُّ النَّاظِرُ إِليهَا أَنَّها سُنْبُلَةٌ وَأَنَّ عُصفُورًا عليهـا . فبقيَتْ مُدَّةً ثُمَّ اجتازَ بِها رَجُلٌ أَحدَبُ فعابَها . فأُدخِلَ إِلى مَلِكِ ذَلِكَ البَلَدِ وحضَرَ صانِعُها . فسُئِلَ الأحدَبُ عَنِ العَيبِ فقالَ : المُتعارَفُ عِندَ النَّاسِ جميعًا أَنَّهُ لا يَقَعُ عُصفُورٌ عَلى سُنْبُلَةٍ إِلَّا أَمالَها . وإِنَّ هذا المُصَوِّرَ صَوَّرَ السُّنْبُلَةَ قائِمَةً لا مَيلَ لَها وأَثبَتَ العُصفُورَ فَوقَها مُنتَصِبًا فأَخطأَ . فَصَدَّقَ ولم يُثِبِ المَلِكُ صانِعَها بِشَيءٍ (سلسلة التواريخ)

٣٠٠ حَدَّثَ ابنُ بَطُوطَة بِهذا الشَّأنِ قالَ : وأَهلُ الصِّينِ أَعظَمُ الأُمَمِ إِحكامًا لِلصِّناعاتِ وأَشَدُّهُم إِتقانًا فيها . وذَلِكَ مَشهورٌ مِن حالِهِم قد وصَفَهُ النَّاسُ في تَصانيفِهِم فأَطنَبُوا فيهِ . وأَمَّا التَّصوِيرُ فَلا يُجارِيهِم أَحَدٌ في إِحكامِهِ فإِنَّ لَهُم فيهِ اقتِدارًا عَظِيمًا . ومِن عَجِيبِ ما شاهَدتُ لَهُم مِن ذَلِكَ أَنِّي ما دَخَلتُ قَطُّ مَدينَةً مِن مُدُنِهِم ثُمَّ عُدتُ إِليها إِلَّا ورأَيتُ صُورَتي وصُوَرَ أَصحابي مَنقُوشَةً في الحِيطانِ والكَواغِدِ مَوضُوعَةً في الأَسواقِ . ولَقَد دَخَلتُ إِلى مَدينَةِ السُّلطانِ فمَرَرتُ عَلى سُوقِ النَّقَّاشِينَ ووَصَلتُ إِلى قَصرِ السُّلطانِ مَعَ أَصحابي ونَحنُ عَلى زِيِّ العِراقِيِّينَ . فلَمَّا عُدتُ مِنَ القَصرِ عَشِيًّا مَرَرتُ بالسُّوقِ المَذكُورَةِ فرأَيتُ صُورَتي وصُوَرَ أَصحابي مَنقُوشَةً في كاغِدٍ قَد أَلصَقُوهُ بالحائِطِ . فجعَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا يَنظُرُ إِلى صُورَةِ صاحِبِهِ لا تُخطِئُ شَيئًا مِن شِبهِهِ . وذُكِرَ لي أَنَّ السُّلطانَ

أَمَرَهُم بِذٰلِكَ وَأَنَّهُمْ أَتَوْا إِلَى ٱلْقَصْرِ وَنَحْنُ بِهِ فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا وَيُصَوِّرُونَ صُورَنَا وَنَحْنُ لَمْ نَشْعُرْ بِذٰلِكَ . وَتِلْكَ عَادَةٌ لَهُمْ فِي تَصْوِيرِ كُلِّ مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ . وَتَنْتَهِي حَالُهُمْ فِي ذٰلِكَ إِلَى أَنَّ ٱلْغَرِيبَ إِذَا فَعَلَ مَا يُوجِبُ فِرَارَهُ عَنْهُمْ بَعَثُوا صُورَتَهُ إِلَى ٱلْبِلَادِ وَبُحِثَ عَنْهُ فَحَيْثُمَا وُجِدَ شِبْهُ تِلْكَ ٱلصُّورَةِ أُخِذَ (لابن بطوطة)

عدل نور الدين

٣٠١ لَمْ يَكُنْ فِي سِيَرِ ٱلْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنْ سِيرَةِ نُورِ ٱلدِّينِ وَلَا أَكْثَرُ تَحَرِّيًا لِلْعَدْلِ مِنْهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَلْبَسُ وَلَا يَتَصَرَّفُ فِي ٱلَّذِي يَخُصُّهُ إِلَّا مِنْ مُلْكٍ كَانَ لَهُ . قَدِ ٱشْتَرَاهُ مِنْ سَهْمِهِ مِنَ ٱلْغَنِيمَةِ . وَلَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مِنَ ٱلضِّيقَةِ . فَأَعْطَاهَا ثَلَاثَةَ دَكَاكِينَ فِي حِمْصَ كَانَتْ لَهُ يَحْصُلُ مِنْهَا فِي ٱلسَّنَةِ نَحْوُ ٱلْعِشْرِينَ دِينَارًا . فَلَمَّا ٱسْتَقَلَّتْهَا قَالَ : لَيْسَ لِي إِلَّا هٰذَا . وَجَمِيعُ مَا فِي يَدِي أَنَا خَازِنٌ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ لَا أَخُونُهُمْ فِيهِ وَلَا أَخُوضُ نَارَ جَهَنَّمَ لِأَجْلِكِ (لابي الفرج)

الشيخ أبو عبد الله والفيلة

٣٠٢ يُحْكَى أَنَّ ٱلشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ ٱللهِ بْنَ خَفِيفٍ قَصَدَ مَرَّةً جَبَلَ سَرَنْدِيبَ وَمَعَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ مِنَ ٱلْفُقَرَاءِ . فَأَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ فِي طَرِيقِ ٱلْجَبَلِ حَيْثُ لَا عِمَارَةَ وَتَاهُوا عَنِ ٱلطَّرِيقِ . وَطَلَبُوا مِنَ ٱلشَّيْخِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ فِي ٱلْقَبْضِ عَلَى بَعْضِ ٱلْفِيَلَةِ ٱلصِّغَارِ وَهِيَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَحَلِّ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَمِنْهُ تُحْمَلُ إِلَى حَضْرَةِ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ . فَنَهَاهُمُ ٱلشَّيْخُ عَنْ

ذلكَ فغلبَ عليهمِ الجوعُ فتعدَّوا قولَ الشيخِ وقبضوا على فيلٍ صغيرٍ منها وذكّوهُ وأكلوا لحمهُ وامتنعَ الشيخُ من أكلهِ . فلما ناموا تلكَ الليلةَ اجتمعتِ الفيلةُ من كلِّ ناحيةٍ وأتت إليهمْ . فكانتْ تشمُّ الرجلَ منهمْ وتقتلهُ حتى أتتْ على جميعِهم . وشمتِ الشيخَ ولمْ تتعرضْ لهُ وأخذهُ فيلٌ منها ولفَّ عليهِ خرطومهُ ورمى بهِ على ظهرهِ وأتى بهِ الموضعَ الذي فيهِ العمارةُ . فلما رآهُ أهلُ تلكَ الناحيةِ عجبوا منهُ واستقبلوهُ ليتعرفوا أمرهُ . فلما قربَ منهمْ أمسكهُ الفيلُ بخرطومهِ ووضعهُ عن ظهرهِ إلى الأرضِ بحيثُ يرونهُ . فجاؤوا إليهِ وذهبوا بهِ إلى ملكِهم فعرفوهُ خبرهُ وهمْ كفارٌ وأقامَ عندهمْ أياماً (لابن بطوطة)

موت المنصور

٣٠٣ أخبرَ الفضلُ بنُ الربيعِ قالَ : كنتُ معَ المنصورِ في السفرِ الذي ماتَ فيهِ . فنزلنا بعضَ المنازلِ فدعا بي وهوَ في قبّةٍ إلى حائطٍ وقالَ : ألمْ أنهكمْ أنْ تدعوا العامةَ تدخلُ هذهِ المنازلَ فيكتبونَ فيها ما لا خيرَ فيهِ . قلتُ : وما هوَ . قالَ : ألا ترى ما على الحائطِ مكتوباً :

أبا جعفرٍ حانتْ وفاتُكَ وانقضتْ
سنوكَ وأمرُ اللهِ لا بدَّ نازلُ
أبا جعفرٍ هلْ كاهنٌ أوْ منجِّمٌ
يردُّ قضاءَ اللهِ أمْ أنتَ جاهلُ

فَقُلْتُ: وَٱللهِ ما عَلَى ٱلْحَائِطِ شَيْءٌ وَإِنَّهُ لَنَقِيٌّ أَبْيَضُ. قَالَ: إِنَّهَا وَٱللهِ نَفْسِي نُعِيَتْ إِلَى ٱلرَّحِيلِ. فَرَحَلْنَا وَثَقُلَ حَتَّى بَلَغَ بِئْرَ مَيْمُونٍ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ دَخَلْتَ الْحَرَمَ. قَالَ: ٱلْحَمْدُ للهِ. وَقُبِضَ مِنْ يَوْمِهِ. وَلَمَّا حَضَرَتْهُ ٱلْوَفَاةُ قَالَ: ٱلسُّلْطَانُ مَنْ لَا يَمُوتُ (للشريشي)

يحيى بن خالد والفصّ

٣٠٤ قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ بَرْمَكَ: أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ أَخْبِرْنَا بِأَحْسَنِ مَا رَأَيْتَ فِي أَيَّامِ سَعَادَتِكَ. قَالَ: رَكِبْتُ يَوْمًا فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فِي سَفِينَةٍ أُرِيدُ ٱلتَّنَزُّهَ. فَلَمَّا خَرَجْتُ بِرِجْلِي لِأَصْعَدَ ٱتَّكَأْتُ عَلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِهَا. وَكَانَ بِإِصْبَعِي خَاتَمٌ فَطَارَ فَصُّهُ مِنْ يَدِي وَكَانَ يَاقُوتًا أَحْمَرَ قِيمَتُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ. فَتَطَيَّرْتُ مِنْ ذٰلِكَ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَنْزِلِي وَإِذَا بِٱلطَّبَّاخِ قَدْ أَتَى بِذٰلِكَ ٱلْفَصِّ بِعَيْنِهِ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ لَقِيتُ هٰذَا ٱلْفَصَّ فِي بَطْنِ حُوتٍ وَذٰلِكَ لِأَنِّي ٱشْتَرَيْتُ حِيتَانًا لِلْمَطْبَخِ فَشَقَقْتُ بَطْنَهَا فَرَأَيْتُ هٰذَا ٱلْفَصَّ فَقُلْتُ: لَا يَصْلُحُ هٰذَا إِلَّا لِلْوَزِيرِ أَعَزَّهُ ٱللهُ تَعَالَى. فَقُلْتُ: ٱلْحَمْدُ لِلهِ هٰذَا بُلُوغُ ٱلْغَايَةِ

الذلّ بعد العزّة

٣٠٥ وَقِيلَ لِيَحْيَى: أَخْبِرْنَا بِبَعْضِ مَا لَقِيتَ مِنَ ٱلْمِحَنِ. قَالَ: ٱشْتَهَيْتُ لَحْمًا فِي قِدْرِ طَبَّاخٍ وَأَنَا فِي ٱلسِّجْنِ. فَغَرِمْتُ أَلْفَ دِينَارٍ فِي شَهْوَتِي حَتَّى أُتِيتُ بِقِدْرٍ وَلَحْمٍ مُقَطَّعٍ فِي قَصَبَةٍ فَارِسِيَّةٍ. وَٱلْخَلُّ وَسَائِرُ حَوَائِجِهَا فِي قَصَبَةٍ أُخْرَى. وَتَرَكُوا عِنْدِي مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَأُتِيتُ

بنار فأوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتي في الأرض حتى كادت روحي تخرج . فلما نضجت تركتها تفور وتغلي وفتتُّ الخبز . وعمدت لأنزلها فانفلتت من يدي وانكسرت القدر على الأرض فبقيت ألتقط اللحم . وأمسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذي كنت أشتهيه وهذا أعظم ما مرَّ بي (للاتليدي)

الخطيب والتلميذ

٣٠٦ إشتهر في جزيرة صقلية أرخيلوخوس الخطيب الملقب بالغراب . وسار إليه الطلبة لاستفادة الخطابة منه . وكان من جملة قاصديه فتى من اليونان يقال له تيسياس ورغب إليه في تعليم هذا الفن وضمن له عن ذلك مالاً معيناً فأجابه برغبته وعلمه . فلما أتقنها حاول الغدر به ورام فسخ ما وافقه عليه فقال له : يا معلم ما حد الخطابة . فقال : إنها المفيدة للإقناع . قال : إني أناظرك الآن في الأجرة . فإن أقنعتك بأني لا أدفعها إليك لم أدفعها إذ قد أقنعتك بذلك . وإن لم أقدر على ذلك فلست أعطيك شيئاً لأني لم أتعلم منك الخطابة التي هي مفيدة للإقناع . فأجابه المعلم وقال : وأنا أيضاً أناظرك فإن أقنعتك بأنه يجب لي أخذ حقي منك أخذته أخذ من أقنع . وإن لم أقنعك فيجب أيضاً أخذه منك إذ قد نشأت تلميذاً يستظهر على معلمه . قد قيل في المثل : بيض رديء لغراب رديء (لابي الفرج)

صِفة مَسجد البصرة وذِكر خطيبها

٣٠٧ مَسْجِدُ ٱلْبَصْرَةِ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمَسَاجِدِ . وَصَحْنُهُ مُتَنَاهِي ٱلْانْفِسَاحِ مَفْرُوشٌ بِٱلْحَصْبَاءِ ٱلْحَمْرَاءِ ٱلَّتِي يُؤْتَى بِهَا مِنْ وَادِي ٱلسِّبَاعِ . شَهِدْتُ مَرَّةً بِهٰذَا ٱلْمَسْجِدِ صَلَاةَ ٱلْجُمُعَةِ . فَلَمَّا قَامَ ٱلْخَطِيبُ بِهِ إِلَى ٱلْخُطْبَةِ وَسَرَدَهَا لَحَنَ فِيهَا لَحْنًا كَثِيرًا جَلِيًّا فَعَجِبْتُ مِنْ أَمْرِهِ وَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلْقَاضِي حُجَّةِ ٱلدِّينِ فَقَالَ لِي : إِنَّ هٰذَا ٱلْبَلَدَ لَمْ يَبْقَ بِهِ مَنْ يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ ٱلنَّحْوِ . وَهٰذِهِ عِبْرَةٌ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا . سُبْحَانَ مُغَيِّرِ ٱلْأَشْيَاءِ وَمُقَلِّبِ ٱلْأُمُورِ . هٰذِهِ ٱلْبَصْرَةُ ٱلَّتِي إِلَى أَهْلِهَا ٱنْتَهَتْ رِئَاسَةُ ٱلنَّحْوِ وَفِيهَا أَصْلُهُ وَفَرْعُهُ وَمِنْ أَهْلِهَا إِمَامُهُ ٱلَّذِي لَا يُنْكَرُ سَبْقُهُ لَا يُقِيمُ خَطِيبُهَا خُطْبَةَ ٱلْجُمُعَةِ عَلَى دَؤُوبِهِ عَلَيْهَا (لابن بطوطة)

حِلم المأمون

٣٠٨ إِنَّهُ كَانَ لِلْمَأْمُونِ خَادِمٌ يَسْرِقُ طَاسَاتِهِ ٱلَّتِي يَشْرَبُ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَأْمُونُ : إِذَا سَرَقْتَ شَيْئًا فَأْتِنِي بِمَا تَسْرِقُهُ فَأَشْتَرِيَهُ مِنْكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْخَادِمُ : ٱشْتَرِ مِنِّي هٰذِهِ . وَأَشَارَ إِلَى ٱلَّتِي بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ : بِكَمْ . قَالَ : بِدِينَارَيْنِ . قَالَ : عَلَى شَرْطِ أَنَّكَ لَا تَسْرِقُهَا . قَالَ : نَعَمْ . فَأَعْطَاهُ دِينَارَيْنِ . فَلَمْ يَعُدِ ٱلْخَادِمُ يَسْرِقُ بَعْدَهَا شَيْئًا لِمَا رَأَى مِنْ حِلْمِهِ (للاتليدي)

ذِكر العجلات التي يُسافر عليها ببلاد الروم

٣٠٩ أَلرُّومُ يُسَمُّونَ ٱلْعَجَلَةَ عَرَبَةً . وَهِيَ عَجَلَاتٌ تَكُونُ لِلْوَاحِدَةِ

مِنهنّ أربعُ بكَراتٍ كِبارٍ ومنها ما يجرُّه فرسانِ ومنها ما يجرُّه أكثرَ من ذلِكَ وتجرُّها أيضاً البقرُ والجمالُ على حالِ العربةِ في ثِقلها أو خِفتها . والذي يخدمُ العربةَ يركبُ أحدَ الأفراسِ التي تجرُّها ويكونُ عليهِ سرجٌ وفي يدهِ سوطٌ يحرّكها للمشيِ وعودٌ كبيرٌ يصوِّبها به إذا عاجت عن القصدِ . ويُجعَل على العربةِ شِبهُ قبّةٍ من قضبانِ خشبٍ مربوطٍ بعضُها إلى بعضٍ بسيورِ جلدٍ رقيقٍ وهي خفيفةُ الحملِ وتُكسى باللبدِ أو بالملَفِ . ويكونُ فيها طيقانٌ مشبّكةٌ ويرى الذي بداخلها الناسَ ولا يرونه ويتقلّبُ فيها كما يحبُّ وينامُ ويأكلُ ويقرأُ ويكتبُ وهو في حالِ سيرِه . والتي تحملُ الأثقالَ والأزوادَ وخزائنَ الأطعمةِ من هذهِ العرباتِ يكونُ عليها شِبهُ البيتِ كما ذكرنا وعليهِ قفلٌ (لابن بطوطة)

كرم حسن بن سهل

٣١٠ كانَ الحسنُ بنُ سهلٍ وزيراً للمأمونِ . وتزوّجَ المأمونُ ابنتَه بورانَ وانحدرَ في أهلهِ وأصحابهِ وعساكرِهِ وأمرائهِ إلى فمِ الصِّلحِ بواسطَ . فقامَ الحسنُ بنُ سهلٍ في إنزالهم قياماً عظيماً وبذلَ من الأموالِ ونثرَ من الدُّررِ ما يفوتُ حدَّ الكثرةِ حتى أنَّه عملَ بطاطيخَ من عنبرٍ وجعلَ في وسطِ كلِّ واحدةٍ منها رقعةً بضيعةٍ من ضياعهِ ونثرَها فمن وقعت في يدهِ بطيخةٌ منها فتحها وتسلّمَ الضيعةَ التي فيها . وكانت دعوةً عظيمةً تتجاوزُ حدَّ

ٱلْكَثْرَةِ حَتَّى أَنَّ ٱلْمَأْمُونَ نَسَبَ وَزِيرَهُ فِي ذٰلِكَ إِلَى ٱلسَّرَفِ . وَقَالُوا : جُمْلَةُ مَا أُخْرِجَ عَلَى دَعْوَةِ فَمِ ٱلصِّلْحِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وَكَانَ ٱلْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ قَدْ فَرَشَ لِلْمَأْمُونِ حَصِيرًا مَنْسُوجًا مِنْ ذَهَبٍ وَنَثَرَ عَلَيْهِ أَلْفَ لُؤْلُؤَةٍ مِنْ كِبَارِ ٱللُّؤْلُؤِ (الفخري)

ملك الروم وحاتم الطائي

٣١١ مِنْ أَعْجَبِ مَا حُكِيَ عَنْ حَاتِمٍ ٱلطَّائِيِّ هُوَ أَنَّ أَحَدَ قَيَاصِرَةِ ٱلرُّومِ بَلَغَتْهُ أَخْبَارُ حَاتِمٍ فَٱسْتَغْرَبَ ذٰلِكَ . وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ أَنَّ لِحَاتِمٍ فَرَسًا مِنْ كِرَامِ ٱلْخَيْلِ عَزِيزَةً عِنْدَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَعْضَ حُجَّابِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ ٱلْفَرَسَ هَدِيَّةً إِلَيْهِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَمْتَحِنَ سَمَاحَتَهُ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْحَاجِبُ دِيَارَ طَيٍّ سَأَلَ عَنْ أَبْيَاتِ حَاتِمٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ . فَٱسْتَقْبَلَهُ وَرَحَّبَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ حَاجِبُ ٱلْمَلِكِ . وَكَانَتِ ٱلْمَوَاشِي حِينَئِذٍ فِي ٱلْمَرَاعِي فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهَا سَبِيلًا لِقِرَى ضَيْفِهِ فَنَحَرَ ٱلْفَرَسَ وَأَضْرَمَ ٱلنَّارَ . ثُمَّ دَخَلَ إِلَى ضَيْفِهِ يُحَادِثُهُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ قَيْصَرَ وَقَدْ حَضَرَ يَسْتَمِيحُهُ ٱلْفَرَسَ فَسَاءَ ذٰلِكَ حَاتِمًا وَقَالَ : هَلَّا أَعْلَمْتَنِي قَبْلَ ٱلْآنَ فَإِنِّي قَدْ نَحَرْتُهَا لَكَ إِذْ لَمْ أَجِدْ جَزُورًا غَيْرَهَا بَيْنَ يَدَيَّ . فَعَجِبَ ٱلرَّسُولُ مِنْ سَخَائِهِ وَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْنَا مِنْكَ أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعْنَا (لابن عبد ربه)

وفاة نجل ملك إيذج

٣١٢ لَمَّا دَخَلْتُ مَدِينَةَ إِيذَجَ أَرَدْتُ رُؤْيَةَ ٱلسُّلْطَانِ فَلَمْ يَتَأَتَّ لِي

ذلكَ بسببِ أنهُ لا يخرجُ إلّا يومَ الجمعةِ. وكانَ لهُ ابنٌ هوَ وليُّ عهدِهِ وليسَ لهُ سِواهُ فمرضَ في تلكَ الأيامِ ولمّا انتصفَ الليلُ في إحدى الليالي سمعنا الصراخَ والنُّواحَ وقد ماتَ المريضُ المذكورُ. ولمّا كانَ منَ الغدِ دخلَ عليَّ شيخُ الزاويةِ وأهلُ البلدِ وقالوا: إنَّ كبراءَ المدينةِ منَ القضاةِ والفقهاءِ والأشرافِ والأمراءِ قد ذهبوا إلى دارِ السلطانِ للعزاءِ فينبغي لكَ أن تذهبَ في جملتِهِم. فأنِفتُ منْ ذلكَ. فعزموا عليَّ فلم يكنْ لي بُدٌّ منَ المسيرِ فسِرتُ معهُم. فوجدتُ مشورَ دارِ السلطانِ ممتلئًا رجالًا وصبيانًا منَ المماليكِ وأبناءِ الملوكِ والوزراءِ والأجنادِ وقد لبسوا التلاليسَ وجلالَ الدوابِّ وجعلوا فوقَ رؤوسِهِم الترابَ والتبنَ وبعضُهُم قد جزَّ ناصيتَهُ. وانقسموا فرقتينِ فرقةٌ بأعلى المشورِ وفرقةٌ بأسفلِهِ. وتزحفُ كلُّ فرقةٍ إلى جهةِ الأخرى وهمْ ضاربونَ بأيديهِم على صدورِهِم قائلونَ: مولانا. فرأيتُ منْ ذلكَ أمرًا هائلًا ومنظرًا فظيعًا لم أعهدْ مثلَهُ. ولمّا دخلتُ رأيتُ جهاتِ المشورِ غاصّةً بالناسِ ... ونظرتُ يمينًا وشمالًا لأرتادَ موضعًا لجلوسي. فرأيتُ هنالكَ سقيفةً مرتفعةً عنِ الأرضِ بمقدارِ شبرٍ وفي إحدى زواياها رجلٌ منفردٌ عنِ الناسِ قاعدٌ عليهِ ثوبُ صوفٍ شِبهُ اللبدِ يلبسُهُ بتلكَ البلادِ ضعفاءُ الناسِ أيامَ المطرِ والثلجِ وفي الأسفارِ. فتقدمتُ إلى حيثُ الرجلُ وانقطعَ عنّي أصحابي لمّا رأوا إقدامي نحوَهُ

وَعجبوا مِنِي وَأَنا لا عِلْمَ عِندي بِشَيْءٍ مِن حالِهِ . فَصعدتُ السَّقِيفَةَ وَسَلَّمتُ عَلَى الرَّجُلِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ وَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقِيامَ وَهُمْ يُسَمُّونَ ذَلِكَ نِصفَ الْقِيامِ . وَقَعَدتُ فِي الرُّكْنِ الْمُقابِلِ لَهُ . ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى النَّاسِ وَقَدْ رَمَوْنِي بِأَبْصارِهِمْ جَمِيعاً . فَعَجِبْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ الْفُقَهاءَ وَالْمَشايِخَ وَالأَشرافَ مُسْتَنِدِينَ إِلَى الْحائِطِ تَحْتَ السَّقِيفَةِ . وَأَشارَ إِلَيَّ أَحَدُ الْقُضاةِ أَنْ أَنْحَطَّ إِلَى جانِبِهِ . فَلَمْ أَفْعَلْ . وَحِينَئِذٍ اسْتَشْعَرْتُ أَنَّهُ السُّلْطانُ . فَلَمَّا كانَ بَعْدَ ساعَةٍ أَتَى شَيْخُ الْمَشايِخِ نُورُ الدِّينِ الْكِرْمانِيُّ فَصَعِدَ إِلَى السَّقِيفَةِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجُلِ . فَقامَ إِلَيْهِ وَجَلَسَ فِيما بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَحِينَئِذٍ عَلِمْتُ أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ السُّلْطانُ . ثُمَّ جِيءَ بِالْجِنازَةِ وَهِيَ بَيْنَ أَشْجارِ الأُتْرُجِّ وَاللَّيْمُونِ وَالنّارَنْجِ وَقَدْ مَلأُوا أَغْصانَها بِثِمارِها وَالأَشْجارُ بِأَيْدِي الرِّجالِ . فَكَأَنَّ الْجِنازَةَ تَمْشِي فِي بُسْتانٍ وَالْمَشاعِلُ فِي رِماحٍ طِوالٍ بَيْنَ يَدَيْها وَالشَّمْعُ كَذَلِكَ . فَصُلِّيَ عَلَيْها وَذَهَبَ النّاسُ مَعَها إِلَى مَدْفَنِ الْمُلُوكِ وَهُوَ بِمَوْضِعٍ يُقالُ لَهُ هَلافَيْحانُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَهُنالِكَ مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةٌ يَشُقُّها النَّهْرُ وَبِداخِلِها مَسْجِدٌ تُقامُ فِيهِ الْجُمُعَةُ وَبِخارِجِها حَمّامٌ وَيَحُفُّ بِها بُسْتانٌ عَظِيمٌ وَبِها الطَّعامُ لِلْوارِدِ وَلِلصّادِرِ . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى مَدْفَنِ الْجِنازَةِ لِبُعْدِ الْمَوْضِعِ فَعُدْتُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ

(لابن بطوطة)

الباب التاسع
في الأسفار

سفر ابن بطوطة الى مدينة بلغار

٣١٣ قَالَ ابْنُ بَطُوطَةَ : كُنْتُ سَمِعْتُ بِمَدِينَةِ بُلْغَارَ فَأَرَدْتُ التَّوَجُّهَ إِلَيْهَا لِأَرَى مَا ذُكِرَ عَنْهَا مِنِ انْتِهَاءِ قِصَرِ اللَّيْلِ بِهَا وَقِصَرِ النَّهَارِ أَيْضًا فِي عَكْسِ ذٰلِكَ الْفَصْلِ . وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَحَلَّةِ السُّلْطَانِ أُوزْبَكْ خَانَ سُلْطَانِ الْأَتْرَاكِ مَسِيرَةُ عَشْرٍ . فَطَلَبْتُ مِنْهُ مَنْ يُوصِلُنِي إِلَيْهَا فَبَعَثَ مَعِي مَنْ أَوْصَلَنِي إِلَيْهَا وَرَدَّنِي إِلَيْهِ . وَوَصَلْتُهَا فِي رَمَضَانَ . فَلَمَّا صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ أَفْطَرْنَا وَأُذِّنَ بِالْعِشَاءِ فِي أَثْنَاءِ إِفْطَارِنَا فَصَلَّيْنَاهَا وَأَتْمَمْنَا بَاقِيَ الصَّلَوَاتِ فَطَلَعَ الْفَجْرُ فِي إِثْرِ ذٰلِكَ . وَيَقْصُرُ كَذٰلِكَ النَّهَارُ بِهَا فِي فَصْلِ قِصَرِهِ أَيْضًا وَأَقَمْتُ بِهَا ثَلَاثًا . وَكُنْتُ أَرَدْتُ الدُّخُولَ إِلَى أَرْضِ الظُّلْمَةِ وَالدُّخُولُ إِلَيْهَا مِنْ بُلْغَارَ وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . ثُمَّ أَضْرَبْتُ عَنْ ذٰلِكَ لِعِظَمِ الْمَؤُونَةِ فِيهِ وَقِلَّةِ الْجَدْوَى . وَالسَّفَرُ إِلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا فِي عَجَلَاتٍ صِغَارٍ تَجُرُّهَا كِلَابٌ كِبَارٌ . فَإِنَّ تِلْكَ الْمَفَازَةَ فِيهَا الْجَلِيدُ فَلَا تَثْبُتُ قَدَمُ الْآدَمِيِّ وَلَا حَافِرُ الدَّابَّةِ فِيهَا وَالْكِلَابُ لَهَا الْأَظْفَارُ فَتَثْبُتُ أَقْدَامُهَا فِي الْجَلِيدِ . وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْأَقْوِيَاءُ مِنَ التُّجَّارِ الَّذِينَ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ مِائَةُ عَجَلَةٍ أَوْ نَحْوُهَا مُوقَرَةً بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَحَطَبِهِ . فَإِنَّهَا لَا شَجَرَ فِيهَا وَلَا حَجَرَ وَلَا مَدَرَ . وَالدَّلِيلُ

بِتِلْكَ ٱلْأَرْضِ هُوَ ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي قَدْ سَارَ فِيهَا مِرَارًا كَثِيرَةً وَتَنْتَهِي قِيمَتُهُ إِلَى أَلْفِ دِينَارٍ وَنَحْوِهَا. وَتُرْبَطُ ٱلْعَرَبَةُ إِلَى عُنُقِهِ وَيُقْرَنُ مَعَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ ٱلْكِلَابِ وَيَكُونُ هُوَ ٱلْمُقَدَّمَ وَتَتْبَعُهُ سَائِرُ ٱلْكِلَابِ بِٱلْعَرَبَاتِ فَإِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ. وَإِذَا كَمَلَتْ لِلْمُسَافِرِينَ بِهَذِهِ ٱلْفَلَاةِ أَرْبَعُونَ مَرْحَلَةً نَزَلُوا عِنْدَ ٱلظُّلْمَةِ. وَتَرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ ٱلْمَتَاعِ هُنَالِكَ. وَعَادُوا إِلَى مَنْزِلِهِمِ ٱلْمُعْتَادِ. فَإِذَا كَانَ ٱلْغَدُ عَادُوا لِتَفَقُّدِ مَتَاعِهِمْ فَيَجِدُونَ بِإِزَائِهِ مِنَ ٱلسَّمُّورِ وَٱلسِّنْجَابِ وَٱلْقَاقُمِ. فَإِنْ رَضِيَ صَاحِبُ ٱلْمَتَاعِ مَا وَجَدَهُ إِزَاءَ مَتَاعِهِ أَخَذَهُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَهُ تَرَكَهُ

رحلة ابن بطوطة الى الصين ومحنته بالاسر

٣١٤ أَحَبَّ مَلِكُ ٱلْهِنْدِ أَنْ يَبْعَثَ هَدَايَا نَفِيسَةً لِمَلِكِ ٱلصِّينِ. فَعَيَّنَ ٱلسُّلْطَانُ لِلسَّفَرِ مَعِي ٱلْأَمِيرَ ظَهِيرَ ٱلدِّينِ ٱلزَّنْجَانِيَّ وَهُوَ مِنْ فُضَلَاءِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ. وَٱلْفَتَى كَافُورًا وَإِلَيْهِ سُلِّمَتِ ٱلْهَدِيَّةُ. وَبَعَثَ مَعَنَا ٱلْأَمِيرَ مُحَمَّدًا ٱلْهَرَوِيَّ فِي أَلْفِ فَارِسٍ لِيُوصِلَنَا إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي نَرْكَبُ مِنْهُ ٱلْبَحْرَ. وَكَانَ سَفَرُنَا فِي ٱلسَّابِعَ عَشَرَ لِشَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ وَثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ. وَكَانَ نُزُولُنَا فِي أَوَّلِ مَرْحَلَةٍ بِمَنْزِلِ تِلْبَتَ. وَرَحَلْنَا مِنْهُ إِلَى مَنْزِلِ أَوْ ثُمَّ إِلَى بَيَانَةَ. ثُمَّ سِرْنَا مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ كُولَ. وَلَمَّا ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَلَغَنَا أَنَّ بَعْضَ كُفَّارِ ٱلْهُنُودِ حَاصَرُوا بَلْدَةَ ٱلْجَلَالِيِّ وَأَحَاطُوا بِهَا وَهِيَ عَلَى مَسَافَةِ سَبْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ كُولَ. فَقَصَدْنَاهَا وَٱلْكُفَّارُ يُقَاتِلُونَ

أَهْلَهَا وَقَدْ أَشْرَفُوا عَلَى ٱلتَّلَفِ. وَلَمْ يَعْلَمِ ٱلْكُفَّارُ بِنَا حَتَّى صَدَقْنَا ٱلْحَمْلَةَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي نَحْوِ أَلْفِ فَارِسٍ وَثَلَاثَةِ آلَافِ رَاجِلٍ فَقَتَلْنَاهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ وَٱحْتَوَيْنَا عَلَى خَيْلِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ. وَٱسْتُشْهِدَ مِنْ أَصْحَابِنَا ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ فَارِسًا وَخَمْسَةٌ وَخَمْسُونَ رَاجِلًا وَٱسْتُشْهِدَ ٱلْفَتَى كَافُورُ ٱلسَّاقِي ٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْهَدِيَّةُ مُسَلَّمَةً بِيَدِهِ. فَكَتَبْنَا إِلَى ٱلسُّلْطَانِ بِخَبَرِهِ وَأَقَمْنَا فِي ٱنْتِظَارِ ٱلْجَوَابِ. وَكَانَ ٱلْكُفَّارُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَنْزِلُونَ مِنْ جَبَلٍ هُنَالِكَ مَنِيعٍ. فَيُغِيرُونَ عَلَى نَوَاحِي بَلْدَةِ ٱلْجَلَالِي. وَكَانَ أَصْحَابُنَا يَرْكَبُونَ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ أَمِيرِ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ لِيُعِينُوهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ. وَفِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ رَكِبْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِي وَدَخَلْنَا بُسْتَانًا نَقِيلُ فِيهِ وَذَلِكَ فَصْلُ ٱلْقَيْظِ. فَسَمِعْنَا ٱلصِّيَاحَ فَرَكِبْنَا وَلَحِقْنَا كُفَّارًا أَغَارُوا عَلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى ٱلْجَلَالِي فَٱتَّبَعْنَاهُمْ. فَتَفَرَّقُوا وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُنَا فِي طَلَبِهِمْ وَٱنْفَرَدْتُ فِي خَمْسَةٍ مِنْ أَصْحَابِي. فَخَرَجَ عَلَيْنَا جُمْلَةٌ مِنَ ٱلْفُرْسَانِ وَٱلرِّجَالِ مِنْ غَيْضَةٍ هُنَالِكَ فَفَرَرْنَا مِنْهُمْ لِكَثْرَتِهِمْ. وَٱتَّبَعَنِي نَحْوُ عَشَرَةٍ مِنْهُمْ ثُمَّ ٱنْقَطَعُوا عَنِّي إِلَّا ثَلَاثَةً مِنْهُمْ. وَلَا طَرِيقَ بَيْنَ يَدَيَّ. وَتِلْكَ ٱلْأَرْضُ كَثِيرَةُ ٱلْحِجَارَةِ. فَنَشِبَتْ يَدَا فَرَسِي بَيْنَ ٱلْحِجَارَةِ فَنَزَلْتُ عَنْهُ وَٱقْتَلَعْتُ يَدَهُ وَعُدْتُ إِلَى رُكُوبِهِ. وَٱلْعَادَةُ بِٱلْهِنْدِ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱلْإِنْسَانِ سَيْفَانِ أَحَدُهُمَا مُعَلَّقٌ بِٱلسَّرْجِ وَيُسَمَّى ٱلرِّكَابِيَّ وَٱلْآخَرُ فِي ٱلتَّرْكَشِ. فَسَقَطَ سَيْفِي ٱلرِّكَابِي مِنْ غِمْدِهِ وَكَانَتْ حِلْيَتُهُ ذَهَبًا فَنَزَلْتُ فَأَخَذْتُهُ وَتَقَلَّدْتُهُ وَرَكِبْتُ

وَهُمْ فِي أَثَرِي . ثُمَّ وَصَلْتُ إِلَى خَنْدَقٍ عَظِيمٍ فَنَزَلْتُ وَدَخَلْتُ فِي جَوْفِهِ فَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِمْ . ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى وَادٍ فِي وَسَطِ شَعْرَاءَ مُلْتَفَّةٍ فِي وَسَطِهَا طَرِيقٌ فَمَشَيْتُ عَلَيْهِ وَلَا أَعْرِفُ مُنْتَهَاهُ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي ذَلِكَ خَرَجَ عَلَيَّ نَحْوُ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ ٱلْكُفَّارِ بِأَيْدِيهِمِ ٱلْقِسِيُّ . فَأَحْدَقُوا بِي وَخِفْتُ أَنْ يَرْمُونِي رَمْيَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ إِنْ فَرَرْتُ مِنْهُمْ . وَكُنْتُ غَيْرَ مُتَدَرِّعٍ فَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَأْسَرْتُ وَهُمْ لَا يَقْتُلُونَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ . فَأَخَذُونِي وَسَلَبُونِي جَمِيعَ مَا عَلَيَّ غَيْرَ جُبَّةٍ وَقَمِيصٍ وَسِرْوَالٍ وَدَخَلُوا بِي إِلَى تِلْكَ ٱلْغَابَةِ . فَٱنْتَهَوْا بِي إِلَى مَوْضِعِ جُلُوسِهِمْ مِنْهَا عَلَى حَوْضِ مَاءٍ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْأَشْجَارِ . وَأَتَوْنِي بِخُبْزِ مَاشٍ وَهُوَ ٱلْجُلُبَّانُ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَشَرِبْتُ مِنَ ٱلْمَاءِ . وَكَانَ مَعَهُمْ مُسْلِمَانِ كَلَّمَانِي بِٱلْفَارِسِيَّةِ وَسَأَلَانِي عَنْ شَأْنِي . فَأَخْبَرْتُهُمَا بِبَعْضِهِ وَكَتَمْتُهُمَا أَنِّي مِنْ جِهَةِ ٱلسُّلْطَانِ فَقَالَا لِي : لَا بُدَّ أَنْ يَقْتُلَكَ هٰؤُلَاءِ أَوْ غَيْرُهُمْ وَلٰكِنَّ هٰذَا مُقَدَّمُهُمْ . وَأَشَارَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَكَلَّمْتُهُ بِتَرْجَمَةِ ٱلْمُسْلِمَيْنِ وَتَلَطَّفْتُ لَهُ . فَوَكَّلَ بِي ثَلَاثَةً مِنْهُمْ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ وَمَعَهُ ٱبْنُهُ وَٱلْآخَرُ أَسْوَدُ خَبِيثٌ . وَكَلَّمَنِي أُولٰئِكَ ٱلثَّلَاثَةُ فَفَهِمْتُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ أُمِرُوا بِقَتْلِي . وَٱحْتَمَلُونِي عَشِيَّ ٱلنَّهَارِ إِلَى كَهْفٍ وَسَلَّطَ ٱللهُ عَلَى ٱلْأَسْوَدِ مِنْهُمْ حُمَّى مُرْعِدَةً فَوَضَعَ رِجْلَيْهِ عَلَيَّ وَنَامَ ٱلشَّيْخُ وَٱبْنُهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ تَكَلَّمُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَأَشَارُوا إِلَيَّ بِٱلنُّزُولِ مَعَهُمْ إِلَى ٱلْحَوْضِ وَفَهِمْتُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلِي . فَكَلَّمْتُ ٱلشَّيْخَ

وَتَلَطَّفْتُ إِلَيْهِ فَرَقَّ لِي. وقَطَعْتُ كُمَّ قَمِيصِي وَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُما لِكَي لا يَأْخُذَهُ أَصْحابُهُ فِي إِنْ فَرَرْتُ. وَلَمَّا كانَ عِنْدَ الظُّهْرِ سَمِعْنا كَلاماً عِنْدَ الْحَوْضِ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَصْحابُهُمْ. فَأَشارُوا إِلَيَّ بِالنُّزُولِ مَعَهُمْ فَنَزَلْنا وَوَجَدْنا قَوْماً آخَرِينَ. فَأَشارُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يَذْهَبُوا فِي صُحْبَتِهِمْ فَأَبَوْا. وَجَلَسَ ثَلاثَتُهُمْ أَمامِي وَأَنا مُواجِهٌ لَهُمْ وَوَضَعُوا حَبْلَ قِنَّبٍ كانَ مَعَهُمْ بِالْأَرْضِ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: بِهٰذا الْحَبْلِ يَرْبِطُونَنِي عِنْدَ الْقَتْلِ. وَأَقَمْتُ كَذٰلِكَ ساعَةً ثُمَّ جاءَ ثَلاثَةٌ مِنْ أَصْحابِهِمِ الَّذِينَ أَخَذُونِي فَتَكَلَّمُوا مَعَهُمْ وَفَهِمْتُ أَنَّهُمْ قالُوا لَهُمْ: لِأَيِّ شَيْءٍ ما قَتَلْتُمُوهُ. فَأَشارَ الشَّيْخُ إِلَى الْأَسْوَدِ كَأَنَّهُ اعْتَذَرَ بِمَرَضِهِ. وَكانَ أَحَدُ هٰؤُلاءِ الثَّلاثَةِ شابّاً حَسَنَ الْوَجْهِ فَقالَ لِي: أَتُرِيدُ أَنْ أُسَرِّحَكَ. فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقالَ: اذْهَبْ. فَأَخَذْتُ الْجُبَّةَ الَّتِي كانَتْ عَلَيَّ فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاها وَأَعْطانِي مُنَيَّرَةً بالِيَةً عِنْدَهُ وَأَرانِي الطَّرِيقَ فَذَهَبْتُ وَخِفْتُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُمْ فَيُدْرِكُونِي. فَدَخَلْتُ غَيْضَةَ قَصَبٍ وَاخْتَفَيْتُ فِيها إِلَى أَنْ غابَتِ الشَّمْسُ. ثُمَّ خَرَجْتُ وَسَلَكْتُ الطَّرِيقَ الَّتِي أَرانِيها الشَّابُّ فَأَفْضَتْ بِي إِلَى ماءٍ فَشَرِبْتُ مِنْهُ وَسِرْتُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ فَوَصَلْتُ إِلَى جَبَلٍ فَنِمْتُ تَحْتَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ سَلَكْتُ الطَّرِيقَ فَوَصَلْتُ ضُحىً إِلَى جَبَلٍ مِنَ الصَّخْرِ عالٍ فِيهِ شَجَرُ أُمِّ غَيْلانَ وَالسِّدْرِ. فَكُنْتُ أَجْنِي النَّبْقَ فَآكُلُهُ حَتَّى أَثَّرَ الشَّوْكُ فِي ذِراعِي آثاراً هِيَ باقِيَةٌ بِهِ حَتَّى الْآنَ. ثُمَّ نَزَلْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْجَبَلِ إِلَى أَرْضٍ مُزْدَرَعَةٍ

قطنا وبها أشجار الخروع. وهنالك بائن والبائن عندهم بئر متسعة جداً مطوية بالحجارة لها درج ينزل عليها إلى ورد الماء. وبعضها يكون في وسطه وجوانبه القباب من الحجر والسقائف والمجالس ويتفاخر ملوك البلاد وأمراؤها بعمارتها في الطرقات التي لا ماء بها. وسنذكر بعض ما رأيناه منها فيما بعد. ولما وصلت إلى البائن شربت منه ووجدت عليه شيئاً من عساليج الخردل قد سقطت لمن غسلها. فأكلت منها وادخرت باقيها ونمت تحت شجرة خروع. فبينما أنا كذلك إذ ورد البائن نحو أربعين فارساً مدرعين فدخل بعضهم إلى المزرعة ثم ذهبوا وطمس الله أبصارهم دوني. ثم جاء بعدهم نحو خمسين في السلاح ونزلوا إلى البائن وأتى أحدهم إلى شجرة إزاء الشجرة التي كنت تحتها فلم يشعر بي. ودخلت إذ ذاك في مزرعة القطن وأقمت بها بقية نهاري وأقاموا على البائن يغسلون ثيابهم ويلعبون. فلما كان الليل هدأت أصواتهم فعلمت أنهم قد مروا أو ناموا. فخرجت حينئذ واتبعت أثر الخيل والليل مقمر وسرت حتى انتهيت إلى بائن آخر عليه قبة. فنزلت إليه وشربت من مائه وأكلت من عساليج الخردل التي كانت عندي. ودخلت القبة فوجدتها مملوءة بالعشب مما يجمعه الطير فنمت بها وكنت أحس حركة حيوان في تلك العشب أظنه حية فلا أبالي بها لما بي من الجهد. فلما أصبحت سلكت طريقاً واسعة

تُفْضِي إِلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ . وَسَلَكْتُ سِوَاهَا فَكَانَتْ كَمِثْلِهَا وَأَقَمْتُ كَذَٰلِكَ أَيَّامًا . وَفِي بَعْضِهَا وَصَلْتُ إِلَى أَشْجَارٍ مُلْتَفَّةٍ بَيْنَهَا حَوْضُ مَاءٍ وَدَاخِلَهَا شِبْهُ بَيْتٍ وَعَلَى جَوَانِبِ ٱلْحَوْضِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ كَالنَّجِيلِ وَغَيْرِهِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَقْعُدَ هُنَالِكَ حَتَّى يَبْعَثَ ٱللهُ مَنْ يُوصِلُنِي إِلَى ٱلْعِمَارَةِ . ثُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ يَسِيرَ قُوَّةٍ فَنَهَضْتُ عَلَى طَرِيقٍ وَجَدْتُ بِهَا أَثَرَ ٱلْبَقَرِ . وَوَجَدْتُ ثَوْرًا عَلَيْهِ بَرْدَعَةٌ وَمِنْجَلٌ فَإِذَا تِلْكَ ٱلطَّرِيقُ تُفْضِي إِلَى قُرَى ٱلْكُفَّارِ . فَٱتَّبَعْتُ طَرِيقًا أُخْرَى فَأَفْضَتْ بِي إِلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ وَرَأَيْتُ بِهَا أَسْوَدَيْنِ فَخِفْتُهُمَا وَأَقَمْتُ تَحْتَ أَشْجَارٍ هُنَالِكَ . فَلَمَّا كَانَ ٱللَّيْلُ دَخَلْتُ ٱلْقَرْيَةَ وَوَجَدْتُ دَارًا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهَا شِبْهُ خَابِيَةٍ كَبِيرَةٍ يَصْنَعُونَهَا لِٱخْتِزَانِ ٱلزَّرْعِ وَفِي أَسْفَلِهَا نَقْبٌ يَسَعُ ٱلرَّجُلَ . فَدَخَلْتُهَا وَوَجَدْتُ دَاخِلَهَا مَفْرُوشًا بِٱلتِّبْنِ وَفِيهِ حَجَرٌ جَعَلْتُ رَأْسِي عَلَيْهِ وَنِمْتُ . وَكَانَ فَوْقَهَا طَائِرٌ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ أَكْثَرَ ٱللَّيْلِ وَأَظُنُّهُ كَانَ يَخَافُ فَٱجْتَمَعْنَا خَائِفَيْنِ . وَأَقَمْتُ عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ أُسِرْتُ وَهُوَ يَوْمُ ٱلسَّبْتِ . وَفِي ٱلسَّابِعِ مِنْهَا وَصَلْتُ إِلَى قَرْيَةٍ لِلْكُفَّارِ عَامِرَةٍ وَفِيهَا حَوْضُ مَاءٍ وَمَنَابِتُ خُضَرٍ فَسَأَلْتُهُمُ ٱلطَّعَامَ فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُونِي . فَوَجَدْتُ حَوْلَ بِئْرٍ بِهَا أَوْرَاقَ فِجْلٍ فَأَكَلْتُهَا . وَجِئْتُ ٱلْقَرْيَةَ فَوَجَدْتُ جَمَاعَةَ كُفَّارٍ لَهُمْ طَلِيعَةٌ فَدَعَانِي طَلِيعَتُهُمْ فَلَمْ أُجِبْهُ . وَقَعَدْتُ إِلَى ٱلْأَرْضِ فَأَتَى أَحَدُهُمْ بِسَيْفٍ مَسْلُولٍ وَرَفَعَهُ لِيَضْرِبَنِي بِهِ فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ لِعَظِيمِ مَا بِي مِنْ

ٱلْجَهْدِ . فَفَتَّشَنِي فَلَمْ يَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا فَأَخَذَ ٱلْقَمِيصَ ٱلَّذِي كُنْتُ أَعْطَيْتُ كُمَّهُ لِلشَّيْخِ ٱلْمُوَكَّلِ بِي . وَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّامِنُ ٱشْتَدَّ بِي ٱلْعَطَشُ وَعَدِمْتُ ٱلْمَاءَ ووَصَلْتُ إِلَى قَرْيَةٍ خَرَابٍ فَلَمْ أَجِدْ بِهَا حَوْضًا. وَعَادَتُهُمْ بِتِلْكَ ٱلْقُرَى أَنْ يَصْنَعُوا أَحْوَاضًا يَجْتَمِعُ بِهَا مَاءُ ٱلْمَطَرِ فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ جَمِيعَ ٱلسَّنَةِ . فَٱتَّبَعْتُ طَرِيقًا فَأَفْضَتْ بِي إِلَى بِئْرٍ غَيْرِ مَطْوِيَّةٍ عَلَيْهَا حَبْلٌ مَصْنُوعٌ مِنْ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ فِيهِ آنِيَةٌ يُسْتَقَى بِهَا فَرَبَطْتُ خِرْقَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِي فِي ٱلْحَبْلِ وَٱمْتَصَصْتُ مَا تَعَلَّقَ بِهَا مِنَ ٱلْمَاءِ فَلَمْ يُرْوِنِي . فَرَبَطْتُ خُفِّي وَٱسْتَقَيْتُ بِهِ فَلَمْ يُرْوِنِي . فَٱسْتَقَيْتُ بِهِ ثَانِيًا فَٱنْقَطَعَ ٱلْحَبْلُ وَوَقَعَ ٱلْخُفُّ فِي ٱلْبِئْرِ . فَرَبَطْتُ ٱلْخُفَّ ٱلْآخَرَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِيتُ . ثُمَّ قَطَعْتُهُ فَرَبَطْتُ أَعْلَاهُ فِي رِجْلِي بِحَبْلِ ٱلْبِئْرِ وَبِخِرَقٍ وَجَدْتُهَا هُنَالِكَ . فَبَيْنَمَا أَنَا أَرْبِطُهَا وَأُفَكِّرُ فِي حَالِي إِذْ لَاحَ لِي شَخْصٌ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا رَجُلٌ أَسْوَدُ ٱللَّوْنِ بِيَدِهِ إِبْرِيقٌ وَعُكَّازٌ وَعَلَى كَاهِلِهِ جِرَابٌ . فَقَالَ لِي : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . فَقُلْتُ لَهُ : عَلَيْكُمُ ٱلسَّلَامُ وَرَحْمَةُ ٱللهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ لِي بِٱلْفَارِسِيَّةِ : مَنْ أَنْتَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا تَائِهٌ . فَقَالَ لِي : وَأَنَا كَذٰلِكَ . ثُمَّ رَبَطَ إِبْرِيقَهُ بِحَبْلٍ كَانَ مَعَهُ وَٱسْتَقَى مَاءً . فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْرَبَ فَقَالَ لِي : ٱصْبِرْ . ثُمَّ فَتَحَ جِرَابَهُ فَأَخْرَجَ مِنْهُ غُرْفَةَ حِمَّصٍ أَسْوَدَ مَقْلُوٍّ مَعَ قَلِيلِ أَرُزٍّ فَأَكَلْتُ مِنْهُ وَشَرِبْتُ وَسَأَلَنِي عَنِ ٱسْمِي . فَقُلْتُ : مُحَمَّدٌ . وَسَأَلْتُهُ عَنِ ٱسْمِهِ . فَقَالَ لِي : ٱلْقَلْبُ ٱلْفَارِحُ . فَتَفَاءَلْتُ بِذٰلِكَ

وسرت به . ثم قال لي : بسم الله ترافقني . فقلت : نعم . فمشيت معه قليلا ثم وجدت فتورا في أعضائي ولم أستطع النهوض فقعدت . فقال : ما شأنك . فقلت له : كنت قادرا على المشي قبل أن ألقاك فلما لقيتك عجزت . فقال : سبحان الله . اركب فوق عنقي . فقلت له : إنك ضعيف ولا تستطيع ذلك . فقال : يقويني الله . لا بد لك من ذلك . فركبت على عنقه وقال لي : قل : حسبنا الله ونعم الوكيل . فأكثرت من ذلك . وغلبتني عيني فلم أفق إلا لسقوطي على الأرض . فاستيقظت ولم أر للرجل أثرا وإذا أنا في قرية عامرة . فدخلتها فوجدتها لرعية الهنود وحاكمها من المسلمين فأعلموه بي فجاء إلي . فقلت له : ما اسم هذه القرية . فقال لي : تاج بوره . وبينها وبين مدينة كول حيث أصحابنا فرسخان . وحملني ذلك الحاكم إلى بيته فأطعمني طعاما سخنا واغتسلت وقال لي : عندي ثوب وعمامة أودعهما عندي رجل عربي مصري من أهل المحلة التي بكول . فقلت له : هاتهما ألبسهما إلى أن أصل إلى المحلة . فأتى بهما فوجدتهما من ثيابي كنت قد وهبتهما لذلك العربي لما قدمنا كول . فطال تعجبي من ذلك . وفكرت في الرجل الذي حملني على عنقه . فتذكرت ما أخبرني به ولي الله أبو عبد الله المرشدي حسبما ذكرناه في السفر الأول إذ قال لي : ستدخل أرض الهند وتلقى بها أخي دلشاد ويخلصك من شدة تقع فيها . وتذكرت قوله

(١٤٦)

لما سألته عن اسمه فقال القلب الفارح. وتفسيره بالفارسية دلشاد. فعلمت أنه هو الذي أخبرني بلقائه وأنه من الأولياء. ولم يحصل لي من صحبته إلا المقدار الذي ذكرته. وكتبت تلك الليلة إلى أصحابي بكول معلماً لهم بسلامتي فجاؤوا إليّ بفرس وثياب واستبشروا بي. ووجدت جواب السلطان قد وصلهم وبعث بفتى يسمى بسنبل الجامدار عوضاً عن كافور المستشهد. وأمرنا أن نتمادى على سفرنا ووجدتهم أيضاً قد كتبوا للسلطان بما كان من أمري وتشاءموا بهذه السفرة لما جرى فيها عليّ وعلى كافور وهم يريدون أن يرجعوا. فلما رأيت تأكيد السلطان في السفر أكدت عليهم وقوي عزمي فقالوا: ألا ترى ما اتفق في بداية هذه السفرة والسلطان يعذرك فلنرجع إليه أو نقم حتى يصل جوابه. فقلت لهم: لا يمكن المقام وحيثما كنا أدركنا الجواب. فرحلنا عن كول وأتممنا سفرنا إلى الصين حتى انتهينا إليها (لابن بطوطة)

نبذة من كتاب مروج الذهب للمسعودي

(باختصار)

٣١٥ إنا نذكر في هذا الباب جملاً من أخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشي والممالك والملوك وجملاً من ترتيبها وغير ذلك من أنواع العجائب فنقول: إن بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة. إلا أن هيجانها وركودها يختلف لاختلاف

مهابّ رياحها وإبّان ثورانها وغير ذلك. فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند واستقامة الركوب فيه وقلّة أمواجه. ويلين بحر فارس وتقلّ أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبته عند ركوبه... والغوص على اللؤلؤ في بحر فارس إنّما يكون في أوّل نيسان إلى آخر أيلول وما عدا ذلك من شهور السنة فلا غوص فيها. وتطلق المراكب من بحر فارس إلى البحر الثاني وهو المعروف بلاروي. لا يدرك قعره ولا يحصر كثره من نهاياته ولا تضبط غاياته لغزر مائه واتساع فضائه. وكثير من البحريين يزعمون أنّ الوصف لا يحيط بأقطاره لما ذكرنا من تشعبه. وربّما تقطعه السفن في الشهرين والثلاثة وفي الشهر على قدر مهابّ الرياح والسلامة. وليس في هذه البحار (أعني ما اشتمل عليه البحر الحبشي) أكبر من هذا البحر لاروي ولا أشدّ. وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم. وعنبر هذا البحر قليل. وذلك أنّ العنبر أكثره يقع إلى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب. وأهل الشحر أناس من قضاعة بن حمير وغيرهم من العرب. ويدعى من سكن هذا البلد من العرب المهرة. أصحاب شعور وجمم ولغتهم بخلاف لغة العرب. وذلك أنّهم يجعلون الشين بدلاً من الكاف وغير ذلك في خطابهم ونوادر كلامهم وهم ذوو فقر وفاقة. ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف

بِٱلنُّجُبِ ٱلْمَهْرِيَّةِ تُشْبِهُ فِي ٱلسُّرْعَةِ بِٱلنُّجُبِ ٱلْبَجَاوِيَّةِ . بَلْ عِنْدَ جَمَاعَةٍ أَنَّهَا أَسْرَعُ مِنْهَا . يَسِيرُونَ عَلَيْهَا عَلَى سَاحِلِ بَحْرِهِمْ . وَأَجْوَدُ ٱلْعَنْبَرِ مَا وَقَعَ إِلَى هٰذِهِ ٱلنَّاحِيَةِ وَإِلَى جَزَائِرِ ٱلزَّنْجِ وَسَاحِلِهِ . وَهُوَ ٱلْمُدَوَّرُ ٱلْأَزْرَقُ . وَأَهْلُ جَزَائِرِ ٱلزَّنْجِ مُتَّفِقُو ٱلْكَلِمَةِ لَا يُحْصِرُهُمُ ٱلْعَدَدُ لِكَثْرَتِهِمْ وَلَا تُحْصَى جُيُوشُ ٱلْمَرْأَةِ ٱلْمُتَمَلِّكَةِ عَلَيْهِمْ . وَبَيْنَ ٱلْجَزِيرَةِ وَٱلْجَزِيرَةِ نَحْوُ ٱلْمِيلِ وَٱلْفَرْسَخِ وَٱلْفَرْسَخَيْنِ وَٱلثَّلَاثَةِ . وَلَيْسَ يُوجَدُ فِي جَزَائِرِ ٱلْبَحْرِ أَلْطَفُ صَنْعَةً مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْجَزَائِرِ فِي سَائِرِ ٱلْمِهَنِ وَٱلصَّنَائِعِ مِنَ ٱلثِّيَابِ وَٱلْآلَاتِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ . وَبُيُوتُ أَمْوَالِ هٰذِهِ ٱلْمَلِكَةِ ٱلْوَدَعُ . وَهٰذِهِ ٱلْجَزَائِرُ تُعْرَفُ جَمِيعًا بِٱلدِّيبَجَاتِ . وَمِنْهَا يُحْمَلُ أَكْثَرُ ٱلنَّارَجِيلِ . وَآخِرُ هٰذِهِ ٱلْجَزَائِرِ جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبَ . وَيَلِي سَرَنْدِيبَ جَزَائِرُ أُخَرُ نَحْوٌ مِنْ أَلْفِ فَرْسَخٍ تُعْرَفُ بِٱلرَّامِنِي مَعْمُورَةٌ . فِيهَا مُلُوكٌ وَفِيهَا مَعَادِنُ ذَهَبٍ كَثِيرَةٌ وَيَلِيهَا بِلَادُ قَيْصُورَ وَإِلَيْهَا يُضَافُ ٱلْكَافُورُ ٱلْقَيْصُورِيُّ . وَأَكْثَرُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ هٰذِهِ ٱلْجَزَائِرِ غِذَاؤُهُمُ ٱلنَّارَجِيلُ . وَيُحْمَلُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْجَزَائِرِ خَشَبُ ٱلْبَقَّمِ وَٱلْخَيْزُرَانُ وَٱلذَّهَبُ . وَفِيَلَتُهَا كَثِيرَةٌ وَمِنْ أَهْلِهَا مَنْ يَأْكُلُ لُحُومَ ٱلنَّاسِ . وَتَتَّصِلُ هٰذِهِ ٱلْجَزَائِرُ بِجَزَائِرِ ٱلنِّجَالُوسِ . وَهُمْ أُمَمٌ عَجِيبَةٌ يَخْرُجُونَ فِي ٱلْقَوَارِبِ عِنْدَ ٱجْتِيَازِ ٱلْمَرَاكِبِ بِهِمْ مَعَهُمُ ٱلْعَنْبَرُ وَٱلنَّارَجِيلُ وَغَيْرُ ذٰلِكَ . فَيَتَعَاوَضُونَ بِٱلْحَدِيدِ وَشَيْءٍ مِنَ ٱلثِّيَابِ وَلَا يَبِيعُونَ ذٰلِكَ بِٱلدَّرَاهِمِ وَٱلدَّنَانِيرِ . وَيَلِيهِمْ جَزَائِرُ يُقَالُ لَهَا أَبْرَامَانُ فِيهَا أُنَاسٌ سُودٌ عَجِيبُو ٱلصُّوَرِ وَٱلْمَنَاظِرِ

مُفلفلو الشعور لا مراكب لهم فإذا وقع غريق إليهم ممن كُسِرَ المركب به في البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب إذا وقعت إليهم. وذكر لي جماعة من النواخذة أنهم ربما رأوا في هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان طويل أبيض حتى يتصل بماء البحر فإذا اتصل به غلا لذلك وارتفعت منه زوابع عظيمة لا تمر زوبعة منها بشيء إلا أتلفته. وأما البحر الرابع فهو بحر كله وهو قليل الماء كثير الجزائر والصرائر. وذلك أن أهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصر. ولهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة وإنما غرضنا التلويح بلمع من الأخبار عنها لا البسط. وكذلك البحر الخامس المعروف بكردنج كثير الجبال والجزائر فيه الكافور وماء الكافور. وفيه أجناس من الأمم منهم جنس يقال لهم الفنجب شعورهم مفلفلة وصورهم عجيبة يعرضون في قوارب لهم لطاف للمراكب إذا اجتازت بهم ويرمون بنوع من السهام عجيب قد أسقي السم. ثم يليه بحر الصنف وفيه مملكة المهراج ملك الجزائر ومملكته لا يضبط لكثرته ولا تحصى جنوده. وقد حاز هذا الملك أنواع الأفاويه والطيب وليس لأحد من الملوك ما له. ومما يجهز به من بلاده ويحمل من أرضه الكافور والعود والقرنفل والصندل والبسباسة والقاقلة والكبابة وغير ذلك مما لم نذكره. وجزائره تتصل ببحر لا يدرك غايته ولا يعرف منتهاه. وهو مما يلي بحر

ٱلصِّينِ . وَفِي أَطْرَافِ جَزَائِرِهِ جِبَالٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا ٱلنَّاسُ مُخَرَّمُو ٱلْآذَانِ بِيضُ ٱلْوُجُوهِ يَجُزُّونَ شُعُورَهُمْ . وَتَظْهَرُ مِنْ جِبَالِهِمُ ٱلنَّارُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . بِنَهَارِهَا نَارٌ حَمْرَاءُ وَبِٱللَّيْلِ تَسْوَدُّ وَتَلْحَقُ بِأَعْنَانِ ٱلسَّمَاءِ لِعُلُوِّهَا وَذَهَابِهَا فِي ٱلْجَوِّ . تَقْذِفُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِ ٱلرُّعُودِ وَٱلصَّوَاعِقِ . ثُمَّ يَلِيهِ بَحْرُ ٱلصِّينِ وَهُوَ بَحْرٌ خَبِيثٌ كَثِيرُ ٱلْمَوْجِ وَٱلْخِبِّ . وَتَفْسِيرُ ٱلْخِبِّ ٱلشِّدَّةُ ٱلْعَظِيمَةُ فِي ٱلْبَحْرِ . وَفِيهَا جِبَالٌ كَثِيرَةٌ لَا بُدَّ لِلْمَرَاكِبِ مِنَ ٱلنُّفُوذِ بَيْنَهَا . وَلَيْسَ بَعْدَ بِلَادِ ٱلصِّينِ مِمَّا يَلِي ٱلْبَحْرَ مَمَالِكُ تُعْرَفُ وَلَا بِلَادٌ تُوصَفُ إِلَّا بِلَادُ ٱلسِّيلَى وَجَزَائِرُهَا . وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْغُرَبَاءِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعِرَاقِ وَلَا غَيْرِهَا فَخَرَجَ عَنْهَا لِصِحَّةِ هَوَائِهَا وَرِقَّةِ مَائِهَا وَجَوْدَةِ تُرْبَتِهَا وَلِكَثْرَةِ خَيْرِهَا إِلَّا ٱلنَّادِرُ مِنَ ٱلنَّاسِ . وَأَهْلُهَا مُهَادِنُونَ لِأَهْلِ ٱلصِّينِ وَمُلُوكِهَا . وَٱلْهَدَايَا بَيْنَهُمْ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ شَعْبٌ مِنْ وُلْدِ عَامُورَ سَكَنُوا هُنَالِكَ عَلَى حَسَبِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ سُكْنَى أَهْلِ ٱلصِّينِ فِي بِلَادِهِمْ . وَلِلصِّينِ أَنْهَارٌ كِبَارٌ مِثْلُ دِجْلَةَ وَٱلْفُرَاتِ تَجْرِي مِنْ بِلَادِ ٱلتُّرْكِ وَٱلتُّبَّتِ وَٱلصُّغْدِ . وَهُمْ بَيْنَ بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ . وَهُنَالِكَ جِبَالُ ٱلنُّوشَادِرِ . فَإِذَا كَانَ ٱلصَّيْفُ رَأَيْتَ فِي ٱللَّيْلِ نِيرَانًا قَدِ ٱرْتَفَعَتْ مِنْ تِلْكَ ٱلْجِبَالِ مِنْ نَحْوِ مِائَةِ فَرْسَخٍ . وَبِٱلنَّهَارِ يَظْهَرُ مِنْهَا ٱلدُّخَانُ لِغَلَبَةِ شُعَاعِ ٱلشَّمْسِ وَضَوْئِهَا وَضَوْءِ ٱلنَّهَارِ . وَمِنْ هُنَالِكَ يُحْمَلُ ٱلنُّوشَادِرُ . فَإِذَا كَانَ أَوَّلُ ٱلشِّتَاءِ مَنْ أَرَادَ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ أَنْ يَسْلُكَ إِلَى بِلَادِ ٱلصِّينِ صَارَ إِلَى مَا هُنَالِكَ .

وَهُنَالِكَ وَادٍ بَيْنَ تِلْكَ ٱلْجِبَالِ طُولُهُ أَرْبَعُونَ مِيلًا أَوْ خَمْسُونَ مِيلًا. فَيَأْتِي إِلَى أُنَاسٍ هُنَالِكَ عَلَى فَمِ ٱلْوَادِي فَيُرَغِّبُهُمْ فِي ٱلْأُجْرَةِ ٱلنَّفِيسَةِ فَيَحْمِلُونَ مَا مَعَهُ عَلَى أَكْتَافِهِمْ. وَبِأَيْدِيهِمِ ٱلْعِصِيُّ يَضْرِبُونَ جَنْبَيْهِ خَوْفًا أَنْ يُثْلَجَ وَيَقِفَ فَيَمُوتَ مِنْ كَرْبِ ٱلْوَادِي. وَهُوَ يُحْضِرُ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا إِلَى ذَٰلِكَ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْوَادِي. وَهُنَالِكَ غَابَاتٌ وَمُسْتَنْقَعَاتٌ لِلْمَاءِ فَيَطْرَحُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمَاءِ لِمَا قَدْ نَالَهُمْ مِنْ شِدَّةِ ٱلْكَرْبِ وَحَرِّ ٱلنُّوشَادِرِ. وَلَا يَسْلُكُ ذَٰلِكَ ٱلطَّرِيقَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ لِأَنَّ ٱلنُّوشَادِرَ يَلْتَهِبُ نَارًا فِي ٱلصَّيْفِ. فَلَا يَسْلُكُ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِي دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ. فَإِذَا كَانَ ٱلشِّتَاءُ وَكَثُرَتِ ٱلثُّلُوجُ وَٱلْأَنْدَاءُ وَقَعَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ فَأَطْفَأَ حَرَّ ٱلنُّوشَادِرِ وَلَهِيبَهُ فَيَسْلُكُ ٱلنَّاسُ حِينَئِذٍ ذَٰلِكَ ٱلْوَادِيَ. وَٱلْبَهَائِمُ لَا صَبْرَ لَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَرِّهِ. وَكَذَٰلِكَ مَنْ وَرَدَ مِنْ بِلَادِ ٱلصِّينِ فُعِلَ بِهِ مِنَ ٱلضَّرْبِ مَا فُعِلَ بِٱلْمَارِّ. وَٱلْمَسَافَةُ بَيْنَ بِلَادِ خُرَاسَانَ عَلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي ذَكَرْنَا إِلَى بِلَادِ ٱلصِّينِ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. بَيْنَ عَامِرٍ وَغَامِرٍ وَدَهَاسٍ وَرِمَالٍ. وَفِي غَيْرِ هٰذَا ٱلطَّرِيقِ مِمَّا يَسْلُكُهُ ٱلْبَهَائِمُ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا أَنَّ ذَٰلِكَ فِي خَفَارَاتِ أَنْوَاعٍ مِنَ ٱلتُّرْكِ. وَقَدْ رَأَيْتُ بِبَلْخَ شَيْخًا جَمِيلًا ذَا رَأْيٍ وَفَهْمٍ قَدْ دَخَلَ ٱلصِّينَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَلَمْ يَرْكَبِ ٱلْبَحْرَ قَطُّ. وَقَدْ رَأَيْتُ عِدَّةً مِنَ ٱلنَّاسِ مِمَّنْ سَلَكَ مِنْ بِلَادِ ٱلصُّغْدِ عَلَى جِبَالِ ٱلنُّوشَادِرِ إِلَى أَرْضِ ٱلتُّبَّتِ وَٱلصِّينِ بِبِلَادِ خُرَاسَانَ. وَبِلَادُ ٱلْهِنْدِ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ

خُرَاسَانَ وَٱلسِّنْدِ مِمَّا يَلِي ٱلْمَنْصُورَةَ وَٱلْمُولْتَانَ. وَٱلْقَوَافِلُ مُتَّصِلَةٌ مِنَ ٱلسِّنْدِ إِلَى خُرَاسَانَ. وَكَذٰلِكَ إِلَى ٱلْهِنْدِ إِلَى أَنْ تَتَّصِلَ هٰذِهِ ٱلدِّيَارُ بِبِلَادِ زَابُلِسْتَانَ

السَّفرة الثَّانية من سَفرات السَّندباد البحري (*)

٣١٦ قَالَ ٱلسِّنْدِبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ إِنِّي لَمَّا ٱنْهَمَكْتُ فِي ٱللَّذَّاتِ وَٱنْتِهَابِ ٱلْمَسَرَّاتِ خَطَرَ بِبَالِي ٱلسَّفَرُ وَٱشْتَاقَتْ نَفْسِي لِلْمَتْجَرِ وَنَسِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱلشَّدَّاتِ. فَأَخَذْتُ فِي ٱلْأُهْبَةِ وَٱشْتَرَيْتُ مَتَاعًا مَلِيحًا وَشَدَدْتُ ٱلْأَحْمَالَ وَسَافَرْتُ مَعَ تُجَّارٍ مُرَافِقِينَ وَرِفَاقٍ مُوَافِقِينَ. حَتَّى وَصَلْنَا إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَرَكِبْنَا فِي مَرْكَبٍ مَكِينٍ وَنَحْنُ بِٱللهِ نَسْتَعِينُ. وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَعَوَّضُ حَتَّى نَزَلْنَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى جَزِيرَةٍ كَثِيرَةِ ٱلْأَشْجَارِ وَٱلْأَثْمَارِ. خَالِيَةٍ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا فِيهَا دَيَّارٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ. فَرَسَا ٱلْمَرْكَبُ عَلَيْهَا. وَطَلَعَ ٱلتُّجَّارُ إِلَيْهَا. وَتَنَزَّهُوا عَلَى رِيَاضِهَا وَأَنْهَارِهَا. وَجَمَعُوا مِنْ أَزْهَارِهَا وَأَثْمَارِهَا. وَأَنَا قَدْ أَخَذْتُ ٱلسُّفْرَةَ وَٱلْمُدَامَ وَجَلَسْتُ عَلَى سَاقِيَةٍ جَارِيَةٍ بَيْنَ أَشْجَارٍ مُثْمِرَةٍ فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَطَابَ لِيَ ٱلْمَنَامُ. فَرَقَدْتُ مَكَانِي بَيْنَ ٱلْأَشْجَارِ. فَلَمَّا ٱسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَٱلْمَرْكَبُ قَدْ أَقْلَعَ وَسَارَ وَسَافَرَ وَغَاصَ فِي ٱلْبَحْرِ. فَقُمْتُ وَلَمْ أَجِدْ عِنْدِي لَا أَنِيسًا وَلَا جَلِيسًا. وَٱلْمَرْكَبُ

(*) تنبيه. ليست قصَّة السندباد البحري امرًا واقعيًا بل أُحدوثة مختلقة وقد ضمنّاها الى الكتاب لما تضمَّنتهُ من الملح والفكاهات واوصاف بلاد معروفة

قَدْ أَبْعَدَ عَنِّي وَمَا بَقِيتُ أَنْظُرُهُ . فَصَرَخْتُ وَلَطَمْتُ عَلَى رَأْسِي وَأَقْطَعُ رَجَائِي مِنَ الْحَيَاةِ وَالدُّنْيَا وَكَادَتْ مَرَارَتِي تَنْفَطِرُ مِنَ النَّدَمِ . وَوَقَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ مَغْشِيًّا عَلَيَّ زَمَانًا طَوِيلًا وَبَكَيْتُ وَلُمْتُ زَوْجِي حَيْثُ لَمْ أَنْتَهِ عَنِ السَّفَرِ . وَنَدِمْتُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ وَقُلْتُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَبَقِيتُ كَالْمَجْنُونِ لَا أَقْدِرُ عَلَى السُّكُوتِ فَصَعِدْتُ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ وَنَظَرْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا . فَلَمْ أَرَ غَيْرَ الْمَاءِ وَالسَّمَاءِ فَنَظَرْتُ وَإِذَا شَيْءٌ أَبْيَضُ قَدْ لَاحَ لِي مِنَ الْبُعْدِ فَنَزَلْتُ مِنَ الشَّجَرَةِ . وَأَخَذْتُ السُّفْرَةَ وَكَانَ فِيهَا زَادٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ إِنِّي قَصَدْتُ ذَلِكَ الْبَيَاضَ وَإِذَا هِيَ قُبَّةٌ كَبِيرَةٌ شَاهِقَةٌ مَلْسَةٌ نَاعِمَةٌ . فَدَنَوْتُ مِنْهَا وَدُرْتُ حَوْلَهَا فَلَمْ أَجِدْ لَهَا بَابًا وَلَمْ أُطِقِ الصُّعُودَ إِلَيْهَا مِنْ مَلَاسَتِهَا . وَكَانَتِ اسْتِدَارَتُهَا خَمْسِينَ خُطْوَةً فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا فِي ذَلِكَ وَكَانَتِ الشَّمْسُ قَدْ قَارَبَتِ الْغُرُوبَ . وَإِذَا الْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَظَهَرَتْ غَيْمَةٌ كَبِيرَةٌ فَتَأَمَّلْتُهَا وَإِذَا هِيَ طَيْرٌ . فَتَذَكَّرْتُ مَا أَخْبَرَ الْبَحْرِيُّونَ عَنْ طَيْرِ الرُّخِّ الَّذِي هُوَ بِقَدْرِ الْغَيْمَةِ وَتِلْكَ الْقُبَّةُ هِيَ بَيْضَتُهُ . وَإِذَا بِالطَّيْرِ قَدْ نَزَلَ عَلَيْهَا وَأَنَا فِي جَانِبِهَا . فَوَقَعَ أَحَدُ مَخَالِبِهِ قُدَّامِي كَأَنَّهُ سِكَّةُ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ . فَحَلَلْتُ عِمَامَتِي مِنْ رَأْسِي وَشَدَدْتُ نَفْسِي فِي طَرَفِ الْعِمَامَةِ وَفِي الْمِخْلَبِ شَدًّا وَثِيقًا . وَقُلْتُ لَعَلَّ هَذَا الطَّيْرَ يُخْرِجُنِي مِنْ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِلَى مَكَانٍ عَامِرٍ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ أَقْلَعَ الرُّخُّ وَطَارَ فِي الْفَضَاءِ وَأَنَا مَرْبُوطٌ فِي مِخْلَبِهِ رَبْطًا وَثِيقًا وَالسُّفْرَةُ مَعِي . وَلَمْ يَزَلْ

مرتفعاً وأنا متعلق بمخلبه فطار وعلا إلى الجو حتى ظننت أنه قد احتك بالسماء . ثم نكس رأسه وطلب الأرض فلم أحس بنفسي إلا وأنا على وجه الأرض . فحللت العمامة من مخالبه وإذا به ضرب على حية كأنها جمل وأخذها وطار . وبقيت أنا في وادٍ عميق لا يبلغ النظر إلى ارتفاعه ولا سبيل للنزول إليه ولا الصعود منه فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . كل نائبة تأتيني أصعب من الأخرى . ثم إني تمشيت في ذلك الوادي وإذا أرضه جميعها من حجر الألماس . وهو من أفخر الجواهر الغالية الثمن . وفي ذلك الوادي حيات كل واحدة تبلع الفيل وهي كثيرة جداً . وتختفي بالنهار من هذا الطير الذي ذكرناه وتسعى بالليل . فبقيت متحيراً ذلك اليوم إلى أن أمسى المساء . ثم إنني عمدت إلى مغارة في كهف صغير ودخلت إليه وسددت بابه بحجر كبير وأخرجت مما بقي معي من الزاد في السفرة . فأكلت كفايتي وأنا أرتعد من الخوف . وإذا بالحيات خرجت تسعى بعضها كالأفيال وبعضها كالجمال . وعاينت ما هالني منها حتى طلع الفجر وقد اختفت الحيات . فخرجت أمشي في الوادي وأنا في حيرة عظيمة . وبينما أنا واقف في الوادي إذ وقع بجانبي شقة لحم طري . فالتفت وإذا بشقق كثيرة قد تساقطت من أعلى الجبال . فتذكرت ما أخبر به البحريون أنه وادي الألماس الذي يقصده التجار ويشرحون اللحم ويرمونه

فِيهِ فَيَلْتَصِقُ فِيهِ بَعْضُ ٱلْأَلْمَاسِ فَتَنْزِلُ ٱلنُّسُورُ وَتَضَعُهُ إِلَى ٱلْجَبَلِ حَتَّى تُطْعِمَهُ أَفْرَاخَهَا. فَيَأْتِي ٱلتُّجَّارُ وَيَأْخُذُونَ مَا لَصِقَ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْجَارِ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ شِقَّتِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِهٰذِهِ ٱلْحِيلَةِ. فَطَارَ قَلْبِي بِذٰلِكَ وَجَمَعْتُ مِنَ ٱلْوَادِي مَا قَدَرْتُ مِنْ أَفْخَرِ ٱلْأَلْمَاسِ ٱلْمَلِيحِ وَمَلَأْتُ ٱلسُّفْرَةَ. وَأَتَيْتُ إِلَى شِقَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَلَّلْتُ فِيهَا وَرَبَطْتُهَا فِي ٱلْعِمَامَةِ رَبْطًا وَثِيقًا وَٱلسُّفْرَةُ مَعِي. وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَتَتِ ٱلنُّسُورُ وَكُلٌّ مِنْهَا حَمَلَ شِقَّةً وَٱرْتَفَعَ بِهَا إِلَى أَعْلَى ٱلْجَبَلِ. وَشِقَّتِي حَمَلَهَا نَسْرٌ كَبِيرٌ وَوَضَعَهَا فَوْقَ ٱلْجَبَلِ أَيْضًا. وَإِذَا بِصَيْحَاتٍ قَدْ عَلَتْ عَلَى ٱلنُّسُورِ فَأَجْفَلَتْ وَتَرَكَتِ ٱللُّحُومَ وَطَارَتْ. فَأَتَى ٱلتُّجَّارُ كُلٌّ وَاحِدٍ إِلَى شِقَّتِـــهِ فَنَهَضَ صَاحِبُ شِقَّتِي لِيَأْخُذَ مَا لَصِقَ بِهَا. فَوَجَدَنِي وَٱرْتَعَدَ مِنِّي فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَخَفْ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ. فَصَرَخَ وَبَكَى وَقَالَ: يَاخَيْبَـــةَ تِجَارَتِي فِيكَ. فَقُلْتُ لَهُ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. أَنَا مَعِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ أَكْثَرَ مِمَّا حَصَلَ لِرِفَاقِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ تَقَدَّمَ وَحَلَّ ٱلشِّقَّـةَ وَٱلْعِمَامَةَ وَأَخْرَجَنِي. وَإِذَا بِٱلتُّجَّارِ قَدِ ٱجْتَمَعُوا إِلَيَّ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي وَعَرَفُونِي. فَحَكَيْتُ لَهُمْ مَا جَرَى فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَقَالُوا: ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ. ثُمَّ مَضَوْا وَأَنَا مَعَهُمْ إِلَى مَجْمَعِ ٱلتُّجَّارِ. ثُمَّ أَخْرَجْتُ مِنَ ٱلسُّفْرَةِ ٱلَّتِي مَعِي وَأَعْطَيْتُ صَاحِبَ شِقَّتِي نَصِيبَـهُ وَكُنْتُ قَدْ مَلَأْتُهَا مِنَ ٱلْجَوَاهِرِ ٱلثَّمِينَةِ. وَنِمْتُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونِي عَنْ عُمْرِي وَأَنَا لَا أَعِي مِنْ فَرَحِي وَأَظُنُّ أَنِّي فِي ٱلْمَنَامِ.

ثُمَّ قُمْنَا فِي ٱلْغَدِ وَسِرْنَا فِي جِبَالٍ عَالِيَةٍ حَتَّى أَتَيْنَا جَزِيرَةً عَظِيمَةً. وَفِيهَا شَجَرَةُ ٱلْكَافُورِ كُلُّ شَجَرَةٍ مِنْهَا تُظَلِّلُ مِائَةَ رَجُلٍ وَأَكْثَرَ. وَهُوَ أَنَّهُمْ يَثْقُبُونَ أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ ٱلْكَافُورِ وَيَمْلَأُ جِرَارًا عَدِيدَةً. وَبَعْدَ ذٰلِكَ يَظْهَرُ قَطْرُ ٱلْكَافُورِ كَٱلصَّمْغِ ثُمَّ يَبْطُلُ وَتَجِفُّ ٱلشَّجَرَةُ. وَفِي هٰذِهِ ٱلْجَزِيرَةِ وَحْشٌ يُسَمَّى ٱلْكَرْكَدَنَّ. وَهُوَ كَرَعَايَا ٱلْبَقَرِ دُونَ ٱلْفِيلِ وَأَكْبَرُ مِنَ ٱلْجَامُوسِ وَمَأْكُولُهُ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ. وَلَهُ قَرْنٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ طُولُهُ ذِرَاعٌ وَعَرْضُهُ قَبْضَةٌ وَفِيهِ صُورَةٌ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ. فَإِذَا ٱنْشَقَّ رَأَيْتَ ٱلصُّورَةَ بَيَاضًا فِي سَوَادٍ يُشْبِهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ وَبَعْضِ ٱلْحَيَوَانِ. وَذَكَرُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقَرْنَ تُتَّخَذُ مِنْهُ كُلُّ مِنْطَقَةٍ تُسَاوِي أَلْفَ دِينَارٍ. وَهٰذَا ٱلْحَيَوَانُ هُوَ ٱلْكَرْكَدَنُّ يَشُكُّ ٱلْفِيلَ بِقَرْنِهِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَسِيلُ دُهْنُهُ عَلَى عَيْنَيِ ٱلْكَرْكَدَنِّ فَيُعْمِيهِ وَيَبْقَى مُلْقًى عَلَى ٱلْأَرْضِ. فَيَأْتِي ٱلطَّيْرُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلرُّخُّ وَيَأْخُذُ ٱلِٱثْنَيْنِ فِي مَخَالِبِهِ وَيَطِيرُ فِي ٱلْجَوِّ وَيَمْضِي يُطْعِمُهُمَا فِرَاخَهُ. وَرَأَيْتُ فِي تِلْكَ ٱلْجَزِيرَةِ عَجَائِبَ كَثِيرَةً تُحَيِّرُ ٱلْعَقْلَ. ثُمَّ إِنِّي بِعْتُ مِنَ ٱلْأَلْمَاسِ ٱلَّذِي مَعِي وَتَعَوَّضْتُ شَيْئًا كَثِيرًا وَمَا زِلْتُ أَسِيرُ مِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ. وَمِنْهَا إِلَى بَغْدَادَ وَدَخَلْتُ دَارِي وَمَعِي مِنَ ٱلْمَالِ مَا لَا يُوصَفُ وَلَا يُعَدُّ. فَتَصَدَّقْتُ وَأَعْطَيْتُ ٱلْفُقَرَاءَ وَٱلْمُحْتَاجِينَ. وَبَقِيتُ عَلَى هٰذَا ٱلْحَالِ أَقْضِي ٱلْأَوْقَاتَ بِٱلْهَنَاءِ وَٱلْمَسَرَّاتِ. وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ ٱلْمَشَقَّاتِ

السفرة الثالثة

٣١٧ ولمّا أصبحَ صباحُ اليومِ الثاني جلسَ السادات لاستماعِ حكايةِ ما أصابه في السفرةِ الثالثةِ. قالَ السندبادُ البحريُّ: فلمّا انهمكتُ في اللذّاتِ وغرقتُ في الهناءِ والمسرّاتِ ونسيتُ ما لقيتُ من العناءِ والمشقّاتِ وبقيتُ كذلك برهةً من الأوقاتِ خطرَ ببالي السفرُ واشتاقتْ نفسي للمتجرِ. فشددتُ الأحمالَ الثقالَ والأمتعةَ الغوالي. وسافرتُ من بغدادَ إلى بعضِ البلادِ حتّى وصلتُ إلى ساحلِ البحرِ مع تجارٍ مرافقينَ ورفاقٍ موافقينَ ومعي من البضائعِ ما يسرُّ المشتريَ والبائعَ. فنزلنا في البحرِ العجّاجِ المتلاطمِ بالأمواجِ الواسعِ الفجاجِ الداخلُ إليهِ مفقودٌ والخارجُ منه مولودٌ. فسرنا أيّاماً وليالي مدّةً من الزمانِ ونحن نبيعُ ونشتري ونأخذُ ونعطي من جزيرةٍ إلى جزيرةٍ ومن مكانٍ إلى مكانٍ. فلمّا كانَ بعضُ الأيّامِ ونحنُ على وجهِ المياهِ وإذا بالبحرِ قد هاجَ وماجَ وتلاطمَ بالأمواجِ والمركبُ قد بقيَ في أقصى البعدِ البعيدِ ونحنُ بقينا في حالِ سوءٍ وأمرٍ شديدٍ ولم ندرِ أيَّ مكانٍ نريدُ. فما كانَ إلّا القليلُ حتّى حطّ الرئيسُ الشراعَ وأبطلَ الحديثَ والنزاعَ وأوقفَ المركبَ ونادى بالويلِ والثبورِ وعظائمِ الأمورِ وقالَ لنا: اعلموا أنّا قد وقعنا في جزائرِ الزغبِ الوحشيّينَ. وقد أحاطوا بنا وليسَ لنا سبيلٌ إلى قتلِ واحدٍ منهم لأنّهم أكثرُ من الجرادِ. وإن قتلنا واحداً منهم

فإنهم يقتلون كل من في المركب. وبينا نحن في هذا الكلام إذ أحاط بنا أناس شنيعو الخلقة زغب حمر لا يفهم لهم كلام. وهم صغار وحشيون طول كل واحد أربعة أشبار يتسلقون الأخشاب بأيديهم من غير أن يصعدوا بأرجلهم. ففزعنا منهم ولم نتكلم بكلمة. فنصبوا الشراع كما أرادوا وساروا وأخذوا المركب بجميع ما كان فيه. ومضوا وبقينا نحن في الجزيرة لا نعلم في أي أرض ولا أي مكان. فحزنا على ما نابنا وما أصابنا وليس في اليد حيلة. ثم إننا صبرنا على ذلك وأقمنا في الجزيرة وحصلنا من النبات ما يرد الرمق. فبينما نحن كذلك إذ بان لنا بيت في الجزيرة من بعيد فقصدناه وإذا هو قصر عظيم وشاهق وله بابان من الأبنوس وهو مغلق. فدفعناه فانفتح ودخلنا فيه فنظرنا في صدره إيوانا عاليا وسدة منصوبة قدام الإيوان وآثار طبيخ ونار وعظام وسفافيد حديد كبارا. فتعجبنا من ذلك وفزعنا فزعا عظيما. وكانت الشمس قد قاربت الغروب وإذا بالأرض قد ارتجت وترعزعت ودخل من الباب صورة إنسان لونه أسود وطوله أعلى من نخلة وعيناه تلمع كالجمر وأنيابه كالسياخ الغليظة وفمه أوسع من فم بعير كبير وشفته السفلى إلى صدره وآذانه كآذان الفيل منبسطة على كتفيه وأظافيره كمخالب أعظم الوحوش. فلما نظرناه غبنا عن صوابنا وبقينا مطروحين كالموتى بعضنا على بعض. ثم دخل وجلس في

ٱلشِّدَّةِ وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَامَ وَأَتَى إِلَيْنَا. فَمَدَّ يَدَهُ فَوَقَعَتْ عَلَيَّ دُونَ ٱلْكُلِّ فَصِرْتُ كَٱلْمَيْتِ. فَأَخَذَنِي إِلَى قِبَالِ وَجْهِهِ وَجَعَلَ يُقَلِّبُنِي كَمَا يُقَلِّبُ ٱلْقَصَّابُ رَأْسَ ٱلْغَنَمِ. فَلَمَّا رَآنِي ضَعِيفًا قَلِيلَ ٱللَّحْمِ أَلْقَانِي مِنْ يَدِهِ. وَبَدَأَ يُقَلِّبُنَا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى رَئِيسِ ٱلْمَرْكَبِ. فَرَآهُ سَمِينًا وَعَرِيضَ ٱلْأَكْتَافِ فَقَبَضَهُ كَمَا يُقْبَضُ ٱلْعُصْفُورُ. وَأَخَذَ سَفُّودًا مِنْ تِلْكَ سَفَافِيدِ ٱلْحَدِيدِ. ثُمَّ أَوْقَدَ نَارًا عَظِيمَةً وَشَوَاهُ حَتَّى ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْجَمْرِ ثُمَّ جَلَسَ فِي ذٰلِكَ ٱلْإِيوَانِ وَمَزَّقَهُ بِأَظَافِيرِهِ وَأَكَلَهُ جَمِيعَهُ وَٱنْطَرَحَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ فِي ٱلْإِيوَانِ وَنَامَ وَغَطَّ. فَلَمَّا عَايَنَّا مَا فَعَلَ مِنَ ٱلْأَهْوَالِ قُلْنَا: إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَمَا هٰذِهِ إِلَّا مِيتَةٌ شَنِيعَةٌ. وَمَا زِلْنَا نَرْتَعِدُ مِنَ ٱلْمَسَاءِ إِلَى ٱلْفَجْرِ حَتَّى أَنَّهُ قَامَ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ وَمَضَى. فَلَمَّا بَعُدَ عَنَّا قُمْنَا وَنَحْنُ بِأَسْوَإِ حَالٍ وَسَعَيْنَا فِي ٱلْجَزِيرَةِ لَعَلَّنَا نَرَى مَكَانًا نَلْجَأُ فِيهِ مِنْهُ فَلَمْ نَجِدْ. وَلَمْ نَقْدِرْ أَنْ تَتَخَلَّفَ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ. فَلَمَّا أَدْرَكَنَا ٱلْمَسَاءُ رَجَعْنَا إِلَى ٱلْقَصْرِ مِنْ خَوْفِنَا وَإِذَا بِٱلْأَسْوَدِ قَدْ جَاءَ أَيْضًا وَفَعَلَ بِنَا مِثْلَ ٱلْعَادَةِ وَنَقَّى ٱلْأَسْمَنَ فِينَا وَأَخَذَهُ وَشَوَاهُ وَأَكَلَهُ وَدَخَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَنَامَ وَنَخَرَ إِلَى ٱلصَّبَاحِ. ثُمَّ قَامَ وَمَضَى وَنَحْنُ لَا نَعِي مِنَ ٱلْفَزَعِ فَقُلْنَا: نُلْقِي أَرْوَاحَنَا فِي ٱلْبَحْرِ وَنَمُوتُ غَرَقًا خَيْرٌ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمِيتَةِ ٱلشَّنِيعَةِ. فَقَالَ بَعْضُنَا: تَعَالَوْا حَتَّى نَعْمَلَ عَلَى هَلَاكِهِ وَنَسْتَرِيحَ مِنْ شَرِّهِ. فَقُلْتُ لَهُمْ: تَعَالَوْا نَعْمَلْ لَنَا كَلَكَاتٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَخْشَابِ تَسَعُ كُلُّ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ وَنَتْرُكُهَا عَلَى

شاطِىءِ الْبَحْرِ مَشْدُودَةً وَنُدَبِّرُ الْحِيلَةَ فِي هَلَاكِهِ. فَإِذَا أَهْلَكْنَاهُ أَقَمْنَا إِلَى أَنْ يَجُوزَ بِنَا مَرْكَبٌ، وَإِذَا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نُهْلِكَهُ نَنْزِلُ فِي الْكَلَكَاتِ وَنَسِيرُ فِي الْبَحْرِ وَدَعْونَا نَغْرَقُ. فَأَجَابُوا إِلَى مَشُورَتِي وَصَنَعْنَا كَمَا قُلْتُ لَهُمْ وَتَرَكْنَا الْكَلَكَاتِ مَشْدُودَةً عَلَى شَاطِىءِ الْبَحْرِ. وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ دَخَلْنَا إِلَى الْقَصْرِ وَاخْتَفَيْنَا. فَأَتَى الْأَسْوَدُ إِلَيْنَا وَنَقَّى السَّمِينَ فِينَا وَشَوَاهُ وَأَكَلَهُ وَنَامَ كَعَادَتِهِ وَبَدَأَ يَنْخُرُ. فَقُمْنَا وَأَخَذْنَا سَفَافِيدَ الْحَدِيدِ وَأَوْقَدْنَا النَّارَ وَأَحْمَيْنَاهَا حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ النَّارِ. ثُمَّ أَخَذَ عَشَرَةُ رِجَالٍ مِنَّا أَعْنِي عَشَرَةً أَقْوِيَاءَ عَشَرَةَ سَفَافِيدَ وَدَنَوْا مِنَ الْأَسْوَدِ، وَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُفِيقُ إِلَّا الصَّبَاحَ. وَكَانَ نَائِمًا عَلَى ظَهْرِهِ يَنْخُرُ كَالرَّعْدِ. فَوَضَعْنَا السَّفَافِيدَ فِي عَيْنَيْهِ. فَصَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَقَعْنَا مِنْهَا جَمِيعًا عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ أَيِسْنَا مِنَ الْحَيَاةِ. ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ قَائِمًا وَأَخَذَ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ وَخَرَجَ. فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ وَأَضَاءَ النَّهَارُ قُمْنَا وَنَحْنُ نَرْجُفُ مِنَ الْخَوْفِ. وَجَعَلْنَا نَدُورُ فِي الْجَزِيرَةِ وَنَأْكُلُ بَعْضَ النَّبَاتِ وَالْحَشِيشِ إِلَى أَنْ جَاءَ الْمَسَاءُ. فَأَتَيْنَا إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَجَلَسْنَا وَقُلْنَا: إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يَجِيءْ فَيَكُونُ قَدْ هَلَكَ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي هٰذَا الْكَلَامِ وَإِذَا بِالْأَسْوَدِ قَدْ أَقْبَلَ وَاثْنَانِ يَقُودَانِهِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ طِوَالٌ مِثْلُهُ أَيْضًا. فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ نَزَلْنَا فِي الْكَلَكَاتِ وَقَذَفْنَاهَا فِي الْبَحْرِ. فَلَمَّا أَنْ نَظَرُونَا أَتَوْا إِلَيْنَا وَأَدْرَكُونَا وَصَرَخُوا فِينَا وَرَمَوْنَا بِحِجَارَةٍ كِبَارٍ. فَأَهْلَكُوا أَكْثَرَنَا فِي الْبَحْرِ فَنَجَوْتُ وَرَفِيقَيَّ الِاثْنَيْنِ. وَلَمْ نَزَلْ

نقذف ونجتهد والريح تلعب بنا يمينا وشمالا ولا ندري أين نحن. وبقينا كذلك الليل كله. فلما طلع الفجر ألقتنا الريح إلى الساحل فطلعنا ونحن في حال العدم. وتلك الجزيرة كثيرة الأشجار والأثمار ففرحنا بخلاصنا من الموت واسترحنا قليلا وأكلنا كفايتنا من الأثمار وبقينا كذلك إلى المساء. ونمنا على جانب البحر وإذا صوت دبيب عظيم وصل إلينا. فإذا هي حية عظيمة كأنها نخلة فدنت منا وجذبت الواحد منا وبلعته. وبعد ساعة قذفت عظامه ومضت. وبقيت أنا ورفيقي نرتعد إلى الصباح من الخوف وقد أشرفنا على الهلاك وقلنا: إننا قد فرحنا من خلاصنا من الأسود والبحر ووقعنا في أنحس من ذلك وأصعب من الغرق والحريق. فقمنا ندور في الجزيرة فرأينا شجرة عالية جدا. فأكلنا من بعض الأثمار ونحن في غم شديد من الخوف حتى أدركنا المساء فطلعنا إلى شجرة عالية حتى نخلص من الحية. فلما جاء الليل والظلام إذا بالحية قد أتت ودارت بين الأشجار حتى انتهت إلينا وتعلقت في الشجرة وجذبت رفيقي وابتلعته وكان أسفل مني. وبقيت وحدي أرتعد إلى الصباح فنزلت من الشجرة كالميت وقد أيقنت أنها المساء تبلعني أيضا كما بلعت رفاقي. فأردت أن أرمي روحي في البحر ولكن الروح حلوة. وإني توكلت على الله ودرت وطفت في الجزيرة وأنا محتار في أمري فرأيت أخشابا مقطوعة فشددت بعضها إلى بعض. ولما جاء المساء

رَبطْتُ ٱلأَخشَابَ فِي يَدِي وَرِجْلِي وَوَاحِدَةً فِي ظَهْرِي وَوَاحِدَةً فِي جَنْبِي وَشَدَدْتُهَا بِلِيفِ ٱلشَّجَرِ وَٱنطَرَحْتُ أَنتَظِرُ ٱلْمَوتَ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ أَتَتِ ٱلْحَيَّةُ تَسْرِي إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَيَّ. فَجَعَلَتْ تُقَلِّبُنِي يَمِينًا وَشِمَالًا وَتَجْذِبُنِي وَأَنَا أَبْعُدُ عَنْهَا وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ٱبْتِلَاعِي مِنْ تِلْكَ ٱلأَخْشَابِ ٱلَّتِي أَنَا مَشْدُودٌ بِهَا. وَلَمْ تَزَلْ تَلْعَبُ بِي كَمَا تَلْعَبُ ٱلْقِطَّةُ بِٱلْفَارَةِ حَتَّى أَضَاءَ ٱلْفَجْرُ وَمَضَتْ عَنِّي. فَلَمَّا أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ حَلَلْتُ ٱلأَخْشَابَ عَنِّي وَأَنَا مِثْلُ ٱلْمَيِّتِ مِنْ عِظَمِ مَا قَاسَيْتُ مِنْ نَفَسِهَا ٱلْكَرِيهِ. وَكَانَ ٱلْمَوْتُ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّا قَاسَيْتُهُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ. ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى جَانِبِ ٱلْبَحْرِ وَأَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَ نَفْسِي فِي ٱلْمَاءِ وَإِذَا بِمَرْكَبٍ مِنْ بَعِيدٍ وَهُوَ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلْجَبَلِ فِي ٱلْبَحْرِ. فَنَادَيْتُهُ بِأَعْلَى صَوْتِي وَرَفَعْتُ عِمَامَتِي إِلَى فَوْقُ فَرَآنِي أَصْحَابُ ٱلْمَرْكَبِ فَأَتَوْا إِلَيَّ وَأَخَذُونِي فِي زَوْرَقٍ إِلَى ٱلْمَرْكَبِ وَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي. فَحَكَيْتُ لَهُمْ حِكَايَتِي مِنَ ٱلأَوَّلِ إِلَى ٱلآخِرِ فَتَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا. وَقَالَ كُلُّ مَشَايِخِ ٱلْمَرْكَبِ: إِنَّ ٱلأَسْوَدَ ٱلْكَبِيرَ قَدْ ذَكَرَهُ ٱلْبَحْرِيُّونَ وَهُمْ كَثِيرُونَ ذَوُو خِلْقَةٍ عَظِيمَةٍ يُشْبِهُونَ بَنِي آدَمَ وَيَأْكُلُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْحَيَاةِ وَمَطْبُوخِينَ. وَأَمَّا ٱلْحَيَّةُ ٱلَّتِي ذَكَرْتَهَا تَخْتَفِي بِٱلنَّهَارِ وَتَظْهَرُ بِٱللَّيْلِ وَلَا يَخْلُصُ مِنْهَا أَحَدٌ فَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي خَلَّصَكَ مِنْهَا. ثُمَّ إِنَّهُمْ فَرِحُوا بِي وَأَطْعَمُونِي مِنْ زَادِهِمْ وَأَعْطَانِي رَئِيسُ ٱلْمَرْكَبِ ثِيَابًا وَكُسْوَةً وَسِرْتُ مَعَهُمْ فِي ٱلْمَرْكَبِ وَأَنَا لَا أُصَدِّقُ ذٰلِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي فِي ٱلْمَنَامِ. وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ

مِن جزيرةٍ إلى جزيرةٍ حتى أشرفنا على جزيرةِ السلاهطِ. وفيها الصندلُ الكثير. فرسا المركبُ هناك. وخرج التجارُ إلى الجزيرةِ ونقلوا بضائعهم وبدؤوا يبيعون ويشترون مع أهلها. فقال لي الرئيس يا أخي. قلتُ: نعم يا سيدي. فقال لي: معنا وديعةٌ لرجلٍ تاجرٍ كان معنا من مدةِ زمانٍ وعدِمَ ونحن نتاجر له فيها حتى ننظرَ أحداً من أهلهِ نعطيه إياها. وأنا أريدُ أن تحرسها فأعطيك أجرتك. ثم إنه أحضر حمالين ونقلوها إلى باقي الأحمالِ. وابتدأ الكاتبُ يكتبُ الأحمالَ باسمِ أصحابها. فقال الكاتبُ للرئيس: وهذه الأحمالُ باسم من أكتبها. قال له: باسم السندبادِ البحري. فلما سمعتُ ذلك الكلام انزعجتُ وخفق قلبي ثم إني صبرتُ حتى انتقلتِ الأحمالُ إلى أماكنها وجلس التجارُ في راحتهم. فتقدمتُ إلى الرئيسِ وقلتُ له: يا مولاي أين صاحبُ هذه الوديعةِ وكيف أمرُه وحالُه. فقال لي: كان معنا من مدةِ سنتين رجلٌ تاجرٌ بغداديٌّ اسمه السندبادُ البحريُّ. فنزلنا ذات يومٍ على جزيرةٍ في البحرِ كثيرةِ الأشجارِ والأثمارِ فخرج التجارُ إليها ليستريحوا ويتنزهوا على أشجارها وأثمارها. فلما كان آخرُ النهارِ اجتمع جميعُ التجارِ إلى المركبِ والسندبادُ ليس هو معهم فنسيناه في الجزيرةِ وسرنا ولا ندري ما جرى له. وهذا مالُه وسافرْنا به وقد كسب شيئاً كثيراً. ونحن ندورُ على واحدٍ من أهلهِ أو من بلدهِ حتى نرسلَ له رزقَه فما وجدنا. فقلتُ له: أنا

ٱلسِّنْدبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ وَهٰذَا مَالِي وَرِزْقِي . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلرَّئِيسُ كَلَامِي
قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ مَا بَقِيَ أَحَدٌ يَخَافُ ٱللهَ.
يَا سُبْحَانَ ٱللهِ أَنْتَ رَجُلٌ غَرِيقٌ وَقَدْ خَلَّصَكَ ٱللهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلشَّدَائِدِ
وَٱلْأَهْوَالِ وَنَجَّاكَ مِنَ ٱلْمَوْتِ ٱلشَّنِيعِ وَبَعْدَ هٰذَا تَدَّعِي بِمَالِ رَجُلٍ
مَيْتٍ حَتَّى تَأْخُذَهُ . أَمَا تَخَافُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا سَيِّدِي
وَٱللهِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي هُوَ خَلَّصَنِي مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَهْوَالِ ٱلصَّعْبَةِ إِنِّي أَنَا
ٱلسِّنْدبَادُ ٱلْبَحْرِيُّ وَأَنَا ٱلَّذِي نَسُونِي فِي ٱلْجَزِيرَةِ وَكُنْتُ قَدْ رَقَدْتُ
عَلَى بَعْضِ سَوَاقِيهَا فَلَمَّا ٱنْتَبَهْتُ مَا وَجَدْتُ أَحَدًا . ثُمَّ إِنِّي حَكَيْتُ
لَهُ جَمِيعَ حِكَايَتِي وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ ٱلتُّجَّارَ ٱلْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى وَادِي ٱلْأَلْمَاسِ
يَشْهَدُونَ لِي وَهُمْ يَعْرِفُونِي . فَبُهِتَ ٱلرَّئِيسُ وَٱلْجَمَاعَةُ مِنْ كَلَامِي
وَبَقِيَ أُنَاسٌ تُصَدِّقُ وَأُنَاسٌ تُكَذِّبُ . وَإِذَا بِتَاجِرٍ تَقَدَّمَ إِلَيَّ وَعَانَقَنِي
وَقَبَّلَنِي وَقَالَ : يَا جَمَاعَةُ أَمَا حَكَيْتُ لَكُمْ أَنِّي وَجَدْتُ فِي شِقَّتِي فِي
بَعْضِ أَسْفَارِي فِي وَادِي ٱلْأَلْمَاسِ لَمَّا رَمَيْنَا شِقَقَ ٱللَّحْمِ رَجُلًا مُلْتَفًّا
فَلَمْ تُصَدِّقُونِي . وَٱللهِ ٱلْعَظِيمِ إِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي وَجَدْتُهُ
فِي شِقَّتِي وَأَعْطَانِي مِنْ أَفْخَرِ ٱلْأَلْمَاسِ ٱلْغَالِي وَهٰذَا هُوَ ٱلسِّنْدبَادُ
ٱلْبَحْرِيُّ بِٱلْحَقِيقَةِ . وَحِينَئِذٍ لَمَّا حَقَّقَنِي ٱلرَّئِيسُ عَرَفَنِي أَيْضًا فَنَهَضَ
وَعَانَقَنِي بِوِدَادٍ وَقَبَّلَنِي وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَبَاقِي ٱلتُّجَّارِ أَيْضًا وَقَالُوا لِي :
ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَٱللهِ ٱلْعَظِيمِ إِنَّ حِكَايَتَكَ مِنْ أَعْجَبِ
ٱلْعَجَبِ وَيَجِبُ أَنْ تُكْتَبَ بِمَاءِ ٱلذَّهَبِ . ثُمَّ إِنِّي تَسَلَّمْتُ مَالِي جَمِيعَهُ

وَشكَرْتُ اللهَ تَعالَى. وَدَعَوْتُ لِلرَّئِيسِ بِمَا صَنَعَ مَعِي مِنَ الْجَمِيلِ. ثُمَّ إِنَّنَا بِعْنَا وَاشْتَرَيْنَا وَتَعَوَّضْنَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى بِلَادٍ أُخَرَ وَمَعِي مِنَ الْأَمْوَالِ شَيْءٌ لَا يُوصَفُ. وَأَخَذْنَا السُّنْبُلَ وَالْقَرَنْفُلَ وَالدَّارَصِينِيَّ وَسِرْنَا فِي سَوَاحِلِ الْهِنْدِ. وَرَأَيْنَا سَمَكًا فِي حَدِّ جَانِبِ الْبَحْرِ تَبْلُغُ الْوَاحِدَةُ عِشْرِينَ ذِرَاعًا. وَرَأَيْتُ سُلَحْفَاةً عَرْضُهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَمَا زِلْنَا نَسِيرُ مِنْ سَاحِلٍ إِلَى سَاحِلٍ وَمِنْ بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى أَتَيْتُ بَلَدِي بَغْدَادَ. وَمَعِي الْأَمْوَالُ وَالْأَحْمَالُ وَالْبَضَائِعُ الْغَالِيَةُ وَدَخَلْتُ أَوْطَانِي. وَاجْتَمَعْتُ بِأَهْلِي وَإِخْوَانِي. وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ. وَأَعْطَيْتُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ. وَأَخَذْتُ فِي الْهَنَاءِ وَالْمَسَرَّاتِ وَانْتِهَابِ الْفُرَصَاتِ. وَنَسِيتُ مَا لَاقَيْتُ مِنَ الشَّدَائِدِ الْمُرَّاتِ وَالْمَشَقَّاتِ الصَّعْبَاتِ. وَنَوَيْتُ أَنْ أَتْرُكَ السَّفَرَ. فَلَمَّا سَمِعَ السَّادَاتُ كَلَامَهُ تَعَجَّبُوا عَجَبًا عَظِيمًا وَسَبَّحُوا اللهَ الْكَرِيمَ. وَانْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ بِغَايَةِ التَّكْرِيمِ

(ألف ليلةٍ وليلة)

الباب العاشر
في غرائب الموجودات

المعدنيات

٣١٨ قال القزويني: الجواهر المعدنية كثيرة لا يعرف الإنسان منها إلا القليل. فمن الحكماء من كان له عناية بالبحث عنها فاستخرج خاصية بعضها. وعددها نحو من سبعمائة صنف. فأوردنا طرفا منها. وما فيها من الخواص العجيبة. فمن المعادن ما هو صلب لا يذوب بالنار البتة بل ينكسر بالفاس كأصناف اليواقيت. ومنها ما هو تراب رخو يذوب في الماء كالأملاح والزاجات. ومنها ما هو نبات كالمرجان. ومنها ما هو من الحيوان كالدر واللآلئ. ومنها ما هو متولد في الهواء كالرجوم. ومنها ما ينعقد في الماء. ومنها ما بينهما ألفة كالذهب والألماس. ومنها ما بينهما مجاذبة شديدة كالحديد والمغناطيس فإن بين هذين الحجرين ميلا شديدا. فإذا شم الحديد رائحة المغناطيس يذهب حتى يلتزق به ويمسكه. ومنها ما بينهما مخالفة كالسنباذج وسائر الأحجار فإنه يحكها ويجعلها ملسا. وكالألماس وبقية المعادن فإن الألماس يقهر سائر الأحجار. ومنها ما فيه قوة منظفة كالنوشادر فإنه ينظف سائر الأحجار من الوسخ. وليس هذا القول الذي ذكرناه جامعا لخواص الأحجار

كُلِّها بل أوردناه على سبيل التعجب والمثال. ولنذكر الآن بعض الأحجار وشيئاً من خواصها مرتبة على حروف المعجم

٣١٩ (الإثمد). قال أرسطو: هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبه في أكناف المشرق وأجوده الأصبهاني. وهو حجر يخالطه الرصاص. يحدّ البصر وينفع العيون اكتحالاً ويحسنها ويدفع عنها نزول الماء ويقوي أعصابها ويدفع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع لاسيما العجائز والمشايخ الذين ضعفت أبصارهم

(عجائب المخلوقات للقزويني)

٣٢٠ (الرجوم). لما كنت في مدينة بزكي سألني يوماً سلطانها في المجلس فقال لي: هل رأيت قط حجراً نزل من السماء. فقلت: ما رأيت ذلك ولا سمعت به. فقال لي: إنه قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء. ثم دعا رجالاً وأمرهم أن يأتوا بالحجر. فأتوا بحجر أسود أصم شديد الصلابة له بريق قدرت أن زنته تبلغ قنطاراً. وأمر السلطان بإحضار القطاعين فحضر أربعة منهم فأمرهم أن يضربوه فضربوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق الحديد فلم يؤثروا فيه شيئاً. فعجبت من أمره. وأمر برده إلى حيث كان

٣٢١ (القار). نزلنا مع القافلة موضعاً يعرف بالقيارة، والقرى والعمارة متصلة بينه وبين الموصل وهو بمقربة من دجلة. وهنالك أرض سوداء فيها عيون تنبع بالقار ويصنع له أحواض

يجتمع فيها . فتراه شبه الصلصال على وجه الأرض حالك اللون صقيلا رطبا وله رائحة طيبة . وحول تلك العيون بركة كبيرة سوداء يعلوها شبه الطحلب الرقيق فتقذفه إلى جوانبها فيصير أيضا قارا . وبقربه من هذا الموضع عين كبيرة فإذا أرادوا نقل القار منها أوقدوا عليها النار فتنشف النار ما هنالك من رطوبة مائية . ثم يقطعونه قطعا وينقلونه . وقد تقدم لنا ذكر العين التي بين الكوفة والبصرة على هذا النحو (لابن بطوطة)

٣٢٢ (العنبر). ما يقع من العنبر إلى سواحل بحر فارس هو شيء تقذفه الأمواج إليه . ومبدأه من بحر الهند . على أنه لا يعرف مخرجه . غير أن أجوده ما وقع إلى بلاد بربر أو حدود بلاد الزنج وما والاها . وهو الأبيض المدور والأزرق النادر كبيض النعام أو دون ذلك . وذلك أن البحر إذا اشتد هيجانه قذف من قعره العنبر . ومنه ما يوجد فوق البحر ويزن وزنا كثيرا . فإذا رآه الحوت المعروف بالتال ابتلعه . فإذا حصل في جوفه قتله . وطفا الحوت فوق الماء . وله قوم يرصدونه في قوارب . قد عرفوا الأوقات التي توجد فيها هذه الحيتان المبتلعة العنبر . فإذا عاينوا منها شيئا اجتذبوه إلى الأرض بكلاليب حديد فيها حبال متينة تنشب في ظهر الحوت . فيشقون عنه ويخرجون العنبر منه

(مروج الذهب للمسعودي)

٣٢٣ (ألنُّحَاس). وفي مدينة تكدا من أعمال أفريقية معدن النُّحاس. وهو بخارجها يحفرون عليه في الأرض. ويأتون به إلى البلد فيسبكونه في دورهم. يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم. فإذا سبكوه نحاسًا أحمر صنعوا منه قضبانًا في طول شبر ونصف. بعضها رقاق وبعضها غلاظ. فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب بمثقال ذهب. وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثقال. وهي صرفهم. يشترون برقاقها اللحم والحطب. ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح. ويحمل النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار (لابن بطوطة)

٣٢٤ (أَلياقوت). حجر صلب شديد اليبس رزين صاف شفاف مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر. أما الأحمر فأشرفها وأنفسها. وهو حجر إذا نفخ عليه النار ازداد حسنًا وحمرة. ومعدنه البلدان الجنوبية عند خط الاستواء. وهو قليل الوجود عزيز (للقزويني)

ذكر معدن الياقوت في جزيرة سيلان

٣٢٥ ألياقوت العجيب البهرمان إنما يكون ببلدة كنكار في جزيرة سيلان. فمنه ما يخرج من الخور وهو عزيز عندهم. ومنه ما يحفر عنه. وجزيرة سيلان يوجد الياقوت في جميع مواضعها. وهي متملكة فيشتري الإنسان القطعة منها. ويحفر عن الياقوت فيجد أحجارًا بيضاء مشعبة وهي التي يتكون الياقوت في أجوافها.

فَيُعْطِيهَا ٱلْحَكَّاكِينَ فَيَحُكُّونَهَا حَتَّى تَنْفَلِقَ عَنْ أَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ. فَمِنْهُ ٱلْأَحْمَرُ وَمِنْهُ ٱلْأَصْفَرُ وَمِنْهُ ٱلْأَزْرَقُ وَيُسَمُّونَهُ ٱلنَّيْلَمَ. وَعَادَتُهُمْ أَنَّ مَا بَلَغَ ثَمَنُهُ مِنْ أَحْجَارِ ٱلْيَاقُوتِ إِلَى مِائَةِ فَنَمٍ فَهُوَ لِلسُّلْطَانِ يُعْطِي ثَمَنَهُ وَيَأْخُذُهُ وَمَا نَقَصَ عَنْ تِلْكَ ٱلْقِيمَةِ فَهُوَ لِأَصْحَابِهِ. وَصَرْفُ مِائَةِ فَنَمٍ سِتَّةُ دَنَانِيرَ مِنَ ٱلذَّهَبِ. وَجَمِيعُ ٱلنِّسَاءِ بِجَزِيرَةِ سَيْلَانَ لَهُنَّ ٱلْقَلَائِدُ مِنَ ٱلْيَاقُوتِ ٱلْمُلَوَّنِ وَيَجْعَلْنَهُ فِي أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ عِوَضًا مِنَ ٱلْأَسْوِرَةِ وَٱلْخَلَاخِيلِ. وَيَصْنَعْنَ مِنْهُ شَبَكَةً يَجْعَلْنَهَا عَلَى رُؤُوسِهِنَّ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى جَبْهَةِ ٱلْفِيلِ ٱلْأَبْيَضِ سَبْعَةَ أَحْجَارٍ مِنْهُ كُلُّ حَجَرٍ أَعْظَمُ مِنْ بَيْضَةِ ٱلدَّجَاجَةِ. وَرَأَيْتُ عِنْدَ ٱلسُّلْطَانِ سُكُرُّجَةً عَلَى مِقْدَارِ ٱلْكَفِّ مِنَ ٱلْيَاقُوتِ فِيهَا دُهْنُ ٱلْعُودِ. فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْهَا فَقَالَ: إِنَّ عِنْدَنَا مَا هُوَ أَضْخَمُ مِنْ ذٰلِكَ (لابن بطوطة)

النبات

٣٢٦ أَلنَّبَاتُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْحَيَوَانِ. بِمَعْنَى أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ نُقْصَانِ ٱلْجَمَادِيَّةِ ٱلصِّرْفَةِ ٱلَّتِي لِلْمَعَادِنِ وَغَيْرُ وَاصِلٍ إِلَى كَمَالِ ٱلْحِسِّ وَٱلْحَرَكَةِ ٱللَّتَيْنِ ٱخْتَصَّ بِهِمَا ٱلْحَيَوَانُ لٰكِنَّهُ يُشَارِكُ ٱلْحَيَوَانَ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ. لِأَنَّ ٱلْبَارِئَ تَعَالَى يَخْلُقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْآلَاتِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي بَقَاءِ ذَاتِهِ وَنَوْعِهِ وَمَا زَادَ عَلَيْهَا يَكُونُ ثِقْلًا وَكَلًّا عَلَيْهِ لَا يَخْلُقُهُ. وَلَا حَاجَةَ لِلنَّبَاتِ إِلَى ٱلْحِسِّ وَٱلْحَرَكَةِ بِخِلَافِ ٱلْحَيَوَانِ. وَمِنْ عَجِيبِ صُنْعِ ٱللّٰهِ تَعَالَى أَنَّ ٱلْحَبَّ وَٱلنَّوَى إِذَا حَصَلَا فِي تُرْبَةٍ

ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وجذبا بقوة خلقها الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء. ثم إن تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها. حتى يصير الحب نجماً بالغاً ذا عرق وقضبان وأوراق وأزهار. وحب النوى شجراً عظيماً ذا عروق وساق وأغصان وأوراق وثمرة

(للقزويني)

٣٢٧ (بطيخ خوارزم). لا نظير له في بلاد الدنيا شرقاً ولا غرباً. إلا ما كان من بطيخ بخارى. ويليه بطيخ أصفهان. وقشره أخضر وباطنه أحمر. وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة. ومن العجائب أنه يقدد وييبس في الشمس. ويجعل في القواصر. كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيام إقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ. وكان ملك الهند إذا أتي إليه بشيء منه بعث إلي به لما يعلم من محبتي له. ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك

(لابن بطوطة)

٣٢٨ (التوزري). ومن غرائب بلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقتها تسمى توزري تنبت في الرمال. ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض. تصنع منه الثياب والأكسية. ولا

تؤثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب ولو أوقدت عليه الدهر. وأخبر الفقيه عبد الملك أن أهل اللامس بلد هناك ليس لهم لبس إلا من هذا الصنف. وقد حدث جماعة أنهم رأوا منه أهداب منديل عند أبي الفضل البغدادي تحمى عليه النار فيزداد بياضا. ويكون له النار غسلا وهو كثوب الكتان (للبكري)

٣٢٩ (التنبول). شجر يغرس كما تغرس دوالي العنب ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب. أو يغرس في مجاورة النارجيل فيصعد فيها كما تصعد الدوالي وكما يصعد الفلفل. ولا ثمر للتنبول وإنما المقصود منه ورقه وهو يشبه ورق العليق وأطيبه الأصفر. وتجتنى أوراقه في كل يوم وأهل الهند يعظمون التنبول تعظيما شديدا. وإذا أتى الرجل دار صاحبه وأعطاه خمس ورقات منه فكأنما أعطاه الدنيا وما فيها لاسيما إن كان أميرا أو كبيرا. وإعطاؤه عندهم أعظم شأنا وأدل على الكرامة من إعطاء الفضة والذهب. وكيفية استعماله أن يؤخذ قبله الفوفل وهو يشبه جوز الطيب. فيكسر حتى يصير أطرافا صغارا ويجعله الإنسان في فمه ويعلكه. ثم يأخذ ورق التنبول فيجعل عليها شيئا من النورة ويمضغها مع الفوفل. وخاصيته أنه يطيب النكهة ويذهب بروائح الفم ويهضم الطعام. ويقطع ضرر شرب الماء على الريق

٣٣٠ (العود الهندي). شجره يشبه شجر البلوط إلا أن قشره

دقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له. وشجرته لا تعظم كل العظم وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة. وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها. وكل ما ببلاد المسلمين من شجره فهو متملك وأما الذي في بلاد الكفار فأكثره غير متملك. والمتملك منه ما كان بقاقلة. وهو أطيب العود. وكذلك القماري هو أطيب أنواع العود ويبيعونه لأهل الجاوة بالأثواب. ومن القماري صنف يطبع عليه كالشمع. وأما العطاس فإنه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهرا فتبقى فيه قوته. وهو من أعجب أنواعه

٣٣١ (ألقرنفل). أشجار عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الإسلام. وليست بمتملكة لكثرتها. والمجلوب إلى بلادنا منها هو العيدان. والذي يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو الذي يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج. وثمر القرنفل هو جوز بوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب. والزهر المتكون فيها هو البسباسة. رأيت ذلك كله وشاهدته

٣٣٢ (ألكافور). شجرة قصب كقصب بلادنا إلا أن الأنابيب منها أطول وأغلظ. ويكون الكافور في داخل الأنابيب وإذا كسرت القصبة وجد في داخل الأنبوب مثل شكله من الكافور. قال القزويني: الكافور شجرة كبيرة هندية تظل خلقا كثيرا تألفها

ٱلنُّسُورُ. فَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا ٱلنَّاسُ إِلَّا فِي ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ مِنَ ٱلسَّنَةِ. وَهِيَ سَفِحِيَّةٌ بَحْرِيَّةٌ. خَشَبُهَا خَشَبَةٌ بَيْضَاءُ هَشَّةٌ خَفِيفَةٌ. رُبَّمَا ٱحْتَبَسَ فِي خَلَلِهَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْكَافُورِ فَيُنْقَبُ أَعْلَى ٱلشَّجَرَةِ فَيَسِيلُ مِنْهَا مَاءُ ٱلْكَافُورِ عِدَّةَ جِرَارٍ. ثُمَّ يُنْقَبُ أَسْفَلَ مِنْ ذٰلِكَ وَسَطَ ٱلشَّجَرَةِ فَيَنْسَابُ مِنْهَا قِطَعُ ٱلْكَافُورِ

٣٣٣ (ٱللُّبَانُ). شَجَرَةُ ٱللُّبَانِ صَغِيرَةٌ تَكُونُ بِقَدْرِ قَامَةِ ٱلْإِنْسَانِ إِلَى مَا دُونَ ذٰلِكَ. وَأَغْصَانُهَا كَأَغْصَانِ ٱلْخُرْشُفِ. وَأَوْرَاقُهَا صِغَارٌ رِقَاقٌ. وَرُبَّمَا سَقَطَتْ فَبَقِيَتِ ٱلشَّجَرَةُ مِنْهَا دُونَ وَرَقَةٍ. وَٱللُّبَانُ صَمْغِيَّةٌ تَكُونُ فِي أَغْصَانِهَا. وَهِيَ فِي بِلَادِ ٱلْمُسْلِمِينَ أَكْثَرُ مِنْهَا فِي بِلَادِ غَيْرِهِمْ (لابن بطوطة)

قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: وَشَجَرَةُ ٱللُّبَانِ تُسَمَّى ٱلْكُنْدُرَ. وَهِيَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَا تَسْمُو أَكْثَرَ مِنْ ذِرَاعَيْنِ تَنْبُتُ فِي ٱلْجِبَالِ بِشِحْرِ عُمَانَ. وَرَقُهَا كَوَرَقِ ٱلْآسِ وَهُوَ رَقِيقٌ. وَإِذَا شُرِطَتِ ٱلْوَرَقَةُ مِنْهُ قَطَرَ مِنْهَا مَاءٌ شِبْهُ ٱللَّبَنِ ثُمَّ عَادَ صَمْغًا. وَذٰلِكَ ٱلصَّمْغُ هُوَ ٱللُّبَانُ

٣٣٤ (ٱلْمُصْطَكَى). هُوَ مِنْ شَجَرَةٍ تَنْبُتُ بِجَزِيرَةِ مُصْطَكَى سُمِّيَتْ بِهِ. تُشْبِهُ شَجَرَ ٱلْفُسْتُقِ ٱلصِّغَارَ. وَفِي فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ تُشْرَطُ تِلْكَ ٱلشَّجَرُ بِمَشَارِيطَ فَيَسِيلُ مِنْهَا ٱلْمُصْطَكَى ثُمَّ يَجْمُدُ عَلَى ٱلشَّجَرِ وَهُوَ ٱلْجَيِّدُ. وَٱلَّذِي يَقْطُرُ عَلَى ٱلْأَرْضِ يَكُونُ دُونَ ذٰلِكَ. وَجَزِيرَةُ مُصْطَكَى جَنُوبِيَّ قُسْطَنْطِينِيَّةَ بِٱلْقُرْبِ مِنْ فَمِ ٱلْخَلِيجِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيِّ (لابي الفداء)

٣٣٥ (النارجيل). وهو جوز الهند. من أغرب الأشجار شأنا وأعجبها أمرا. وشجره شبه شجر النخل لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزا وتلك تثمر تمرا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء. وعليها ليف شبه الشعر. وهم يصنعون منه حبالا يخيطون بها المراكب عوضا عن مسامير الحديد ويصنعون منه الحبال للمراكب. والجوزة منها وخصوصا التي بجزائر ذيبة المهل تكون بمقدار رأس الآدمي. ومن خواص هذا الجوز تقوية البدن وإسراع السمن والزيادة في حمرة الوجه فعله فيها عجيب. ومن عجائبه أنه يكون في ابتداء أمره أخضر فمن قطع بالسكين قطعة من قشره وفتح رأس الجوزة شرب منها ماء في النهاية من الحلاوة والبرودة. ومزاجه حار

٣٣٦ (المهوا). من أثمار بلاد الهند المهوا. وأشجاره عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة. وثمره مثل الإجاص الصغير شديد الحلاوة. وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة. وطعمها كطعم العنب إلا أن الإكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعا. ومن العجب أن هذه الحبوب إذا يبست في الشمس كان مطعمها كمطعم التين. وكنت آكلها عوضا من التين إذ لا يوجد ببلاد الهند. وهم يسمون هذه الحبة الأنكور. وتفسيره بلسانهم العنب. والعنب بأرض الهند عزيز

جِدًّا. وَلَا يَكُونُ بِهَا إِلَّا فِي مَوَاضِعَ بِمَحَاضِرَةِ دِهْلِي وَبِلَادٍ أُخَر. وَيُثْمِرُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ. وَنَوَى هٰذَا الثَّمَرِ يَصْنَعُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ وَيَسْتَصْبِحُونَ بِهِ (لابن بطوطة)

الحيوان

٣٣٧ أَمَّا الْحَيَوَانُ فَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَأَبْعَدُ الْمُوَلَّدَاتِ عَنِ الْأُمَّهَاتِ. لِأَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى لِلْمَعَادِنِ. وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى الْجَمَادِيَّةِ لِقُرْبِهَا مِنَ الْبَسَائِطِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ لِلنَّبَاتِ. فَإِنَّهَا مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيَوَانِ لِحُصُولِ النُّشُوءِ وَالنُّمُوِّ وَفَوَاتِ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَالْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ لِلْحَيَوَانِ. وَهُوَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ النُّشُوءِ وَالنُّمُوِّ وَالْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ. وَهٰذِهِ قُوًى مَوْجُودَةٌ فِي جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَيَوَانِ حَتَّى فِي الذُّبَابِ وَالْبَعُوضِ وَالدِّيدَانِ (للقزويني)

نوع النعم

٣٣٨ (أَلْإِبِلُ). قِيلَ: مَا خَلَقَ اللّٰهُ شَيْئًا مِنَ الدَّوَابِّ خَيْرًا مِنَ الْإِبِلِ. إِنْ حَمَلَتْ أَثْقَلَتْ وَإِنْ سَارَتْ أَبْعَدَتْ وَإِنْ حُلِبَتْ أَرْوَتْ وَإِنْ نُحِرَتْ أَشْبَعَتْ. وَلَمَّا أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ تَكُونَ الْإِبِلُ سَفَائِنَ الْبَرِّ صَبَّرَهَا عَلَى احْتِمَالِ الْعَطَشِ. وَجَعَلَهَا تَرْعَى كُلَّ شَيْءٍ نَابِتٍ فِي الْبَرَارِي وَالْمَغَاوِرِ مِمَّا لَا يَرْعَاهُ سَائِرُ الْبَهَائِمِ. وَالْإِبِلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجِيبَةِ وَإِنْ كَانَ عَجَبُهَا سَقَطَ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ رُؤْيَتِهِمْ لَهَا. وَذَاكَ أَنَّهُ حَيَوَانٌ عَظِيمُ الْجِسْمِ سَرِيعُ الْانْقِيَادِ. يَنْهَضُ بِالْحِمْلِ

الثقيل ويبرك به بصوت واحد. ويأخذ زمامه صبي فيذهب به حيث شاء. ويتخذ على ظهره بيت فيجعل فيه الإنسان مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه ووسائده كما في بيته. ويتخذ للبيت سقفًا وهو يمشي بكل ذلك (للدميري)

٣٣٩ (الزرافة). حيوان غريب الخلقة. رأسه كرأس الإبل. وقرنه كقرون البقر. وجلده كجلد النمر. وقوائمه وأظلافه كالبقر. وذنبه كذنب الظبي. ولما كان مأكولها ورق الشجر خلق الله تعالى يديها أطول من رجليها وهي ألوان عجيبة. وقال القزويني: الزرافة طويلة العنق. وصورتها بالبعير أقرب. وجلدها بالببر أشبه. وهي من الخلق العجيب ليس عندها إلا ظرافة الصورة

نوع السباع

٣٤٠ (الثعلب). وهو معروف. ذو مكر وخديعة. وله حيل في طلب الرزق. فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده. وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد. ومن لطيف أمره أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه وجعلها في فيه ونزل في الماء. والبراغيث تطير قليلًا حتى تجتمع في تلك الصوفة فيلقيها في الماء ويخرج. وفروه أدفأ الفراء وفيه الأبيض والرمادي وغير ذلك (للابشيهي)

٣٤١ (خَيْلُ ٱلْبَحْرِ). وَلَمَّا وَصَلْنَا خَلِيجَ ٱلنِّيلِ رَأَيْتُ عَلَى ضَفَّتِهِ سِتَّ عَشْرَةَ دَابَّةً ضَخْمَةَ ٱلْخِلْقَةِ. فَعَجِبْتُ مِنْهَا وَظَنَنْتُهَا فِيَلَةً لِكَثْرَتِهَا هُنَالِكَ. ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُهَا دَخَلَتْ فِي ٱلنَّهْرِ فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرِ بْنِ يَعْقُوبَ: مَا هٰذِهِ ٱلدَّوَابُّ. فَقَالَ: هِيَ خَيْلُ ٱلْبَحْرِ خَرَجَتْ تَرْعَى فِي ٱلْبَرِّ. وَهِيَ أَغْلَظُ مِنَ ٱلْخَيْلِ وَلَهَا أَعْرَافٌ وَأَذْنَابٌ وَرُؤُوسُهَا كَرُؤُوسِ ٱلْخَيْلِ وَأَرْجُلُهَا كَأَرْجُلِ ٱلْفِيَلَةِ. وَرَأَيْتُ هٰذِهِ ٱلْخَيْلَ مَرَّةً أُخْرَى لَمَّا رَكِبْنَا ٱلنِّيلَ مِنْ تَنْبُكْتُو إِلَى كَوْكَوْ وَهِيَ تَعُومُ فِي ٱلْمَاءِ وَتَرْفَعُ رُؤُوسَهَا وَتَنْفُخُ. وَخَافَ مِنْهَا أَهْلُ ٱلْمَرْكَبِ فَقَرَبُوا مِنَ ٱلْبَرِّ لِئَلَّا تُغْرِقَهُمْ. وَلَهُمْ حِيلَةٌ فِي صَيْدِهَا حَسَنَةٌ وَذٰلِكَ أَنَّ لَهُمْ رِمَاحًا مَثْقُوبَةً قَدْ جُعِلَ فِي ثُقْبِهَا شَرَائِطُ وَثِيقَةٌ فَيَضْرِبُونَ ٱلْفَرَسَ مِنْهَا. فَإِنْ صَادَفَتِ ٱلضَّرْبَةُ رِجْلَهُ أَوْ عُنُقَهُ أَنْفَذَتْهُ وَجَذَبُوهُ بِٱلْحَبْلِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَأْكُلُونَ لَحْمَهُ. وَمِنْ عِظَامِهَا بِٱلسَّاحِلِ كَثِيرٌ (لابن بطوطة)

٣٤٢ (ٱلدُّبُّ). حَيَوَانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ ٱلْعُزْلَةَ. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ يَدْخُلُ وِجَارَهُ ٱلَّذِي ٱتَّخَذَهُ فِي ٱلْغِيرَانِ وَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَطِيبَ ٱلْهَوَاءُ. فَإِذَا جَاعَ يَمَصُّ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. فَيَدْفَعُ بِذٰلِكَ جُوعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ وِجَارِهِ فَصْلَ ٱلرَّبِيعِ كَأَسْمَنِ مَا يَكُونُ. وَيُخَاصِمُهُ ٱلْبَقَرُ فَإِذَا نَطَحَهُ ٱلْبَقَرُ ٱسْتَلْقَى. وَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ قَرْنَيْهِ وَيَعَضُّهُ عَضًّا شَدِيدًا وَيَقْهَرُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا وَلَدَتْ أُنْثَاهُ جِرْوًا تَصْعَدُ بِهِ إِلَى أَعْلَى شَجَرَةٍ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّمْلِ لِأَنَّهَا تَضَعُهُ قِطْعَةَ لَحْمٍ. ثُمَّ لَا تَزَالُ تَلْحَسُهُ وَتَرْفَعُهُ فِي ٱلْهَوَاءِ

أياماً حتى تفرج أعضاؤه وتخشن ويصير له جلد. وقيل إن الدب يقيم أولاده تحت شجرة الجوز ثم يصعد فيرمي بالجوز إليها إلى أن تشبع. وربما قطع من الشجرة الغصن العتل الضخم الذي لا يقطع إلا بالفأس والجهد ثم يشد به على الفارس فلا يضرب أحداً إلا قتله (الدميري والقزويني)

٣٤٣ (ألفيل). حيوان يوجد بأرض الهند. وهو أضخم الحيوان وأعظمه جرماً. وما ظنك بخلق ربما كان نابه أكثر من ثلاث مائة من. وهو مع ذلك أملح وأظرف من كل نحيف الجسم رشيق. وأهل الهند يزعمون أن أنياب الفيل قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقان. وخرطوم الفيل أنفه ويده. وبه يتناول الطعام إلى جوفه وبه يقاتل وبه يصيح. وصياحه ليس في مقدار جرمه. وله أذنان كل واحدة كترس متحركتان دائماً يدفع بهما الذباب والبق عن فيه. لأن فمه مفتوح دائماً فلو دخل من الذباب أو البق في فمه أو أذنه لهلك. والفيل يعادي الحية إذا رآها فسخها تحت رجليه. والحية تلسع ولده فتهلكه. وقيل إن الفيل جيد السباحة. وإذا سبح رفع خرطومه كما يغيب الجاموس جميع بدنه إلا منخريه. ويقوم خرطومه مقام عنقه. والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وإنما هو وعاء إذا ملأه من طعام أو ماء أولجه في فيه لأنه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى. وأهل الهند تجعله في القتال. وفيه من الفهم

ما يَقبلُ بِهِ ٱلتَّأْدِيبَ وَيَفعَلُ ما يَأْمُرُهُ بِهِ سائِسُهُ مِنَ ٱلسُّجُودِ لِلْمَلِكِ وَغَيرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فِي حالَتَي ٱلسِّلْمِ وَٱلْحَرْبِ. وَفِيهِ مِنَ ٱلأَخْلاقِ أَنَّهُ يُقاتِلُ بَعْضُهُ بَعضًا وَٱلْمَقْهُورُ مِنْهُما يَخْضَعُ لِلْقاهِرِ. وَرُبَّما مَرَّ بِٱلإِنْسانِ فَلا يَشعُرُ بِهِ لِحُسْنِ خَطْوِهِ وَٱستِقامَتِهِ. وَذُكِرَ فِي كِتابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ أَنَّ ٱلْفِيلَ لا يَأْكُلُ عَلَفَهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَلَّقَ

(للابشيهي والدميري)

٣٤٤ (أَلقاقُمُ وَٱلسَّمُّورُ). أَلقاقُمُ هُوَ أَحْسَنُ أَنواعِ ٱلْفِراءِ. وَتُساوِي ٱلْفَرْوَةُ مِنْهُ بِبِلادِ ٱلْهِنْدِ أَلْفَ دِينارٍ. وَهِيَ شَدِيدَةُ ٱلْبَياضِ مِنْ جِلْدِ حَيَوانٍ صَغِيرٍ فِي طُولِ ٱلشِّبْرِ. وَذَنَبُهُ طَوِيلٌ يَتْرُكُونَهُ فِي ٱلْفَرْوَةِ عَلَى حالِهِ. وَٱلسَّمُّورُ دُونَ ذٰلِكَ. تُساوِي ٱلْفَرْوَةُ مِنْهُ أَرْبَعَمِائَةِ دِينارٍ فَما دُونَها. وَمِنْ خاصِيَّةِ هٰذِهِ ٱلْجُلُودِ أَنَّهُ لا يَدخُلُها ٱلْقَمْلُ. وَأُمَراءُ ٱلصِّينِ وَكِبارُها يَجْعَلُونَ مِنْهُ ٱلْجِلْدَ ٱلْواحِدَ مُتَّصِلًا بِفِرائِهِمْ عِنْدَ ٱلْعُنُقِ. وَكَذٰلِكَ تُجّارُ فارِسَ وَٱلْعِراقَيْنِ (لابن بطوطة)

٣٤٥ (أَلقِرْدُ). حَيَوانٌ قَبِيحٌ مَلِيحٌ. يُضْحِكُ وَيُطْرِبُ وَيَفْهَمُ سَرِيعًا. وَيَتَعَلَّمُ ٱلصِّناعاتِ ٱلدَّقِيقَةَ كَٱلنَّسْجِ. فَإِنَّ ٱلثِّيابَ ٱلْعَرِيضَةَ لا يَحُوكُها صانِعٌ واحِدٌ فَيُعَلِّمُ ٱلصّانِعُ قِرْدًا وَيَرْمِي ٱلْمَحُوكَ إِلَى جانِبِ ٱلْقِرْدِ وَٱلْقِرْدُ يَرْمِي إِلَيْهِ. وَأَهْدَى مَلِكُ ٱلنُّوبَةِ إِلَى ٱلْمُتَوَكِّلِ قِرْدَيْنِ أَحَدُهُما خَيّاطٌ وَٱلآخَرُ صائِغٌ. وَأَهْلُ ٱلْيَمَنِ يُعَلِّمُونَ ٱلْقُرُودَ قَضاءَ حَوائِجِهِمْ. حَتَّى ٱلْبَقّالُ وَٱلْقَصّابُ إِذا غابَ سَلَّمَ دُكّانَهُ إِلَى ٱلْقِرْدِ

يحفظه أشدّ الحفظ حتى يرجع صاحبه (للابشيهي والقزويني

٣٤٦ (الكركدن). في بلاد الهند البشان وهو الكركدن. له في جبهته قرن واحد. وهو أسود في وسطه صورة بيضاء. وهذا الكركدن دون الفيل في الخلقة إلى السواد ما هو يشبه الجاموس قوي ليس كقوته شيء من الحيوان. وليس له مفصل في ركبته ولا في يده. وهو من لدن رجله إلى إبطه قطعة واحدة. والفيل يهرب منه. وهو يجترّ كما تجترّ البقر والإبل. ولحمه حلال قد أكلناه. وهو في مملكة سرنديب كثير في غياضهم وهو في سائر بلاد الهند. غير أن قرون هذا أجود. فربما كان في القرن صورة رجل. وصورة طاووس وصورة سمكة وسائر الصور. وأهل الصين يتخذون منها المناطق وتبلغ المنطقة ببلاد الصين ألفي دينار وثلاثة آلاف وأكثر على قدر حسن الصورة. وهذا كله يشترى من بلاد رهمي بالودع وهو عين البلاد (سلسلة التواريخ)

٣٤٧ (الكلب). حيوان كثير الرياضة شديد المجاهدة كثير الوفاء دائم الجوع والسهر. يخدم بأدنى مراعاة خدمة كثيرة من الملازمة والحراسة ودفع اللص. حكى أبو عبيدة قال: خرج رجل إلى الجبّانة ومعه أخوه وجاره لينظروا إلى الناس. فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينته ولم يرجع. فلما قعد ربض الكلب بين يديه. فجاء عدوّ له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه. فإذا ببئر

هُنَاكَ قَرْيَةُ ٱلْقَعْرِ فَنَزَلَ فِيهَا وَأَمَرَ أَخَاهُ وَجَارَهُ أَنْ يُهِيلَا عَلَيْهِ ٱلتُّرَابَ. ثُمَّ ذَهَبَ أَخُوهُ وَجَارُهُ إِلَى سَبِيلِهِمَا وَصَارَ ٱلْكَلْبُ يَنْبَحُ حَوْلَهُ. فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ ٱلْعَدُوُّ أَتَاهُ ٱلْكَلْبُ فَمَا زَالَ يَبْحَثُ فِي ٱلتُّرَابِ إِلَى أَنْ كَشَفَهُ عَنْ رَأْسِهِ فَتَنَفَّسَ ٱلرَّجُلُ وَمَرَّ بِهِ أُنَاسٌ فَتَنَاوَلُوهُ وَرَدُّوهُ إِلَى أَهْلِهِ. فَلَمَّا مَاتَ ذٰلِكَ ٱلْكَلْبُ عَمِلَ لَهُ قَبْرًا وَدَفَنَهُ فِيهِ. وَجَعَلَ عَلَيْهِ قُبَّةً وَسَمَّى ذٰلِكَ قَبْرَ ٱلْكَلْبِ وَفِي ذٰلِكَ قِيلَ:

تَفَرَّقَ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ ... وَمَا حَادَ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهْوَ ضَارِبُهْ

وَمِنْ ذٰلِكَ مَا حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا قُتِلَ وَدُفِنَ. وَكَانَ مَعَهُ كَلْبٌ فَصَارَ يَأْتِي كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْمَوْضِعِ ٱلَّذِي دُفِنَ فِيهِ وَيَنْبَحُ وَيَنْبُشُ وَيَتَعَلَّقُ بِرَجُلٍ هُنَاكَ. فَقَالَ ٱلنَّاسُ: إِنَّ لِهٰذَا ٱلْكَلْبِ شَأْنًا فَكَشَفُوا عَنْ ذٰلِكَ وَحَفَرُوا ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعَ فَوَجَدُوا قَتِيلًا. فَقَبَضُوا عَلَى ذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَنْبَحُ عَلَيْهِ ٱلْكَلْبُ وَضَرَبُوهُ فَأَقَرَّ بِقَتْلِهِ فَقُتِلَ

وَٱلْكَلْبُ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلَّذِي يَعْرِفُ ٱلْحَسَنَةَ. وَيَعِيشُ ٱلْكَلْبُ فِي ٱلْغَالِبِ عَشْرَ سِنِينَ. وَرُبَّمَا بَلَغَ عِشْرِينَ سَنَةً. وَوُصِفَ لِلْمُتَوَكِّلِ كَلْبٌ بِأَرْمِينِيَةَ يَفْتَرِسُ ٱلْأَسَدَ. فَأَرْسَلَ مَنْ جَاءَ بِهِ إِلَيْهِ. فَجُوِّعَ أَسَدًا وَأَطْلَقَهُ عَلَيْهِ فَتَهَارَشَا وَتَوَاثَبَا حَتَّى وَقَعَا مَيِّتَيْنِ. وَقِيلَ: كَلْبُ ٱلصَّيَّادِ يُشَبَّهُ بِهِ ٱلْفَقِيرُ ٱلْمُجَاوِرُ لِلْغَنِيِّ. لِأَنَّهُ يَرَى مِنْ نِعْمَتِهِ وَبُؤْسِ نَفْسِهِ مَا يُفَتِّتُ كَبِدَهُ. وَٱلْكَلْبُ نَوْعَانِ أَهْلِيٌّ وَسَلُوقِيٌّ نِسْبَةً إِلَى سَلُوقَ مَدِينَةٍ بِٱلْيَمَنِ تُنْسَبُ إِلَيْهَا ٱلْكِلَابُ ٱلسَّلُوقِيَّةُ وَكِلَا ٱلنَّوْعَيْنِ فِي ٱلطَّبْعِ سَوَاءٌ

نوع الطيور

٣٤٨ (الْبَازُ). وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْأَشْعَثِ. هُوَ مِنْ أَشَدِّ الْحَيَوَانِ تَكَبُّرًا وَأَضْيَقِهَا خُلُقًا. تَخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ وَهُوَ أَصْنَافٌ. مِنْهَا الْبَازِي وَالْبَاشَقُ وَالشَّاهِينُ وَالْبَيْدَقُ وَالصَّقْرُ. وَالْبَازِي أَحَرُّهَا مِزَاجًا لِأَنَّهُ لَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَطَشِ. فَلِذٰلِكَ لَا يُفَارِقُ الْمَاءَ وَالْأَشْجَارَ الْمُتَّسِعَةَ وَالظِّلَّ الظَّلِيلَ. وَهُوَ خَفِيفُ الْجَنَاحِ سَرِيعُ الطَّيَرَانِ تَكْثُرُ أَمْرَاضُهُ مِنْ كَثْرَةِ طَيَرَانِهِ. لِأَنَّهُ كُلَّمَا طَارَ انْحَطَّ لَحْمُهُ وَهَزِلَ. وَأَحْسَنُ أَنْوَاعِهِ مَا قَلَّ رِيشُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ مَعَ حِدَّةٍ وَدُونَهُ الْأَزْرَقُ الْأَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ. وَالْأَصْفَرُ دُونَهُمَا. وَمِنْ صِفَاتِهِ أَنَّهُ طَوِيلُ الْعُنُقِ عَرِيضُ الصَّدْرِ (للابشيهي)

٣٤٩ (الْحَمَامُ). هُوَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ. وَالْكَلَامُ فِي الَّذِي أَلِفَ الْبُيُوتَ وَهُوَ قِسْمَانِ أَحَدُهُمَا بَرِّيٌّ. وَهُوَ الَّذِي يُوجَدُ فِي الْقُرَى وَالْآخَرُ أَهْلِيٌّ وَهُوَ أَنْوَاعٌ وَأَشْكَالٌ. فَمِنْهُ الرَّوَاعِبُ وَالْمَرَاعِيشُ وَالشَّدَّادُ وَالْغَلَّابُ وَالْمَنْسُوبُ. وَمِنْ طَبْعِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ وَكْرَهُ وَلَوْ كَانَ فِي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. وَلِأَجْلِ ذٰلِكَ يَحْمِلُ الْأَخْبَارَ. وَمِنْهُ مَنْ يَقْطَعُ عَشَرَةَ فَرَاسِخَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا صِيدَ وَغَابَ عَنْ وَطَنِهِ عَشْرَ سِنِينَ. وَهُوَ عَلَى ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَقُوَّةِ حِفْظِهِ حَتَّى يَجِدَ فُرْصَةً فَيَطِيرَ وَيَعُودَ إِلَى وَطَنِهِ. وَسِبَاعُ الطَّيْرِ تَطْلُبُهُ أَشَدَّ الطَّلَبِ. وَخَوْفُهُ مِنَ الشَّاهِينِ أَشَدُّ مِنْ غَيْرِهِ. وَهُوَ أَطْيَرُ مِنْهُ لٰكِنْ إِذَا أَبْصَرَهُ يَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحِمَارَ إِذَا رَأَى الْأَسَدَ. وَالشَّاةَ إِذَا رَأَتِ الذِّئْبَ. وَالْفَأْرَ إِذَا رَأَى الْهِرَّ

٣٥٠ (أَلْخُطَّافُ). أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ. فَمِنْهُ نَوْعٌ دُونَ ٱلْعُصْفُورِ رَمَادِيُّ ٱللَّوْنِ يَسْكُنُ سَاحِلَ ٱلْبَحْرِ. وَمِنْهُ مَا لَوْنُهُ أَخْضَرُ وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ مِصْرَ ٱلْخُطَّارَ. وَنَوْعٌ طَوِيلُ ٱلْأَجْنِحَةِ رَقِيقٌ يَأْلَفُ ٱلْجِبَالَ. وَنَوْعٌ أَصْغَرُ مِنْهُ يَأْلَفُ ٱلْمَسَاجِدَ يُسَمِّيهِ ٱلنَّاسُ ٱلسُّنُونُو لَا يُفَارِقُ ٱلْبُيُوتَ. وَهِيَ تَبْنِي بَيْتَهَا فِي أَعْلَى مَكَانٍ بِٱلْبَيْتِ. وَتُحْكِمُ بُنْيَانَهُ وَتُطَيِّنُهُ. فَإِنْ لَمْ تَجِدِ ٱلطِّينَ ذَهَبَتْ إِلَى ٱلْبَحْرِ فَتَمَرَّغَتْ بِٱلتُّرَابِ وَٱلْمَاءِ وَأَتَتْ فَطَيَّنَتْهُ. وَهِيَ لَا تَزْبِلُ دَاخِلَهُ بَلْ عَلَى حَافَتِهِ أَوْ خَارِجًا عَنْهُ. وَعِنْدَهُ وَرَعٌ كَثِيرٌ لِأَنَّهُ وَإِنْ أَلِفَ ٱلْبُيُوتَ لَا يُشَارِكُ أَهْلَهَا فِي أَقْوَاتِهِمْ وَلَا يَلْتَمِسُ مِنْهُمْ شَيْئًا. وَلَقَدْ أَحْسَنَ وَاصِفُهُ حَيْثُ يَقُولُ:

كُنْ زَاهِدًا فِيمَا حَوَتْهُ يَدُ ٱلْوَرَى ... تَبْقَى إِلَى كُلِّ ٱلْأَنَامِ حَبِيبَا
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْخُطَّافِ حُرِّمَ زَادُهُمْ ... أَضْحَى مُقِيمًا فِي ٱلْبُيُوتِ رَبِيبَا

وَمِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ لَا يُفَرِّخُ فِي عُشٍّ عَتِيقٍ بَلْ يُجَدِّدُ لَهُ عُشًّا

٣٥١ (أَلْخُفَّاشُ). طَيْرٌ يُوجَدُ فِي ٱلْأَمَاكِنِ ٱلْمُظْلِمَةِ. وَذَلِكَ بَعْدَ ٱلْغُرُوبِ وَقَبْلَ ٱلْعِشَاءِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ نَهَارًا وَلَا فِي ضَوْءِ ٱلْقَمَرِ. وَقُوتُهُ ٱلْبَعُوضُ وَهٰذَا ٱلْوَقْتُ هُوَ ٱلَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ ٱلْبَعُوضُ أَيْضًا لِطَلَبِ رِزْقِهِ. فَيَأْكُلُهُ ٱلْخُفَّاشُ. فَيَتَسَلَّطُ طَالِبُ رِزْقٍ عَلَى طَالِبِ رِزْقٍ. وَهُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلشَّدِيدِ ٱلطَّيَرَانِ. قِيلَ إِنَّهُ يَطِيرُ ٱلْفَرْسَخَيْنِ فِي سَاعَةٍ. وَهُوَ يُعَمِّرُ مِثْلَ ٱلنَّسْرِ وَتُعَادِيهِ ٱلطُّيُورُ فَتَقْتُلُهُ

٣٥٢ (أَلزُّنْبُورُ). حَيَوَانٌ فَوْقَ ٱلنَّحْلِ لَهُ أَلْوَانٌ. وَقَدْ أَوْدَعَهُ ٱللّٰهُ

حِكْمَةٌ فِي بُنْيَانِهِ بَيْتَهُ. وَذٰلِكَ أَنَّهُ يَبْنِيهِ مُرَبَّعًا. لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ كُلُّ بَابٍ مُسْتَقْبِلٌ جِهَةً مِنَ ٱلرِّيَاحِ ٱلْأَرْبَعِ. فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ دَخَلَ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ وَيَبْقَى إِلَى أَيَّامِ ٱلرَّبِيعِ. فَيَنْفُخُ ٱللهُ تَعَالَى فِيهِ ٱلرُّوحَ فَيَخْرُجُ وَيَطِيرُ. وَفِي طَبْعِهِ ٱلتَّهَافُتُ عَلَى ٱلدَّمِ وَٱللَّحْمِ. وَمِنْ خَاصِيَّتِهِ أَنَّهُ إِذَا وُضِعَ فِي ٱلزَّيْتِ مَاتَ. وَفِي ٱلْخَلِّ عَاشَ. وَلَسْعَتُهُ تُزَالُ بِعُصَارَةِ ٱلْمُلُوخِيَّةِ (للابشيهي)

٣٥٣ (أَلْعَلَقُ ٱلطَّيَّارُ). رَأَيْنَا فِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ ٱلْعَلَقَ ٱلطَّيَّارَ. وَيَكُونُ بِٱلْأَشْجَارِ وَٱلْحَشَائِشِ ٱلَّتِي تَقْرُبُ مِنَ ٱلْمَاءِ. فَإِذَا قَرُبَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْهُ وَثَبَ عَلَيْهِ. فَحَيْثُمَا وَقَعَ فِي جَسَدِهِ خَرَجَ مِنْهُ ٱلدَّمُ ٱلْكَثِيرُ. وَٱلنَّاسُ يُعِدُّونَ لَهُ ٱللَّيْمُونَ يَعْصِرُونَهُ عَلَيْهِ. فَيَسْقُطُ عَنْهُمْ. وَيَجْرِدُونَ ٱلْمَوْضِعَ ٱلَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ بِسِكِّينِ خَشَبٍ مُعَدٍّ لِذٰلِكَ. وَيُذْكَرُ أَنَّ بَعْضَ ٱلزُّوَّارِ مَرَّ بِذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ فَتَعَلَّقَتْ بِهِ ٱلْعَلَقُ. فَأَظْهَرَ ٱلْجَلَدَ وَلَمْ يَعْصِرْ عَلَيْهَا ٱللَّيْمُونَ. فَنُزِفَ دَمُهُ وَمَاتَ (لابن بطوطة)

٣٥٤ (أَلْكُرْكِيُّ). طَيْرٌ مَحْبُوبٌ لِلْمُلُوكِ. وَلَهُ مَشْتًى وَمَصِيفٌ. فَمَشْتَاهُ بِأَرْضِ مِصْرَ وَمَصِيفُهُ بِأَرْضِ ٱلْعِرَاقِ. وَهُوَ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ ٱلرَّئِيسِ. قِيلَ إِنَّهُ إِذَا نَزَلَ بِمَكَانٍ ٱجْتَمَعَ حَلْقَةً وَنَامَ وَقَامَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ يَحْرُسُهُ. وَهُوَ يُصَوِّتُ تَصْوِيتًا لَطِيفًا حَتَّى يُفْهِمَ أَنَّهُ يَقْظَانُ. فَإِذَا تَمَّتْ نَوْبَتُهُ أَيْقَظَ غَيْرَهُ لِنَوْبَتِهِ. وَإِذَا مَشَى وَطِئَ ٱلْأَرْضَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ وَبِٱلْأُخْرَى قَلِيلًا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُحَسَّ بِهِ. وَإِذَا طَارَ سَارَ سَطْرًا

يَقْدُمُهُ وَاحِدٌ كَهَيْئَةِ الدَّلِيلِ. ثُمَّ تَتْبَعُهُ الْبَقِيَّةُ (للقزويني)

غرائب مائية

٣٥٥ (ألْجَوْهَر). أَصْلُ الْجَوْهَرِ وَهُوَ الدُّرُّ عَلَى مَا قِيلَ (*) أَنَّ حَيَوَانًا يَصْعَدُ مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَاحِلِهِ وَقْتَ الْمَطَرِ وَيَفْتَحُ أُذُنَهُ يَلْتَقِطُ بِهَا الْمَطَرَ. وَيَضُمُّهَا وَيَرْجِعُ إِلَى الْبَحْرِ فَيَنْزِلُ إِلَى قَرَارِهِ. وَلَا يَزَالُ مُطْبِقًا أُذُنَهُ عَلَى مَا فِيهَا خَوْفَ أَنْ يَخْتَلِطَ بِأَجْزَاءِ الْبَحْرِ. حَتَّى يَنْضَجَ مَا فِيهَا وَيَصِيرَ دُرًّا (للابشيهي)

ذكر مغاص الجوهر

٣٥٦ رَأَيْنَا مَغَاصَ الْجَوْهَرِ فِيمَا بَيْنَ سِيرَافَ وَالْبَحْرَيْنِ فِي خَوْرٍ رَاكِدٍ مِثْلَ الْوَادِي الْعَظِيمِ. فَإِذَا كَانَ شَهْرُ أَبْرِيلَ وَشَهْرُ مَايَهْ تَأْتِي إِلَيْهِ الْقَوَارِبُ الْكَثِيرَةُ فِيهَا الْغَوَّاصُونَ وَتُجَّارُ فَارِسَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْقَطِيفِ. وَيَجْعَلُ الْغَوَّاصُ عَلَى وَجْهِهِ مَهْمَا أَرَادَ أَنْ يَغُوصَ شَيْئًا يَكْسُوهُ مِنْ عَظْمِ الْغَيْلَمِ وَهِيَ السُّلَحْفَاةُ. وَيَصْنَعُ مِنْ هٰذَا الْعَظْمِ أَيْضًا شَكْلًا شِبْهَ الْمِقْرَاضِ يَشُدُّهُ عَلَى أَنْفِهِ. ثُمَّ يَرْبِطُ حَبْلًا فِي وَسَطِهِ وَيَغُوصُ. وَيَتَفَاوَتُونَ فِي الصَّبْرِ فِي الْمَاءِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَصْبِرُ السَّاعَةَ. فَإِذَا وَصَلَ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ يَجِدُ الصَّدَفَ هُنَالِكَ فِيمَا بَيْنَ الْأَحْجَارِ الصِّغَارِ مُثْبَتًا فِي الرَّمْلِ فَيَقْتَلِعُهُ بِيَدِهِ أَوْ يَقْطَعُهُ بِحَدِيدَةٍ عِنْدَهُ مُعَدَّةٍ لِذٰلِكَ

(*) هذا الراي لقدماء الطبيعيين كارسطاطاليس وغيره وهو اليوم متروك والصواب انَّ الدر يتركَّب كما الاصداف من الماء ومن بعض المواد الآليَّة مع كربونات الكلسيوم تفرزها حيوانات مائيَّة فاذا نضجت وجدت صارت درًّا

وَيَجْعَلُهَا فِي مِخْلَاةِ جِلْدٍ مَنُوطَةٍ بِعُنُقِهِ . فَإِذَا ضَاقَ نَفَسُهُ حَرَّكَ ٱلْحَبْلَ فَيُحِسُّ بِهِ ٱلرَّجُلُ ٱلْمُمْسِكُ لِلْحَبْلِ عَلَى ٱلسَّاحِلِ فَيَرْفَعُهُ إِلَى ٱلْقَارِبِ فَتُؤْخَذُ مِنْهُ ٱلْمِخْلَاةُ . وَيُفْتَحُ ٱلصَّدَفُ فَيُوجَدُ فِي أَجْوَافِهَا قِطَعُ لَحْمٍ تُقْطَعُ بِحَدِيدَةٍ فَإِذَا بَاشَرَتِ ٱلْهَوَاءَ جَمَدَتْ فَصَارَتْ جَوَاهِرَ . فَيُجْمَعُ جَمِيعُهَا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ فَيَأْخُذُ ٱلسُّلْطَانُ خُمُسَهُ وَٱلْبَاقِي يَشْتَرِيهِ ٱلتُّجَّارُ ٱلْحَاضِرُونَ بِتِلْكَ ٱلْقَوَارِبِ . وَأَكْثَرُهُمْ يَكُونُ لَهُ ٱلدَّيْنُ عَلَى ٱلْغَوَّاصِينَ فَيَأْخُذُ ٱلْجَوْهَرَ فِي دَيْنِهِ أَوْ مَا وَجَبَ لَهُ مِنْهُ (لابن بطوطة)

٣٥٧ (أَلرَّعَّادُ) . إِنَّ فِي ٱلْبَحْرِ سَمَكًا يُسَمَّى ٱلرَّعَّادَ . إِذَا دَخَلَ فِي شَبَكَةٍ فَكُلُّ مَنْ جَرَّ تِلْكَ ٱلشَّبَكَةَ أَوْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى حَبْلٍ مِنْ حِبَالِهَا . تَأْخُذُهُ ٱلرِّعْدَةُ حَتَّى لَا يَمْلِكَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا كَمَا يُرْعَدُ صَاحِبُ ٱلْحُمَّى . فَإِذَا رَفَعَ يَدَهُ زَالَتْ عَنْهُ ٱلرِّعْدَةُ . فَإِنْ أَعَادَهَا عَادَتْ إِلَيْهِ ٱلرِّعْدَةُ . وَهٰذَا أَيْضًا مِنَ ٱلْعَجَائِبِ . فَسُبْحَانَ ٱللّٰهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ

٣٥٨ (أَلْمَرْجَانُ) . هُوَ وَاسِطَةٌ بَيْنَ ٱلنَّبَاتِ وَٱلْمَعْدِنِ . لِأَنَّهُ بِتَشَجُّرِهِ يُشْبِهُ ٱلنَّبَاتَ . وَبِتَحَجُّرِهِ يُشْبِهُ ٱلْمَعْدِنَ . وَلَا يَزَالُ لَيِّنًا فِي مَعْدِنِهِ . فَإِذَا فَارَقَهُ تَحَجَّرَ وَيَبِسَ . (خَوَاصُّهُ) ٱلنَّظَرُ فِيهِ يَشْرَحُ ٱلصَّدْرَ وَيَبْسُطُ ٱلنَّفْسَ وَيُفَرِّجُ ٱلْقَلْبَ . وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ أَحْمَرُ وَأَزْرَقُ وَأَبْيَضُ . وَأَصْلُهُ مِنَ ٱلْبَحْرِ قِيلَ إِنَّهُ شَجَرٌ يَنْبُتُ . وَقِيلَ إِنَّهُ مِنْ حَيَوَانِهِ

(للابشيهي)

الباب الحادي عشر
في أوصاف البلاد

آثار آسية

٣٥٩ (ٱلْأُرْدُنُّ). ٱلْأُرْدُنُّ نَاحِيَةٌ بِأَرْضِ ٱلشَّامِ فِي غَرْبِيِّ ٱلْغُوطَةِ وَشِمَالِيِّهَا. وَقَصَبَتُهَا طَبَرِيَّةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. بِهَا ٱلْبُحَيْرَةُ ٱلْمُنْتِنَةُ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا بُحَيْرَةُ لُوطٍ. وَدَوْرَةُ ٱلْبُحَيْرَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ. وَٱلْجِبَالُ تَكْنُفُهَا. فَلَا يُنْتَفَعُ بِهٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ وَلَا يَتَوَلَّدُ فِيهَا حَيَوَانٌ. وَقَدْ تَهِيجُ فِي بَعْضِ ٱلْأَعْوَامِ فَيَهْلِكُ أَهْلُ ٱلْقُرَى ٱلَّذِينَ هُمْ حَوْلَهَا كُلُّهُمْ حَتَّى تَبْقَى خَالِيَةً مُدَّةً. ثُمَّ يَأْتِي يَسْكُنُهَا مَنْ لَا رَغْبَةَ لَهُ فِي ٱلْحَيَاةِ. وَإِنْ وَقَعَ فِي هٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ شَيْءٌ لَا يَبْقَى مُنْتَفَعًا بِهِ. حَتَّى ٱلْحَطَبُ إِذَا وَقَعَ فِيهَا لَا تَعْمَلُ ٱلنَّارُ فِيهِ ٱلْبَتَّةَ. وَذَكَرَ ٱبْنُ ٱلْفَقِيهِ أَنَّ ٱلْغَرِيقَ فِيهَا لَا يَغُوصُ بَلْ يَبْقَى طَافِيًا إِلَى أَنْ يَمُوتَ (للقزويني)

٣٦٠ (إِرْبِلُ). مَدِينَةٌ مُحْدَثَةٌ وَهِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ شَهْرَزُورَ فِي عِرَاقِ ٱلْعَجَمِ. وَقَالَ يَاقُوتُ فِي ٱلْمُشْتَرِكِ: وَإِرْبِلُ مَدِينَةٌ بَيْنَ ٱلزَّابَيْنِ. وَهُمَا نَهْرَانِ كَبِيرَانِ. وَمِنْهَا إِلَى ٱلْمَوْصِلِ يَوْمَانِ خَفِيفَانِ. وَإِرْبِلُ أَيْضًا ٱسْمٌ لِمَدِينَةِ صَيْدَا مِنْ سَوَاحِلِ ٱلشَّامِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا: إِرْبِلُ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَقَدْ خَرِبَ غَالِبُهَا. وَلَهَا قَلْعَةٌ عَلَى تَلٍّ عَالٍ فِي دَاخِلِ ٱلسُّورِ مَعَ جَانِبِ ٱلْمَدِينَةِ. وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ. وَٱلْجِبَالُ مِنْهَا عَلَى

أَكْثَرَ مِنْ مَسِيرَةِ يَوْمٍ. وَلَهَا قُرًى كَثِيرَةٌ تَدْخُلُ مِنْهَا ٱثْنَتَانِ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لِلْجَامِعِ وَدَارِ ٱلسَّلْطَنَةِ. وَهِيَ فِيمَا بَيْنَ ٱلشَّرْقِ وَٱلْجَنُوبِ عَنِ ٱلْمَوْصِلِ (لابي الفداء)

٣٦١ (أَصْبَهَانُ). مِنْ عِرَاقِ ٱلْعَجَمِ فِي نِهَايَةِ ٱلْجِبَالِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجَنُوبِ. وَأَصْبَهَانُ مَدِينَتَانِ إِحْدَاهُمَا تُعْرَفُ بِٱلْيَهُودِيَّةِ. وَسُمِّيَتِ ٱلْيَهُودِيَّةَ لِأَنَّ بُخْتَ نَصَّرَ لَمَّا خَرَّبَ بَيْتَ ٱلْمَقْدِسِ نَقَلَ أَهْلَهَا إِلَى أَصْبَهَانَ فَبَنَوْا لَهُمْ بِهَا مَنَازِلَ. فَتَطَاوَلَتِ ٱلْمُدَّةُ فَخَرِبَتْ جَيُّ مَدِينَةُ أَصْبَهَانَ وَعَمَرَتْ مَحَلَّةُ ٱلْيَهُودِ. ثُمَّ خَالَطَهُمُ ٱلْمُسْلِمُونَ فِيهَا فَوَسَّعُوهَا وَبَقِيَ ٱسْمُ ٱلْيَهُودِ عَلَيْهَا فَقِيلَ لَهَا ٱلْيَهُودِيَّةُ. وَأَصْبَهَانُ مِنْ أَخْصَبِ ٱلْبِلَادِ وَأَوْسَعِهَا خِطَّةً. وَبِأَصْبَهَانَ مَعْدِنُ ٱلْكُحْلِ مُصَاقِبٌ لِفَارِسَ. وَيَسِيرُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ أَصْبَهَانَ إِلَى ٱلرَّيِّ مُشَرِّقًا وَلَيْسَ بِٱلنُّصْبِ (عراقي العجم لابن حوقل)

٣٦٢ (أَقْصَرَا). فِي بِلَادِ ٱلرُّومِ. وَهِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَفَوَاكِهَ كَثِيرَةٍ. وَلَهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ دَاخِلٌ فِي وَسَطِ ٱلْبَلَدِ. وَيَدْخُلُ ٱلْمَاءُ إِلَى بَعْضِ بُيُوتِهَا مِنْ نَهْرٍ آخَرَ. وَلَهَا قَلْعَةٌ كَبِيرَةٌ حَصِينَةٌ فِي وَسَطِ ٱلْبَلَدِ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَهِيَ ٱلَّتِي تُعْمَلُ فِيهَا ٱلْبُسُطُ ٱلْمِلَاحُ وَهِيَ فِي عَرْضِ أَقْشَارَ وَأَطْوَلُ مِنْهَا. وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ تُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى قُونِيَةَ عَلَى ٱلْعَجَلِ فِي بَسِيطٍ كُلُّهُ مَرَاعٍ وَأَوْدِيَةٌ. وَيَقُولُ أَهْلُ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ إِنَّ مَسَافَةَ هٰذِهِ ٱلطَّرِيقِ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَرْسَخًا. وَكَذٰلِكَ مِنْ أَقْصَرَا إِلَى مَدِينَةِ قَيْسَارِيَّةَ. وَبَيْنَ أَقْصَرَا وَقُونِيَةَ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ

٣٦٣ (أَمَاسِيَا). قَالَ فِيهَا بَعْضُ مَنْ رَآهَا. هِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلرُّومِ بِسُورٍ وَقَلْعَةٍ. وَلَهَا بَسَاتِينُ وَنَهْرٌ كَبِيرٌ وَنَوَاعِيرُ يُسْقَى بِهَا. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَفِي شَرْقِيِّ فُرْضَةِ سَنُوبَ بِمَيْلَةٍ إِلَى ٱلْجَنُوبِ مَدِينَةُ أَمَاسِيَا. وَهِيَ مِنْ مُدُنِ ٱلْحُكَمَاءِ. وَهِيَ مَشْهُورَةٌ بِٱلْحُسْنِ وَكَثْرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَكُرُومٍ وَبَسَاتِينَ. وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ سَنُوبَ سِتَّةُ أَيَّامٍ. وَنَهْرُ أَمَاسِيَا يَمُرُّ عَلَى أَمَاسِيَا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ سَنُوبَ. وَعَنْ بَعْضِ مَنْ رَآهَا أَنَّ بِهَا مَعْدِنَ ٱلْفِضَّةِ

٣٦٤ (أَنْطَاكِيَةُ). قَاعِدَةُ بِلَادِ ٱلشَّامِ. وَهِيَ بَلْدَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ أَعْيُنٍ وَسُورٍ عَظِيمٍ. دَاخِلَهُ خَمْسَةُ أَجْبُلٍ وَقَلْعَةٌ وَيَمُرُّ بِظَاهِرِهَا نَهْرُ ٱلْعَاصِي وَٱلنَّهْرُ ٱلْأَسْوَدُ مَجْمُوعَيْنِ. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: أَنْطَاكِيَةُ أَنْزَهُ بَلَدِ ٱلشَّامِ بَعْدَ دِمَشْقَ. عَلَيْهَا سُورٌ مِنْ صَخْرٍ يُحِيطُ بِهَا وَبِجَبَلٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهَا. وَتَجْرِي ٱلْمِيَاهُ فِي دُورِهِمْ وَسِكَكِهِمْ وَمَسْجِدِ جَامِعِهِمْ. وَلَهَا ضِيَاعٌ وَقُرًى وَنَوَاحٍ خَصْبَةٌ جِدًّا. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَمِسَاحَةُ دَوْرِ ٱلسُّورِ ٱثْنَا عَشَرَ مِيلًا (لابي الفداء)

٣٦٥ (أَنْطَالِيَا). مَدِينَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلرُّومِ مَشْهُورَةٌ. وَمِينَاهَا غَيْرُ مَأْمُونَةٍ فِي ٱلْأَنْوَاءِ. وَبِهَا أُسْطُولُ صَاحِبِ ٱلدُّرُوبِ. وَكَانَتْ بِهَا ٱلرُّومُ فَٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا ٱلْمُسْلِمُونَ فِي عَصْرِنَا. قَالَ مَنْ رَآهَا: هِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَبَسَاتِينَ وَمُخَمَّضَاتٍ كَثِيرَةٍ. وَلَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: وَأَنْطَالِيَا حِصْنٌ لِلرُّومِ عَلَى شَطِّ ٱلْبَحْرِ مَنِيعٌ وَاسِعُ ٱلرُّسْتَاقِ

كثير الأهل. ومما نقلناه عن ثابت بن الحميد المستولي على أنطاليا في زماننا قال: وأنطاليا بلدة صغيرة وهي أكبر من العلايا وهي في غاية الحصانة لعلو سورها. ولها بابان إلى البحر وإلى البر. وداخل البلد وبخارجه المياه جارية. ولها بساتين كثيرة من المحمضات وأنواع الفواكه. وهي في الغرب عن قونية على مسيرة عشرة أيام

(لابن سعيد)

٣٦٦ (أوال). جزيرة بالقرب من القطيف وهي في بحر فارس على مسيرة يوم للريح الطيبة عن القطيف. وبها مغاص مفضل على غيره. وقطر هذه الجزيرة مسيرة يومين من كل جهة. وبها تقدير ثلاثمائة ضيعة وما يزيد. وبها كروم كثيرة إلى الغاية ونخيل وأترج. وبها صحراء ومراع ومزدرعها على عيون بها وهي حارة جداً

(لابي الفداء)

٣٦٧ (أياسلوق). إن مدينة أياسلوق هي مدينة كبيرة قديمة معظمة عند الروم. وفيها كنيسة كبيرة مبنية بالحجارة الضخمة. ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها منحوتة أبدع نحت. والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له في الحسن. وكان كنيسة للروم معظمة عندهم يقصدونها من البلاد. فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجداً جامعاً. وحيطانه من الرخام الملون وفرشه الرخام الأبيض وهو مسقف بالرصاص.

وَفِيهِ إِحدَى عَشرَةَ قُبَّةً مُنوعَةً . فِي وَسطِ كُلِّ قُبَّةٍ صِهرِيجُ ماءٍ وَالنَّهرُ يَشُقُّهُ . وعَن جانِبي النَّهرِ الأَشجارُ المُختَلِفَةُ الأَجناسِ . ودَوالي العِنَبِ ومُعرَّشاتُ اليَاسمينِ . ولَهُ خَمسةَ عشرَ بابًا (لابن بطوطة)

٣٦٨ (إيلاقُ) . قالَ ابنُ حَوقَلٍ : وإيلاقُ إقليمٌ يُقارِبُ إقليمَ الشَّاشِ بِنَواحي بُخارَى في بِلادِ ما وراءَ النَّهرِ . وقَصَبتُهُ مَدينةٌ تُسمَّى تُنكَث . وَهِيَ مَدينَةٌ عَلَيها سُورٌ ولَها عِدَّةُ أَبوابٍ . وتَجرِي في المَدينَةِ المِياهُ . ولَها بَساتينُ كَثيرَةٌ . ولَها حائِطٌ يَمتَدُّ مِن جَبَلٍ اسمُهُ سابَلغ حتَّى يَنتَهِي إلى وادِي الشَّاشِ لِمَنعِ التُّركِ مِنَ الدُّخولِ إلى بِلادِها . ولِإيلاقَ نَهرٌ يُعرَفُ بِنَهرِ إيلاقَ . وإقليمُ إيلاقَ مُتَّصِلٌ بِإقليمِ الشَّاشِ لا فَصلَ بَينَهُما . وهِيَ مِن أَنزَهِ بِلادِ اللهِ (لابي الفداء)

٣٦٩ (بارين) . مِن أَعمالِ حَماةَ . وَهِيَ بَلدَةٌ صَغيرَةٌ ذاتُ قَلعَةٍ قَد دَثَرَت . وَلَها أَعيُنٌ وبَساتينُ . وَهِيَ عَلَى مَرحَلَةٍ مِن حَماةَ . وهِيَ غَربِيَّ حَماةَ بِمَيلَةٍ يَسيرَةٍ إلى الجَنوبِ وبِها آثارُ عِمارَةٍ قَديمَةٍ تُسمَّى الرَّفنِيَّةَ وَلَها ذِكرٌ شَهيرٌ في كُتُبِ التَّاريخِ . وَحِصنُ بارينَ هُوَ حِصنٌ أَحدَثَهُ الفِرنجُ في سَنَةِ بِضعٍ وثَمانينَ وأَربَعِ مِائَةٍ . ثُمَّ مَلَكَهُ المُسلِمونَ وَبَقِيَ مُدَّةً ثُمَّ أَخرَبوهُ

٣٧٠ (بانِياس) . مِن أَعمالِ دِمَشقَ بانِياسُ . اسمٌ لِبَلدَةٍ صَغيرَةٍ ذاتِ أَشجارٍ ومُخمِّضاتٍ وغَيرِها وأَنهارٍ . وَهِيَ عَلَى مَرحَلَةٍ ونِصفٍ مِن دِمَشقَ مِن جِهَةِ الغَربِ بِمَيلَةٍ إلى الجَنوبِ . والصُّبَيبَةُ اسمٌ لِقَلعَتِها وهِيَ مِن

ٱلحُصُونِ ٱلْمَنِيعَةِ . قَالَ فِي ٱلعَزِيزِيِّ : وَمَدِينَةُ بَانِيَاسَ فِي لِحْفِ جَبَلِ ٱلثَّلْجِ . وَهُوَ مُطِلٌّ عَلَيْهَا وَٱلثَّلْجُ عَلَى رَأْسِهِ كَٱلْغَمَامَةِ لَا يُعْدَمُ مِنْهُ صَيفًا وَلَا شِتَاءً

٣٧١ (بِدْلِيسُ) . رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ تِلْكَ ٱلْبِلَادِ : وَبِدْلِيسُ فِي أَرْمِينِيَةَ بَيْنَ مَيَّافَارِقِينَ وَبَيْنَ خِلَاطَ . وَهِيَ مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ وَقَدْ خَرِبَ نِصْفُ سُورِهَا . وَٱلْمِيَاهُ تَخْتَرِقُ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ عُيُونٍ فِي ظَاهِرِهَا . وَلَهَا بَسَاتِينُ فِي وَادٍ . وَهِيَ دُونَ حَمَاةَ فِي ٱلْقَدْرِ . وَهِيَ بَيْنَ جِبَالٍ تَحُفُّ بِهَا . وَبَرْدُهَا وَشِتَاؤُهَا شَدِيدٌ وَثُلُوجُهَا كَثِيرَةٌ . قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ : وَهِيَ بَلَدٌ صَغِيرٌ عَامِرٌ كَثِيرُ ٱلْخَيْرِ خِصْبٌ . قَالَ فِي ٱلعَزِيزِيِّ : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ خِلَاطَ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ (لابي الفداء)

٣٧٢ (بَرْذَعَةُ) . قَاعِدَةُ مَمْلَكَةِ أَرَّانَ . وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَرَّانَ فِي أَقْصَى أَذْرَبِيجَانَ . كَثِيرَةُ ٱلْخِصْبِ نَزِهَةٌ . وَعَلَى أَقَلَّ مِنْ فَرْسَخٍ مِنْهَا مَوْضِعٌ يُسَمَّى ٱلْأَنْدَرَابَ . يَكُونُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ فِي يَوْمٍ بَسَاتِينُ مُشْتَبِكَةٌ . وَجَمِيعُهَا فَوَاكِهُ وَمِنْهَا ٱلْبُنْدُقُ وَٱلشَّاهْبَلُّوطُ . وَعَلَى بَابِهَا سُوقٌ تُسَمَّى ٱلْكُرْكِيَّ يَجْتَمِعُ ٱلنَّاسُ فِيهِ كُلَّ يَوْمِ أَحَدٍ . وَهُوَ مَجْمَعٌ عَظِيمٌ . وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ . وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ نَهْرِ ٱلْكُرِّ (لابن حوقل)

٣٧٣ (بَعْلَبَكُّ) . مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ فِي ٱلْجَبَلِ هِيَ بَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ ذَاتُ أَسْوَارٍ . وَلَهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَظِيمَةُ ٱلْبِنَاءِ . وَهِيَ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَأَنْهَارٍ

وأعين. وهي كثيرة الخير. قال ابن بطوطة: مدينة بعلبك هي حسنة قديمة من أطيب مدن الشام. تحدق بها البساتين الشريفة. والجنات المنيفة. وتخترق أرضها الأنهار الجارية. وتضاهي دمشق في خيراتها المتناهية. ومن بعلبك إلى الزبداني ثمانية عشر ميلا. والزبداني مدينة ليس لها أسوار. وهي على طرف وادي بردى. والبساتين متصلة من هناك إلى دمشق. وهي بلد حسن كثير المنازه والخصب. ومنه إلى دمشق ثمانية عشر ميلا

٣٧٤ (بلخ). مدينة بلخ في مستو من الأرض وبينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ. والمدينة نحو نصف فرسخ في مثله. ولها نهر يسمى دهاس يجري في ربضها. وهو نهر يدير عشر أرحية. والبساتين في جميع جهات بلخ تحتف بها. وببلخ الأترج وقصب السكر ويقع في نواحيها الثلوج. وقال في اللباب: بلخ من خراسان فتحها الأحنف بن قيس التميمي زمن عثمان. وخرج من بلخ عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء (لابي الفداء)

٣٧٥ (بيت المقدس). هي المدينة المشهورة التي كانت محل الأنبياء وقبلة الشرائط ومهبط الوحي. بناها داود وفرغ منها سليمان فأوحى الله تعالى إليه أن سلني حاجتك. فقال: يا رب أسألك أن تغفر لي ذنبي. فقال: لك ذلك. قال: وأسألك أن تغفر لمن جاء هذا البيت يريد الصلاة فيه. فقال: لك ذلك. ثم ضرب

ٱلدَّهْرُ ضَرَبَاتِهِ وَٱسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا ٱلْأُمَمُ وَخَرَّبُوهَا. وَقَدْ عَمَّرَهَا أَحَدُ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ. فَصَارَتْ أَعْمَرَ مِمَّا كَانَتْ وَأَكْثَرَ أَهْلًا. وَٱلَّتِي عَلَيْهَا ٱلْآنَ أَرْضُهَا وَضِيَاعُهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ. وَلَيْسَ بِقُرْبِهَا أَرْضٌ وَطِيئَةٌ. وَزُرُوعُهَا عَلَى أَطْرَافِ ٱلْجِبَالِ. وَأَمَّا نَفْسُ ٱلْمَدِينَةِ فَفِي فَضَاءٍ فِي وَسَطِ ذٰلِكَ وَأَرْضُهَا كُلُّهَا حَجَرٌ. وَفِيهَا عِمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ حَسَنَةٌ وَشُرْبُ أَهْلِهَا مِنْ مَاءِ ٱلْمَطَرِ لَيْسَ فِيهَا دَارٌ إِلَّا وَفِيهَا صِهْرِيجٌ. مِيَاهُهَا تَجْتَمِعُ مِنَ ٱلدُّرُوبِ. وَدُرُوبُهَا حَجَرِيَّةٌ لَيْسَتْ كَثِيرَةَ ٱلدَّنَسِ. لٰكِنَّ مِيَاهَهَا رَدِيئَةٌ. وَفِيهَا ثَلَاثُ بِرَكٍ بِرْكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبِرْكَةُ سُلَيْمَانَ وَبِرْكَةُ عِيَاضٍ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْبَشَّارِيُّ ٱلْمَقْدِسِيُّ: إِنَّهَا مُتَوَسِّطَةُ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ وَقَلَّ مَا يَقَعُ فِيهَا ثَلْجٌ. وَلَا تَرَى أَحْسَنَ مِنْ بُنْيَانِهَا وَلَا أَنْظَفَ. وَلَا أَنْزَهَ مِنْ مَسَاجِدِهَا. وَقَدْ جَمَعَ ٱللّٰهُ فِيهَا فَوَاكِهَ ٱلْغَوْرِ وَٱلسَّهْلِ وَٱلْجَبَلِ. وَٱلْأَشْيَاءَ ٱلْمُتَضَادَّةَ كَٱلْأُتْرُجِّ وَٱللَّوْزِ. وَٱلرُّطَبِ وَٱلْجَوْزِ. وَٱلتِّينِ وَٱلْمَوْزِ (للقزويني)

٣٧٦ (بَيْتَ لَحْمُ). سِرْتُ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ إِلَى مَدِينَةِ بَيْتَ لَحْمَ فَوَجَدْتُ عَلَى طَرِيقِي عَيْنَ سِلْوَانَ. وَهِيَ ٱلْعَيْنُ ٱلَّتِي أَبْرَأَ فِيهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ ٱلضَّرِيرَ ٱلْأَعْمَى وَلَمْ تَكُنْ لَهُ قَبْلَ ذٰلِكَ عَيْنَانِ. وَبِقُرْبِهَا بُيُوتٌ كَثِيرَةٌ مَنْقُورَةٌ فِي ٱلصَّخْرِ. وَفِيهَا رِجَالٌ قَدْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهَا عِبَادَةً. وَأَمَّا بَيْتَ لَحْمُ وَهُوَ ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي وُلِدَ فِيهِ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْمَقْدِسِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ. وَفِي وَسَطِ ٱلطَّرِيقِ قَبْرُ رَاحِيلَ أُمِّ

يُوسُفَ وَأُمِّ ٱبْنِ يَامِينَ وَلَدَيْ يَعْقُوبَ. وَهُوَ قَبْرٌ عَلَيْهِ ٱثْنَا عَشَرَ حَجَرًا. وَفَوْقَهُ قُبَّةٌ مَعْقُودَةٌ بِٱلصَّخْرِ. وَبَيْتَ لَحْمٍ هُنَاكَ وَفِيهَا كَنِيسَةٌ حَسَنَةُ ٱلْبِنَاءِ مُتْقَنَةُ ٱلْوَضْعِ فَسِيحَةٌ مُزَيَّنَةٌ إِلَى أَبْعَدِ غَايَةٍ. حَتَّى أَنَّهُ مَا أُبْصِرَ فِي جَمِيعِ ٱلْكَنَائِسِ مِثْلُهَا بِنَاءً. وَهِيَ فِي وَطَاءٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَهَا بَابٌ مِنْ جِهَةِ ٱلْمَغْرِبِ وَبِهَا مِنْ أَعْمِدَةِ ٱلرُّخَامِ كُلُّ مَلِيحَةٍ. وَفِي رُكْنِ ٱلْهَيْكَلِ فِي جِهَةِ ٱلشَّمَالِ ٱلْمَغَارَةُ ٱلَّتِي وُلِدَ بِهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ وَهِيَ تَحْتَ ٱلْهَيْكَلِ. وَدَاخِلَ ٱلْمَغَارَةِ ٱلْمِذْوَدُ ٱلَّذِي وُجِدَ بِهِ. وَإِذَا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتَ لَحْمٍ نَظَرْتَ فِي ٱلشَّرْقِ مِنْهُ كَنِيسَةَ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلَّذِينَ بَشَّرُوا ٱلرُّعَاةَ بِمَوْلِدِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ (للادريسي)

٣٧٧ (أَلْبِيرَةُ). مِنْ جُنْدِ قِنَّسْرِينَ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مُرْتَفِعَةٌ عَلَى حَافَةِ ٱلْفُرَاتِ فِي ٱلْبَرِّ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلشَّمَالِيِّ لَا تُرَامُ. وَلَهَا وَادٍ يُعْرَفُ بِوَادِي ٱلزَّيْتُونِ بِهِ أَشْجَارٌ وَأَعْيُنٌ. وَهِيَ بَلْدَةٌ ذَاتُ سُوقٍ وَعَمَلٍ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَقَلْعَتُهَا عَلَى صَخْرَةٍ وَهِيَ ٱلْآنَ ثَغْرُ ٱلْإِسْلَامِ فِي وُجُوهِ ٱلتَّتَرِ. وَهِيَ فُرْضَةٌ عَلَى ٱلْفُرَاتِ. وَهِيَ فِي ٱلشَّرْقِ عَنْ قَلْعَةِ ٱلرُّومِ عَلَى نَحْوِ مَرْحَلَةٍ. وَهِيَ فِي ٱلْغَرْبِ عَنْ قَلْعَةِ نَجْمٍ وَفِي ٱلْجَنُوبِ وَٱلْغَرْبِ عَنْ سَرُوجَ (لابي الفداء)

٣٧٨ (بَيْرُوتُ). مَدِينَةٌ عَلَى ضَفَّةِ ٱلْبَحْرِ عَلَيْهَا سُورُ حِجَارَةٍ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ. وَلَهَا بِمَقْرُبَةٍ مِنْهَا جَبَلٌ فِيهِ مَعْدِنُ حَدِيدٍ جَيِّدٍ. يُقْطَعُ وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهُ ٱلْكَثِيرُ وَيُحْمَلُ إِلَى بِلَادِ ٱلشَّامِ. وَبِهَا غَيْضَةُ أَشْجَارٍ

صَنَوْبَرٍ مِمَّا يَلِي جَنُوبَهَا تَتَّصِلُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ . وَتَكْسِيرُ هٰذِهِ ٱلْغَيْضَةِ اُثْنَا عَشَرَ مِيلًا فِي مِثْلِهَا . وَشُرْبُ أَهْلِهَا مِنَ ٱلْآبَارِ . وَمِنْهَا إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَانِ . قَالَ ٱبْنُ بَطُوطَةَ : وَمَدِينَةُ بَيْرُوتَ حَسَنَةُ ٱلْأَسْوَاقِ . وَجَامِعُهَا بَدِيعُ ٱلْحُسْنِ . وَتُجْلَبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ ٱلْفَوَاكِهُ وَٱلْحَدِيدُ . قَالَ أَبُو ٱلْفِدَاءِ : وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَهِيَ ذَاتُ بُرْجَيْنِ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَنَهْرٌ وَهِيَ خَصْبَةٌ . وَكَانَ بِهَا مَقَامُ ٱلْأَوْزَاعِيِّ ٱلْفَقِيهِ . وَلَهَا مِينَاءٌ جَلِيلٌ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدِينَةِ جُبَيْلَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا (للادريسي)

٣٧٩ (تُبَّتُ) . بِلَادٌ مُتَاخِمَةٌ لِلصِّينِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ وَلِلْهِنْدِ مِنْ أُخْرَى . مِقْدَارُ مَسَافَتِهَا مَسِيرَةُ شَهْرٍ . بِهَا مُدُنٌ وَعِمَارَاتٌ كَثِيرَةٌ وَلَهَا خَوَاصٌّ عَجِيبَةٌ فِي هَوَائِهَا وَمَائِهَا وَأَرْضِهَا مِنْ سَهْلِهَا وَجَبَلِهَا . وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُ أَنْهَارِهَا وَثِمَارِهَا وَآبَارِهَا . وَهِيَ بِلَادٌ تَقْوَى بِهَا طَبِيعَةُ ٱلدَّمِ فَلِهٰذَا ٱلْغَالِبُ عَلَى أَهْلِهَا ٱلْفَرَحُ وَٱلسُّرُورُ (للقزويني)

٣٨٠ (تَدْمُرُ) . بُلَيْدَةٌ بِبَادِيَةِ ٱلشَّامِ مِنْ أَعْمَالِ حِمْصَ وَهِيَ فِي شَرْقِيِّ حِمْصَ . وَأَرْضُ تَدْمُرَ غَالِبُهَا سِبَاخٌ وَبِهَا نَخِيلٌ وَزَيْتُونٌ . وَبِهَا آثَارٌ عَظِيمَةٌ أَوَّلِيَّةٌ مِنَ ٱلْأَعْمِدَةِ وَٱلصُّخُورِ . وَهِيَ عَنْ حِمْصَ عَلَى نَحْوِ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ تِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ مِيلًا

(لابي الفداء)

٣٨١ (تَفْلِيسُ) . مِنْ إِقْلِيمِ أَرَّانَ قَصَبَةُ كُرْجُسْتَانَ . عَلَيْهَا سُورَانِ وَلَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ . وَهِيَ خَصْبَةٌ جِدًّا كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ . وَبِهَا حَمَّامَاتٌ

مِثْلُ حَمَّامَاتِ طَبَرِيَّةَ مَاؤُهَا يَنْبُعُ سُخْنًا بِغَيْرِ نَارٍ. وَقَالَ فِي ٱللُّبَابِ:
وَتَفْلِيسُ آخِرُ بَلْدَةٍ مِنْ أَذْرَبِيجَانَ مِمَّا يَلِي ٱلثَّغْرَ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَكَانَ
ٱلْمُسْلِمُونَ قَدْ فَتَحُوهَا وَسَكَنُوهَا مُدَّةً طَوِيلَةً. وَخَرَجَ مِنْهَا عُلَمَاءُ. ثُمَّ
ٱسْتَرْجَعَهَا ٱلْكُرْجُ وَهُمْ نَصَارَى (لابن حوقل)

٣٨٢ (ٱلتِّيهُ). هُوَ ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي ضَلَّ فِيهِ مُوسَى مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بَيْنَ أَيْلَةَ وَمِصْرَ وَبَحْرِ ٱلْقُلْزُمِ وَجِبَالِ ٱلسَّرَاةِ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا فِي أَرْبَعِينَ
فَرْسَخًا. لَمَّا ٱمْتَنَعُوا مِنْ دُخُولِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ حَبَسَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى فِي
هٰذَا ٱلتِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً. كَانُوا يَسِيرُونَ فِي طُولِ نَهَارِهِمْ فَإِذَا ٱنْتَهَى
مَسِيرُهُمْ إِلَى آخِرِ ٱلتِّيهِ رَجَعُوا مِنْ حَيْثُ جَاؤُوا. وَكَانَ مَأْكُولُهُمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَى. وَلَمَّا أَعْوَزَهُمُ ٱلْمَاءُ ضَرَبَ مُوسَى ٱلصَّخْرَةَ فَتَفَجَّرَ مِنْهَا
ٱلْمَاءُ. وَكَانَ يَبْعَثُ ٱللهُ تَعَالَى سَحَابَةً تُظِلُّهُمْ بِٱلنَّهَارِ وَعَمُودًا مِنَ ٱلنُّورِ
يَسْتَضِيئُونَ بِهِ بِٱللَّيْلِ. هٰذَا نِعْمَةُ ٱللهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ. وَهُمْ عُصَاةٌ
مَسْخُوطُونَ. فَسُبْحَانَ مَنْ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ ٱلْبَرَّ وَٱلْفَاجِرَ (للقزويني)

٣٨٣ (حَلَبُ). مِنْ عَوَاصِمِ ٱلشَّامِ بَلْدَةٌ عَظِيمَةٌ قَدِيمَةٌ ذَاتُ قَلْعَةٍ
مُرْتَفِعَةٍ حَصِينَةٍ. وَلَهَا بَسَاتِينُ قَلَائِلُ وَيَمُرُّ بِهَا نَهْرُ قُوَيْقَ. وَهِيَ
عَلَى مَدْرَجِ طَرِيقِ ٱلْعِرَاقِ إِلَى ٱلثُّغُورِ وَسَائِرِ ٱلشَّامَاتِ. قَالَ فِي
ٱلْعَزِيزِيِّ: وَهِيَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ عَامِرَةٌ حَسَنَةُ ٱلْمَنَازِلِ عَلَيْهَا سُورٌ مِنْ
حَجَرٍ وَفِي وَسَطِهَا قَلْعَةٌ عَلَى تَلٍّ لَا تُرَامُ

٣٨٤ (حُلْوَانُ). آخِرُ مُدُنِ ٱلْعِرَاقِ. وَمِنْهَا يُصْعَدُ إِلَى بِلَادِ ٱلْجِبَالِ.

وَأَكْثَرُ ثِمَارِهَا ٱلتِّينُ وَلَيْسَ بِٱلْعِرَاقِ مَدِينَةٌ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْجَبَلِ غَيْرُهَا. وَيَسْقُطُ عَلَى جَبَلِهَا ٱلثَّلْجُ دَائِمًا. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: وَحُلْوَانُ مَدِينَةٌ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مُطِلٍّ عَلَى ٱلْعِرَاقِ. وَبِهَا ٱلنَّخِيلُ وَٱلتِّينُ ٱلْمَوْصُوفُ. وَٱلثَّلْجُ مِنْهَا عَلَى مَرْحَلَةٍ. وَقَالَ فِي ٱلْمُشْتَرَكِ: حُلْوَانُ آخِرُ حَدِّ ٱلْعِرَاقِ مِنْ جِهَةِ ٱلْجِبَالِ وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ خَمْسُ مَرَاحِلَ

٣٨٥ (حَمَاةُ). مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَبَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ وَهِيَ مِنْ أَنْزَهِ ٱلْبِلَادِ ٱلشَّامِيَّةِ. وَٱلْعَاصِي يَسْتَدِيرُ عَلَى غَالِبِهَا مِنْ شَرْقِيِّهَا وَشَمَالِيِّهَا. وَلَهَا قَلْعَةٌ حَسَنَةُ ٱلْبِنَاءِ مُرْتَفِعَةٌ. وَفِي دَاخِلِهَا ٱلْأَرْحِيَةُ عَلَى ٱلْمَاءِ. وَبِهَا نَوَاعِيرُ عَلَى ٱلْعَاصِي تَسْقِي أَكْثَرَ بَسَاتِينِهَا. وَيَدْخُلُ مِنْهَا ٱلْمَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ دُورِهَا. وَنَهْرُ حَمَاةَ يُسَمَّى نَهْرَ ٱلْأُرُنْطِ وَٱلنَّهْرَ ٱلْمَقْلُوبَ لِجَرْيِهِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشَّمَالِ. وَيُسَمَّى ٱلْعَاصِي لِأَنَّ غَالِبَ ٱلْأَنْهُرِ تَسْقِي ٱلْأَرَاضِي بِغَيْرِ دَوَالِيبَ وَلَا نَوَاعِيرَ بَلْ بِأَنْفُسِهَا تَرْكَبُ ٱلْبِلَادَ وَنَهْرُ حَمَاةَ لَا يَسْقِي إِلَّا بِنَوَاعِيرَ تَنْزِعُ مِنْهُ ٱلْمَاءَ. وَهُوَ يَجْرِي بِكُلِّيَّتِهِ مِنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلشَّمَالِ وَأَوَّلُهُ نَهْرٌ صَغِيرٌ مِنْ ضَيْعَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ بَعْلَبَكَّ تُسَمَّى ٱلرَّاسَ فِي ٱلشَّمَالِ عَنْ بَعْلَبَكَّ عَلَى نَحْوِ مَرْحَلَةٍ عَنْهَا. وَيَسِيرُ مِنَ ٱلرَّاسِ شَمَالًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ قَائِمُ ٱلْهِرْمِلِ بَيْنَ جُوسِيَةَ وَٱلرَّاسِ. وَيَمُرُّ فِي وَادٍ هُنَاكَ وَيَنْبَعُ مِنْ هُنَاكَ غَالِبُ ٱلنَّهْرِ ٱلْمَذْكُورِ مِنْ مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ مَغَارَةُ ٱلرَّاهِبِ. وَيَسْتَدِيرُ ٱلنَّهْرُ ٱلْمَذْكُورُ وَيَرْجِعُ وَيَسِيرُ جَنُوبًا وَمَغْرِبًا وَيَمُرُّ عَلَى سُورِ أَنْطَاكِيَةَ حَتَّى

يَصُبُّ فِي بَحْرِ ٱلرُّومِ عِنْدَ ٱلسُّوَيْدِيَّةِ . (لابي الفداء)

٣٨٦ (حِمص). مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَى قَوَاعِدِ ٱلشَّامِ . وَهِيَ ذَاتُ بَسَاتِينَ شِرْبُهَا مِنْ نَهْرِ ٱلْعَاصِي وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ خَصْبَةٌ جِدًّا أَصَحُّ بُلْدَانِ ٱلشَّامِ تُرْبَةً . وَلَيْسَ بِهَا عَقَارِبُ وَلَا حَيَّاتٌ . وَأَكْثَرُ زُرُوعِ رَسَاتِيقِهَا عِذْيٌ . قَالَ ٱلْعَزِيزِيُّ : مَدِينَةُ حِمْصَ هِيَ قَصَبَةُ ٱلْجُنْدِ وَهِيَ مِنْ أَصَحِّ بُلْدَانِ ٱلشَّامِ هَوَاءً . وَبِظَاهِرِ حِمْصَ عَلَى بَعْضِ مِيلٍ يَجْرِي ٱلنَّهْرُ ٱلْمَقْلُوبُ وَهُوَ نَهْرُ ٱلْأُرُنْطِ . وَلَهُمْ عَلَيْهِ جِنَانٌ حَسَنَةٌ وَكُرُومٌ (لابن حوقل)

٣٨٧ (دِمَشْقُ). مَدِينَةٌ مِنْ أَجَلِّ بِلَادِ ٱلشَّامِ وَأَحْسَنِهَا مَكَانًا وَأَعْدَلِهَا هَوَاءً وَأَطْيَبِهَا ثَرًى وَأَكْثَرِهَا مِيَاهًا وَأَغْزَرِهَا فَوَاكِهَ وَأَعَمِّهَا خِصْبًا وَأَوْفَرِهَا مَالًا وَأَكْثَرِهَا جُنْدًا وَأَشْمَخِهَا بِنَاءً . وَلَهَا جِبَالٌ وَمَزَارِعُ تُعْرَفُ بِٱلْغُوطَةِ وَطُولُ ٱلْغُوطَةِ مَرْحَلَتَانِ فِي عَرْضِ مَرْحَلَةٍ بِهَا ضِيَاعٌ كَٱلْمُدُنِ . وَمَدِينَةُ دِمَشْقَ جَامِعَةٌ لِصُنُوفٍ مِنْ مَحَاسِنَ وَضُرُوبٍ مِنَ ٱلصِّنَاعَاتِ وَأَنْوَاعٍ مِنَ ٱلثِّيَابِ ٱلْحَرِيرِ كَٱلْخَزِّ وَٱلدِّيبَاجِ ٱلنَّفِيسِ ٱلثَّمِينِ ٱلْعَجِيبِ ٱلصِّفَةِ وَٱلْقَدِيمِ ٱلْمِثَالِ ٱلَّذِي يُحْمَلُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ بَلَدٍ وَيُتَّجَرُ بِهِ مِنْهَا إِلَى كُلِّ ٱلْآفَاقِ وَٱلْأَمْصَارِ ٱلْمُصَاقِبَةِ لَهَا وَٱلْمُتَبَاعِدَةِ عَنْهَا . وَلِدِمَشْقَ فِي دَاخِلِهَا عَلَى أَوْدِيَتِهَا أَرْحَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَأَمَّا ٱلْحَلَاوَاتُ فَبِهَا مِنْهَا مَا لَا يُوجَدُ بِغَيْرِهَا وَلَا يُوصَفُ كَثْرَةً وَطِيبًا وَجَوْدَةً . وَصِنَاعَاتُهَا نَافِقَةٌ وَتِجَارَاتُهَا رَائِجَةٌ

وَهِيَ مِنْ أَغْنَى ٱلْبِلَادِ ٱلشَّامِيَّةِ . وَمِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَكَّ فِي جِهَةِ ٱلشَّرْقِ مَرْحَلَتَانِ (للادريسي)

٣٨٨ (دِلّي) . مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ فِي ٱلْهِنْدِ . وَسُورُهَا مِنْ آجُرٍّ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ سُورِ حَمَاةَ . وَهِيَ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَتُرْبَتُهَا مُخْتَلِطَةٌ بِٱلْحَجَرِ وَٱلرَّمْلِ وَيَمُرُّ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْهَا نَهْرٌ كَبِيرٌ دُونَ ٱلْفُرَاتِ . وَغَالِبُ أَهْلِهَا مُسْلِمُونَ وَسُلْطَانُهَا مُسْلِمٌ وَٱلسُّوقَةُ كَفَرَةٌ . وَلَهَا بَسَاتِينُ قَلِيلَةٌ وَلَيْسَ بِهَا عِنَبٌ وَتُمْطِرُ فِي ٱلصَّيْفِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ ٱلْبَحْرِ . وَبِجَامِعِهَا مَأْذَنَةٌ لَمْ يُعْمَلْ فِي ٱلدُّنْيَا مِثْلُهَا وَهِيَ مِنْ حَجَرٍ أَحْمَرَ وَدَرَجُهَا نَحْوُ ثَلَاثِ مِائَةٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً . وَلَيْسَتْ مُرَبَّعَةً بَلْ كَثِيرَةُ ٱلْأَضْلَاعِ عَظِيمَةُ ٱلْاِرْتِفَاعِ وَاسِعَةٌ مِنْ تَحْتِهَا وَٱرْتِفَاعُهَا يُقَارِبُ مَنَارَةَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ

(لابي الفداء)

٣٨٩ (دَيْرُ بَاعَرْبَا) . هُوَ بَيْنَ ٱلْمَوْصِلِ وَٱلْحَدِيثَةِ عَلَى شَاطِئِ دِجْلَةَ . وَٱلْحَدِيثَةُ بَيْنَ تَكْرِيتَ وَٱلْمَوْصِلِ . وَٱلنَّصَارَى يُعَظِّمُونَهُ جِدًّا وَلَهُ حَائِطٌ مُرْتَفِعٌ نَحْوَ مِائَةِ ذِرَاعٍ فِي ٱلسَّمَاءِ . وَفِيهِ رُهْبَانٌ كَثِيرُونَ وَفَلَّاحُونَ وَلَهُ مَزَارِعُ . وَفِيهِ بَيْتُ ضِيَافَةٍ يَنْزِلُهُ ٱلْمُجْتَازُونَ فَيُضَافُونَ فِيهِ

٣٩٠ (دَيْرُ بَاعَنْتَل) . مِنْ جُوسِيَةَ عَلَى أَقَلَّ مِنْ مِيلٍ . وَجُوسِيَةُ مِنْ أَعْمَالِ حِمْصَ عَلَى مَرْحَلَةٍ مِنْهَا مِنْ طَرِيقِ دِمَشْقَ . وَهُوَ عَلَى يَسَارِ ٱلْقَاصِدِ دِمَشْقَ . وَفِيهِ عَجَائِبُ مِنْهَا صُوَرُ ٱلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمِ ٱلسَّلَامُ

وَقِصَصِهِمْ مَحْفُورَةٌ مَنْقُوشَةٌ. وَبِهِ هَيْكَلٌ مَفْرُوشٌ بِٱلْمَرْمَرِ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ ٱلْقَدَمُ. وَصُورَةُ مَرْيَمَ فِي حَائِطٍ مُنْتَصِبَةٌ كُلَّمَا مِلْتَ إِلَى نَاحِيَةٍ كَانَتْ عَيْنُهَا إِلَيْكَ

٣٩١ (دَيْرُ ٱلرُّومِ). هُوَ بِيعَةٌ كَبِيرَةٌ حَسَنَةُ ٱلْبِنَاءِ مُحْكَمَةُ ٱلصَّنْعَةِ لِلنَّسْطُورِيَّةِ خَاصَّةً وَهِيَ بِبَغْدَادَ فِي ٱلْجَانِبِ ٱلشَّرْقِيِّ مِنْهَا. وَلِلْجَاثَلِيقِ قَلَّايَةٌ إِلَى جَانِبِهَا وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بَابٌ يُخْرَجُ مِنْهُ إِلَيْهَا فِي أَوْقَاتِ صَلَوَاتِهِمْ وَقُرْبَانِهِمْ. وَهِيَ حَسَنَةُ ٱلْمَنْظَرِ عَجِيبَةُ ٱلْبِنَاءِ مَقْصُودَةٌ لِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبِ ٱلصُّوَرِ وَحُسْنِ ٱلْعَمَلِ. وَٱلْأَصْلُ فِي هٰذَا ٱلِٱسْمِ أَنَّ أَسْرَى مِنَ ٱلرُّومِ قُدِمَ بِهِمْ إِلَى ٱلْمَهْدِيِّ فَأُسْكِنُوا دَارًا فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَسُمِّيَتْ بِهِمْ. وَبُنِيَتِ ٱلْبِيعَةُ هُنَاكَ وَبَقِيَ ٱلِٱسْمُ عَلَيْهَا

(معجم البلدان لياقوت)

٣٩٢ (رَأْسُ ٱلْعَيْنِ). إِنَّ رَأْسَ ٱلْعَيْنِ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ فِي ٱلْجَزِيرَةِ. وَيَخْرُجُ مِنْهَا فَوْقَ ثَلَاثِمِائَةِ عَيْنٍ كُلُّهَا صَافِيَةٌ وَيَصِيرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَعْيُنِ نَهْرُ ٱلْخَابُورِ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَرَأْسُ عَيْنٍ تُسَمَّى عَيْنَ وَرْدَةَ وَهِيَ أَوَّلُ مُدُنِ دِيَارِ رَبِيعَةَ مِنْ جِهَةِ دِيَارِ مُضَرَ. وَهِيَ رَأْسُ مَاءِ ٱلْخَابُورِ

(لابن حوقل)

٣٩٣ (ٱلرَّاوَنْدَانُ). مِنْ جُنْدِ قِنَّسْرِينَ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ عَالِيَةٌ عَلَى جَبَلٍ مُرْتَفِعٍ أَبْيَضَ. وَلَهَا أَعْيُنٌ وَبَسَاتِينُ وَفَوَاكِهُ وَوَادٍ حَسَنٌ وَيَمُرُّ تَحْتَهَا نَهْرُ عِفْرِينَ بَلْدَةٍ صَغِيرَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِٱلرُّمَّانِ. وَهِيَ فِي

الغربِ والشمالِ عن حلب. وبينهما نحو مرحلتين. وهي في الشمالِ عن حارم ويجري نهرُ عفرين من الشمال إلى الجنوبِ على الراوندان إلى عُمق حارم في وادٍ متسعٍ بين جبالٍ وبذلك الوادي قرايا وزيتون كثير. وهي كورة من بلادِ حلب

٣٩٤ (الرملة). بلدةٌ بفلسطين اختطها سليمان بن عبدِ الملكِ الأمويُّ وهي مشهورة. قال العزيزي: والرملة قصبة فلسطين وهي محدثة وبينها وبين بيتِ المقدس مسيرة يوم. وقال: الرملة لم تكن مدينة قديمة وإنما كانت المدينة لُدّ. فأخربها سليمان بن عبدِ الملكِ وبنى مدينة الرملةِ. وبينهما نحو ثلاثة فراسخ. ولدٌّ في ناحية المشرق. وكان لعبدِ الملكِ دار بالرملةِ. وجرَّ إلى الرملةِ قناة ضعيفة للشربِ واكثر شربهم الآن من آبار عذبةٍ ومن صهاريج يجتمع فيها مياه المطرِ. وهي في سهلٍ من الأرض

٣٩٥ (الرها). من ديارِ مضر في الجزيرةِ. قال في العزيزي: والرها مدينة رومية عظيمة فيها آثار عجيبة. وهي بالقربِ من قلعةِ الرومِ من الجانبِ الشرقي الشمالي عن الفراتِ. وكانت الرها مدينة كبيرة وبها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصارى. وهي اليوم خراب

٣٩٦ (رودس). جزيرة في بحر الروم فتحها المسلمون في زمن معاوية. وامتداد هذه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب بانحراف

نَحْوُ خمسين مِيلًا وعَرضها نصفُ ذلِكَ . وَبين هذهِ الْجَزيرَةِ وذنبِ أَقْرِيطِش مَجرى وَاحِدٌ . وَبعضُ رُودِسَ للفرنجِ وبعضها لِصَاحِبِ إصطنبول . ورُودسُ في الْغربِ عن قُبْرُسَ بانْحِرافٍ إلى الشمالِ . وَهِي بين جزيرةِ الْمُصطكى وجزيرةِ أقريطش

٣٩٧ (زَيْتُون) . فُرضةُ الصينِ وهي مَدينةٌ مشهورةٌ علَى أَلْسُنِ التُّجَّارِ الْمسافِرينَ إلى تلك الْبِلادِ وهي مدينةٌ على خورٍ مِن الْبحرِ . وَالْمَراكِبُ تدخلُ إليها مِن بحرِ الصينِ في الْخورِ الْمذكورِ وقدرُهُ نحوُ خمسةَ عشرَ ميلًا ولها نهرٌ هي عِندَ رأسِهِ . وعَن بعضِ من رَآها أنّها تمتدُّ . وهي على نصفِ يومٍ مِن الْبحرِ . ولها خورٌ حلوٌ تدخلُ فيهِ الْمراكبُ من الْبحرِ إليها . وهي دونَ حماةَ في الْقدرِ . ولها سورٌ خرابٌ خرّبهُ التترُ . وشربُ أهلِها من الْخورِ الْمذكورِ ومن آبارِها

٣٩٨ (سِعرتُ) . من ديارِ ربيعةَ في الْجزيرةِ على جبيلٍ وهي أكبرُ من الْمعرّةِ . ويُحيطُ بها الْوطاةُ وهي بالْقربِ من شطِّ دجلةَ في شمالي دجلةَ وشرقِ . وهي عن ميّافارقين على مسيرةِ يومٍ ونصفٍ وميّافارقينُ في الشمالِ عن سِعرتَ وسِعرتُ في الْجنوبِ عنها . وشربُ أهلِ سِعرتَ من مياهِ نبعٍ قريبةٍ من وجهِ الْأرضِ ويُحيطُ بسعرتَ الْجبالُ والشّعرةُ . ولها الْأشجارُ الْكثيرةُ من التينِ والرّمانِ والْكرومِ جميعُ ذلكَ عذيٌ لا يُسقى . وسِعرتُ عن الْموصلِ على خمسةِ أيامٍ

٣٩٩ (سِنْجَارُ). مِنَ ٱلْجَزِيرَةِ فِي جَنُوبِيِّ نَصِيبِينَ. وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْمُدُنِ وَجَبَلُهَا مِنْ أَخْصَبِ ٱلْجِبَالِ. وَمِنْ كِتَابِ ٱبْنِ حَوْقَلٍ: وَسِنْجَارُ مَدِينَةٌ فِي وَسَطِ بَرِّيَّةِ دِيَارِ رَبِيعَةَ بِٱلْقُرْبِ مِنَ ٱلْجِبَالِ. وَلَيْسَ بِٱلْجَزِيرَةِ بَلَدٌ فِيهِ نَخْلٌ غَيْرُ سِنْجَارَ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا: وَسِنْجَارُ عَنِ ٱلْمَوْصِلِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ. سِنْجَارُ فِي جِهَةِ ٱلْغَرْبِ وَٱلْمَوْصِلُ فِي جِهَةِ ٱلشَّرْقِ. وَسِنْجَارُ مَسُورَةٌ وَهِيَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ وَهِيَ قَدْرُ ٱلْمَعَرَّةِ. وَلَهَا قَلْعَةٌ وَلَهَا بَسَاتِينُ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ مِنَ ٱلْقُنِيِّ. وَٱلْجَبَلُ فِي شِمَالِيِّهَا (لابي الفداء)

٤٠٠ (ٱلسِّنْدُ). نَاحِيَةٌ بَيْنَ ٱلْهِنْدِ وَكِرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ. وَبِهَا بَيْتُ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَشْهُورُ. وَهُوَ مَعْبَدٌ تُعَظِّمُهُ ٱلْهِنْدُ وَٱلْمَجُوسُ. حُكِيَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ لَمَّا فَتَحَ تِلْكَ ٱلْبِلَادَ دَخَلَ هٰذَا ٱلْمَعْبَدَ فَأَعْجَبَهُ فَكَتَبَ إِلَى أَرِسْطَاطَالِيسَ وَأَطْنَبَ فِي وَصْفِ قُبَّةِ هٰذَا ٱلْبَيْتِ. فَأَجَابَهُ أَرِسْطُو إِنِّي رَأَيْتُكَ تَتَعَجَّبُ مِنْ قُبَّةٍ عَمِلَهَا ٱلْآدَمِيُّونَ وَتَدَعُ ٱلتَّعَجُّبَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْقُبَّةِ ٱلْمَرْفُوعَةِ فَوْقَكَ وَمَا زُيِّنَتْ بِهِ مِنَ ٱلْكَوَاكِبِ وَأَنْوَارِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

٤٠١ (سَيْلَانُ). جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ ٱلصِّينِ وَٱلْهِنْدِ دَوْرُهَا ثَمَانُ مِائَةِ فَرْسَخٍ وَسَرَنْدِيبُ دَاخِلٌ فِيهَا. وَبِهَا قُرًى وَمُدُنٌ كَثِيرَةٌ وَعِدَّةُ مُلُوكٍ لَا يَدِينُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. وَيُجْلَبُ مِنْهَا ٱلْأَشْيَاءُ ٱلْعَجِيبَةُ. وَبِهَا ٱلصَّنْدَلُ وَٱلسُّنْبُلُ وَٱلدَّارَصِينِيُّ وَٱلْقَرَنْفُلُ وَٱلْبَقَّمُ وَسَائِرُ ٱلْعَقَاقِيرِ. وَقَدْ يُوجَدُ فِيهَا مِنَ ٱلْعَقَاقِيرِ مَا لَا يُوجَدُ فِي غَيْرِهَا. وَقِيلَ بِهَا مَعَادِنُ ٱلْجَوَاهِرِ وَإِنَّهَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْخَيْرِ (للقزويني)

٤٠٢ (الشَّوبَكُ). مِنَ الشَّرَاةِ في بِلَادِ الشَّامِ بَلَدٌ صَغِيرٌ كَثِيرُ البَسَاتِينِ. وَغَالِبُ سَاكِنِيهِ النَّصَارَى. وَهُوَ شَرْقِيُّ الغَوْرِ وَهُوَ عَلَى طَرَفِ الشَّامِ مِنْ جِهَةِ الحِجَازِ. وَيَنْبَعُ مِنْ ذَيْلِ قَلْعَتِهَا عَيْنَانِ إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِ القَلْعَةِ وَالأُخْرَى عَنْ يَسَارِهَا كَالعَيْنَيْنِ لِلْوَجْهِ. وَتَخْتَرِقَانِ بَلْدَتَهَا وَمِنْهُمَا شُرْبُ بَسَاتِينِهَا. وَهِيَ فِي وَادٍ مِنْ غَرْبِيِّ البَلَدِ. وَفَوَاكِهُهَا مِنَ المِشْمِشِ وَغَيْرِهِ مُفَضَّلَةٌ وَتُنْقَلُ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ. وَقَلْعَتُهَا مَبْنِيَّةٌ بِالحَجَرِ الأَبْيَضِ وَهِيَ عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ أَبْيَضَ مُطِلٍّ عَلَى الغَوْرِ مِنْ شَرْقِيِّهِ (لابي الفداء)

٤٠٣ (شِيرَازُ). مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ فَارِسَ إِسْلَامِيَّةٌ مُحْدَثَةٌ بَنَاهَا مُحَمَّدُ ابْنُ القَسِمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ. وَسُمِّيَتْ بِشِيرَازَ تَشْبِيهًا بِجَوْفِ الأَسَدِ. وَذٰلِكَ أَنَّ عَامَّةَ المِيرِ بِتِلْكَ النَّوَاحِي تُحْمَلُ إِلَى شِيرَازَ وَلَا يُحْمَلُ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى غَيْرِهَا. وَبِهَا قَبْرُ سِيبَوَيْهِ. قَالَ فِي العَزِيزِيِّ: مَدِينَةُ شِيرَازَ جَلِيلَةٌ وَاسِعَةٌ بِهَا مَنَازِلُ وَاسِعَةٌ سَرِيَّةٌ كَثِيرَةُ المِيَاهِ. وَشُرْبُهُمْ مِنْ عُيُونٍ تَتَخَرَّقُ البَلَدَ وَتَجْرِي مِنْ دُورِهِمْ. وَلَيْسَ يَكَادُ يَخْلُو دَارٌ بِشِيرَازَ مِنْ بُسْتَانٍ حَسَنٍ وَمِيَاهٍ تَجْرِي. وَأَسْوَاقُهَا عَامِرَةٌ جَلِيلَةٌ. وَمِنْهَا إِلَى أَصْبَهَانَ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ فَرْسَخًا (لابن حوقل)

٤٠٤ (شِيلَا). بَلْدَةٌ مِنْ أَوَاخِرِ بِلَادِ الصِّينِ فِي غَايَةِ الطِّيبِ لَا يُرَى بِهَا ذُو عَاهَةٍ مِنْ صِحَّةِ هَوَائِهَا وَعُذُوبَةِ مَائِهَا وَطِيبِ تُرْبَتِهَا. أَهْلُهَا

أحسنُ النَّاسِ صورةً وأقلُّها أمراضاً. وذُكِرَ أنَّ الماء إذا رُشَّ في بيوتها تفوحُ منهُ رائحةُ العنبرِ. وهي قليلةُ الآفاتِ والعللِ قليلةُ الذبابِ والهوامّ. إذا اعتلَّ أحدُ النَّاسِ في غيرها ونُقِلَ إليها زالت علَّتهُ. قالَ محمَّدُ بنُ زكريَّاء الرازيُّ: من دخلها استوطنها ولا يخرجُ عنها لطيبها ووفورِ خيراتِها وكثرةِ ذهبِها واللهُ الموفِّقُ (للقزويني)

٤٠٥ (صنعاء). من أعظمِ مُدُنِ اليمنِ تشبهُ دمشقَ لكثرةِ مياهِها وأشجارِها. وهي شرقيَّ عدنَ بشمالٍ في الجبالِ وهي معتدلةُ الهواء وتتقاربُ فيها ساعاتُ الشتاءِ والصيفِ. وهي كانت كرسيَّ ملوكِ اليمنِ في القديمِ. وبها تلٌّ عظيمٌ يُعرَفُ بغمدان كان قصرَ ملوكِ اليمنِ. وبينها وبين عدنَ مدينةُ جبلةَ. قالَ في العزيزيّ: مدينةُ صنعاء مدينةٌ جليلةٌ وهي قصبةُ اليمنِ وبها أسواقٌ جليلةٌ ومتاجرُ كثيرةٌ

٤٠٦ (صهيون). مدينةٌ من جُندِ قنسرين بلدةٌ ذاتُ قلعةٍ حصينةٍ لا تُرامُ من مشاهيرِ معاقلِ الشامِ. وبقلعتِها المياهُ كثيرةٌ متيسِّرةٌ من الأمطارِ. وهي على صخرٍ أصمّ. وبالقربِ منها وادٍ بهِ من المخمضاتِ ما لا يوجدُ مثلهُ في تلكَ البلادِ. وهي في ذيلِ الجبلِ من غربيهِ. وتظهرُ من عندِ اللاذقيَّةِ وبينهما نحوُ مرحلةٍ وهي في الشرقِ بميلةٍ إلى الجنوبِ عن اللاذقيَّةِ (لابي الفداء)

٤٠٧ (صور). مدينةُ صورَ هي التي يُضرَبُ بها المثلُ في الحصانة

وَالْمنعةِ لأَنَّ الْبحرَ محيطٌ بها من ثلاثِ جهاتِها ولها بابانِ أحدهما للبرِّ والثاني للبحرِ. وأمّا الباب الذي للبحرِ فهو بينَ برجينِ عظيمينِ وبناؤها ليس في بلادِ الدنيا أعجبُ ولا أغربُ شأناً منه لأنَّ البحرَ محيطٌ بها من ثلاثِ جهاتِها. وعلى الجهةِ الرابعةِ سورٌ تدخلُ السفنُ تحتَ السورِ وترسو هنالكَ. وكانَ فيما تقدَّمَ بينَ البرجينِ سلسلةُ حديدٍ معترضةٌ لا سبيلَ إلى الداخلِ هنالكَ ولا إلى الخارجِ إلّا بعدَ حطِّها وكانَ عليها الحراسُ والأمناءُ فلا يدخلُ داخلٌ ولا يخرجُ خارجٌ إلّا على علمٍ منهم. قالَ بعضهم: وصورُ بلدٌ من أحصنِ الحصونِ التي على ساحلِ البحرِ. ويقالُ إنَّهُ أقدمُ بلدٍ بالساحلِ وإنَّ عامَّةَ حكماءِ اليونانيينَ منها. قالَ ابنُ سعيدٍ: صورُ لا تُرامُ بحصارٍ من جهةِ البرِّ. وقد حفرَ الفرنجُ حولها حتى أداروا بها البحرَ. وبينَ صورَ وعكّاءَ اثنا عشرَ ميلاً. وفتحتْ في سنةِ تسعينَ وستمائةٍ معَ عكّاءَ وخربتْ وهي الآنَ خرابٌ خاليةٌ (لابن بطوطة)

٤٠٨ (صيدا). مدينةُ صيدا في البلادِ الشاميةِ على ساحلِ البحرِ المالحِ. فيها سورُ حجارةٍ ينسبُ إلى امرأةٍ كانت في الجاهليةِ. وهي مدينةٌ كبيرةٌ عامرةُ الأسواقِ رخيصةُ الأسعارِ. محدقةٌ بها البساتينُ والأشجارُ. غزيرةُ المياهِ واسعةُ الكورِ لها أربعةُ أقاليمَ هي متصلةٌ بجبلِ لبنانَ. إقليمٌ يعرفُ بإقليمِ جزّينَ. وفيهِ مجرى وادي الحرِ وهو مشهورٌ بالخصبِ وكثرةِ الفواكهِ. وإقليمُ السربةِ. وهو إقليمٌ

جَلِيلٌ. وإِقْلِيمُ كَفرفيلا وإِقْلِيمُ الرَّامِي. وَهُوَ نَهرٌ يَشُقُّ جِبالَها وَيَصُبُّ إِلَى البَحْرِ. وَجَمِيعُ هذِهِ الأَرْبَعَةِ أَقالِيمَ تَشْتَمِلُ عَلَى نَيِّفٍ وَسِتِّمائَةِ ضَيْعَةٍ. وَشُرْبُ أَهْلِها مِنْ ماءٍ يَجْرِي إِلَيْها مِنْ جَبَلِها فِي قَناةٍ .... وَمِنْ مَدِينَةِ صَيْدا إِلَى حِصْنِ النَّاعِمَةِ وَهُوَ كَالْمَدِينَةِ الصَّغِيرَةِ عِشْرُونَ مِيلاً. وَالنَّاعِمَةُ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ. وَأَكْثَرُ نَباتِ أَرْضِها شَجَرُ الخَرْنُوبِ الَّذِي لا يُعْرَفُ بِمَعْمُورِ الأَرْضِ مِثْلُهُ قَدْراً وَلا طِيباً. وَمِنْها يُتَجَهَّزُ بِهِ إِلَى الشَّامِ وَإِلَى دِيارِ مِصْرَ. وَإِلَيْها يُنْسَبُ الخَرْنُوبُ الشَّامِيُّ وَإِنْ كانَ الخَرْنُوبُ فِي الشَّامِ كَثِيراً فَهُوَ بِالنَّاعِمَةِ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ. وَمِنْ حِصْنِ النَّاعِمَةِ إِلَى طَرَفِ بَيْرُوتَ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلاً (للادريسي)

٤٠٩ (الصِّينُ). أَمَّا بِلادُ الصِّينِ فَطَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ طُولُها مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ. وَعَرْضُها مِنْ بَحْرِ الصِّينِ فِي الجَنُوبِ إِلَى سَدِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فِي الشَّمالِ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَرْضَها أَكْثَرُ مِنْ طُولِها وَيَشْتَمِلُ عَرْضُها عَلَى الأَقالِيمِ السَّبْعَةِ. وَأَهْلُ الصِّينِ أَحْسَنُ النَّاسِ سِياسَةً وَأَكْثَرُهُمْ عَدْلاً وَأَحْذَقُ النَّاسِ فِي الصِّناعاتِ. وَهُمْ قِصارُ القُدُودِ عِظامُ الرُّؤُوسِ. وَهُمْ أَهْلُ مَذاهِبَ مُخْتَلِفَةٍ فَمِنْهُمْ مَجُوسٌ وَأَهْلُ أَوْثانٍ وَأَهْلُ نِيرانٍ. وَمَدِينَتُهُمُ الكُبْرَى يُقالُ لَها خُمْدانُ يَشُقُّها نَهْرُها الأَعْظَمُ. وَأَهْلُ الصِّينِ أَحْذَقُ خَلْقِ اللهِ تَعالَى بِنَقْشٍ وَتَصْوِيرٍ بِحَيْثُ يَعْمَلُ الرَّجُلُ الصِّينِيُّ بِيَدِهِ ما يَعْجِزُ عَنْهُ أَهْلُ الأَرْضِ. وَالصِّينُ الأَقْصَى وَيُقالُ لَهُ صِينُ الصِّينِ هُوَ نِهايَةُ العِمارَةِ مِنْ جِهَةِ

ٱلشَرقِ وَلَيسَ وَرَاءَهُ غَيرُ ٱلبَحرِ ٱلمُحِيطِ . وَمَدِينَتُهُ ٱلعُظمَى يُقَالُ لَهَا ٱلسِيلَا وَأَخبَارُهَا مُنقَطِعَةٌ عَنَّا

٤١٠ (طَبَرِيَّة). كَانَت فِيمَا مَضَى مَدِينَةً كَبِيرَةً ضَخمَةً وَلَم يَبقَ مِنهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنبِئُ عَلَى ضَخَامَتِهَا وَعِظَمِ شَأنِهَا. وَهِيَ فِي ٱلغَورِ عَلَى ضَفَّةِ بُحَيرَةٍ لَهَا طُولُهَا ٱثنَا عَشَرَ مِيلًا وَعَرضُهَا سِتَّةُ أَميَالٍ . وَٱلجِبَالُ مِن غَربِيِّ ٱلمَدِينَةِ وَٱلبُحَيرَةُ مِن شَرقِيِّهَا وَٱلجِبَالُ تَدُورُ بِهَا. وَكَانَت طَبَرِيَّةُ قَدِيمًا قَاعِدَةَ ٱلأُردُنِّ . وَهِيَ مَدِينَةٌ خَرَابٌ فَتَحَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ مِنَ ٱلفِرَنجِ وَخَرِبَت . وَقَدِ ٱشتُقَّ ٱسمُهَا مِن ٱسمِ طِبِريُوس أَحَدِ مُلُوكِ ٱلرُّومِ ٱلأَوَائِلِ . وَبِطَبَرِيَّةَ عُيُونُ مَاءٍ فِي غَايَةِ ٱلحَرَارَةِ وَعَلَيهَا حَمَّامٌ يَغتَسِلُ ٱلنَّاسُ فِيهَا

٤١١ (عَسقَلَان). بَلدَةٌ بِهَا آثَارٌ قَدِيمَةٌ عَلَى جَانِبِ ٱلبَحرِ. بَينَهَا وَبَينَ غَزَّةَ نَحوُ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ . وَهِيَ مِن جُملَةِ ثُغُورِ ٱلإِسلَامِ ٱلشَّامِيَّةِ . وَمَدِينَةُ عَسقَلَانَ هِيَ عَلَى ضَفَّةِ ٱلبَحرِ عَلَى تَلعَةٍ. وَهِيَ مِن أَجَلِّ مُدُنِ ٱلسَّاحِلِ وَلَيسَ لَهَا مِينَاءٌ . وَشُربُ أَهلِهَا مِن آبَارٍ حُلوَةٍ. وَبَينَهَا وَبَينَ غَزَّةَ ٱثنَا عَشَرَ مِيلًا وَبَينَهَا وَبَينَ ٱلرَّملَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا . وَهِيَ فِي زَمَانِنَا خَرَابٌ لَيسَ بِهَا سَاكِنٌ . قَالَ ٱلقَزوِينِيُّ : عَسقَلَانُ مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحرِ ٱلرُّومِ كَانَ يُقَالُ لَهَا عَرُوسُ ٱلشَّامِ. ٱفتُتِحَت فِي أَيَّامِ عُمَرَ ٱبنِ ٱلخَطَّابِ عَلَى يَدِ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ. وَلَم تَزَل فِي يَدِ ٱلمُسلِمِينَ إِلَى أَنِ ٱستَولَى ٱلفِرَنجُ عَلَيهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَربَعِينَ وَخَمسِمِائَةٍ. حُكِيَ

بَعضُ ٱلتُّجّارِ أَنَّ ٱلفرنجَ ٱتَّخَذُوا مَرْكَبًا عُلُوُّهُ قَدْرُ سُورِ عَسْقَلَانَ. وَأَشْحَنُوهُ رِجَالًا وَسِلَاحًا وَأَجْرَوْهُ حَتَّى لَصِقَ بِسُورِ عَسْقَلَانَ. وَوَثَبُوا عَلَى ٱلسُّورِ وَمَلَكُوهَا قَهْرًا. وَبَقِيَتْ فِي يَدِهِم خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَى أَنِ ٱسْتَنْقَذَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ. ثُمَّ عَادَ ٱلفرنجُ وَفَتَحُوا عَكَّةَ وَسَارُوا نَحْوَ عَسْقَلَانَ. فَخَشِيَ أَنْ يَتِمَّ عَلَيْهَا مَا تَمَّ عَلَى عَكَّةَ فَخَرَّبَهَا فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (لابي الفداء)

٤١٢ (عُمَانُ). فِي بِلَادِ ٱلعَرَبِ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مَرْسَاهَا فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ. وَبِلَادُ عُمَانَ ثَلَاثُونَ فَرْسَخًا وَمَا وَلِيَ ٱلْبَحْرَ سُهُولٌ وَرِمَالٌ وَمَا تَبَاعَدَ عَنْهُ حُزُونٌ وَجِبَالٌ. وَهِيَ مُدُنٌ مِنْهَا مَدِينَةُ عُمَانَ وَهِيَ حَصِينَةٌ عَلَى ٱلسَّاحِلِ. وَمِنَ ٱلْجَانِبِ ٱلْآخَرِ مِيَاهٌ تَجْرِي إِلَى ٱلْمَدِينَةِ. وَفِيهَا دَكَاكِينُ ٱلتُّجَّارِ مَفْرُوشَةٌ بِٱلنُّحَاسِ مَكَانَ ٱلْآجُرِّ. وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلنَّخْلِ وَٱلْبَسَاتِينِ وَضُرُوبِ ٱلْفَوَاكِهِ وَٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ وَٱلْأَرُزِّ وَقَصَبِ ٱلسُّكَّرِ. وَفِي ٱلْأَمْثَالِ مَنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ٱلرِّزْقُ فَعَلَيْهِ بِعُمَانَ. وَفِي أَحْوَازِهَا مَغَاصُ ٱللُّؤْلُؤِ. وَعُمَانُ مِنْ أَحْوَازِ ٱلْيَمَنِ سُمِّيَتْ بِعُمَانَ بْنِ سَبَا (للشريشي)

٤١٣ (غَزَّةُ). أَوَّلُ بِلَادِ ٱلشَّامِ مِمَّا يَلِي مِصْرَ مُتَّسِعَةُ ٱلْأَقْطَارِ كَثِيرَةُ ٱلْعِمَارَةِ حَسَنَةُ ٱلْأَسْوَاقِ بِهَا ٱلْمَسَاجِدُ ٱلْعَدِيدَةُ وَلَا سُورَ عَلَيْهَا. وَكَانَ بِهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ أَنِيقُ ٱلْبِنَاءِ مُحْكَمُ ٱلصَّنْعَةِ وَمِنْبَرُهُ مِنَ ٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ. قَالَ أَبُو ٱلْفِدَاءِ: غَزَّةُ مُتَوَسِّطَةٌ فِي ٱلْعِظَمِ ذَاتُ بَسَاتِينَ

عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَبِهَا قَلِيلُ نَخِيلٍ وَكُرُومٌ خَصْبَةٌ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْبَحْرِ أَكْوَامُ رِمَالٍ تَلِي بَسَاتِينَهَا وَلَهَا قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ (لابن بطوطة)

٤١٤ (قُبْرُس) . جَزِيرَةٌ بِقُرْبِ طَرَسُوس دَوْرُهَا مَسِيرَةُ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا . قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ ٱلْعُذْرِيُّ : يُجْلَبُ مِنْهَا ٱللَّاذَنُ ٱلْجَيِّدُ وَلَا يُجْمَعُ فِي غَيْرِهَا . وَٱلَّذِي يُجْمَعُ مِنَ ٱلشَّجَرِ يُحْمَلُ إِلَى ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِأَنَّهُ يُعَادِلُ عُودَ ٱلطِّيبِ . وَسَائِرُ مَا يُجْمَعُ هُوَ ٱلَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ ٱلنَّاسُ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ . وَٱلزَّاجُ ٱلْقُبْرُسِيُّ مَشْهُورٌ كَثِيرُ ٱلْمَنَافِعِ جِدًّا عَزِيزُ ٱلْوُجُودِ أَفْضَلُ ٱلزَّاجَاتِ كُلِّهَا . وَعَنِ ٱبْنِ سَعِيدٍ : طُولُ جَزِيرَةِ قُبْرُسَ مِائَتَا مِيلٍ مِنَ ٱلْغَرْبِ إِلَى ٱلشَّرْقِ . وَلَهَا ذَنَبٌ دَقِيقٌ فِي شَرْقِيِّهَا وَيَقْرُبُ إِلَى سَاحِلِ ٱلشَّامِ . وَقَالَ ٱلشَّرِيفُ ٱلْإِدْرِيسِيُّ : دَوْرُ جَزِيرَةِ قُبْرُس مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ مِيلًا

٤١٥ (قَزْوِين) . مَدِينَةٌ بِٱلْقُرْبِ مِنْ أَرْمِينِيَةَ وَهِيَ فِي فَضَاءٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ . وَهِيَ طَيِّبَةُ ٱلْهَوَاءِ كَثِيرَةُ ٱلْبَسَاتِينِ وَهِيَ مَدِينَتَانِ إِحْدَاهُمَا فِي وَسَطِ ٱلْأُخْرَى . وَهٰذِهِ ٱلْمَدِينَةُ أَنْشَأَهَا سَابُورُ ذُو ٱلْأَكْتَافِ وَجَدَّدَ بِهَا هَارُونُ ٱلرَّشِيدُ سُورًا مَانِعًا وَجَامِعًا كَبِيرًا وَذٰلِكَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ . وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ مَقْصُورَةَ هٰذَا ٱلْجَامِعِ فِي غَايَةِ ٱلِٱرْتِفَاعِ . وَهِيَ عَلَى شَكْلِ بِطِّيخَةٍ لَيْسَ لَهَا مِثَالٌ فِي ٱلدُّنْيَا . وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ أَنَّ بَسَاتِينَ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ لَا تُسْقَى فِي ٱلسَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ ٱلشَّيْخُ زَكَرِيَّا بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَحْمُودٍ ٱلْقَزْوِينِيُّ

صَاحِبُ كِتَابِ عَجَائِبِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَغَيْرُهُ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ. قَالَ ٱبْنُ حَوْقَلٍ: وَقَزْوِينُ مَدِينَةٌ لَهَا حِصْنٌ وَمَاؤُهَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْآبَارِ. وَلَهَا قَنَاةٌ صَغِيرَةٌ لِلشُّرْبِ وَلَا تَفْضُلُ عَنْ ذٰلِكَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ خَصْبَةٌ وَهِيَ ثَغْرُ ٱلدَّيْلَمِ (عجائب الأقطار لمحمد بن اياس)

٤١٦ (أَلْكَرَكُ). بَلَدٌ مَشْهُورٌ مِنَ ٱلْبَلْقَاءِ. وَلَهُ حِصْنٌ عَالِي ٱلْمَكَانِ وَهُوَ أَحَدُ ٱلْمَعَاقِلِ بِٱلشَّامِ ٱلَّتِي لَا تُرَامُ. وَعَلَى بَعْضِ مَرْحَلَةٍ مِنْهُ مُوتَةُ. وَتَحْتَ ٱلْكَرَكِ وَادٍ فِيهِ حَمَّامٌ وَبَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ وَفَوَاكِهُهَا مُفَضَّلَةٌ مِنَ ٱلْمِشْمِشِ وَٱلرُّمَّانِ وَٱلْكُمَّثْرَى وَغَيْرِ ذٰلِكَ. وَهُوَ عَلَى أَطْرَافِ ٱلشَّامِ مِنْ جِهَةِ ٱلْحِجَازِ وَبَيْنَ ٱلْكَرَكِ وَٱلشَّوْبَكِ نَحْوُ ثَلَاثِ مَرَاحِلَ (لابي الفداء)

٤١٧ (أَللَّاذِقِيَّةُ). مَدِينَةٌ مِنْ سَوَاحِلِ بَحْرِ ٱلشَّامِ عَتِيقَةٌ سُمِّيَتْ بِٱسْمِ بَانِيهَا (وَهِيَ لَفْظَةٌ رُومِيَّةٌ). وَفِيهَا أَبْنِيَةٌ قَدِيمَةٌ وَلَهَا مَرْفَأٌ جَيِّدٌ وَقَلْعَتَانِ مُتَّصِلَتَانِ عَلَى تَلٍّ مُشْرِفٍ عَلَى رَبَضِهَا. مَلَكَهَا ٱلْفِرَنْجُ فِيمَا مَلَكُوهُ مِنْ بِلَادِ ٱلسَّاحِلِ فِي صُدُورِ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ. وَلِلْمُسْلِمِينَ بِهَا جَامِعٌ وَقَاضٍ وَخَطِيبٌ. قَالَ بَعْضُهُمْ: أللَّاذِقِيَّةُ أَجَلُّ مَدِينَةٍ بِٱلسَّاحِلِ مَنَعَةً وَعِمَارَةً وَلَهَا مِينَاءٌ حَسَنَةٌ مُفَضَّلَةٌ عَلَى غَيْرِهَا. وَهِيَ بَلْدَةٌ ذَاتُ صَهَارِيجَ. وَبِهَا دَيْرٌ مَسْكُونٌ يُعْرَفُ بِٱلْفَارُوسِ حَسَنُ ٱلْبِنَاءِ. وَمِنْهَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِيلًا (للقزويني)

٤١٨ (مَلَطْيَةُ). بَلْدَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلرُّومِ ذَاتُ أَشْجَارٍ وَفَوَاكِهَ

وَأَنْهارٍ وَيَحْتَفُّ بِها جِبالٌ كَثِيرَةُ ٱلْجَوْزِ. وَجَمِيعُ ٱلثِّمارِ مُباحَة لَا مالِكَ بِها. وَهِيَ قاعِدَةُ ٱلثُّغُورِ وَهِيَ شِمالِيَّ ٱلْجَبَلِ ٱلدّائِرِ ٱلَّذِي سِيسُ فِي غَرْبِيِّهِ. وَهِيَ بَلْدَةٌ مَسُورَةٌ فِي بَسِيطٍ وَٱلْجِبالُ تَحُفُّ بِها مِنْ بُعْدٍ. وَلَها نَهْرٌ صَغِيرٌ عَلَيْهِ بَساتِينُ كَثِيرَةٌ يَسْقِيها وَيَمُرُّ بِسُورِ ٱلْبَلَدِ. وَهِيَ شَدِيدَةُ ٱلْبَرْدِ وَهِيَ فِي ٱلْجَنُوبِ عَنْ سِيواسَ. وَلِمَلَطْيَةَ أَيْضًا قَنِيٌّ تَدْخُلُ ٱلْبَلَدَ وَتَجْرِي فِي دُورِهِ وَسِكَكِهِ. وَٱلْجِبالُ مُحِيطَةٌ بِها عَلَى بُعْدٍ مِنْها (لابن سعيد)

٤١٩ (مليبار). نَاحِيَةٌ وَاسِعَةٌ بِأَرْضِ ٱلْهِنْدِ تَشْتَمِلُ عَلَى مُدُنٍ كَثِيرَةٍ بِها شَجَرَةُ ٱلْفُلْفُلِ وَهِيَ شَجَرَةٌ عالِيَةٌ لا يَزُولُ ٱلْماءُ مِنْ تَحْتِها وَثَمَرَتُها عَناقِيدُ إِذا ٱرْتَفَعَتِ ٱلشَّمْسُ وَٱشْتَدَّ حَرُّها تَنْضَمُّ عَلَى عَناقِيدِها أَوْراقُها وَإِلّا أَحْرَقَتْها ٱلشَّمْسُ قَبْلَ إِدْراكِها. وَشَجَرُ ٱلْفُلْفُلِ مُباحٌ إِذا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ سَقَطَتْ عَناقِيدُها عَلَى وَجْهِ ٱلْماءِ فَيَجْمَعُها ٱلنّاسُ. وَيُحْمَلُ ٱلْفُلْفُلُ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ وَأَكْثَرُ ٱلنّاسِ ٱنْتِفاعًا بِهِ ٱلْفِرَنْجُ يَحْمِلُونَهُ فِي بَحْرِ ٱلشّامِ إِلَى أَقْصَى ٱلْمَغْرِبِ (للقزويني)

٤٢٠ (ٱلْمَوْصِلُ). قاعِدَةُ دِيارِ ٱلْجَزِيرَةِ وَهِيَ عَلَى دِجْلَةَ فِي جانِبِها ٱلْغَرْبِيِّ. وَقُبالَةَ ٱلْمَوْصِلِ مِنَ ٱلْبَرِّ ٱلْآخَرِ ٱلشَّرْقِيِّ مَدِينَةُ نِينَوَى ٱلْخَرابُ. وَفِي جَنُوبِيِّ ٱلْمَوْصِلِ يَصُبُّ ٱلزّابُ ٱلْأَصْغَرُ إِلَى دِجْلَةَ عِنْدَ مَدِينَةِ أَثُورَ ٱلْخَرابِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِها ٱلْمَوْصِلُ فِي مُسْتَوٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَلَها سُورانِ قَدْ خَرِبَ بَعْضُهُما وَمَسُورُها أَكْبَرُ مِنْ مَسُورِ دِمَشْقَ.

وَٱلْعَامِرُ فِي زَمَانِنَا نَحْوُ ثُلْثَيْهَا وَلَهَا قَلْعَةٌ مِنْ جُمْلَةِ ٱلْخَرَابِ. وَٱلطَّرِيقُ مِنَ ٱلْمَوْصِلِ إِلَى مَيَّافَارِقِينَ عَلَى حِصْنِ كِيفَا سِتَّةُ أَيَّامٍ. وَعَلَى مَارِدِينَ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ وَمَدِينَةُ نِينَوَى هٰذِهِ هِيَ ٱلْبَلْدَةُ ٱلَّتِي أُرْسِلَ إِلَيْهَا يُونُسُ ٱلنَّبِيُّ

٤٢١ (نَصِيبِينُ). قَاعِدَةُ دِيَارِ رَبِيعَةَ قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِٱلْوَرْدِ ٱلْأَبْيَضِ وَلَا يُوجَدُ فِيهَا وَرْدَةٌ حَمْرَاءُ. قَالَ: وَفِي شِمَالِيِّهَا جَبَلٌ كَبِيرٌ مِنْهُ يَنْزِلُ نَهْرُهَا ٱلْمَعْرُوفُ بِنَهْرِ ٱلْهِرْمَاسِ وَيَمُرُّ عَلَى سُورِ نَصِيبِينَ وَٱلْبَسَاتِينُ عَلَيْهِ وَنَصِيبِينُ شِمَالِيَّ سِنْجَارَ. وَجَبَلُ نَصِيبِينَ هُوَ ٱلْجُودِيُّ. قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَنَصِيبِينُ قَصَبَةُ دِيَارِ رَبِيعَةَ وَنَهْرُهَا نَهْرُ ٱلْهِرْمَاسِ. وَبِهَا عَقَارِبُ قَاتِلَةٌ يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ. قَالَ ٱلْقَزْوِينِيُّ: وَنَصِيبِينُ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَزِيرَةِ. وَظَاهِرُهَا فِي غَايَةِ ٱلنَّزَاهَةِ وَبَاطِنُهَا يُضَادُّ ظَاهِرَهَا. وَهِيَ وَخِمَةٌ لِكَثْرَةِ مِيَاهِهَا وَأَشْجَارُهَا مُضِرَّةٌ سِيَّمَا بِٱلْغُرَبَاءِ. وَحُكِيَ أَنَّ بَعْضَ ٱلتُّجَّارِ أَرَادَ دُخُولَ نَصِيبِينَ وَكَانَ بِهِ عَقَابِيلُ ٱلْمَرَضِ وَصُفْرَةُ ٱللَّوْنِ. فَتَمَسَّكَ بِكُمِّهِ بَعْضُ ظُرَفَاءِ نَصِيبِينَ وَقَالَ: مَا أُخَلِّيكَ تَدْخُلُ حَتَّى تُشْهِدَ عَلَى نَفْسِكَ شَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ أَنَّكَ مَا دَخَلْتَ نَصِيبِينَ إِلَّا عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ كَيْلَا يُقَالَ أَمْرَضَتْهُ نَصِيبِينُ

(لابي الفداء)

٤٢٢ (هَرَاةُ). مِنْ خُرَاسَانَ وَلَهَا أَعْمَالٌ وَدَاخِلَ هَرَاةَ مِيَاهٌ جَارِيَةٌ. وَٱلْجَبَلُ مِنْهَا عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ وَلَيْسَ بِجَبَلِهَا مُحْتَطَبٌ وَلَا مَرْعًى. وَمِنْهُ

حِجارَةُ ٱلْأَرْحِيَةِ وَغَيْرِهَا . وَعَلَى رَأْسِ هٰذَا ٱلْجَبَلِ بَيْتُ نَارٍ يُسَمَّى سُرُشْكَ وَخَارِجَ هَرَاةَ ٱلْمِيَاهُ وَٱلْبَسَاتِينُ . وَقَالَ فِي ٱلْمُشْتَرِكِ : هَرَاةُ كَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً مَشْهُورَةً بِخُرَاسَانَ خَرَّبَهَا ٱلتَّتَرُ . وَهَرَاةُ فُتِحَتْ فِي زَمَانِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُ وَٱلنِّسْبَةُ إِلَيْهَا هَرَوِيٌّ (لابن حوقل)

٤٢٣ (هَمَذَانُ) . مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ وَلَهَا مِيَاهٌ وَبَسَاتِينُ وَزُرُوعٌ كَثِيرَةٌ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ ٱلْجَبَلِ عَلَى طَرِيقٍ . وَقَالَ فِي ٱلْأَنْسَابِ : هَمَذَانُ مَدِينَةٌ مِنَ ٱلْجِبَالِ عَلَى طَرِيقِ ٱلْحَاجِّ وَٱلْقَوَافِلِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ فُضَلَاءِ هَمَذَانَ :

هَمَذَانُ لِي بَلَدٌ أَقُولُ بِفَضْلِهِ   لٰكِنَّهُ مِنْ أَقْبَحِ ٱلْبُلْدَانِ
صِبْيَانُهُ فِي ٱلْقُبْحِ مِثْلُ شُيُوخِهِ   وَشُيُوخُهُ فِي ٱلْعَقْلِ كَٱلصِّبْيَانِ

٤٢٤ (يَافَا) . بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ فِي فِلَسْطِينَ . كَثِيرَةُ ٱلرَّخَاءِ سَاحِلِيَّةٌ مِنَ ٱلْفُرَضِ ٱلْمَشْهُورَةِ . وَمَدِينَةُ يَافَا كَانَتْ حِصْنًا كَبِيرًا فِيهِ أَسْوَاقٌ عَامِرَةٌ وَوُكَلَاءُ ٱلتُّجَّارِ وَمِينَاءٌ كَبِيرٌ فِيهِ مَرْسَى ٱلْمَرَاكِبِ ٱلْوَارِدَةِ إِلَى فِلَسْطِينَ وَٱلْمُقْلِعَةِ مِنْهَا إِلَى كُلِّ بَلَدٍ . وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلرَّمْلَةِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَهِيَ فِي ٱلْغَرْبِ عَنْ رَمْلَةَ

٤٢٥ (يَزْمِير) . مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ مُعْظَمُهَا خَرَابٌ وَلَهَا قَلْعَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِأَعْلَاهَا . وَأَمِيرُ هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ عُمَرُ ٱبْنُ ٱلسُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ آيدِينَ . وَكَانَ هٰذَا ٱلْأَمِيرُ كَرِيمًا صَالِحًا كَثِيرَ ٱلْجِهَادِ لَهُ أَجْفَانٌ غَزْوِيَّةٌ يَضْرِبُ بِهَا عَلَى نَوَاحِي ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ٱلْعُظْمَى فَيَسْبِي

وَيَغْنَمُ وَيُفْنِي ذٰلِكَ كَرَمًا وَجُودًا. ثُمَّ يَعُودُ إِلَى ٱلْجِهَادِ إِلَى أَنِ ٱشْتَدَّتْ عَلَى ٱلرُّومِ وَطْأَتُهُ. فَرَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى ٱلْبَابَا فَأَمَرَ نَصَارَى جَنْوَةَ وَإِفْرَنْسَةَ بِغَزْوِهِ فَغَزَوْهُ. وَجَهَّزَ جَيْشًا مِنْ رُومَةَ وَطَرَقُوا مَدِينَتَهُ لَيْلًا فِي عَدَدٍ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْأَجْفَانِ وَمَلَكُوا ٱلْمَرْسَى وَٱلْمَدِينَةَ. وَنَزَلَ إِلَيْهِمِ ٱلْأَمِيرُ عُمَرُ مِنَ ٱلْقَلْعَةِ فَقَاتَلَهُمْ فَٱسْتُشْهِدَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ نَاسِهِ. وَٱسْتَقَرَّ ٱلنَّصَارَى بِٱلْبَلَدِ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ٱلْقَلْعَةِ لِمَنَعَتِهَا (للادريسي)

ذكر الشام

(من كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لخليل بن شاهين الظاهري)

٤٢٦ قَسَمَ ٱلْأَوَائِلُ ٱلشَّامَ خَمْسَةَ أَقْسَامٍ. ٱلْأَوَّلُ فِلَسْطِينُ وَأَوَّلُ حُدُودِهَا مِنْ طَرِيقِ مِصْرَ رَفَحُ وَهِيَ ٱلْعَرِيشُ. ثُمَّ يَلِيهَا غَزَّةُ. ثُمَّ رَمْلَةُ وَفِلَسْطِينَ. فَمِنْ مُدُنِهَا إِيلِيَاءُ وَهِيَ بَيْتُ ٱلْمَقْدِسِ. وَعَسْقَلَانُ وَرَمْلَةُ وَنَابُلُسُ وَمَدِينَةُ حَبْرُونَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِٱلْخَلِيلِ. وَمَسِيرَةُ فِلَسْطِينَ طُولًا أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ مِنْ رَفَحَ إِلَى ٱللَّجُّونِ. وَعَرْضُهَا مِنْ يَافَا إِلَى أَرِيحَا. وَٱلثَّانِي حَوْرَانُ وَمَدِينَتُهَا ٱلْعُظْمَى طَبَرِيَّةُ. وَمِنْ مُدُنِهَا ٱلْغَوْرُ وَٱلْيَرْمُوكُ وَبَيْسَانُ. وَٱلثَّالِثُ ٱلْغُوطَةُ وَمَدِينَتُهَا ٱلْعُظْمَى دِمَشْقُ وَطَرَابُلُسُ. وَقِيلَ إِنَّهَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ. وَصَفَدُ وَبَعْلَبَكُّ وَمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ تِلْكَ ٱلْأَمَاكِنُ مِنَ ٱلْمُدُنِ. وَٱلرَّابِعُ حِمْصُ وَمِنْ أَعْمَالِهَا مَدِينَةُ سَلَمِيَةَ. وَفِيهَا مَزَارُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَٱلْخَامِسُ قِنَّسْرِينُ وَمَدِينَتُهَا ٱلْعُظْمَى حَلَبُ وَحَمَاةُ وَسَرْمِينُ وَأَنْطَاكِيَةُ

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْغَزَّاوِيَّةُ فَفِيهَا مَدِينَةُ غَزَّةَ وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بِأَرْضٍ مُسْتَوِيَةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ ٱلْفَوَاكِهِ. وَفِيهَا مِنَ ٱلْجَوَامِعِ وَٱلْمَدَارِسِ وَٱلْعِمَارَاتِ ٱلْحَسَنَةِ مَا يُورِثُ ٱلْعَجَبَ. وَتُسَمَّى دِهْلِيزَ ٱلْمُلْكِ. وَبِهَا مُعَامَلَاتٌ وَقُرًى وَهِيَ مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ. وَأَمَّا مَدِينَةُ ٱلرَّمْلَةِ فَلَيْسَتْ هِيَ مَمْلَكَةً. وَإِنَّمَا هِيَ إِقْلِيمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى قُرًى عَدِيدَةٍ. وَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةٌ بِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَزَارَاتٌ. مِنْ جُمْلَتِهَا ٱلْجَامِعُ ٱلْأَبْيَضُ عَجَبٌ مِنَ ٱلْعَجَائِبِ.

وَأَمَّا ٱلْمَمْلَكَةُ ٱلْكَرَكِيَّةُ فَلَيْسَتْ هِيَ مِنَ ٱلشَّامِ. وَهِيَ مَمْلَكَةٌ بِمُفْرَدِهَا وَتُسَمَّى مَآب. وَهِيَ مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ مَعْقِلٌ مِنْ مَعَاقِلِ ٱلْإِسْلَامِ. بِهَا قَلْعَةٌ لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ فِي ٱلْإِسْلَامِ وَلَا فِي ٱلْفِرَنْجِ تُسَمَّى حِصْنَ ٱلْغُرَابِ لَمْ تَكُنْ فُتِحَتْ عَنْوَةً قَطُّ. وَإِنَّمَا فَتَحَهَا صَلَاحُ ٱلدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ بَعْدَ فَتْحِ ٱلْقُدْسِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. وَكَانَتْ بِيَدِ ٱلْبِرِنْسِ أَرْنَاط. وَكَانَ يَتَعَرَّضُ لِلْحُجَّاجِ وَٱلْحِكَايَةُ فِي ذٰلِكَ تَطُولُ. وَمُلَخَّصُهَا أَنَّهُ نَزَلَ بِعَسْكَرِهِ نَجْدَةً إِلَى ٱلْفِرَنْجِ عَلَى وَقْعَةِ حِطِّينَ. وَأَمْكَنَ ٱللّٰهُ صَلَاحَ ٱلدِّينِ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ ٱلْفِرَنْجِ وَكَانَ مِنْ جُمْلَتِهِمِ ٱلْبِرِنْسُ أَرْنَاط صَاحِبُ ٱلْكَرَكِ. فَحَصَلَ ٱلْفُتُوحُ بِوَاسِطَةِ ذٰلِكَ وَٱسْتَمَرَّتِ ٱلشَّوْبَكُ مُدَّةً بِيَدِ ٱلْفِرَنْجِ إِلَى أَنْ قَدَّرَ ٱللّٰهُ فَتْحَهَا بِسَبَبٍ عَجِيبٍ. وَذٰلِكَ أَنَّ وَالِدَةَ أَرْنَاط تَسَبَّبَتْ فِي فَتْحِ ذٰلِكَ لِخَلَاصِ وَلَدِهَا وَفَتْحِ ٱلْحُصْنَانِ وَقُتِلَ أَرْنَاط. وَٱلشَّوْبَكُ مُضَافَةٌ إِلَى ٱلْكَرَكِ

وَهِيَ حَصِينَةٌ أَيضًا . وَمَسِيرَةُ مُعَامَلَةِ الْكَرَكِ مِنَ الْعُلَى إِلَى زِيزَاء مِقْدَارُ عِشْرِينَ يَومًا بِسَيْرِ الْإِبِلِ . وَهِيَ بَلَدٌ عَذِيَةٌ بِهَا قُرًى كَثِيرَةٌ وَمُعَامَلاتٌ وَالْمَسْلَكُ إِلَيْهَا صَعْبٌ فِي مُنْقَطَعَاتٍ قَلِيلَةِ الْمَاءِ حَتَّى إِنَّهُ إِذَا أُوقِفَ أَحَدٌ عَلَى دَرْبٍ مِنْ دُرُوبِهَا يَمْنَعُ الْفَارِسَ عَنِ الْمَسِيرِ . وَأَوْصَافُهَا كَثِيرَةٌ اخْتَصَرْتُهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ

وَأَمَّا الْمَمْلَكَةُ الصَّفَدِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ قِيلَ إِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَلْفٍ وَمِائَتَي قَرْيَةٍ وَلَهَا عِدَّةُ مُعَامَلاتٍ . وَأَعْظَمُ مُدُنِهَا صَفَدُ وَهِيَ مَدِينَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ ثَلاثَ قِطَعٍ وَهِيَ عَذِيَةٌ . وَبِهَا جَوَامِعُ وَمَدَارِسُ وَمَزَارَاتٌ وَأَمَاكِنُ حَسَنَةٌ وَحَمَّامَاتٌ وَأَسْوَاقٌ . وَبِهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ يُقَالُ إِنَّهَا لَا يُوجَدُ نَظِيرُهَا عَشْرُ قِلَاعٍ قَدْ فُتِحَتْ مِنْ قَرِيبٍ . وَمَدِينَةُ عَكَّةَ كَانَتْ حَصِينَةً جِدًّا فَلَمَّا فَتَحَهَا الْمَلِكُ صَلاحُ الدِّينِ أَيُّوبُ هَدَمَ أَسْوَارَهَا . وَهِيَ الْآنَ مِينَاءُ الْمَمْلَكَةِ الصَّفَدِيَّةِ . وَلَمَّا هَدَمَهَا جَهَّزَ قِفْلَهَا بِمِفْتَاحِهِ وَهُوَ حِمْلُ فَرَسٍ إِلَى سِجْنِ قَلْعَةِ الْكَرَكِ . وَهُوَ بِهَا الْآنَ عَجِيبٌ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا . وَمَدِينَةُ صُورَ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ . وَبِالْمَمْلَكَةِ الصَّفَدِيَّةِ قُرًى كِبَارٌ نَظِيرَةُ الْمُدُنِ كَالْمِنْيَةِ وَالنَّاصِرَةِ وَالْمَرْكِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَقِيلَ إِنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الصَّفَدِيَّةِ الشَّقِيفَ وَكَابُولَ وَغَيْرَهَا سَبْعَ قِلَاعٍ غَالِبُهَا خَرَابٌ الْآنَ . وَبِهَا الْمَزَارَاتُ وَالْأَمَاكِنُ الْمُبَارَكَةُ

وَأَمَّا الْمَمْلَكَةُ الشَّامِيَّةُ فَإِنَّهَا مَمْلَكَةٌ مُتَّسِعَةٌ جِدًّا وَهِيَ عِدَّةُ أَقَالِيمَ وَمُدُنٍ وَقِلَاعٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَدِينَتَهَا الْعُظْمَى دِمَشْقُ وَهِيَ مَدِينَةٌ

حسنة إلى الغاية بها تخت المملكة وهو مغطى ولا يكشف غطاؤه إلا إذا جلس السلطان عليه. وفضائل الشام كثيرة وبها جوامع حسنة ومدارس وأماكن مباركة وشوارع وأسواق وحمامات وبساتين وأنهر وعمائر يتحير الواصف فيها. وبها بيمارستان لم يرَ مثله في الدنيا قط. وقيل إن البيمارستان المذكور منذ عمر لم تنطفئ فيه النار. وأما جامع بني أمية فهو إحدى العجائب الثلاث. ولقد رأيت في بعض التواريخ أن عجائب الدنيا ثلاث. منارة الإسكندرية وجامع بني أمية وحمام طبرية. وأما الميدان الأخضر وما به من القصور الحسنة فعجيب من العجائب. وأما غرائب دمشق فيعجز الواصف عن حصرها. من جملتها الجبهة والربوة والصالحية والسبعة والعنابة. وبها قبر نور الدين محمود بن زنكي وقبر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وبدمشق المحروسة سبعة أنهر إذا اجتمعت صارت مثل النيل. وأما ما بها من الفواكه الرطبة والرياحين والأقمشة فمما يطول شرحه. وبها الثلج لا يزال على الجبال صيفاً وشتاء وجميع أهلها يشربون منه وينقل منه إلى السلطان وأركان الدولة الشريفة. وأما مدينة حسبان فبها قلعة خربة وإقليمها البلقاء تشتمل على نيف وثلاثمائة قرية بأرض مستوية وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما صرخد فإنها مدينة عجيبة لصعوبتها ولها قلعة حصينة. وأما بانياس فهي مدينة لطيفة تزرع بها الأرز يجلب منها إلى دمشق وغيرها. ولها إقليم بعضه

يُعرف بالحولة. تشتمل على مائتي قرية وهي أيضاً من معاملات دمشق. وأما حوران فقيل إن به عدة أقاليم والمستفيض بين الناس أنه نيف عن ألف قرية. بها مدينة اللجا ومدن صغار متفرقة. وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما إقليم الغوطة فقيل إنه نيف عن ثلاثمائة قرية وبه مدن صغار وبلدان تشابه المدن. وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما إقليم نجران فهو عجيب لكثرة أوعاره. وبه عدة بلدان قيل إنها نيف عن مائة وستين قرية. وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما الزبداني فهو مقارب مدينة. وله إقليم نيف وخمسون قرية وبه أنهر كثيرة وهو أيضاً من معاملة دمشق. وأما السويدية فأصلها مدينة كبيرة وهي الآن غالبها خراب. ولها إقليم يشتمل على ما ينيف عن مائتي قرية وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما مدينة بعلبك فإنها مدينة حسنة لها قلعة حصينة بها عمد قيل إن سليمان أمر بعمارتها. وببعلبك جوامع ومدارس وأماكن مباركة وأسواق وحمامات وبساتين وأنهر ما يطول شرحه. ولها إقليم حسن يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية. وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما حمص فإنها مدينة حسنة وهي تشتمل على سور وقلعة. وقيل إنها مدينة فوق مدينة. وهي عجيبة من العجائب. وبها قبر خالد بن الوليد. وبها جوامع ومدارس وأسواق وحمامات. وأما مدينة صيدا فهي ميناء دمشق وهي مدينة لطيفة على شاطئ البحر المحيط ترد

إليها المراكب. ولها إقليم به ما يذيف عن مائتي قرية. وهي أيضاً من معاملة دمشق. وأما مدينة بيروت فهي ميناء أيضاً ولها إقليم به عدة قرى. وهي أيضاً من معاملة دمشق

وأما المملكة الطرابلسية فإنها مملكة جيدة أعظم مدنها طرابلس وهي حسنة بها جوامع ومدارس وعمائر وهي على شاطئ البحر المحيط. وأما اللاذقية فإنها مدينة متسعة وغالبها خراب. وهي قريبة من البحر المحيط ولها معاملة بها قرى كثيرة. وهي أيضاً من معاملة طرابلس

وأما المملكة الحموية فإنها مملكة متسعة تشتمل على مدن وقلاع وأقاليم وقرى وأعظم مدنها حماة. وهي مدينة حسنة إلى الغاية تشتمل على سور محكم وأبراج عديدة. ولها قلعة أخربها تيمورلنك وبها نهر العاصي محيط وبه نواعير كثيرة. وبها منتزهات كثيرة وبها جوامع ومدارس ومساجد وأماكن ومزارات مما يطول شرحه

وأما المملكة الحلبية فإنها مملكة متسعة إلى الغاية تشتمل على مدن وقلاع ومعاملات وقرى عديدة. وأعظم مدنها حلب. وهي عذية تشتمل على سور محكم وقلعة محكمة. وبها جوامع ومدارس ومساجد ومزارات وعمائر حسنة وأسواق وحمامات يطول وصفها وهي باب الملك. وأما مدينة أنطاكية فمتسعة جداً بها قبر حبيب النجار. ولها إقليم به عدة قرى. وهي من معاملة حلب. ومن توابع حلب أيضاً مدينة جعبر ومدينة الرحبة وسنجر

وسرمين وإقليم الباب وإقليم كلس وعزاز وسيس بالقرب من البحر المحيط والرمضانية ومدينة قلعة المسلمين وهي لطيفة بها قلعة حصينة إلى الغاية. وهي على شط الفرات. وأما مدينة عين تاب فهي مدينة حسنة. قال فيها أبو الفداء: عين تاب قاعدة ناحيتها. ولها أسواق جليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين. وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلاث مراحل وبالقرب من عين تاب دلوك وهو حصن خراب له ذكر في فتوح صلاح الدين ونور الدين. وأما مدينة البيرة فهي مدينة حسنة. ولها قلعة محكمة لطيفة وهي أيضا على شط الفرات. وهنالك جسر موضوع على مراكب تجوز به الركبان على نهر الفرات. ولها قرى عديدة وهي أيضا من توابع حلب. وأما مدينة الرها فهي مدينة كبيرة تشتمل على سور وغالبها الآن خراب وبها قلعة حصينة وأهلها من ديار بكر. وبها عدة قرى وهي الآن خراب

وأما مملكة ملطية فإنها مدينة حسنة كثيرة المياه والفواكه في أرض مستوية. تشتمل على سور محكم وسبع قلاع وتشتمل على سبعة أقاليم وعلى قرى كثيرة وأهلها من الروم. كانت تحت السلطان علاء الدين حتى فتحها الناصر محمد بن قلاون وجعلها مملكة بمفردها. وكثير من الناس يظن أنها من المملكة الحلبية. ولو أردنا وصف جميع ما يتعلق بملك الشام من المدن لطال المقال وحصل الملال

آثار أوروبا

٤٢٧ (إفرنجة). أرض واسعة في آخر غربي الإقليم السادس. ذكر المسعودي أن بها نحو مائة وخمسين مدينة قاعدتها بريزة وأن طولها مسيرة شهر وعرضها أكثر. وأن أهلها الإفرنج وهم نصارى أهل حرب في البر والبحر. ولهم صبر وشدة في حروبهم لا يرون الفرار أصلاً لأن القتل عندهم أسهل من الهزيمة. ومعاشهم على التجارات والصناعات (للقزويني)

٤٢٨ (برطانية). أول ما يلقاك إذا ابتدأت من الغرب من العمائر التي خلف الإقليم السابع إلى جهة الشمال جزيرة برطانية. وهي في البحر المحيط. ويقال للبحر الخارج من البحر المحيط بحر برطانية وبحر برديل. وهو محدق بهذه الجزيرة من سائر جهاتها. وبقي لها مدخل إلى الأندلس من الجهة الشرقية الجنوبية. ومسافة هذه الجزيرة في الطول ثمانية عشر يوماً من الجانب الجنوبي. واتساعها نحو أحد عشر يوماً في الوسط. ولها ملك منفرد (لابن سعيد)

٤٢٩ (بلنسية). على بحيرة يصب فيها نهر يمر على شمالي بلنسية وهي من شرق الأندلس. وبلنسية في أحسن مكان وقد حفت بالأنهار الجنان فلا ترى إلا مياها تتفرع ولا تسمع إلا أطياراً تسجع. ولها بحيرة حسنة وهي على القرب من بحر الزقاق. وحيث خرجت منها لا تلقى إلا منازه. وهي شرقي مرسية وغربي طرطوشة. ومن

مَشاهِيرِ مَنازِهِها الرُّصافةُ ومُنْيَةُ ابْنِ عامِرٍ. وَمِنْ أَعْمالِها مَدِينَةُ شاطِبَةَ وَهِيَ حَصِينَةٌ. قالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَيُقالُ إِنَّ ضَوْءَ مَدِينَةِ بَلَنْسِيَةَ يَزِيدُ عَلَى ضَوْءِ بِلادِ الأَنْدَلُسِ. وَجَوُّها صَقِيلٌ أَبَدًا لا يُرَى فِيهِ ما يُكَدِّرُهُ أَبَدًا (لابي الفداء)

٤٣٠ (جَنَوَةُ). وَهِيَ عَلَى غَرْبِيِّ خَوْرٍ عَظِيمٍ مِنَ الْبَحْرِ أَعْنِي بَحْرَ الرُّومِ. وَالْبَحْرُ فِيما بَيْنَها وَبَيْنَ الأَنْدَلُسِ يَدْخُلُ فِي الشَّمالِ. وَبِالْقُرْبِ مِنْ جَنَوَةَ جَبَلُ الأَنْبَرْدِيَةِ. وَبِلادُ جَنَوَةَ غَرْبِيَّ بِلادِ الْبِيازِيَّةِ. قالَ الشَّرِيفُ الإِدْرِيسِيُّ: وَجَنَوَةُ لَها جَنّاتٌ وَأَوْدِيَةٌ وَبِها مَرْسًى جَيِّدٌ مَأْمُونٌ وَمَدْخَلُهُ مِنَ الْغَرْبِ. وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِها أَنَّ جَنَوَةَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَهِيَ عَلَى حافَةِ الْبَحْرِ وَلَها مِيناءٌ عَلَيْهِ سُورٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ إِلَى الْغايَةِ. وَلَها بَساتِينُ فِيها أَنْواعُ الْفَواكِهِ. وَدُورُ أَهْلِها عَظِيمَةٌ كُلُّ دارٍ بِمَنْزِلَةِ قَلْعَةٍ. وَلِذلِكَ اسْتَغْنَوْا عَنْ عَمَلِ سُورٍ عَلَى جَنَوَةَ. وَلَها عُيُونُ ماءٍ مِنْها شُرْبُهُمْ وَشُرْبُ بَساتِينِهِمْ (لابن سعيد)

٤٣١ (جَيّانُ). فِي الأَنْدَلُسِ فِي نِهايَةٍ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْحَصانَةِ. وَهِيَ عَنْ قُرْطُبَةَ فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَهُما خَمْسَةُ أَيّامٍ وَبِلادُ جَيّانَ جَمَعَتْ كَثْرَةَ الْعُيُونِ وَالثِّمارِ مَعَ طِيبَةِ الأَرْضِ وَبِها الْحَرِيرُ الْكَثِيرُ. وَجَيّانُ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرِها خِصْبًا وَحَصانَةً. وَلَمْ يَقْدِرِ النَّصارَى عَلَيْها إِلَّا بَعْدَ حِصارٍ طَوِيلٍ. فَسَلَّمَها إِلَيْهِمِ ابْنُ الأَحْمَرِ صاحِبُ غَرْناطَةَ. وَكانَ مِنْ أَعْمالِ جَيّانَ مَدِينَةُ قَيجاطَةَ. وَهِيَ مَدِينَةٌ نَزِهَةٌ

كثيرةُ الخصبِ اخذها النصارى بالسيفِ (لابي الفداء)

٤٣٢ (رومة). هي على جانبي نهر الصفر (اي التيبر) وهي مدينة مشهورة ومقرّ خليفة النصارى المسمى بالبابا وهي على جنوبي خور البنادقة. وبلاد رومة غربي قلقرية. دور سورها اربعة وعشرون ميلا وهو مبني بالآجرّ ولها وادٍ يشقّ وسط المدينة وعليه قناطر يجاز عليها من الجهة الشرقية إلى الغربية. وامتداد كنيسة رومة ستمائة ذراع في مثله وهي مسقّفة بالرصاص ومفروشة بالرخام وفيها أعمدة كثيرة عظيمة وعلى يمين الداخل من آخر أبوابها حوض رخام عظيم للمعمودية وفيه ماءٌ جارٍ أبداً. وفي صدر الكنيسة كرسي من ذهب يجلس عليه البابا. وتحته باب مصفّح بالفضة يدخل منه إلى أربعة أبواب واحد بعد آخر يفضي إلى سرداب فيه مدفون بطرس حواري عيسى. ولهذه المدينة كنيسة أخرى مدفون فيها بولس. وبحذاء قبر بطرس حوض رخام منقوش عظيم فيه فرش الكنيسة وستورها التي تزيّن بها في أعيادهم (للادريسي)

٤٣٣ (صقلية). جزيرة بين جزيرة جربة وتونس. ومن مدنها مدينة مسينة. ومسينة في الزاوية الشمالية من جزيرة صقلية. وهي مدينة مشهورة بكثرة العنب والخمر. وهي في جانب الجزيرة المقابل لقلقرية. وجزيرة صقلية كثيرة الزلازل بحيث تكثر تهدم أبنيتها منها. وبالجزيرة أكثر من مائة حصن. ودور جزيرة صقلية

سَبعَة عشر يَوماً وطولها على الاستقامة خمسة أيام . وأكبر مدنها وقاعدتها مدينة بلرم . ولها مدن كثيرة لكن أشهرها هاتان المدينتان أعني بلرم ومسينة . وكانت للمسلمين فخرجت عنهم وهي اليوم للنصارى . قال الشريف الادريسي : ودور صقلية خمس مائة ميل (لابي الفداء)

٤٣٤ (طلوزة) . في شرقي بردال مدينة طلوزة من أعمال إفرنجة . يقال إن لصاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه نيفاً على ألف حصن . وهو قريب من صاحب فرنسة . والنهر في جنوبيها تصعد منه مراكب البحر المحيط إليها بالقصدير والنحاس اللذين يجلبان من جزيرة أنكلطرة وجزيرة إرلندة . وتحمل على الظهر إلى نربونة . ومنها تحمل في مراكب الفرنج إلى الإسكندرية (لابن سعيد)

٤٣٥ (طليطلة) . قاعدة الأندلس . وهي في شرقي مدينة وليد على جبل عال . وهي من أمنع البلاد وأحصنها . ولها نهر يمر بأكثرها وهي مدينة أولية ومعنى اسمها أنت فارح . ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية عند الحاجز نحو نصف شهر . وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب . وهو نهاية الأندلس الغربية وتحدق الأشجار بطليطلة من كل جهة ويصير بها الجلنار في قدر الرمانة من غيرها . ويكون بها الشجرة فيها أنواع من الثمر . ونهر طليطلة ينحدر إليها من عند

حِصْنٍ هُنَاكَ يُقَالُ لَهُ بَاجَةُ. وَيُعْرَفُ نَهْرُ طَلَيْطِلَةَ بِهِ فَيُقَالُ نَهْرُ بَاجَةَ

٤٣٦ (قُسْطَنْطِينِيَّةُ). قَالَ فِي ٱلْعَزِيزِيِّ: وَٱرْتِفَاعُ سُورِ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَلَهَا أَرْبَعَ عَشْرَةَ مُعَامَلَةً. وَحَكَى لِي بَعْضُ مَنْ سَافَرَ إِلَيْهَا قَالَ: سُورُهَا كَبِيرٌ وَكَنِيسَتُهَا مُسْتَطِيلَةٌ وَدَارُ ٱلْمَلِكِ تُسَمَّى بَلَاطَ ٱلْمَلِكِ وَلَيْسَتْ قَرِيبَةً مِنَ ٱلْكَنِيسَةِ وَدَاخِلَ سُورِهَا مُزْدَرَعٌ وَبَسَاتِينُ. وَبِٱلْمَدِينَةِ خَرَابٌ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ عِمَارَتِهَا بِٱلْجَانِبِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلشِّمَالِيِّ. وَإِلَى جَانِبِ ٱلْكَنِيسَةِ عَمُودٌ عَالٍ دَوْرُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ بَاعَاتٍ وَعَلَى رَأْسِهِ فَارِسٌ وَفَرَسٌ مِنْ نُحَاسٍ وَفِي إِحْدَى يَدَيِ ٱلْفَارِسِ كُرَةٌ وَقَدْ فَتَحَ أَصَابِعَ يَدِهِ ٱلْأُخْرَى وَهُوَ يُشِيرُ بِهَا. قِيلَ إِنَّ ذٰلِكَ صُورَةُ قُسْطَنْطِينَ بَانِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَقُسْطَنْطِينِيَّةُ بَنَاهَا قُسْطَنْطِينُ رَافِعُ دِينِ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ. وَبَيْنَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَسِنُوبَ نَحْوُ سِتَّةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْبَرِّ

٤٣٧ (لَارِدَةُ). مِنْ أَعْمَالِ ٱلْأَنْدَلُسِ عَلَى شَرْقِيِّ نَهْرٍ يَصُبُّ فِي نَهْرِ سَرَقُسْطَةَ. وَفِي شَرْقِيِّ لَارِدَةَ جَبَلُ ٱلْبُرْتِ ٱلْفَاصِلُ بَيْنَ ٱلْأَنْدَلُسِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْكَبِيرَةِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ وَكَانَتْ مِنْ قَوَاعِدِ شَرْقِ ٱلْأَنْدَلُسِ. وَلَهَا مَاءٌ مَجْلُوبٌ فِي قُنِيٍّ قَدْ أَعْجَزَتْ صَنْعَتُهُ جَمِيعَ ٱلْعَالَمِ. قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَمَدِينَةُ لَارِدَةَ مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلْجَلِيلَةِ بِٱلْجِهَةِ ٱلْمَشْهُورَةِ بِٱلثَّغْرِ مِنْ شَرْقِ ٱلْأَنْدَلُسِ

٤٣٨ (مُرْسِيَةُ). مَدِينَةٌ مُحْدَثَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ بُنِيَتْ فِي أَيَّامِ ٱلْأُمَوِيِّينَ

الأَنْدَلُسِيِّينَ. وَمُرْسِيَةُ فِي شَرْقِ الأَنْدَلُسِ تُشْبِهُ إِشْبِيلِيَةَ الَّتِي فِي غَرْبِ الأَنْدَلُسِ بِكَثْرَةِ الْمَنَازِهِ وَالْبَسَاتِينِ. وَهِيَ عَلَى الذِّرَاعِ الشَّرْقِيِّ الْخَارِجِ مِنْ عَيْنِ نَهْرِ إِشْبِيلِيَةَ. وَمُرْسِيَةُ مِنْ قَوَاعِدِ شَرْقِ الأَنْدَلُسِ وَلَهَا عِدَّةُ مُتَنَزَّهَاتٍ مِنْهَا الرَّشَاقَةُ وَجَبَلُ إِيلٍ وَهُوَ جَبَلٌ تَحْتَهُ الْبَسَاتِينُ وَبَسِيطٌ تَسْرَحُ فِيهِ الْعُيُونُ (لابي الفداء)

آثار افريقية

٤٣٩ (أَجْدَابِيَةُ). مَدِينَةٌ فِي الْمَغْرِبِ وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ فِي صَحْرَاءَ. أَرْضُهَا صَفًا وَآبَارُهَا مَنْقُورَةٌ فِي الصَّفَا طَيِّبَةُ الْمَاءِ وَبِهَا عَيْنُ مَاءٍ عَذْبَةٌ. وَلَهَا بَسَاتِينُ لِطَافٌ وَنَخْلٌ يَسِيرٌ وَلَيْسَ بِهَا مِنَ الأَشْجَارِ إِلَّا الأَرَاكُ. وَبِهَا جَامِعٌ حَسَنُ الْبِنَاءِ بَنَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ لَهُ صَوْمَعَةٌ مُثَمَّنَةٌ بَدِيعَةُ الْعَمَلِ وَحَمَّامَاتٌ وَفَنَادِقُ كَثِيرَةٌ وَأَسْوَاقٌ حَافِلَةٌ مَقْصُودَةٌ. وَأَهْلُهَا ذَوُو يَسَارٍ أَكْثَرُهُمْ أَقْبَاطٌ. وَلَهَا مَرْسًى عَلَى الْبَحْرِ يُعْرَفُ بِالْمَاحُورِ لَهَا ثَلَاثَةُ قُصُورٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا. وَلَيْسَ لِمَبَانِي مَدِينَةِ أَجْدَابِيَةَ سُقُوفُ خَشَبٍ. إِنَّمَا هِيَ أَقْبَاءُ طُوبٍ لِكَثْرَةِ رِيَاحِهَا وَدَوَامِ هُبُوبِهَا. وَهِيَ رَاخِيَةُ الأَسْعَارِ كَثِيرَةُ التَّمْرِ يَأْتِيهَا مِنْ مَدِينَةِ أَوْجِلَةَ أَصْنَافُ التَّمْرِ (للبكري)

٤٤٠ (أَغْمَاتُ). فِي مَكَانٍ أَفْيَحَ طَيِّبِ التُّرَابِ كَثِيرِ النَّبَاتِ وَالأَعْشَابِ. وَالْمِيَاهُ تَخْتَرِقُهُ يَمِينًا وَشِمَالًا وَحَوْلَهَا جَنَّاتٌ مُحْدِقَةٌ

وَبساتِينُ وأَشجارٌ مُلتفَّةٌ . وهي طيّبةُ المُقامِ صحيحةُ الهواء . وبها نهر ليس بالكبيرِ يشقّ المدينةَ ويأتيها من جنوبيّها ويخرجُ من شماليّها وربّما جمد بها النّهرُ في الشتاء حتّى يجتازَ الأطفالُ عليه . قال : وهذا شيءٌ عاينّاه بها غيرَ مرّةٍ . وتُسمّى هذه أغماتُ وريكةَ . قال ابنُ سعيدٍ : ومدينةُ أغماتَ في شماليِّ جبلِ درنٍ وهي كانت حاضرةَ البلادِ قبلَ بنيانِ مراكشَ . وهي ذاتُ مياهٍ وفواكهَ كثيرةٍ . وهي في الجنوبِ بميلةٍ إلى الشّرقِ عن مراكشَ وهي من أقصى المغربِ . قال ابنُ سعيدٍ أيضاً : كانت كرسيَّ مُلكِ أميرِ المُسلمينَ يوسفَ بنِ تاشفينَ قبلَ أن يختطَّ مدينةَ مراكشَ ويبنيها وهي مدينةٌ قديمةٌ

(للادريسي)

٤٤١ (الإسكندريّةُ). على شطِّ بحرِ الرّومِ وبها المنارةُ المشهورةُ . وبها عمودُ السّواري وطولُه نحوُ ثلاثٍ وأربعينَ ذراعاً . والمنارةُ في وسطِ الماءِ والبحرُ محيطٌ بها وهي من بناءِ الإسكندرِ ولذلكَ نُسبتْ إليهِ وهي موضوعةٌ على رقعةِ الشّطرنجِ . وهي من أجلِّ المدنِ وأزقّتها كالصّلبانِ لا يضيعُ فيها الغريبُ . ولها جزيرةٌ فيها بساتينُ ومنازهُ . والحنطةُ تُجلبُ إلى الإسكندريّةِ ولذلكَ لا تكونُ مُرخَصةً لأنّ أرضَها سبخةٌ . ولها سورٌ من الحجرِ . ولها أربعةُ أبوابٍ . بابُ رشيدٍ وبابُ سدرةَ وبابُ البحرِ وبابٌ رابعٌ لا يُفتحُ إلّا يومَ الجمعةِ

(لابي الفداء)

٤٤٢ (بُونَةُ). فِي سَاحِلِ أَفْرِيقِيَّةَ عَلَى آخِرِ سَلْطَنَةِ بِجَايَةَ وَأَوَّلِ سَلْطَنَةِ أَفْرِيقِيَّةَ. وَلَهَا نَهْرٌ مُتَوَسِّطٌ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ عَنْهَا. قَالَ فِي الْعَزِيزِيِّ: وَمَدِينَةُ بُونَةَ هٰذِهِ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ عَامِرَةٌ عَلَى الْبَحْرِ خَصْبَةُ الزَّرْعِ كَثِيرَةُ الْفَوَاكِهِ رَخِيَّةٌ. وَبِظَاهِرِهَا مَعَادِنُ الْحَدِيدِ وَيُزْرَعُ بِهَا كَتَّانٌ كَثِيرٌ. وَحَدَثَ بِهَا عَنْ قَرِيبٍ مَغَاصٌ عَلَى الْمَرْجَانِ لَيْسَ كَمَرْجَانِ مَرْسَى الْخَرَزِ. قَالَ الْإِدْرِيسِيُّ: وَبُونَةُ وُسْطَةٌ لَيْسَتْ بِالْكَبِيرَةِ وَلَا بِالصَّغِيرَةِ. وَهِيَ عَلَى نَحْرِ الْبَحْرِ. وَكَانَتْ لَهَا أَسْوَاقٌ حَسَنَةٌ وَبَسَاتِينُ قَلِيلَةٌ وَأَكْثَرُ فَوَاكِهِهَا مِنْ بَادِيَتِهَا (لابن سعيد)

٤٤٣ (تَهُوذَا). مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى مَدِينَةٌ آهِلَةٌ كَثِيرَةُ الثِّمَارِ وَالنَّخِيلِ وَالزَّرْعِ. وَهِيَ مَدِينَةٌ أَوَّلِيَّةٌ بُنْيَانُهَا بِالْحَجَرِ. وَلَهَا أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَحَوْلَهَا رَبَضٌ قَدْ خُنْدِقَ عَلَى جَمِيعِهِ وَأُسْتُدَارَ بِالْمَدِينَةِ. وَبِهَا جَامِعٌ جَلِيلٌ وَمَسَاجِدُ كَثِيرَةٌ وَأَسْوَاقٌ وَفَنَادِقُ وَنَهْرٌ يَنْصَبُّ فِي جَوْفِهَا مِنْ جَبَلِ أَوْرَاسَ. سُكَّانُهَا الْعَرَبُ وَقَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ. وَإِنْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ يُجَاوِرُهُمْ حَرْبٌ أَرْسَلُوا مَاءَ النَّهْرِ فِي الْخَنْدَقِ الْمُحِيطِ بِمَدِينَتِهِمْ فَشَرِبُوا مِنْهُ وَامْتَنَعُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ بِهِ. وَفِي الْمَدِينَةِ بِئْرٌ لَا تُنْزَحُ أَوَّلِيَّةٌ وَآبَارٌ كَثِيرَةٌ طَيِّبَةٌ. وَأَعْدَاؤُهُمْ هَوَّارَةُ وَمِكْنَاسَةُ. وَأَهْلُ تَهُوذَا عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ. وَحَوْلَهَا بَسَاتِينُ كَثِيرَةٌ مِنْ أَصْنَافِ الثِّمَارِ وَضُرُوبِ الْبَزْرِ يَجُودُ بِهَا الْبُزُورُ وَحَوَالَيْهَا أَزْيَدُ مِنْ عِشْرِينَ قَرْيَةً (البكري)

٤٤٤ (تُونِس). قَاعِدَةُ أَفْرِيقِيَّةَ وَهِيَ عَلَى بُحَيْرَةٍ مَالِحَةٍ خَارِجَةٍ مِنَ الْبَحْرِ. وَبَيْنَ سَاحِلِ الْبُحَيْرَةِ عِنْدَ تُونِس وَبَيْنَ فَمِهَا عِنْدَ الْبَحْرِ عَشَرَةُ أَمْيَالٍ. وَهُوَ مَسَافَةُ الْبَحْرِ عَنْ تُونِسَ. وَدَوْرُ هٰذِهِ الْبُحَيْرَةِ نَحْوُ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مِيلًا. قَالَ فِي الْعَزِيزِيِّ: وَمَدِينَةُ تُونِسَ مَدِينَةٌ جَلِيلَةٌ قَدِيمَةُ الْبِنَاءِ. وَلَهَا مِيَاهٌ ضَعِيفَةٌ جَارِيَةٌ يُزْرَعُ عَلَيْهَا. وَهِيَ كَثِيرَةُ الْغَلَّاتِ خِصْبَةٌ. وَجَبَلُ زَغْوَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا. وَهُوَ عَنْهَا فِي جِهَةِ الْغَرْبِ بِمَيْلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ (لابي الفداء)

٤٤٥ (تِيهَرْت). مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ مِنَ الْغَرْبِ الْأَوْسَطِ لَهَا ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ. وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جَزُولُ. وَلَهَا قَصَبَةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى السُّوقِ تُسَمَّى الْمَعْصُومَةَ. وَهِيَ عَلَى نَهْرٍ يَأْتِيهَا مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ يُسَمَّى مِينَةَ. وَهُوَ فِي قِبْلِيِّهَا. وَنَهْرٍ آخَرَ يَجْرِي مِنْ عُيُونٍ تَجْتَمِعُ تُسَمَّى تَاتَشَ وَمِنْ تَاتَشَ شُرْبُ أَهْلِهَا وَبَسَاتِينِهَا وَهُوَ فِي شَرْقِيِّهَا وَفِيهَا جَمِيعُ الثِّمَارِ وَسَفَرْجَلُهَا يَفُوقُ سَفَرْجَلَ الْآفَاقِ حُسْنًا وَطَعْمًا وَمَشَمًّا. وَسَفَرْجَلُهَا يُسَمَّى بِالْفَارِسِ. وَهِيَ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ كَثِيرَةُ الْغُيُومِ وَالثَّلْجِ

٤٤٦ (دِمْيَاط). مَدِينَةٌ فَسِيحَةُ الْأَقْطَارِ. مُتَنَوِّعَةُ الثِّمَارِ عَجِيبَةُ التَّرْتِيبِ أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ بِنَصِيبٍ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ وَأَهْلُ الدُّورِ الْمُوَالِيَةِ لَهُ يَسْتَقُونَ مِنْهُ الْمَاءَ بِالدِّلَاءِ. وَكَثِيرٌ مِنْ دُورِهَا بِهَا دَرَكَاتٌ يُنْزَلُ فِيهَا إِلَى النِّيلِ. وَشَجَرُ الْمَوْزِ بِهَا كَثِيرٌ يُحْمَلُ إِلَى مِصْرَ فِي الْمَرَاكِبِ وَغَنَمُهَا سَائِمَةٌ هَمَلًا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَلِهٰذَا يُقَالُ فِي دِمْيَاط

سُورُهَا حلوانٌ وكلاهما غنمٌ . وإذا دخلها أحدٌ لم يكن له سبيلٌ إلى الخروج عنها إلّا بطابعِ الوالي . فمن كان من الناس معتبرًا طُبع له في قطعةِ كاغدٍ يستظهرُ به لحراسِ بابها . وغيرُهم يُطبعُ على ذراعه فيستظهرُ به (لابن بطوطة)

قالَ أبو الفداء : وخربت دمياطُ في سنةِ ثمانٍ وأربعين وستمائةٍ . وكانت أسوارُها من عمارةِ المتوكّلِ الخليفةِ العباسيِّ . وكان سببُ تخريبِها ما قاساهُ المسلمون عليها من الشدّةِ مرّةً بعد أخرى بسببِ قصدِ الفرنجِ إيّاها بجموعهم مرّةً بعد أخرى

٤٤٧ (مَرَّاكُشُ) . من المغربِ الأقصى محدثةٌ بناها يوسفُ بنُ تاشفين في أرضٍ صحراويةٍ . وجلبَ إليها المياهَ وأكثرَ الناسُ فيها البساتينَ فكثرَ وخمُها . ولا يكادُ الغريبُ يسلمُ فيها من الحمى . وجنوبيَّ مملكةِ مراكشَ جبلُ درنٍ وشماليها مملكةُ سلا وغربيها البحرُ المحيطُ . وشرقيها الجهاتُ التي بين سجلماسةَ وفاسَ . ودورُ مراكشَ سبعةُ أميالٍ ولها سبعةَ عشرَ بابًا . وحرُّها شديدٌ وهي في شمالي أغماتَ بميلةٍ يسيرةٍ إلى الغربِ وبينهما نحوُ خمسةَ عشرَ ميلًا (لابن سعيد)

الباب الثاني عشر
في التاريخ

خلق العالم والابوين الاولين وسقوطهما

٤٤٨ آدم أبو البشر خُلِق بعد أن خلق الله تعالى السماء العليا أي الفلك التاسع المتحرك بالحركة الأولى من المشرق إلى المغرب. والأرض وتسع مراتب الملائكة والنور والأركان الأربعة. وخلق تعالى في اليوم الثاني الرقيع وهو سماء الدنيا أي الفلك الثامن وما في ضمنه من الأرقعة السبع (١) وفي اليوم الثالث أمر الله تعالى الماء فاجتمع إلى مكان واحد صار بحرًا. وأظهرت الأرض منبتة عشبًا وأشجارًا مثمرة وغير مثمرة. وفي اليوم الرابع قال عزّ من قائل: لتكن مصابيح أي كواكب في علو الرقيع للفصل بين النهار والليل ولدلالات الأوقات والأيام والأعوام. فرصعت الثوابت بالفلك الثامن والنيران والخمسة المتحيرة كلٌّ بفلكه. واستولت الشمس على سلطان النهار. واستولى القمر على سلطان الليل. وبقي الفلك التاسع وحده متطلسًا. وفي اليوم الخامس خلق الله تعالى التنانين

(*) قد اقتصرنا من التاريخ في هذا الجزء على ما يتعلق بخلق العالم وذكر من اشتهر في اوائل الدهر من اولياء الله واخبار بني اسرائيل. وسنورد في الاجزاء التالية تاريخ الامم القديمة من نحو الكلدان واليونان والرومان ثم تاريخ أمة الاسلام وحروبها

(١) ان ما ذكره ابو الفرج من احوال الافلاك وحركاتها مرفوض عند الفلكيين المتأخرين

ٱلعِظَامَ وَكُلَّ نَفسٍ مُتَحَرِّكَةٍ فِي ٱلْمَاءِ وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ . وَفِي ٱلْيَومِ ٱلسَّادِسِ خَلَقَ ٱللهُ تَعَالَى ٱلْأَرْضَ فَأَخرجَتْ أَنْفُسًا حَيَوَانِيَّةً بَهَائِمَ وَسِبَاعًا وَحَشَرَاتٍ . قَالَ ٱلْكِتَابُ ٱلْمُقَدَّسُ : إِنَّ ٱلرَّبَّ ٱلْإِلٰهَ جَبَلَ ٱلْإِنسَانَ تُرَابًا مِنَ ٱلْأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ فَصَارَ ٱلْإِنسَانُ نَفْسًا حَيَّةً . وَأَوْقَعَ ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَٱسْتَلَّ إِحْدَى أَضْلَاعِهِ وَسَدَّ مَكَانَهَا بِلَحْمٍ . وَبَنَى ٱلرَّبُّ ٱلْإِلٰهُ ٱلضِّلْعَ ٱلَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ ٱمْرَأَةً فَأَتَى بِهَا آدَمَ . وَأَسْكَنَهُمَا فِرْدَوْسَ عَدْنٍ وَهُوَ ٱلْجَنَّةُ . وَمُسْتَقَرُّهَا نَحْوَ ٱلْمَشْرِقِ . وَأَبَاحَهُمَا ٱلْأَكْلَ مِنْ جَمِيعِ ثِمَارِ ٱلْجَنَّةِ خَلَا شَجَرَةَ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ . وَأَرْدَفَ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلسَّبْتِ فَلَمْ يَخْلُقْ فِيهِ شَيْئًا ... ثُمَّ دَخَلَ ٱلشَّيْطَانُ فِي ٱلْحَيَّةِ وَخَدَعَتْ حَوَّاءَ فَأَكَلَتْ مِنَ ٱلثَّمَرَةِ ٱلَّتِي نَهَاهُمَا ٱللهُ تَعَالَى عَنِ ٱلْأَكْلِ مِنْهَا . وَأَعْطَتْ أَيْضًا آدَمَ بَعْلَهَا فَأَكَلَ . فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُ قَلْبَيْهِمَا . وَأُهْبِطَ بِهِمَا مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ إِلَى ٱلْأَرْضِ . وَقَدِ ٱخْتَلَفَتْ عُلَمَاؤُنَا فِي أَمْرِ ٱلثَّمَرَةِ ٱلْمَنْهِيِّ عَنْهَا فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا ٱلْبُرُّ . وَقَالَ آخَرُ إِنَّهَا ٱلْعِنَبُ . وَقَالَ ٱلْأَكْثَرُونَ إِنَّهَا ٱلتِّينُ

ابناء آدم

٤٤٩ ثُمَّ بَعْدَ سِتِّينَ سَنَةً لِلِانْتِفَاءِ مِنَ ٱلْجَنَّةِ وَلَدَتْ حَوَّاءُ قَايِينَ ثُمَّ هَابِيلَ . وَقَرَّبَ قَايِينُ قُرْبَانًا مِنْ ثِمَارِ أَرْضِهِ لِكَوْنِهِ فَلَّاحًا . فَلَمْ يُقْبَلْ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ . وَرَفَعَ هَابِيلُ قُرْبَانًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ لِكَوْنِهِ رَاعِيًا فَقُبِلَ لِحُسْنِ سِيرَتِهِ . فَأَسَرَّ قَايِينُ عَدَاوَةَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ غِيلَةً

وَمِنْ بَنِي آدَمَ شِيتُ يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنِ ٱبْتَدَعَ ٱلْكِتَابَةَ وَشَوَّقَ وُلْدَهُ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلسَّعِيدَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِأَبَوَيْهِ فِي ٱلْجَنَّةِ. فَٱنْقَطَعُوا إِلَى جَبَلِ حَرْمُونَ مُنْعَكِفِينَ عَلَى ٱلْعِبَادَةِ وَٱلنُّسْكِ وَٱلْعِفَّةِ. فَسُمُّوا لِذٰلِكَ بَنِي أُلُوهِيمَ أَيِ ٱلْإِلٰهِ. وَوَلَدَ شِيتُ أَنُوشَ وَيُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ دَعَا ٱسْمَ ٱلرَّبِّ. وَمَنَحَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى مَعْرِفَةَ ٱلْأَكْوَانِ وَمَسِيرِ ٱلْكَوَاكِبِ وَوُلِدَ لِأَنُوشَ قِينَانُ وَلِقِينَانَ مَهْلَئِيلُ وَلِمَهْلَئِيلَ يَارِدُ وَلِيَارِدَ أَخْنُوخُ. وَتَمَسَّكَ أَخْنُوخُ هٰذَا بِوَصَايَا ٱللّٰهِ ٱلطَّاهِرَةِ وَعَمِلَ بِهَا. وَتَتَبَّعَ ٱلْخَيْرَ وَصَدَفَ عَنِ ٱلشَّرِّ مُوَاظِبًا عَلَى ٱلْعِبَادَةِ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ. فَنَقَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ حَيًّا وَقِيلَ إِلَى ٱلْفِرْدَوْسِ. وَأَخْنُوخُ وُلِدَ لَهُ لَامَكُ وَلَامَكُ وُلِدَ لَهُ نُوحُ (لابي الفرج الملطيّ باختصار)

ذكر الطوفان

٤٥٠ ذَكَرَ أَهْلُ ٱلْأَخْبَارِ أَنَّ نُوحًا أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ وَأَنَّ قَوْمَهُ كَانُوا أَهْلَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ. فَبَعَثَ لَهُمْ نُوحُ فَدَعَاهُمْ إِلَى ٱللّٰهِ فَكَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ. وَهُوَ يَقُولُ: أَللّٰهُمَّ ٱغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. فَلَمَّا كَثُرَ ٱسْتِخْفَافُهُمْ بِهِ. أَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ فَإِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ. فَأَقْبَلَ عَلَى قَطْعِ ٱلْخَشَبِ وَضَرْبِ ٱلْحَدِيدِ وَتَهْيِئَةِ ٱلْعُودِ بِٱلْقَارِبِ وَغَيْرِهِ. فَصَنَعَهُ مِنْ خَشَبِ ٱلسَّاجِ وَجَعَلَ طُولَهُ ثَلَاثَ مِائَةِ ذِرَاعٍ. وَعَرْضَهُ خَمْسِينَ ذِرَاعًا. وَطُولَهُ فِي ٱلسَّمَاءِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا. وَكَانَ قَوْمُهُ فِي خِلَالِ صُنْعِهِ ٱلسَّفِينَةَ يَأْتُونَهُ أَفْوَاجًا يَسْتَخِفُّونَ

عقلَهُ . ويعدُّون فعلَهُ من جنونِهِ ويقولون لهُ: عملتَ سفينةً في البرِّ. فيقول لهم: سوف تعلمون . فلمَّا اطمأنُّوا في الفلكِ فُتحت أبوابُ السماءِ بماءٍ منهمرٍ وتفجَّرتِ الأرضُ عيونًا . فكان بين إرسالِ الماءِ وارتفاعهِ أربعون يومًا . فلمَّا بلغَ الماءُ إليهم أووا إلى الجبالِ فكانتِ الجبالُ تستقبلهم بالحجارةِ وتغرقهم في الماء فماتوا غرقًا . وارتفعَ الفلكُ وجعلَ يجري في موجٍ كالجبالِ ودارَ الأرضَ ولم يبقَ شيءٌ من الخلائقِ ولا من الشجرِ إلَّا هلكَ إلَّا نوحٌ ومن معهُ . وانتهتِ الفلكُ أخيرًا إلى جبلٍ عالٍ فنزلت عليه (للشريشي باختصار)

ابناء نوح

٤٥١ وقسمَ نوحٌ المسكونةَ بين بنيهِ عرضًا من الجنوبِ إلى الشمالِ. فأعطى بلادَ السودانِ حامًا وبلادَ السمرِ سامًا وبلادَ الشقرِ يافثَ . ثمَّ ماتَ ولهُ تسعمائةٍ وخمسون سنةً . فمن خلقِ العالمِ إلى ورودِ الطوفانِ على الرأيِ السبعينيِّ ألفانِ ومائتانِ واثنتانِ وأربعون سنةً . وسامُ بنُ نوحٍ وُلدَ لهُ أرفخشادُ وقيلَ إنَّ نوحًا أوصى إلى سامَ ابنهِ وقالَ لهُ: إني إذا متُّ فأخرجْ تابوتَ أبينا آدمَ من الفلكِ وخذْ معكَ من أولادكَ ملكيصاداقَ (*) وسيرا معًا بالتابوتِ إلى حيثُ يهديكما ملاكُ الربِّ . فعملا بهذهِ الوصيةِ

(*) لم تذكر التوراة ان ملكيصادق من ابناء سام وانما هو رأيٌ . واما دفن عظام آدم في جبل المقدس فقد ذكرهُ قدماء المؤرخين

وَهَدَاهُمَا ٱلْمَلَاكُ إِلَى جَبَلِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَوَضَعَا ٱلتَّابُوتَ عَلَى قُلَّةٍ هُنَاكَ فَغَاصَ فِيهَا. فَعَادَ سَامٌ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يَعُدْ مَلْكِيصَادَقُ لٰكِنَّهُ بَنَى ثَمَّ مَدِينَةً ٱسْمُهَا أُورَشَلِيمُ أَيْ قَرْيَةُ ٱلسَّلَامِ. وَسَكَنَهَا بَاقِيَ أَيَّامِهِ لَهِجًا بِٱلْعِبَادَةِ وَمَا أَرَاقَ دَمًا. وَكَانَ قُرْبَانُهُ خُبْزًا وَخَمْرًا فَقَطْ... وَقَدْ ضُرِبَ مَثَلًا لِلْمَسِيحِ فِي نُبُوءَةِ دَاوُدَ حَيْثُ قَالَ: أَنْتَ ٱلْكَاهِنُ إِلَى ٱلْأَبَدِ بِهَيْئَةِ مَلْكِيصَادَقَ. وَعَلَى تِلْكَ ٱلْقُلَّةِ ٱلَّتِي فِيهَا قَبْرُ آدَمَ صُلِبَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ.

برج بابل وتبلبل الالسنة

٤٥٢ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ قَالَ ٱلنَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَلُمُّوا نَضْرِبْ لَبِنًا وَنَحْرِقْ آجُرًّا وَنَبْنِ صَرْحًا شَامِخًا فِي عُلُوِّ ٱلسَّمَاءِ يَكُونُ لَنَا ذِكْرًا كَيْلَا نَتَبَدَّدَ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ. فَلَمَّا جَدُّوا بِذٰلِكَ فِي أَرْضِ شِنْعَارَ وَنُمْرُودُ بْنُ كُوشَ قَاتَ رَاصِفِي ٱلصَّرْحِ بِصَيْدِهِ. وَهُوَ أَوَّلُ مَلِكٍ قَامَ بِأَرْضِ بَابِلَ. قَالَ ٱللهُ: هٰذَا ٱبْتِدَاءُ عَمَلِهِمْ وَلَا يَعْجِزُونَ عَنْ شَيْءٍ يَهْتَمُّونَ بِهِ. سَوْفَ أُفَرِّقُ لُغَاتِهِمْ لِئَلَّا يَعْرِفَ أَحَدُهُمْ مَا يَقُولُ ٱلْآخَرُ. فَبَدَّدَ ٱللهُ شَمْلَهُمْ عَلَى وَجْهِ ٱلْأَرْضِ. وَأَرْسَلَ رِيَاحًا عَاصِفَةً فَهَدَمَ ٱلصَّرْحَ وَمَاتَ فِيهِ نُمْرُودُ ٱلْجَبَّارُ. وَتَبَلْبَلَتْ لُغَاتُ ٱلْآدَمِيِّينَ فَدُعِيَ ٱسْمُ ٱلْمَوْضِعِ بَابِلَ

ذكر ابرهيم

٤٥٣ تَارَحُ بْنُ نَاحُورَ وَلَدَ إِبْرٰهِيمَ. وَبَنَى مُورْفُوسُ مَلِكُ فِلَسْطِينَ مَدِينَةَ دِمَشْقَ قَبْلَ مِيلَادِ إِبْرٰهِيمَ بِعِشْرِينَ سَنَةً. وَلَمَّا بَلَغَ عُمْرُهُ سِتِّينَ

سنةً أحرق إبرهيم هيكل الأصنام بقرية الكلدانيين ودخل هاران أخوه ليطفي النار فاحترق ولذلك فرّ إبرهيم وعمره ستون سنة مع أبيه تارح وناحور أخيه ولوط بن هاران أخيه المحترق إلى مدينة حرّان وسكنها أربع عشرة سنة. ثم خاطبه الله قائلًا: انتقل عن هذه الأرض التي هي ديار آبائك إلى حيث آمرك. فأخذ سارا امرأته ولوط ابن أخيه وصعد إلى أرض كنعان. وحارب ملوك كدرلاعومر وقهرهم. وفي سنة خمس وثمانين من عمره وعده الله أن يجعل نسله كعدد الكواكب التي في السماء وذرّيته كرمل البحار. فوثق إبرهيم بالله حق الثقة. وبعد مائة سنة مضت من عمر إبرهيم وُلد له إسحاق من سارا. ولمّا حصل لإسحاق تسع عشرة سنة أصعده إبرهيم لجبل نابو (والصحيح جبل موريا) ليضحّي به ضحيّة لله تعالى. ففداه الله بحمل مأخوذ من الشجرة وأنقذه. ولمّا بلغ إسحاق أربعين سنة نزل إيليعازر وليد بيت إبرهيم إلى حرّان وجاء برفقا زوجة إسحاق. ولمّا توفي إبرهيم دُفن إلى جانب سارا زوجته في المغارة المضاعفة التي ابتاعها من عفرون الحثي

ذكر إسحاق وولديه

٤٥٤ وإسحاق بن إبرهيم وُلد له توأمان يعقوب وعيسو. وكان يعقوب الأصغر. وفي سبع وسبعين سنة من عمره أخذ من عيسو

أَخِيهِ ٱلْبُكُورَةَ وَمِنْ إِسْحَاقَ أَبِيهِ تَبْرِيكَ ٱلْبُكُورَةِ بِٱلْحِيلَةِ ٱلْمَذْكُورَةِ فِي ٱلتَّوْرَاةِ. وَهِيَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمَّا طَعَنَ فِي ٱلسِّنِّ ذَهَبَ بَصَرُهُ. وَكَانَ عِيسُو أَزَبَّ وَيَعْقُوبُ أَجْرَدَ. فَأَلْبَسَتْهُ أُمُّهُ مَسْكَ جَدْيٍ وَقَدَّمَتْهُ إِلَى إِسْحَاقَ فَقَالَ يَعْقُوبُ: هٰذَا عِيسُو ٱبْنُكَ أَعْطِهِ بَرَكَةَ بُكُورَتِهِ فَجَسَّهُ إِسْحَاقُ وَقَالَ: مَجَسَّةُ عِيسُو وَشَمَائِلُ يَعْقُوبَ. وَمَعَ ٱرْتِيَابِهِ فِيهِ لَمْ يَأْبَ تَبْرِيكَهُ. وَلَمَّا حَنِقَ عَلَيْهِ عِيسُو أَخُوهُ هَرَبَ مِنْ قُدَّامِهِ إِلَى حَرَّانَ. وَرَأَى يَعْقُوبُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ فَارًّا مِنْ أَخِيهِ فِي مَنَامِهِ سُلَّمًا مَنْصُوبًا فِي ٱلْأَرْضِ رَأْسُهُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَٱلْمَلَائِكَةَ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَيْهِ وَعَظَمَةُ ٱللّٰهِ ظَاهِرَةً فِي أَعْلَاهُ. فَٱنْتَبَهَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: لَا رَيْبَ أَنَّ هٰذَا بَيْتُ ٱللّٰهِ. فَأَخَذَ ٱلْحَجَرَ ٱلَّذِي كَانَ تَحْتَ رَأْسِهِ وَنَصَبَهُ مَذْبَحًا. وَسَكَبَ عَلَيْهِ دُهْنًا رَمْزًا إِلَى دُهْنِ ٱلْمَيْرُونِ ٱلَّذِي بِهِ تَتَقَدَّسُ هَيَاكِلُ ٱللّٰهِ عِنْدَنَا. وَوَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى بَيْتِ لَابَانَ وَٱخْتَطَبَ رَاحِيلَ وَلَيَّا ٱبْنَتَيْهِ. وَوَلَدَتْ لَهُ لَيَّا رُوبِيلَ أَيِ ٱلْعَظِيمَ لِلّٰهِ ثُمَّ شِمْعُونَ أَيِ ٱلطَّائِعَ ثُمَّ لَاوِيَ أَيِ ٱلتَّامَّ ثُمَّ يَهُوذَا أَيِ ٱلشَّاكِرَ. وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ظَهَرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْمَسِيحُ ٱلْمَدْعُوُّ ٱبْنَ دَاوُدَ بِٱلْجَسَدِ. ثُمَّ إِيسَاخَرَ أَيْ حَاضِرَ ٱلرَّجَاءِ ثُمَّ زَبُولُونَ أَيِ ٱلنَّجَاةَ مِنْ هَوْلِ ٱللَّيْلِ. وَوَلَدَتْ بَلْهَةُ أَمَةُ رَاحِيلَ دَانًا أَيِ ٱلْحَكَمَ وَنَفْتَالِيَ أَيِ ٱلْمُتَضَرِّعَ. وَوَلَدَتْ رَاحِيلُ ٱبْنَيْنِ يُوسُفَ أَيِ ٱلزِّيَادَةَ ثُمَّ بَنْيَامِينَ. وَوَلَدَتْ زِلْفَا أَمَةُ لَيَّا جَادَ أَيِ ٱلْحَظَّ ثُمَّ أَشِيرَ أَيِ ٱلْمَجْدَ. وَجُمْلَةُ بَنِي يَعْقُوبَ ٱثْنَا عَشَرَ وَهُمُ ٱلْأَسْبَاطُ

أيْ قبائلُ بني إسرائيل . وبعدَ ميلادِ لاوي بثلاثِ سنين ولدت راحيلُ يوسفَ وبيعَ ابنَ سبعَ عشرةَ سنةً (لابي الفرج الملطي باختصار)

ذكر اسر يوسف

٤٥٥ لمّا كانَ يوسفُ من الحُسنِ ومن حبِّ أبيهِ على ما اشتهرَ حسدَتهُ إخوتُهُ وألقوهُ في الجبِّ . وأقام يوسفُ في الجبِّ حتى مرّتْ بإخوتِهِ السيّارةُ . فأخرجوا يوسفَ من الجبِّ وباعوهُ للعربِ بثمنٍ بخسٍ . قيلَ عشرونَ درهماً . وذهبوا بهِ إلى مصرَ فباعهُ أستاذهُ فاشتراهُ الذي على خزائنِ مصرَ . قالَ ابنُ إسحاقَ : اشتراهُ عزيزُ مصرَ وهو وزيرُها أو صاحبُ شرطتِها واسمُهُ إطفيرُ وقيلَ فوطيفارُ . وكانَ فرعونُ مصرَ حينئذٍ الريّانَ بنَ الوليدِ رجلاً منَ العماليقِ (*) . ولمّا اشترى العزيزُ يوسفَ راودتهُ امرأتُهُ عن نفسِها فأبى وهربَ منها . ووصلَ أمرُها إلى زوجِها . وما زالتْ تشكو إليهِ من يوسفَ حتّى حبسهُ ودامَ في السجنِ . ثمّ عبرَ الرؤيا للمحبوسينَ من أصحابِ الملكِ والرؤيا التي أُريها فرعونُ . ثمّ استعملهُ ملكُ مصرَ عندَ ما خشيَ السنةَ والغلاءَ على خزائنِ الزرعِ في سائرِ مملكتهِ بقدرِ جمعِها وتصريفِ الأرزاقِ منها وأطلقَ يدهُ بذلكَ في جميعِ أعمالهِ وألبسهُ خاتمهُ وحملهُ على مركبتهِ . ويوسفُ لذلكَ العهدِ ابنُ ثلاثينَ سنةً . وكانَ ذلكَ سبباً لانتظامِ شملهِ بأبيهِ وإخوتهِ لمّا أصابتهم السنةُ بأرضِ كنعانَ . وجاءَ

(*) لم يقع الينا تاريخ بذكر اسم الريان بن الوليد بين الفراعنة

بَعْضَهُمْ لِلْمِيرَةِ وَكَالَ لَهُمْ يُوسُفُ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِضَاعَتَهُمْ وَطَالَبَهُمْ بِحُضُورِ أَخِيهِمْ. فَكَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ سَبَبًا لِاجْتِمَاعِهِ بِأَبِيهِ يَعْقُوبَ بَعْدَ أَنْ كَبِرَ وَعَمِيَ. وَلَمَّا وَصَلَ يَعْقُوبُ إِلَى بِلْبِيسَ قَرِيبًا مِنْ مِصْرَ خَرَجَ يُوسُفُ لِلِقَائِهِ. وَأَطْلَقَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ أَرْضَ بِلْبِيسَ يَسْكُنُونَ بِهَا وَيَنْتَفِعُونَ. وَعَاشَ يَعْقُوبُ مُجْتَمِعًا بِبَنِيهِ سَبْعَ سِنِينَ وَأَوْصَى يُوسُفَ قَبْلَ وَفَاتِهِ أَنْ يَدْفِنَهُ مَعَ أَبِيهِ إِسْحَاقَ. فَفَعَلَ يُوسُفُ ذٰلِكَ. فَسَارَ بِهِ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَخَرَجَ مَعَهُ أَكَابِرُ مِصْرَ وَشُيُوخُهَا بِإِذْنٍ مِنْ فِرْعَوْنَ. وَٱنْتَهَوْا إِلَى مَدْفِنِ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحَاقَ فَدَفَنُوهُ فِي ٱلْمَغَارَةِ عِنْدَهُمَا. وَٱنْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ إِلَى أَنْ أَدْرَكَتْهُ ٱلْوَفَاةُ فَقُبِضَ لِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ. وَأُدْرِجَ فِي تَابُوتٍ وَخُتِمَ عَلَيْهِ وَدُفِنَ. وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُحْمَلَ عِنْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ فَيُدْفَنَ هُنَالِكَ. وَلَمْ تَزَلْ وَصِيَّتُهُ مَحْفُوظَةً إِلَى أَنْ حَمَلَهُ مُوسَى عِنْدَ خُرُوجِهِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ

(لابي الفداء وابن الاثير وغيرهما)

ولادة موسى

٤٥٦ وَبَعْدَ وَفَاةِ يُوسُفَ أَقَامَ ٱلْأَسْبَاطُ بِمِصْرَ وَتَنَاسَلُوا وَكَثُرُوا حَتَّى ٱرْتَابَ ٱلْقِبْطُ بِكَثْرَتِهِمْ وَٱسْتَعْبَدُوهُمْ. وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أَنَّ مَلِكًا مِنَ ٱلْفَرَاعِنَةِ جَاءَ بَعْدَ يُوسُفَ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَهُ وَلَا مَقَامَهُ فِي دَوْلَةِ آبَائِهِ. فَٱسْتَرَقَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَٱسْتَعْبَدَهُمْ. فَعَمَدَ ٱلْفَرَاعِنَةُ إِلَى قَطْعِ نَسْلِهِمْ بِذَبْحِ ٱلذُّكُورِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ. فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذٰلِكَ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَانِ

حَتَّى وُلِدَ مُوسَى وَهُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ لَاوِي مِنَ ٱلْقَادِمِينَ إِلَى مِصْرَ مَعَ يَعْقُوبَ. وَوُلِدَ عِمْرَانُ بِمِصْرَ وَوُلِدَ هَارُونُ لِثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِنْ عُمْرِهِ وَمُوسَى لِثَمَانِينَ فَجَعَلَتْهُ أُمُّهُ فِي تَابُوتٍ. وَأَلْقَتْهُ فِي ضَحْضَاحِ ٱلْيَمِّ وَأَرْصَدَتْ أُخْتَهُ عَلَى بُعْدٍ لِتَنْظُرَ مَنْ يَلْتَقِطُهُ فَتَعْرِفَهُ. فَجَاءَتِ ٱبْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى ٱلْبَحْرِ مَعَ جَوَارِيهَا فَرَأَتْهُ وَٱسْتَخْرَجَتْهُ مِنَ ٱلتَّابُوتِ. فَرَحِمَتْهُ وَقَالَتْ: هٰذَا مِنَ ٱلْعِبْرَانِيِّينَ فَمَنْ لَنَا بِظِئْرٍ تُرْضِعُهُ. فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهُ: أَنَا آتِيكُمْ بِهَا. وَجَاءَتْ بِأُمِّهِ فَٱسْتَرْضَعَتْهَا لَهُ ٱبْنَةُ فِرْعَوْنَ إِلَى أَنْ فُصِلَ. فَأَتَتْ بِهِ إِلَى ٱبْنَةِ فِرْعَوْنَ وَسَمَّتْهُ مُوسَى وَسَلَّمَتْهُ لَهَا. فَنَشَأَ عِنْدَهَا ثُمَّ شَبَّ وَخَرَجَ يَوْمًا يَمْشِي فِي ٱلنَّاسِ وَلَهُ صَوْلَةٌ بِمَا كَانَ لَهُ فِي بَيْتِ فِرْعَوْنَ مِنَ ٱلْمُرَبَّى وَٱلرَّضَاعِ فَهُمْ لِذٰلِكَ أَخْوَالُهُ. فَرَأَى عِبْرَانِيًّا يَضْرِبُهُ مِصْرِيٌّ فَقَتَلَ ٱلْمِصْرِيَّ ٱلَّذِي ضَرَبَهُ وَدَفَنَهُ. وَخَرَجَ يَوْمًا آخَرَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ سَطَا أَحَدُهُمَا عَلَى ٱلْآخَرِ فَزَجَرَهُ فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ جَعَلَكَ هٰذَا أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ ٱلْآخَرَ بِٱلْأَمْسِ. وَنَمَى ٱلْخَبَرُ إِلَى فِرْعَوْنَ فَطَلَبَهُ وَهَرَبَ مُوسَى إِلَى أَرْضِ مَدْيَنَ عِنْدَ عَقَبَةِ إِيلَةَ. وَبَنُو مَدْيَنَ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ بَنِي إِبْرٰهِيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانُوا سَاكِنِينَ هُنَالِكَ. وَكَانَ ذٰلِكَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ

(لابن خلدون)

بعثة موسى

٤٥٧ وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَى ثَمَانِينَ سَنَةً وَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ.

تراءى له ملاك الرب في جبل حوريب وهو طورسينا بلهيب النار في العوسج والعوسج لا يحترق فدعاه الله من العوسج قائلا: يا موسى. فقال: ها أنا. فقال له: حل نعليك من قدميك لأن المكان الذي أنت قائم عليه مقدس. ثم قال له الرب: قد سمعت استغاثة شعبي من المصريين ونزلت لخلاصهم على يدك. فقال موسى: من أنا حتى أمضي إلى فرعون رسولا. فقال له الله: أنا أكون معك. قال موسى: فإن قالوا لي ما اسم ربك فماذا أقول لهم. قال: قل الأزلي الذي لا يزال. فقال موسى: إن لساني ألثغ ثقيل النطق كيف يقبل مني فرعون. قال الله له: إني قد جعلتك إلها لفرعون وهارون أخاك نبيا بين يديك يقول لفرعون ما تقص عليه فيرسل ابني بكري إسرائيل. وأنا أقسي قلب فرعون فلا يطيعكما فأظهر آياتي بأرض مصر. فلما مضى موسى وهارون إلى فرعون بالرسالة. قال لهما: اصنعا لي آية. فألقى موسى عصاه فإذا هي تنين. فدعا فرعون السحرة ففعلوا كذلك. فابتلعت عصا موسى عصيهم. ومع هذا أبى فرعون أن يرسلهم. فصنع الرب بمصر من الآيات ما قد شرح في التوراة (لأبي الفرج الملطي)

خروج آل اسرائيل من مصر

٤٥٨ ثم تمادى فرعون في تكذيب موسى ومناصبته. واشتد جوره على بني إسرائيل واستعباده هم واتخاذهم سخريا في مهنة الأعمال

فَأَصَابَتْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ ٱلْجَوَائِحُ ٱلْعَشَرَةُ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى. يُسَائِلُهُمْ عِنْدَ وُقُوعِهَا وَيَتَضَرَّعُ إِلَى مُوسَى فِي ٱلدُّعَاءِ بِٱنْجِلَائِهَا إِلَى أَنْ أَوْحَى ٱللهُ إِلَى مُوسَى بِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ. فَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أَنَّهُمْ أُمِرُوا عِنْدَ خُرُوجِهِمْ أَنْ يَذْبَحَ أَهْلُ كُلِّ بَيْتٍ حَمَلًا مِنَ ٱلْغَنَمِ إِنْ كَانَ كِفَايَتَهُمْ أَوْ يَشْتَرِكُوا مَعَ جِيرَانِهِمْ إِنْ كَانَ أَكْثَرَ. وَإِنْ يَنْضَحُوا دَمَهُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ لِتَكُونَ عَلَامَةً. وَأَنْ يَأْكُلُوهُ سَوَاءً بِرَأْسِهِ وَأَطْرَافِهِ. وَمَعْنَاهُ لَا يَكْسِرُونَ مِنْهُ عَظْمًا وَلَا يَدَعُونَ شَيْئًا خَارِجَ ٱلْبُيُوتِ. وَلْيَكُنْ خُبْزُهُمْ فَطِيرًا ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ بَعْدَهُ. وَذَلِكَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ فَصْلِ ٱلرَّبِيعِ وَلْيَأْكُلُوا بِسُرْعَةٍ وَأَوْسَاطُهُمْ مَشْدُودَةٌ وَخِفَافُهُمْ فِي أَرْجُلِهِمْ وَعِصِيُّهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَخْرُجُوا لَيْلًا. وَمَا فَضَلَ مِنْ عَشَائِهِمْ ذَلِكَ يُحْرِقُوهُ بِٱلنَّارِ. وَشَرَعَ هَذَا عِيدًا لَهُمْ وَلِأَعْقَابِهِمْ وَيُسَمَّى عِيدَ ٱلْفِصْحِ. وَفِي ٱلتَّوْرَاةِ أَيْضًا أَنَّهُ قَتَلَ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ أَبْكَارَ ٱلنَّسَاءِ مِنَ ٱلْقِبْطِ وَدَوَابِّهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ. لِيَكُونَ لَهُمْ بِذَلِكَ شُغْلٌ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَنَّهُمْ أُمِرُوا أَنْ يَسْتَعِيرُوا مِنْهُمْ حُلِيًّا كَثِيرًا يَخْرُجُونَ بِهِ فَٱسْتَعَارُوهُ. وَخَرَجُوا فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ ٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ وَكَانُوا سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ. وَشُغِلَ ٱلْقِبْطُ عَنْهُمْ بِٱلْمَآتِمِ ٱلَّتِي كَانُوا فِيهَا عَلَى مَوْتَاهُمْ. وَأَخْرَجُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ يُوسُفَ ٱسْتَخْرَجَهُ مُوسَى مِنَ ٱلْمَدْفِنِ ٱلَّذِي كَانَ بِهِ بِإِلْهَامٍ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى. وَسَارُوا لِوَجْهِهِمْ حَتَّى ٱنْتَهَوْا إِلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ

وَأَدْرَكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَأُمِرَ مُوسَى بِأَنْ يَضْرِبَ ٱلْبَحْرَ بِعَصَاهُ وَيَقْتَحِمَهُ. فَضَرَبَهُ فَٱنْفَلَقَ وَسَارَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَفِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فِي أَتْبَاعِهِ فَهَلَكُوا. وَنَزَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ وَسَبَّحُوا مَعَ مُوسَى بِٱلتَّسْبِيحِ ٱلْمَنْقُولِ عِنْدَهُمْ. وَهُوَ نُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ ٱلْبَهِيَّ ٱلَّذِي قَهَرَ ٱلْجُنُودَ وَنَبَذَ فُرْسَانَهَا فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْمَنِيعِ ٱلْمَحْمُودَ إِلَى آخِرِهِ. قَالُوا وَكَانَتْ مَرْيَمُ أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ تَأْخُذُ ٱلدُّفَّ بِيَدِهَا وَنِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي أَثَرِهَا بِٱلدُّفُوفِ وَٱلطُّبُولِ وَهِيَ تُرَتِّلُ لَهُنَّ ٱلتَّسْبِيحَ: سُبْحَانَ ٱلرَّبِّ ٱلْقَهَّارِ ٱلَّذِي قَهَرَ ٱلْخُيُولَ وَرُكْبَانَهَا أَلْقَاهَا فِي ٱلْبَحْرِ وَهُوَ مَعْنَى ٱلْأَوَّلِ (*)

(*) هذه التسبحة بالحرف: أُسبح الرب فانهُ قد تعظم بالمجد. الفرس وراكبهُ قد طرحهما في البحر. الرب عِزّي وتسبيحي لقد كان لي خلاصاً. هذا الهي فأياهُ أُمجّد اله ابي فاياهُ أُعظم. الرب صاحب الحروب الرب اسمهُ. مراكب فرعون وجنودهُ طرحهما في البحر ونُخبة قوّادهِ غرقوا في بحر القلزم. غطّتهم اللُجج فهبطوا في الاعماق كالحجارة. يمينك يا رب عزيزة القوَّة يمينك يا رب تحطّم العدوّ. وبعظمة اقتدارك تهدم مقاوميك. تبعث سُخطك فيأكلهم كالعُصافة وبريح غضبك تراكمت المياه انتصبت كالطوادِ مائعة وجمدت اللُجج في قلب البحر. قال العدوّ أرهقُ أُدرِك أُقسّم غنيمةً تشتفي منهم نفسي أخترط سيفي تقرضهم يدي. بعثتَ ريحك فغشيهم اليمّ وغرقوا كالرَّصاص في غمر المياه. مَن مثلك في الآلهة يا رب مَن مثلك جليل القدس مهيب التسابيح صانع المعجزات. مددت يمينك فابتلعتهم الارض. هديت برحمتك الشعب الذين فديتهم ارشدتهم بعزّتك الى مأوى قدسك. سمعت الامم فارتعدت واخذ الرعب قاطني فلسطين. حينئذٍ دهِش زعماء ادوم اقوياء موآب اخذتهم الرعدة ماج كل سكان كنعان. تقع عليهم الرعدة والهلع بعظمة ذراعك يبكمون كالحجارة حتّى يجوز شعبك يا رب حتّى يجوز الشعب الذي ملكتهُ. تأتي بهم فتغرسهم في جبل ميراثك في الموضع الذي اقمتهُ يا رب لسكناك للقدس الذي هيَّأتهُ يداك يا رب. الرب يملك الى الدهر والأبد

السير في البرية

٤٥٩ ثم ارتحل بنو إسرائيل من بحر القلزم إلى برية شور ثم إلى برية سين. وشكوا الجوع فبعث الله لهم المن حبات بيضا منتشرة على الأرض مثل ذرير الكزبرة. فكانوا يطحنونه ويتخذون منه الخبز لأكلهم. ثم قرموا إلى اللحم فبعث لهم السلوى طيرا يخرج من البحر وهو طير السماني فيأكلون منه ويدخرون. ثم طلبوا الماء فأمر أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه المياه (لابن خلدون)

اعطاء الوصايا

٤٦٠ ثم قال الله لموسى: اصعد إلي أنت وهارون وناداب وأبيهو ولداه وسبعون شيخا. ففعلوا ذلك ودنا موسى وحده والباقون وقفوا أسفل الجبل. وعرفهم موسى وصايا الله. ثم نزلوا وأقام موسى بالجبل أربعين يوما صائما. وتقدم الله إليه بالفرائض مكتوبة في لوحين من حجر. ولما استبطأ بنو إسرائيل مجيء موسى قالوا لهارون: قم اعمل لنا إلها يمضي أمامنا لأن أخاك ما نعلم ما كان منه. وأحضروه حلي الذهب التي لنسائهم وأولادهم وأحدثوا العجل. ولما عاد موسى وعرف فعلهم غضب غضبا شديدا وضرب باللوحين سفح الجبل وكسرهما. وألقى على العجل المبارد وطرح سحالته في النار ورمى رماده في الماء وأمر بني إسرائيل أن يشربوا منه جميعهم. وقال لبني لاوي:

ٱلرَّبُّ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْتُلَ ٱلرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ وَنَسِيبَهُ فَقُتِلَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ

٤٦١ ثُمَّ رَقِيَ مُوسَى إِلَى ٱلْجَبَلِ وَمَعَهُ لَوْحَانِ مِنْ حَجَرٍ. وَأَقَامَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا صَائِمًا طَاوِيًا لَيَالِيَهَا وَعَادَ نَازِلًا وَبِيَدِهِ ٱللَّوْحَانِ مَكْتُوبَةٌ فِيهِمَا ٱلْعَشْرُ وَصَايَا وَهِيَ: أَلرَّبُّ إِلٰهُكَ وَاحِدٌ. فِ بِيَمِينِكَ. إِحْفَظْ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ. أَكْرِمْ وَالِدَيْكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِٱلزُّورِ. لَا تَتَمَنَّ مَنْزِلَ أَخِيكَ. لَا تَتَمَنَّ قَيْنَةَ رَفِيقِكَ. وَقَالَ ٱللهُ: مَلْعُونٌ مَنْ يَشْتِمُ وَالِدَيْهِ. مَلْعُونٌ مَنْ يَظْلِمُ جَارَهُ. مَلْعُونٌ مَنْ يُضِلُّ ٱلْأَعْمَى عَنِ ٱلسَّبِيلِ. مَلْعُونٌ مَنْ يَحِيفُ فِي ٱلْقَضَاءِ عَلَى ٱلْيَتِيمِ وَٱلْمِسْكِينِ وَمَنْ يَضْرِبُ صَاحِبَهُ غِيلَةً وَمَنْ يَرْشُو فِي قَتْلِ نَفْسٍ. مَلْعُونٌ مَنْ لَا يَثْبُتُ عَلَى هٰذِهِ ٱلسُّنَنِ. فَإِنْ أَنْتُمْ خَالَفْتُمُوهَا تَزْرَعُونَ وَيَأْكُلُ زَرْعَكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ. وَتَنْهَزِمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرُدَكُمْ أَحَدٌ. وَأُرْسِلُ عَلَيْكُمُ ٱلْوُحُوشَ فَتُفْنِيكُمْ. وَلَا تَشْبَعُونَ طَعَامًا وَلَا تَرْوَوْنَ مَاءً. وَلَا تُقْبَلُ لَكُمْ صَلَاةٌ وَأُخَرِّبُ أَرْضَكُمْ وَأُبَدِّدُكُمْ بَيْنَ ٱلْأُمَمِ ٱلْمُبْغِضَةِ لَكُمْ وَأُخَسِّسُ قَدْرَكُمْ (لابي الفرج)

التيه

٤٦٢ وَلَمَّا دَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْبَرِّيَّةَ بَعَثُوا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَسْبَاطِ فَأَتَوْهُمْ بِٱلْخَبَرِ عَنِ ٱلْجَبَّارِينَ. فَٱسْتَطَابُوا ٱلْبِلَادَ وَٱسْتَعْظَمُوا ٱلْعَدُوَّ مِنَ ٱلْكَنْعَانِيِّينَ وَٱلْعَمَالِقَةِ. وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ

يخبرونهم الخبر وخذلوهم إلّا يوشع وكالب. فقالا لهم ما قالا. وهما الرجلان اللذان أنعم الله عليهما. وخام بنو إسرائيل عن اللقاء وأبوا من السير إلى عدوّهم والأرض التي ملكهم الله إلى أن يهلك الله عدوّهم على غير أيديهم. فسخط الله ذلك منهم. وعاقبهم بأن لا يدخل الأرض المقدسة أحد من ذلك الجيل إلّا كالب ويوشع. وإنّما يدخلها أبناؤهم والجيل الذي بعدهم

٤٦٣ وأقاموا على ذلك ثمّ ارتاب واحد منهم اسمه قورح بن يصهار ابن قهات وهو ابن عمّ موسى فارتاب هو وجماعة منهم من بني إسرائيل بشأن موسى. واعتمدوا مناصبته فأصابتهم قارعة وخسفت بهم وبه الأرض. وأصبحوا عبرة للمعتبرين. واعتزم بنو إسرائيل على الاستقالة ممّا فعلوه والزحف إلى العدوّ. ونهاهم موسى عن ذلك فلم ينتهوا وصعدوا جبل العمالقة فحاربهم أهل ذلك الجبل فهزموهم وقتلوهم في كلّ وجه. فأمسكوا وأقام موسى على الاستغفار لهم. فأرسل إلى ملك أدوم يطلب الجواز عليه إلى الأرض المقدسة فمنعهم وحال دون ذلك

٤٦٤ ثمّ قبض هارون لمائة وثلاث وعشرين سنة من عمره ولأربعين سنة من يوم خروجهم من مصر. وحزن له بنو إسرائيل لأنه كان شديد الشفقة عليهم. وقام بأمره الذي كان يقوم به ابنه ألعازار. ثمّ زحف بنو إسرائيل إلى بعض ملوك كنعان فهزموهم

وقتلوهم وغنموا ما أصابوا معهم. وبعثوا إلى سيحون ملك الأمور بين من كنعان في الجواز في أرضه إلى الأرض المقدسة فمنعهم. وجمع قومه وغزا بني إسرائيل في البرية فحاربوه وهزموه وملكوا بلاده إلى حد بني عمون. ونزلوا مدينته وكانت لبني مواب وتغلب عليها سيحون. ثم قاتلوا عوجاً وقومه من كنعان وهو المشهور بعوج بن عنق وكان شديد البأس فهزموه وقاتلوه وبنيه وأثخنوا في أرضه وورثوا أرضهم إلى الأردن بناحية أريحا. وخشي ملك بني مواب من بني إسرائيل واستجاش بمن يجاوره من بني مدين وجمعهم. ثم أرسل إلى بلعام بن بعور وكان ينزل في التخم بين بلاد بني عمون وبني مواب وكان مجاب الدعوة معبراً للأحلام. واستدعاه ليستعين بدعائه فأتاه الوحي بالنهي عن الدعاء. وألح عليه ذلك الملك وأصعده إلى الأماكن الشاهقة وأراه معسكر بني إسرائيل منها فدعا لهم وأنطقه الله بظهورهم وأنهم يملكون إلى الموصل. فغضب الملك وانصرف بلعام إلى بلده. وفشا في بني إسرائيل الفساد فهلك منهم أربعة وعشرون ألفاً. ثم أقاموا كذلك أربعين سنة في برية سينا وفاران يترددون حوالي جبال الشراة وأرض ساعير وأرض بلاد الكرك والشوبك وموسى بين ظهرانيهم يسأل الله لطفه بهم ومغفرته ويدفع عنهم مهالك سخطه. حتى ارتحل بنو إسرائيل ونزلوا شاطئ الأردن. وقال الله: قد ملكتكم ما بين الأردن

وَٱلْفُرَاتِ كَمَا وَعَدْتُ آبَاءَكُمْ. وَأَكْمَلَ ٱللهُ ٱلشَّرِيعَةَ وَٱلْأَحْكَامَ وَٱلْوَصَايَا لِمُوسَى وَقَبَضَهُ إِلَيْهِ لِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ بَعْدَ أَنْ عَهِدَ إِلَى فَتَاهُ يَشُوعَ أَنْ يُدْخِلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْمُقَدَّسَةِ لِيَسْكُنُوهَا. وَيَعْمَلُوا بِٱلشَّرِيعَةِ ٱلَّتِي فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا. وَدُفِنَ بِٱلْوَادِي فِي أَرْضِ مُوآبَ وَلَمْ يُعْرَفْ قَبْرُهُ لِهٰذَا ٱلْعَهْدِ (*) (لابن خلدون)

قضاة اسرائيل

يشوع بن نون

٤٦٥ وَلَمَّا مَاتَ مُوسَى قَامَ بِتَدْبِيرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَشُوعُ بْنُ نُونٍ وَأَقَامَ بِهِمْ فِي ٱلتِّيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. ثُمَّ ٱرْتَحَلَ بِهِمْ إِلَى ٱلشَّرِيعَةِ بِٱلْغَوْرِ وَٱسْمُهُ ٱلْأُرْدُنُّ. فَلَمْ يَجِدْ سَبِيلًا لِلْعُبُورِ فَأَمَرَ يَشُوعُ حَامِلِي صُنْدُوقِ ٱلشَّهَادَةِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْأَلْوَاحُ بِأَنْ يَنْزِلُوا إِلَى حَافَةِ ٱلشَّرِيعَةِ. فَوَقَفَتْ حَتَّى ٱنْكَشَفَتْ أَرْضُهَا وَعَبَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثُمَّ عَادَتِ ٱلشَّرِيعَةُ كَمَا كَانَتْ. وَنَزَلَ يَشُوعُ بِهِمْ عَلَى أَرِيحَا مُحَاصِرًا لَهَا ثُمَّ أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَطُوفُوا حَوْلَ أَرِيحَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَنْ يُصَوِّتُوا بِٱلْقُرُونِ. فَعِنْدَ مَا فَعَلُوا هَبَطَتِ ٱلْأَسْوَارُ وَرَسَخَتْ وَتَسَاوَتِ ٱلْخَنَادِقُ بِهَا. وَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَرِيحَا بِٱلسَّيْفِ وَقَتَلُوا أَهْلَهَا. وَبَعْدَهَا سَارَ إِلَى نَابُلُسَ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي بِيعَ فِيهِ يُوسُفُ فَدَفَنَ عِظَامَ يُوسُفَ هُنَاكَ. وَكَانَ

(*) اعلم أنّا قد تصرفنا في ما نقلنا عن ابن خلدون بالتقديم والتأخير كما يستلزمهُ النظام الصحيح الذي يشير اليهِ الكتاب الكريم

مُوسَى قَدِ ٱسْتَخْرَجَ يُوسُفَ مِنْ مِصْرَ وَٱسْتَصْحَبَهُ إِلَى ٱلتِّيهِ . وَبَقِيَ مَعَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَتَسَلَّمَهُ يَشُوعُ إِلَى أَنْ دَفَنَهُ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ أَرِيحَا. وَمَلَكَ يَشُوعُ ٱلشَّامَ وَفَرَّقَ فِيهِ عُمَّالَهُ وَدَبَّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَحْوَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ تُوُفِّيَ يَشُوعُ وَدُفِنَ فِي كَفْرِحَارِسٍ (تِمْنَةِ سَارَحَ)

(لابن الوردي)

دبورة وبارق

٤٦٦ وَبَعْدَ وَفَاةِ يَشُوعَ تَغَلَّبَ يَابِينُ مَلِكُ حَاصُورَ عَلَى أُمَّةِ إِسْرَائِيلَ عِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ لِقَائِدِ جَيْشِهِ رَجُلٍ ٱسْمُهُ سِيسَرَا تِسْعُ مِائَةِ مَرْكَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ يَجُرُّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَفْرَاسٍ تَحْمِلُ نَفَرًا مِنَ ٱلرِّجَالِ ٱلْمُقَاتِلِينَ . وَكَانَتِ ٱلْأُمَّةُ مَعَهُ فِي ضَنْكٍ شَدِيدٍ فَٱسْتَغَاثُوا إِلَى ٱللهِ فَأَنْشَأَ لَهُمُ ٱمْرَأَةً نَبِيَّةً ٱسْمُهَا دَبُورَةُ فَأَنْقَذَتْهُمْ مِنْهُ . وَلَمَّا تَوَلَّتْ دَبُورَةُ ٱلنَّبِيَّةُ وَهِيَ مِنْ سِبْطِ أَفْرَائِيمَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشْرَكَتْ مَعَهَا فِي ٱلتَّدْبِيرِ رَجُلًا ٱسْمُهُ بَارَقُ مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي . وَوَلِيَا ٱلْأَمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَجَيْشُ بَارَقَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَشَرَةُ آلَافِ رَجُلٍ مُقَاتِلٍ . وَٱلْتَقَى عَسَاكِرَ سِيسَرَا ٱلْجَمَّةَ فَٱنْكَسَرَ ٱلْكَنْعَانِيُّونَ . وَنَزَلَ سِيسَرَا عَنْ فَرَسِهِ مُلْتَجِئًا إِلَى ٱمْرَأَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْمُهَا يَاعِيلُ . فَعَرَفَتْهُ وَآوَتْهُ فِي مَنْزِلِهَا وَسَقَتْهُ عِوَضَ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي طَلَبَهُ لَبَنًا وَدَثَّرَتْهُ فَنَامَ وَحَيْثُ ثَقُلَ فِي نَوْمِهِ أَخَذَتْ سِكَّةً مِنْ حَدِيدٍ وَسَمَرَتْهَا فِي صِمَاخِهِ حَتَّى مَاتَ . ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَى بَابِ مَنْزِلِهَا فَرَأَتْ بَارَقَ مُجِدًّا فِي طَلَبِ سِيسَرَا فَقَالَتْ لَهُ:

هلمّ أريك من تريد . فدخل ورأى سيسرا ملقى ميتاً والسكّة في أذنه . وما زال بارق في طلب يابين ملك حاصور حتى ظفر به فقتله

المديانيون وجدعون

٤٦٧ وبعد موت دبورة وبارق توثّن بنو إسرائيل كعادتهم وأسلموا في يدي بني مدين فاستعبدوهم سبع سنين . وهرب بنو إسرائيل من شدة ما قاسوا من المديانيين واتخذوا لهم بيوتاً في الكهوف والمغارات وسكنوها . وصار كلّما زرعوا زرعاً صعدت العمالقة والمديانيون ورعوه وقرضوه وأقلحوا وجه الأرض من كل نبات بكثرة أنعامهم ومواشيهم وأغنامهم . ولمّا رأى الله ذلّ بني إسرائيل رحمهم وأرسل ملاكاً إلى رجل اسمه جدعون بن يوآش . وأمره أن يتولّى خلاص الإسرائيليين . فولي تدبيرهم أربعين سنة . وقتل ملوك الأعراب مضطهديهم

يفتاح

٤٦٨ ثم ولي تدبير بني إسرائيل أبيملك بن جدعون ثم تولع ثم يائير الجلعادي ثم يفتاح . وفي زمانه طغا بنو إسرائيل في عبادة الأوثان فأسلمهم الله في أيدي بني عمون فنكد بهم عيش الأمة ثماني عشرة سنة . ويفتاح هذا قتل ملك بني عمون وهم بنو لوط وكان قد نذر على نفسه أنه إن ظفر بالعدوّ وكرّ منتصراً أول من لمح من ذوي قرابته قرّبه لله تعالى قرباناً . فلما انتصر وعاد دانياً من منزله

أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ٱبْنَتُهُ ٱلْعَذْرَاءُ تُهَنِّئُهُ بِٱلنَّصْرِ فَقَالَ لَهَا: كَبَتِّ لِوَجْهِي كَبْتًا يَا ٱبْنَتِي وَأَنَا ٱلْيَوْمَ أَكْبَيْتُ عَلَى وَجْهِي بِكِ. فَعَلِمَتْ مَا بِهِ وَٱسْتَمْهَلَتْهُ شَهْرَيْنِ أَنْ تَنُوحَ عَلَى بِكَارَتِهَا مَعَ أَتْرَابِهَا دَائِرَةً فِي ٱلصَّحَارِي. فَأَذِنَ لَهَا فِي ذٰلِكَ وَعِنْدَ تَمَامِ ٱلْمُدَّةِ ضَحَّى بِهَا ضَحِيَّةً بِمُوجَبِ نَذْرِهِ ٱلْمَكْرُوهِ. وَكَانَ مُدَّةُ وِلَايَتِهِ سِتَّ سِنِينَ (لابي الفرج)

شمشون

٤٦٩ ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ عَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْأَصْنَامَ وَسَلَّطَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ بَنِي فِلَسْطِينَ فَقَهَرُوهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. ثُمَّ خَلَّصَهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ شِمْشُونُ ٱبْنُ مَانُوحَ مِنْ سِبْطِ دَانٍ وَيُعْرَفُ بِشِمْشُونَ ٱلْقَوِيِّ لِفَضْلِ قُوَّةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِٱلْجَبَّارِ. وَكَانَ عَظِيمَ سِبْطِهِ وَدَبَّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَشْرَ سِنِينَ بَلْ عِشْرِينَ سَنَةً. وَكَثُرَتْ حُرُوبُهُ مَعَ بَنِي فِلَسْطِينَ وَأَثْخَنَ فِيهِمْ وَأُتِيحَ لَهُمْ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ فَأَسَرُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ وَحَبَسُوهُ. وَٱسْتَدْعَاهُ مَلِكُهُمْ يَوْمًا إِلَى بَيْتِ آلِهَتِهِمْ. فَأَمْسَكَ عَمُودَ ٱلْبَيْتِ وَهَزَّهُ بِيَدِهِ فَسَقَطَ ٱلْبَيْتُ عَلَى مَنْ فِيهِ وَمَاتُوا جَمِيعًا

عالي الكاهن

٤٧٠ وَلَمَّا هَلَكَ شِمْشُونُ وَقَعَتِ ٱلْفِتْنَةُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَفَنِيَ فِيهَا سِبْطُ بِنْيَامِينَ عَنْ آخِرِهِمْ. ثُمَّ سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ وَكَانَ ٱلْكَاهِنُ فِيهِمْ لِذٰلِكَ ٱلْعَهْدِ عَالِيَ. فَلَمَّا سَكَنَتِ ٱلْفِتْنَةُ كَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ. وَكَانَ لَهُ ٱبْنَانِ عَاصِيَانِ لَمْ يُحْسِنْ تَرْبِيَتَهُمَا. وَكَثُرَ

لِعَهْدِهِ قِتَالُ بَنِي فِلَسْطِينَ. وَفَشَا ٱلْمُنْكَرُ مِنْ وَلَدَيْهِ وَأَمَرَ بِدَفْعِهِمَا عَنْ ذٰلِكَ فَلَمْ يَزْدَادَا إِلَّا عُتُوًّا وَطُغْيَانًا. وَأَنْذَرَهُ ٱلْأَنْبِيَاءُ بِذَهَابِ ٱلْأَمْرِ عَنْهُ وَعَنْ وَلَدِهِ. ثُمَّ هَزَمَهُمْ بَنُو فِلَسْطِينَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ. فَتَذَامَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَٱحْتَشَدُوا وَحَمَلُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ ٱلْعَهْدِ وَلَقِيَهُمْ بَنُو فِلَسْطِينَ فَٱنْهَزَمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَمَامَهُمْ وَقُتِلَ ٱبْنَا عَالِي ٱلْكَاهِنِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ أَبُوهُمَا وَصَمُوئِيلُ. وَبَلَغَ أَبَاهُمَا ٱلْكَاهِنَ خَبَرُ مَقْتَلِهِمَا فَمَاتَ أَسَفًا لِعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ. وَغَنِمَ بَنُو فِلَسْطِينَ ٱلتَّابُوتَ فِيمَا غَنِمُوهُ وَٱحْتَمَلُوهُ إِلَى بِلَادِهِمْ بِعَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ وَضَرَبُوا ٱلْجِزْيَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَلَمَّا مَضَى ٱلْقَوْمُ بِٱلتَّابُوتِ وَضَعُوهُ عِنْدَ آلِهَتِهِمْ فَقَلَاهَا مِرَارًا. فَأَخْرَجُوهُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ فَأُصِيبُوا. فَتَبَادَرُوا بِإِخْرَاجِهِ وَحَمَلُوهُ عَلَى بَقَرَتَيْنِ لَهُمَا تَبِيعَانِ فَوَضَعَتَاهُ عِنْدَ أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَكَانَ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَاتَ. حَتَّى أَذِنَ صَمُوئِيلُ لِرَجُلَيْنِ مِنْهُمْ حَمَلَاهُ إِلَى بَيْتِهِمَا فَكَانَ هُنَالِكَ حَتَّى مَلَكَ طَالُوتُ (لابن العميد النصراني بتصرف)

صموئيل

٤٧١ وَكَانَ عَالِي ٱلْكَاهِنُ قَدْ كَفَلَ صَمُوئِيلَ. وَكَانَتْ أُمُّ صَمُوئِيلَ نَذَرَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ خَادِمًا فِي ٱلْمَسْجِدِ. وَأَلْقَتْهُ هُنَالِكَ فَكَفَلَهُ عَالِي. وَأَوْصَى لَهُ بِٱلْكَهُونِيَّةِ. ثُمَّ أَكْرَمَهُ ٱللّٰهُ بِٱلنُّبُوَّةِ. وَوَلَّاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْكَامَهُمْ فَدَبَّرَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ. وَقَالَ جِرْجِيسُ بْنُ ٱلْعَمِيدِ: عِشْرِينَ

سَنَةً. وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ ٱلْأَوْثَانِ فَٱنْتَهَوْا. وَحَارَبُوا أَهْلَ فِلَسْطِينَ وَٱسْتَرَدُّوا مَا كَانُوا أَخَذُوا لَهُمْ مِنَ ٱلْقُرَى وَٱلْبِلَادِ وَٱسْتَقَامَ أَمْرُهُمْ. ثُمَّ دَفَعَ ٱلْأَمْرَ إِلَى ٱبْنَيْهِ يُوآلَ وَأَبِيَّا وَكَانَتْ سِيرَتُهُمَا سَيِّئَةً. فَٱجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى صَمُوئِيلَ وَطَلَبُوهُ أَنْ يَسْأَلَ ٱللهَ فِي وِلَايَةِ مَلِكٍ عَلَيْهِمْ. فَجَاءَ ٱلْوَحْيُ بِوِلَايَةِ طَالُوتَ فَوَلَّاهُ. وَصَارَ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَشْيَخَةً وَٱللهُ مُعَقِّبُ ٱلْأَمْرِ بِحِكْمَتِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ

(لابن خلدون)

ملوك اسرائيل

الملك شاول

٤٧٢ كَانَ شَاوُلُ مِنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ وَتُسَمِّيهِ ٱلْعَرَبُ طَالُوتَ. كَانَ شَابًّا لَمْ يَكُنْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَتَمَّ مِنْهُ خِلْقَةً. فَخَرَجَ يَوْمًا مَعَ غُلَامٍ لَهُ طَائِفَيْنِ عَلَى أُتُنٍ ضَلَّتْ لَهُمَا. وَٱنْتَهَيَا إِلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا صَمُوئِيلُ ٱلنَّبِيُّ. وَقَالَ ٱلْغُلَامُ لِشَاوُلَ: هٰهُنَا رَجُلٌ عَظِيمٌ نَذْهَبُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ يَدُلُّنَا عَلَى ٱلْأُتُنِ. وَعِنْدَ مَا هَمَّا بِذٰلِكَ خَرَجَ إِلَيْهِمَا صَمُوئِيلُ. فَقَالَا لَهُ: دُلَّنَا عَلَى بَيْتِ ٱلنَّظَّارِ. لِأَنَّ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ كَانَتْ تُسَمَّى ٱلْأَنْبِيَاءُ نَظَّارَةً. فَقَالَ لَهُمَا: أَنَا ٱلنَّظَّارُ ٱدْخُلَا مَنْزِلِي وَكُلَا مَعِي طَعَامًا فَأُنَبِّئَكُمَا عَنْ بُغْيَتِكُمَا. فَلَمَّا دَخَلَا مَعَهُ ٱلْبَيْتَ. قَالَ لَهُمَا: لَا تَهْتَمَّا بِأَمْرِ ٱلْأُتُنِ فَقَدْ وُجِدَتْ. وَلَمْ تَكُنْ لَذَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا لَكَ يَا شَاوُلُ وَلِآلِ أَبِيكَ. فَقَالَ لَهُ شَاوُلُ مُسْتَعْفِيًا: قَبِيلَتِي أَقَلُّ سِبْطِ بَنْيَامِينَ.

وَأخذ صموئيل قرن الدُّهن وأفاضه على رأس شاول قائلًا: إن الله اصطفاك لتكون ملكًا لميراثه (لابي الفرج)

٤٧٣ وكان لطالوت من الولد يوناثان وملكيشوع وإشبوشت وأبيناداب. وقام طالوت بملك بني إسرائيل. وحارب أعداءهم من بني فلسطين وعمون وموآب والعمالقة ومدين. فغلب جميعهم ونصر بنو إسرائيل نصرًا لا كفاء له. وأول من زحف إليهم ملك بني عمون ونازل قرية بلقاء. فهجم عليهم طالوت وهو في ثلاثمائة ألف من بني إسرائيل فهزمهم واستلحمهم. ثم أغزى ابنه في عساكر بني إسرائيل إلى فلسطين فنال منهم. واجتمعوا لحرب بني إسرائيل فزحف إليهم طالوت وصموئيل فانهزموا واستلحمهم بنو إسرائيل. وأمر شاول أن يسير إلى العمالقة وأن يقتلهم ودوابهم ففعل واستبقى ملكهم أجاج مع بعض الأنعام. فجاء الوحي إلى صموئيل بأن الله قد سخطه وسلبه الملك فخبره بذلك. وهجره صموئيل فلم يره بعد. وأمر صموئيل أن يقدس داود (لابن خلدون)

مسح داود

٤٧٤ فأوحى الله إلى صموئيل: قم وانطلق إلى شخص اسمه يسى من قرية بيت لحم فقد ارتضيت من بنيه ملكًا. فمضى إليه صموئيل وقال: أريد أن أمسح أحد أولادك ملكًا. فقال له يسى: أنّى لي بذلك. وأحضر ابنه الكبير فأعجبه حسنه فأوحى الله إليه أن:

نَظَرِي لَيسَ كَنَظَرِ ٱلْبَشَرِ. فَأَعرَضَ عَنهُ وَوَقَفَ صَمُوئِيلُ حَتَّى عَرَضَ عَلَيهِ سَبعَةً مِن بَنِيهِ. فَلَمْ يُفِضِ ٱلْقَرنَ عَلَى أَحَدِهِم. فَقَالَ لِيَسَّى: هَلْ بَقِيَ مِن بَنِيكَ أَحَدٌ. قَالَ لَهُ: بَقِيَ غُلَامٌ وَهُوَ أَصغَرُهُم سِنًّا يَرعَى ٱلْغَنَمَ. فَقَالَ: ٱئتِنِي بِهِ. فَأَحضَرَهُ يَسَّى وَأَفَاضَ عَلَيهِ ٱلْقَرنَ وَمَسَحَهُ مَلِكًا وَمَضَى إِلَى مَنزِلِهِ

جليات وداود

٤٧٥ وَفِي تِلكَ ٱلْأَيَّامِ ظَهَرَ عِلجٌ مِنَ ٱلْفَلَسطِينِيِّينَ ٱسمُهُ جُلِيَاتُ وَٱلْعَرَبُ تُسَمِّيهِ جَالُوتَ. وَكَانَ يَسُبُّ بَنِي إِسرَائِيلَ وَيَستَهِينُ بِهِم. فَدَنَا مِنهُ دَاوُدُ قَائِلًا: أَنتَ أَتَيتَنِي بِٱلسَّيفِ وَٱلدَّرَقَةِ وَأَنَا أَتَيتُكَ بِٱسمِ ٱلرَّبِّ ٱلَّذِي عَيَّرتَ صُفُوفَهُ. وَتَنَاوَلَ دَاوُدُ حَجَرًا مِن خَرِيطَتِهِ فَوَضَعَهُ فِي مِقلَاعِهِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَغَيَّبَهُ فِي جَبهَةِ ٱلْعِلجِ فَوَقَعَ عَلَى وَجهِهِ. فَسَلَّ دَاوُدُ سَيفَهُ وَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ

٤٧٦ وَكَانَ شَاوُلُ قَد أَصَابَهُ رِيحُ سُوءٍ فَقِيلَ لَهُ: لِيَكُنْ عِندَكَ إِنسَانٌ جَيِّدُ ٱلضَّربِ بِٱلصَّنجِ ذِي ٱلْأَوتَارِ لِيُلهِيكَ عَمَّا بِكَ. وَوُصِفَ لَهُ دَاوُدُ أَنَّهُ مَاهِرٌ فِي ذٰلِكَ. فَطَلَبَهُ مِن أَبِيهِ وَكَانَ يُلهِيهِ. وَكَانَت بَنَاتُ إِسرَائِيلَ بَعدَ قَتلِ دَاوُدَ جُلِيَاتَ يُغَنِّينَ وَيَصرُخنَ وَيَقُلنَ: قَتَلَ شَاوُلُ أُلُوفًا وَدَاوُدُ عَشَرَاتِ أُلُوفٍ. فَحَسَدَ شَاوُلُ دَاوُدَ وَزَجَّ يَومًا بِرُمحٍ لَطِيفٍ كَانَ عِندَهُ بِيَدِهِ نَحوَهُ. فَٱرتَاعَ لِذٰلِكَ دَاوُدُ. فَخَافَهُ شَاوُلُ وَرَأَّسَهُ عَلَى أَلفِ رَجُلٍ وَقَالَ يَومًا: مَن أَتَانِي بِرَأْسِ مِائَتَي فَلَسطِينِيٍّ

زَوَّجَهُ ٱبْنَتِي مِيكَالَ. فَخَرَجَ دَاوُدُ وَقَتَلَ مِنْهُمْ مِائَتَيْ رَجُلٍ وَأَتَاهُ بِرُؤُوسِهِمْ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا فَأَحَبَّتْ دَاوُدَ حُبًّا شَدِيدًا. وَكَذٰلِكَ أَخُوهَا يُونَاثَانُ وَجَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَحَذَّرَ يُونَاثَانُ دَاوُدَ مِنْ أَبِيهِ وَهَرَّبَهُ إِلَى بَعْضِ ٱلْجِبَالِ. وَخَرَجَ شَاوُلُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى أَتَى مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى مَغَارَةٍ فِي ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ وَبَاتُوا فِيهَا. فَسَارَ دَاوُدُ لَيْلًا وَأَتَى إِلَى ٱلْمَغَارَةِ وَصَادَفَ شَاوُلَ نَائِمًا فَقَطَعَ قِطْعَةً مِنْ رِدَائِهِ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ. وَلَمَّا أَصْبَحَ ٱلنَّهَارُ وَخَرَجَ شَاوُلُ مِنَ ٱلْمَغَارَةِ نَادَاهُ دَاوُدُ وَقَبَّلَ ٱلْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ: لَا تَسْمَعْ فِي سَيِّدِي قَوْلَ وَاشٍ فَقَدْ أَسْلَمَكَ ٱللهُ فِي يَدِي ٱلْيَوْمَ وَلَمْ يُدْرِكْكَ مِنِّي سُوءٌ وَهٰذَا طَرَفُ رِدَائِكَ مَعِي. قَالَ لَهُ شَاوُلُ: جَزَاكَ ٱللهُ خَيْرًا إِنَّكَ سَتَمْلِكُ. فَٱحْلِفْ لِي أَنَّكَ لَا تُهْلِكُ ذُرِّيَّتِي. فَحَلَفَ لَهُ وَمَضَى شَاوُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَمَاتَ صَمُوئِيلُ ٱلنَّبِيُّ. وَخَرَجَ شَاوُلُ فِي طَلَبِ دَاوُدَ مَرَّةً ثَانِيَةً وَنَامَ فِي بَعْضِ ٱلطَّرِيقِ لَيْلًا مَعَ أَصْحَابِهِ. فَأَتَاهُ دَاوُدُ وَهُوَ نَائِمٌ وَرَامَ أَصْحَابُ دَاوُدَ قَتْلَهُ. فَمَنَعَهُمْ قَائِلًا: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى مَسِيحِ ٱلرَّبِّ ٱتْرُكُوهُ لِيَوْمِهِ. ثُمَّ أَخَذَ رُمْحَهُ وَكُوزَ ٱلْمَاءِ وَٱنْطَلَقَ فَعَلِمَ شَاوُلُ وَقَالَ: خَطِئْتُ فِي طَلَبِكَ يَا دَاوُدُ وَلَسْتُ بِعَائِدٍ.

موت شاول

٤٧٧ وَقَاتَلَ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْفِلَسْطِينِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُتِلَ يُونَاثَانُ وَإِخْوَتُهُ. وَهَرَبَ شَاوُلُ وَخَافَ أَنْ يُدْرِكُوهُ فَتَحَامَلَ عَلَى سَيْفِهِ حَتَّى

خَرَجَ مِن ظَهرِهِ. وَأَدرَكَهُ ٱلقَومُ فَقَطَعُوا رَأسَهُ وَأَنفَذُوهُ إِلَى بُيُوتِ أَصنامِهِم وَصَلَبُوا جَسدَهُ عَلَى سُورِ مَدِينَتِهِم. وَجاءَ شَخصٌ مِن بَنِي إِسرائِيلَ وَٱدَّعَى أَنَّهُ قَتَلَ شاوُلَ. فَقالَ لَهُ داوُدُ: كَيفَ طاوَعَتكَ نَفسُكَ أَن تَقتُلَ مَسِيحَ ٱللهِ. فَقَتَلَهُ وَنَاحَ داوُدُ وَأَصحابُهُ عَلَى شاوُلَ وَيُوناثانَ ٱبنِهِ. وَرَثاهُما قائِلًا: إِنَّ جَحفَةَ شاوُلَ مَصبُوغَةٌ بِدَمِ ٱلقَتلَى وَقَوسَ يُوناثانَ لَم تَكُن تَنكُصُ إِلَى وَرائِها وَحَربَةَ شاوُلَ لَم تَكُن تَنثَنِي. لَقَد كانَ أَخَفَّ مِنَ ٱلنُّسُورِ سَيرًا وَأَشجَعَ مِنَ ٱلأُسُدِ بَطشًا. يا بَناتِ إِسرائِيلَ ٱبكِينَ شاوُلَ ٱلَّذِي كانَ يَكسُوكُنَّ ٱلأُرجُوانَ وَٱلبَهرَمانَ. وَكانَ مُدَّةُ مُلكِهِ عَلَى رَأيِ أُوسابِيُوسَ أَربَعِينَ سَنَةً

ملك داود بن يسّى

٤٧٨ لَمَّا قُتِلَ شاوُلُ ٱستَقامَ داوُدُ فِي مُلكِهِ وَقالَ لِناثانَ ٱلنَّبِيِّ يَومَئِذٍ: أَنا ساكِنٌ فِي بُيُوتِ ٱلأَرزِ وَسَكِينَةُ ٱلرَّبِّ يَعنِي مَسكِنَ ٱلزَّمانِ فِي ٱلخِيَمِ أَفَلا أَبنِي لَهُ بَيتًا فَأَوحَى ٱللهُ إِلَى ناثانَ ٱلنَّبِيِّ وَقالَ لَهُ: قُل لِعَبدِي داوُدَ لا تَبنِي لِي بَيتًا لِأَنَّ ٱبنَكَ ٱلَّذِي أُقِيمُهُ مَكانَكَ هُوَ يَبنِي بَيتًا عَلَى ٱسمِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ داوُدُ إِلَى يُوآبَ قائِدِ جَيشِهِ لِيُحصِيَ عَدَدَ مُقاتِلَةِ بَنِي إِسرائِيلَ. فَغابَ يُوآبُ عَنهُ فِي مُدُنِ بَنِي إِسرائِيلَ وَقُراهُم تِسعَةَ أَشهُرٍ وَعِشرِينَ يَومًا. ثُمَّ أَتاهُ وَقالَ لَهُ: وَجَدتُ عِدَّةَ مُقاتِلَةِ بَنِي إِسرائِيلَ ثَمانِمائَةِ أَلفِ رَجُلٍ وَبَنِي يَهُوذا خَمسَمائَةِ أَلفِ نَفسٍ. فَأَوحَى ٱللهُ إِلَى جادِ ٱلنَّبِيِّ قائِلًا: قُل لِداوُدَ قَد رَأَيتَ ٱلغَلَبَةَ بِكَثرَةِ

جُيُوشِكَ وَلَمْ تَعلَمْ أَنِّي ٱلنَّاصِرُ فَهَا أَنَا مُبتَلِيكَ عَنْ ذٰلِكَ بِإِحدَى ثَلَاثٍ فَٱختَرْ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ : إِمَّا قَحطُ سَبْعِ سِنِينَ . وَإِمَّا ٱستِيلَاءُ عَدُوٍّ ثَلَاثَةَ أَشهُرٍ . وَإِمَّا مَوَتَانُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْ تَكُونَ يَدُ ٱللهِ مُؤَدِّبَتَنَا خَيرٌ لَنَا . فَٱختَارَ ٱلْمَوتَ . فَمَاتَ مِنَ ٱلصُّبحِ إِلَى ثَلَاثِ سَاعَاتٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ سَبْعُونَ أَلفًا مِنْ رِجَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَقَالَ دَاوُدُ: إِلٰهِي وَسَيِّدِي إِنْ كُنْتُ خَطِئتُ فَمَا ذَنْبُ هٰذِهِ ٱلْغَنَمِ . أَحْلِلْ عُقُوبَتَكَ بِي وَبِبَيتِ أَبِي . فَرَفَعَ ٱللهُ ٱلْمَوتَ عَنْهُمْ . وَآتَاهُ مَعَ ٱلْمُلْكِ ٱلنُّبُوَّةَ وَتَلَا ٱلزَّبُورَ . وَٱنتَخَبَ مِنْ سِبطِ لَاوِي مِائَةً وَثَمَانِيَةً وَثَمَانِينَ شَيْخًا يَتلُونَ ٱلْمَزَامِيرَ تَرتِيلًا كُلَّ أُسبُوعٍ أَربَعَةٌ وَعِشرُونَ مِنْهُمُ ٱثْنَا عَشَرَ فِي صَفٍّ وَٱثْنَا عَشَرَ فِي آخَرَ (لابي الفرج)

٤٧٩ وَقَاتَلَ دَاوُدُ بَنِي كَنْعَانَ فَغَلَبَهُمْ . ثُمَّ طَالَتْ حُرُوبُهُ مَعَ بَنِي فِلَسْطِينَ وَٱستَولَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهِمْ وَرَتَّبَ عَلَيهِمِ ٱلْخَرَاجَ . ثُمَّ حَارَبَ أَهلَ مُوَآبَ وَأَمُّونَ وَأَهلَ أَدُومَ وَظَفِرَ بِهِمْ وَضَرَبَ عَلَيهِمِ ٱلْجِزْيَةَ ثُمَّ خَرَّبَ بِلَادَهُمْ . وَٱختَطَّ مَدِينَةَ صِهيُونَ وَسَكَنَهَا . ثُمَّ ٱنتَقَضَ عَلَيهِ ٱبنُهُ أَبشَالُومُ وَقَتَلَ أَخَاهُ أَمُّونَ غَيرَةً مِنْهُ وَهَرَبَ . ثُمَّ ٱستَمَالَهُ دَاوُدُ وَرَدَّهُ وَأَهدَرَ دَمَ أَخِيهِ وَصَيَّرَ لَهُ ٱلْحُكْمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ . ثُمَّ رَجَعَ ثَانِيًا لِأَربَعِ سِنِينَ بَعدَهَا وَخَرَجَ مَعَهُ سَائِرُ ٱلْأَسبَاطِ . فَهَزَمَهُ دَاوُدُ وَأَدْرَكَهُ يُوآبُ وَزِيرُ دَاوُدَ وَقَدْ تَعَلَّقَ بِشَجَرَةٍ فَقَتَلَهُ . وَقُتِلَ فِي ٱلْهَزِيمَةِ عِشْرُونَ أَلفًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَسِيقَ رَأْسُ أَبشَالُومَ لِوَلِيِّ

أَبِيهِ دَاوُدَ فَبَكَى عَلَيْهِ وَحَزِنَ طَوِيلًا. وَٱسْتَأْلَفَ ٱلْأَسْبَاطَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. ثُمَّ عَهِدَ عِنْدَ تَمَامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ دَوْلَتِهِ لِٱبْنِهِ سُلَيْمَانَ. وَمَسَحَهُ نَاثَانُ ٱلنَّبِيُّ وَصَادُوقُ ٱلْحَبْرُ مِسْحَةَ ٱلتَّقْدِيسِ (لابن خلدون)

ملك سليمان بن داود

٤٨٠ وَلِيَ ٱلْمُلْكَ سُلَيْمَانُ وَهُوَ ٱبْنُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَعِنْدَ ذٰلِكَ أَوْحَى ٱللّٰهُ إِلَيْهِ فِي ٱلْمَنَامِ وَقَالَ لَهُ: سَلْنِي مَا أَحْبَبْتَ حَتَّى أُعْطِيَكَهُ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: يَا رَبِّي قُوَّتِي تَعْجِزُ عَنِ ٱلتَّدْبِيرِ وَلَا عِلْمَ لِي بِٱلْقَضَاءِ بَيْنَ شَعْبِكَ فَٱمْنَحْنِي قَلْبًا فَهِمًا وَعَقْلًا رَزِينًا. فَقَالَ لَهُ: سَأُعْطِيكَ مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ ٱلْمُلُوكِ. وَإِنْ سَلَكْتَ سَبِيلِي أَطَلْتُ عُمْرَكَ وَلَا أُزِيلُ ٱلْمُلْكَ عَنْ بَنِيكَ. فَأَصْبَحَ سُلَيْمَانُ مَسْرُورًا وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ ٱلْمُلْكِ. فَأَتَتْهُ ٱمْرَأَتَانِ تَخْتَصِمَانِ إِلَيْهِ فِي صَبِيٍّ تَدَّعِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ وَلَدُهَا. فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِسَيَّافِهِ: ٱقْطَعِ ٱلصَّبِيَّ بِنِصْفَيْنِ وَأَعْطِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ نِصْفَهُ. فَقَالَتِ ٱلْوَاحِدَةُ: نَعَمْ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي وَلَا لَهَا. وَقَالَتِ ٱلْأُخْرَى: ٱدْفَعْهُ إِلَيْهَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَلَا تَقْتُلْهُ. فَعَلِمَ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ ٱبْنُهَا فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا. فَرَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ ذٰلِكَ وَتَحَقَّقُوا أَنَّ ٱللّٰهَ قَدْ آتَى سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَعِلْمًا. وَخَضَعَ ٱلْمُلُوكُ لَهُ وَهَادَنُوهُ ... وَفِي رَابِعِ سَنَةٍ لِمُلْكِهِ شَرَعَ فِي بُنْيَانِ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَهُوَ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَى فِي جَبَلِ ٱلْأَمُورِيِّينَ فِي أَنْدَرِ أَرَانَ ٱلْيَبُوسِيِّ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ عِشْرُونَ ذِرَاعًا وَعُلُوُّهُ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا. وَتَمَّمَهُ فِي سَبْعِ

سِنِينَ . وَبَنَى سَبْعَ مُدُنٍ مِنْ جُمْلَتِهَا تَدْمُرُ . وَلَمَّا شَيَّدَ سُلَيْمَانُ بَيْتَ الرَّبِّ شَكَرَ اللّٰهَ وَدَعَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَرَكَةِ . وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَبَسَطَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : أَللّٰهُمَّ إِلٰهَ إِسْرَائِيلَ لَيْسَ مِثْلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَلَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى . وَقَدْ وَفَيْتَ لِعَبْدِكَ دَاوُدَ بِالْوَعْدِ الَّذِي وَعَدْتَهُ . فَأَسْأَلُكَ أَنَّهُ إِنْ أَثِمَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَانْهَزَمُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَدَعَوْكَ فِي هٰذَا الْبَيْتِ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ وَاغْفِرْ خَطَايَاهُمْ وَانْصُرْهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ . وَإِذَا أَثِمُوا فَاحْتَبَسَ عَنْهُمُ الْمَطَرُ فَأَتَوْا هٰذَا الْبَيْتَ فَأَهْطِلْ لَهُمْ مَطَرًا وَأَرْوِ أَرْضَهُمْ بِغَيْثِكَ وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ جُوعٌ أَوْ جَرَادٌ أَوْ مَوْتٌ أَوْ مَرَضٌ فَاسْتَغَاثُوا إِلَيْكَ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ . وَإِذَا أَتَى أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ الْغَرِيبَةِ إِلَى هٰذَا الْبَيْتِ وَدَعَاكَ فَاسْتَجِبْ لَهُ لِتَعْلَمَ شُعُوبُ الْأَرْضِ أَنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ وَحْدَكَ فَيَخَافُوكَ . ثُمَّ قَرَّبَ قُرَابِينَ كَثِيرَةً مِنَ الذَّبَائِحِ وَجَعَلَ ذٰلِكَ عِيدًا لِلّٰهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَكَانَ الْمُلُوكُ يَقْصِدُونَهُ لِيَسْمَعُوا حِكْمَتَهُ وَيَأْتُونَهُ بِالْهَدَايَا النَّفِيسَةِ . وَأَتَتْهُ مَلِكَةُ الْتَّيَمَنِ وَقَدَّمَتْ لَهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ قِنْطَارًا مِنَ الذَّهَبِ وَطِيبًا وَجَوَاهِرَ ثَمِينَةً وَقَالَتْ لَهُ : يَا سُلَيْمَانُ لَقَدْ زَادَ خُبْرُكَ عَلَى خَبَرِكَ طُوبَى عَبِيدِكَ السَّامِعِينَ حِكْمَتَكَ يَكُونُ الرَّبُّ إِلٰهُكَ مُبَارَكًا . وَأَعْطَاهَا سُلَيْمَانُ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْطَافِ أَحْسَنَهَا وَعَادَتْ إِلَى بَلَدِهَا . وَلِسُلَيْمَانَ كِتَابُ الْأَمْثَالِ فِي الْحِكْمَةِ الْعَمَلِيَّةِ نَاهِيكَ مِنْ كِتَابٍ . وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي تُرْبَةِ أَبِيهِ دَاوُدَ . وَكَانَ ارْتِفَاعُ مَمْلَكَتِهِ

ٱلَّتِي هِيَ أَرْبَعُونَ فَرْسَخًا فِي مِثْلِهَا فِي ٱلْعَامِ سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ وَسِتَّمِائَةٍ وَسِتِّينَ قِنْطَارًا ذَهَبًا سِوَى ٱلْهَدَايَا وَأَرْبَاحِ ٱلْمَتَاجِرِ. وَكَانَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ لِمَائِدَتِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ ٱلدَّقِيقِ مِائَةَ كُرٍّ وَمِنَ ٱلثِّيرَانِ ثَلَاثِينَ رَأْسًا وَمِنَ ٱلْغَنَمِ مِائَةَ رَأْسٍ سِوَى ٱلظِّبَاءِ وَٱلْأَيَائِلِ وَأَنْوَاعِ ٱلطُّيُورِ (لابي الفرج بتصرُّف)

رحبعام وافتراق العشرة الاسباط

٤٨١ وَمَلَكَ بَعْدَ سُلَيْمَانَ ٱبْنُهُ رَحَبْعَامُ. وَكَانَ رَدِيءَ ٱلشَّكْلِ شَنِيعَ ٱلْمَنْظَرِ فَأَظْهَرَ ٱلصَّلَابَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: أَنَا خِنْصَرِي أَغْلَظُ مِنْ ظَهْرِ أَبِي. وَمَهْمَا كُنْتُمْ تَخْشَوْنَ مِنْ أَبِي فَإِنِّي أُعَاقِبُكُمْ بِأَشَدَّ مِنْهُ. فَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِهِ عَشَرَةُ أَسْبَاطٍ لَمْ يَبْقَ مَعَهُ غَيْرُ سِبْطَيْ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ. وَتَمَلَّكَ عَلَى ٱلْعَشَرَةِ ٱلْأَسْبَاطِ يَارُبْعَامُ عَبْدُ سُلَيْمَانَ وَكَانَ جَاحِدًا وَأَظْهَرَ ٱلْكُفْرَ وَعِبَادَةَ ٱلْأَوْثَانِ. وَٱسْتَقَرَّ لِوَلَدِ دَاوُدَ ٱلْمُلْكُ عَلَى ٱلسِّبْطَيْنِ فَقَطْ. وَصَارَ لِلْأَسْبَاطِ ٱلْعَشَرَةِ مُلُوكٌ بَعْدَ يَارُبْعَامَ تُعْرَفُ بِمُلُوكِ ٱلْأَسْبَاطِ نَحْوَ مِائَتَيْنِ وَإِحْدَى وَسِتِّينَ سَنَةً. (ونحن نكتفي بذكر بني داود)

٤٨٢ رَحَبْعَامُ ٱسْتَمَرَّ مَلِكًا لِلسِّبْطَيْنِ (بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ وَعَسْقَلَانَ وَغَزَّةَ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحِمْصَ وَحَمَاةَ وَمَا وَلِيَ ذٰلِكَ إِلَى أَرْضِ ٱلْحِجَازِ) إِلَى دُخُولِ ٱلسَّنَةِ ٱلْخَامِسَةِ مِنْ مُلْكِهِ. فَغَزَاهُ فِرْعَوْنُ مِصْرَ وَٱسْمُهُ شِيشَاقُ. وَنَهَبَ ٱلْمَالَ ٱلْمُخَلَّفَ عَنْ سُلَيْمَانَ. وَزَادَ رَحَبْعَامُ فِي عِمَارَةِ

بيتَ لحمَ وغزَّةَ وصُورَ وغيرَها . وملكَ سبعَ عشرةَ سنةً

(لابن الوردي)

ملك يوشافاط ويورام

٤٨٣ ثمَّ ملكَ بعدهُ أبيامُ ثمَّ آسا . ثمَّ ملكَ يُوشافاطُ وكانَ رجلًا صالحًا كثيرَ العنايةِ بعلماءِ بني إسرائيلَ . وخرجَ عليهِ عدوٌّ من ولدِ العيسِ وجاؤوا في جمعٍ عظيمٍ . وخرجَ يوشافاطُ لقتالِهم فألقى اللهُ بينَ أعدائهِ الفتنةَ . واقتتلوا فيما بينهم حتَّى انمحقُوا وولَّوا منهزمينَ . فجمعَ يوشافاطُ منهم غنائمَ كثيرةً وعادَ بها إلى القدسِ مؤيَّدًا منصورًا واستمرَّ في مُلكهِ خمسًا وعشرينَ سنةً . ثمَّ ملكَ بعدهُ ابنهُ يورامُ ثمانيَ سنينَ . وتزوَّجَ ابنةَ أحابَ ملكِ العشرةِ الأسباطِ وقتلَ إخوتهُ كلَّهم . فنزلتْ عليهِ البلوى وماتَ مبطونًا . وملكَ بعدهُ ابنهُ أحزيا سنةً واحدةً

عتليا ويوآش

٤٨٤ عتليا أمُّ أحزيا ملكتْ سبعَ سنينَ . وأباحتْ للرجالِ السجودَ للأصنامِ في مدينةِ القدسِ . وأبادتْ ذرِّيةَ المملكةِ لتستبدَّ وحدَها بها ولا يبقى من ينافسُها عليها . ولم ينجُ سوى يوآشَ حافدِها أي ابنَ أحزيا ابنِها الذي سرقتهُ عمَّتهُ يوشابعُ امرأةُ يوياداعَ رئيسِ الكهنةِ وربَّتهُ سرًّا . ثمَّ ملكَ يوآشُ بنُ أحزيا أربعينَ سنةً . وليَ الملكَ ولهُ يومئذٍ سبعُ سنينَ . وذلكَ لأنَّ يوياداعَ رئيسَ الكهنةِ قتلَ عتليا الباغيةَ

جدّتهُ وقلّدهُ المُلكَ. ولم يعترف لهُ بجميلهِ لكنّهُ بعد وفاةِ يوياداعَ قتلَ جميعَ أولادهِ ثمَّ اغتالهُ مماليكهُ (لابي الفرج)

امصيا وعزيا

٤٨٥ ثمَّ ولوا مكانهُ ابنهُ أمصيا. فسار إلى أدوم وظفرَ بهم وقتلَ منهم نحوًا من عشرين ألفًا. ثمَّ زحفَ إليهِ ملكُ الأسباطِ بالسامرةِ. ولقيهُ فهزمهُ وحصلَ أمصيا في أسرهِ... وكان لعهدهِ من الأنبياء يونان وناحوم وتنبَّأ لعصرهِ عاموص. ولمَّا قتلَ أمصيا ولوا ابنهُ عزيا وطالت مدَّتهُ ثلاثًا وخمسين سنةً. ولعهدهِ كان من الأنبياء يوشعُ وعزيا وأشعيا ويونس. وانتهت عساكرُ عزيا إلى ثلاثمائةِ ألفٍ. وأصابهُ البرصُ بدعاء الكاهنِ لمَّا أراد أن يخالفَ التوراةَ في استعمالِ البخورِ وهو محرَّمٌ إلّا على سبطِ لاوي. فبرصَ ولزمَ بيتهُ سنةً. وصار ابنهُ يوتامُ ينظرُ في أمرِ المُلكِ إلى أن خلفَ أباهُ وكان صالحًا تقيًّا (لابن العميد باختصار)

آحاز وانتهاء ملك اسرائيل

٤٨٦ وهلكَ يوتامُ لستّ عشرةَ من مُلكهِ. وملكَ ابنهُ آحازُ فخالفَ سُنّةَ آبائهِ وعبدَ بنو إسرائيلَ الأوثانَ في زمانهِ. وحاربهُ فقحيا ملكُ السامرةِ مستنجدًا برصينَ ملكِ الشام. وأهلكَ من آلِ يهوذا مائةً وعشرين ألفًا. وفي سنةِ ثمانٍ لمُلكِ آحاز غزاهُ شلمناسرُ ملكُ بابلَ وكتبَ آحازُ نفسهُ عبدًا لهُ وأخذ جميعَ ما وجدَ في بيتِ الربِّ والمُلكِ

مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْآنِيَةِ. وَحَاصَرَ مَدِينَةَ شِمْرِينَ (وهي السامرة) ثَلَاثَ سِنِينَ وَفَتَحَهَا. وَقَتَلَ هُوشَعَ وَسَبَى الْعَشَرَةَ الْأَسْبَاطَ وَفَرَّقَهُمْ فِي جِبَالِ أَشُورَ وَأَرَاضِي بَابِلَ وَبِلَادِ الْفُرْسِ. وَمَنْ أَفْلَتَ مِنْ هٰذَا السَّبْيِ انْضَافَ إِلَى مَلِكِ السِّبْطَيْنِ يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ. وَبَطَلَ بِذٰلِكَ مُلْكُ الْعَشَرَةِ الْأَسْبَاطِ

ملك حزقيا

٤٨٧ حِزْقِيَا بْنُ آحَازَ مَلَكَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَأَطَاعَ اللّٰهَ وَأَزَالَ الْأَصْنَامَ فَظَفَّرَهُ اللّٰهُ بِأَعْدَائِهِ تَظْفِيرًا. وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ صَعِدَ شَلْمَنَاسَرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى أَرْضِ السَّامِرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَسَبَى جَمِيعَ مَنْ تَبَقَّى مِنَ الْعَشَرَةِ الْأَسْبَاطِ. وَفِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ مُلْكِ حِزْقِيَا غَزَا سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ دِيَارَ الْقُدْسِ وَبِصَلَاةِ حِزْقِيَا خَلَصَتْ أُورَشَلِيمُ. وَمَرِضَ حِزْقِيَا لِيَمُوتَ فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا وَنَاحَ قَائِلًا: إِنَّ الْبَرَكَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللّٰهُ فِي ذُرِّيَّةِ دَاوُدَ انْقَطَعَتْ مِنِّي وَعِنْدِي تَنْقَضِي سُلَالَةُ مُلْكِ ابْنِ يَسَّى. فَزَادَ اللّٰهُ فِي حَيَاتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَوُلِدَ لَهُ ابْنٌ فَسَمَّاهُ مَنَسَّى

هلاك جيش سنحاريب

٤٨٨ وَنَزَلَ سَنْحَارِيبُ عَلَى أُورَشَلِيمَ وَأَرْسَلَ إِلَى حِزْقِيَا يَقُولُ لَهُ: لَا تَغْتَرَّ بِرَبِّكَ فَسَأُهْلِكُكَ. فَذُعِرَ مِنْهُ حِزْقِيَا وَأَنْفَذَ إِلَى أَشَعْيَا النَّبِيِّ يَقُولُ لَهُ: هٰذَا يَوْمُ بَلَاءٍ فَادْعُ إِلَى رَبِّكَ. فَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَى أَشَعْيَا

قائلًا: قُل لِحزقيَّا لا تخَفْ مِن سنحاريب فإنّي رادُّهُ في الطَّريقِ الَّذي جاءَ فيهِ. وبعثَ اللهُ ملاكًا فقتلَ في معسكرِ سنحاريبَ مِائةَ ألفٍ وخمسةً وثمانينَ ألفًا مِن الجُندِ. فعادَ منهزمًا إلى أشورَ وهُنالكَ قتلَهُ ابناهُ وهو ساجدٌ في بيتِ صنمِهِ. وفي زمانِ حزقيَّا كانَ طوبيَّا الصِّدِّيقُ مِن جاليةِ بني إسرائيلَ قاطِنًا بنينوى. وقِصَّةُ مناولةِ ملاكِ الرَّبِّ إيَّاهُ مرارةً داوى بِها عينَيهِ وبرئَهُ مِن عماهُ مذكورةٌ في كتابِهِ

ملك منسَّى وأسرهُ وتوبتهُ

٤٨٩ ثمَّ ملكَ بعدَهُ ابنُهُ منسَّى واجتمعَ لهُ مُلكُ الأسباطِ الاثنَي عشرَ. وارتكبَ كلَّ محظورٍ ومحرَّمٍ. وعمِلَ صنمًا ذا أربعةِ أوجهٍ وأمرَ بالسُّجودِ لهُ. ونشرَ أشعيا النَّبيَّ ناهيهُ عنِ المنكرِ. فخذلَ اللهُ منسَّى وأسلمَهُ إلى الأشوريِّينَ فأسروهُ وأخذوهُ مسلسلًا إلى أشورَ وسجنوهُ في برجِ النُّحاسِ بمدينةِ نينوى. وعندَ ذلكَ تابَ إلى اللهِ ودعا ودعاؤهُ مشهورٌ. فتابَ اللهُ عليهِ وردَّهُ إلى ملكِهِ. وحالَ وصولِهِ إلى أورشليمَ أخرجَ الصَّنمَ ذا الوجوهِ الأربعةِ مِنَ الهيكلِ وطهَّرهُ وبنى سورَ أورشليمَ الجنوبيَّ

ملك آمون ويوشيا

٤٩٠ ثمَّ ملكَ ابنُهُ آمونُ سنتينِ واغتالَهُ عبيدُهُ وقتلوهُ. وأُقيمَ يوشيَّا مكانَهُ. ولمَّا ملكَ أحسنَ السِّيرةَ وهدمَ الأوثانَ. وكانَ صالحَ

الطَّرِيقَةِ مُسْتَقِيمَ الدِّينِ وَقَتَلَ كَهَنَةَ الْأَصْنَامِ وَهَدَمَ الْبُيُوتَ وَالْمَذَابِحَ الَّتِي بَنَاهَا يَارُبْعَامُ وَتَنَبَّأَ لِعَهْدِهِ إِرْمِيَا وَأَخْبَرَهُمْ بِالْجَلَاءِ سَبْعِينَ سَنَةً. ثُمَّ خَرَجَ يُوشِيَا لِحَرْبِ الْمَلِكِ فِرْعَوْنَ وَانْهَزَمَ يُوشِيَا. وَهَلَكَ بِسَهْمٍ أَصَابَهُ لِسَنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُلْكِهِ (لابن خلدون)

ملك يوآحاز ويوياقيم ابني يوشيا

٤٩١ مَلَكَ يُوآحَازُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَ فَاسِدَ الطَّرِيقَةِ. فَسَبَاهُ فِرْعَوْنُ الْأَعْرَجُ وَأَوْثَقَهُ بِالْحَدِيدِ وَأَنْفَذَهُ إِلَى مِصْرَ وَمَاتَ هُنَاكَ وَنَصَبَ يُويَاقِيمَ أَخَاهُ مَكَانَهُ. وَمَلَكَ بَعْدَهُ يُويَاقِيمُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَ قَبِيحَ الْمَذْهَبِ مَذْمُومَ الطَّرِيقَةِ وَقَبِلَ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ لِمَلِكِ مِصْرَ كُلَّ سَنَةٍ مِائَةَ قِنْطَارٍ ذَهَبًا. وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِمُلْكِهِ صَعِدَ بُخْتَ نَصَّرُ مَلِكُ بَابِلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَسَبَاهَا وَجَلَا أَكْثَرَ أَهْلِهَا إِلَى بَابِلَ وَمَعَهُمْ دَانِيَالُ النَّبِيُّ وَوَضَعَ الْجِزْيَةَ عَلَى يُويَاقِيمَ وَرَجَعَ عَنْهُ. وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ مُلْكِ يُويَاقِيمَ نَزَلَ بُخْتَ نَصَّرُ نُزُولًا عَلَى أُورَشَلِيمَ وَأَخَذَ مَالًا مِنْ يُويَاقِيمَ وَعَادَ وَبَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَاتَ يُويَاقِيمُ

ملك يوياكين وجلاء بابل

٤٩٢ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يُويَاكِينُ وَيُسَمَّى يَكُنْيَا. وَلَمَّا مَضَتْ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ مِنْ مُلْكِهِ قَصَدَهُ مَلِكُ بَابِلَ وَحَاصَرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ. فَخَرَجَ يَكُنْيَا إِلَيْهِ مُسْتَأْمِنًا مَعَ أُمِّهِ وَحَشَمِهِ وَعَبِيدِهِ فَجَلَاهُمْ كُلَّهُمْ إِلَى بَابِلَ وَلَمْ يَتْرُكْ فِي أُورَشَلِيمَ إِلَّا شَيْخًا مُسِنًّا وَعَجُوزًا ضَعِيفَةً.

وولّى على من تخلّف بأورشليم صدقيا بن يوشيا عم يكنيا وبقي يكنيا معتقلاً في بابل سبعًا وثلاثين سنة

ملك صدقيا بن يوشيا

٤٩٣ كان اسمه متنيا وبختنصر سمّاه صدقيا ملك إحدى عشرة سنة. ثم عصى ومنع الجزية التي كان يؤديها إلى بختنصر فعاد إليه وأسره وذبح أولاده بين يديه وسمل عينيه وسار به إلى أشور وجعله يدير الرحى مثل الحمار وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة. ولما مات رميت جثته وراء السور فأكلته الكلاب. وفي هذه المرة دخل بختنصر إلى مصر وجزائر البحر وهدم مدنًا كثيرة وأحرق مدينة صور وقتل حيرام ملكها. وبعث بختنصر نبوزردن إلى أورشليم فدعثر سورها وأحرق الهيكل. وكان لإرميا عند هذا القائد منزلة فسأله في أمر كتب الوحي فلم يحرقها فجمعها ووضعها مع لوحي الناموس وعصا موسى ومجمرة البخور وباقي آلات القدس في تابوت العهد ورمى بها في بعض الآبار ولم يعرف مكانها إلى الآن. وجلس إرميا النبي ينوح على أورشليم عشرين سنة ثم انتقل إلى مصر فقبض عليه قوم من اليهود وحبسوه في جب ثم أخرجوه ورجموه فمات ودفن في مصر. ثم في زمان الإسكندر نقل تابوته إلى الإسكندرية فدفن هناك. وكان حزقيال النبي في جملة من سبي إلى بابل فقتله اليهود لأجل توبيخه لهم. فمن السنة الرابعة من ملك

سُلَيمانَ ٱلَّتي كانَ فِيها ٱلشُّروعُ في بُنيانِ هيكلِ ٱلرَّبِّ إلى خرابِهِ ٱلكُلِّيِّ وحريقِهِ أربعمائةٍ وٱثنتانِ وأربعونَ سنةً . وعلى رأيِ من جعلَ مُدَّةَ مُلكِ صِدقيَّا تسعًا وستِّينَ سنةً تكونُ مُدَّةُ ٱلهيكلِ عامرًا خمسمائةٍ سنةٍ (لابي الفرج)

رؤيا بخت نصر

٤٩٤ رأى بُخت نصَّرُ صنمًا رأسُهُ مِن ذهبٍ وصدرُهُ وذراعاهُ مِن فِضَّةٍ وبطنُهُ وفخذاهُ مِن نُحاسٍ وساقاهُ مِن حديدٍ وقدماهُ بعضُهما حديدٌ وبعضُهما خزفٌ . وأنَّ حجرًا ٱنقطعَ مِنَ ٱلجبلِ مِن غيرِ يدٍ قاطعةٍ لهُ وصكَّ ٱلصنمَ فٱندقَّ ٱلحديدُ وٱلنحاسُ وغيرُهُ وصارَ جميعُ ذلِكَ مِثلَ ٱلغبارِ وألوتْ بهِ ريحٌ عاصفةٌ ثُمَّ صارَ ٱلحجرُ ٱلَّذي صكَّ ٱلصنمَ جبلًا عظيمًا ٱمتلأتْ منهُ ٱلأرضُ كُلُّها . فقالَ بُخت نصَّرُ : لا أُصدِّقُ تعبيرَ ما رأيتُهُ إلَّا ممَّن يُخبِرُ بما رأيتُ . وكتمَ بُخت نصَّرُ ذلِكَ وسألَ ٱلعلماءَ وٱلسحرةَ وٱلكهنةَ عن ذلِكَ فلم يُطِقْ أحدٌ أن يُنبِئَهُ بذلِكَ حتَّى سألَ دانيالَ . فخبَّرهُ دانيالُ بصورةِ رؤياهُ كما رآها بُخت نصَّرُ ولم يُخِلَّ منها بشيءٍ . ثُمَّ عبَّرها لهُ دانيالُ فقالَ : الرأسُ مُلكُكَ وأنتَ بينَ ٱلملوكِ بمنزلةِ رأسِ ٱلصنمِ ٱلذهبِ . وٱلَّذي يقومُ بعدَكَ دونَكَ بمنزلةِ ٱلفضَّةِ مِنَ ٱلذهبِ . ثُمَّ يكونُ كُلُّ متأخِّرٍ أقلَّ ممَّن قبلَهُ مثلَما ٱلنحاسُ دونَ ٱلفضَّةِ وٱلحديدُ دونَ ٱلنحاسِ . وأمَّا ٱلقدمانِ وٱلأصابعُ ٱلَّتي بعضُها حديدٌ وبعضُها خزفٌ فإنَّ ٱلمملكةَ

تَصِيرُ آخِرَ ٱلْوَقْتِ مُخْتَلِطَةً مُخْتَلِفَةً بَعْضُهَا قَوِيٌّ وَبَعْضُهَا ضَعِيفٌ. ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يُقِيمُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَمْلَكَةً لَا تَبِيدُ إِلَى آخِرِ ٱلدَّهْرِ. هٰذَا تَعْبِيرُ رُؤْيَاكَ. فَخَرَّ بُخْتَ نَصَّرُ سَاجِدًا لِدَانِيَالَ وَأَمَرَ لَهُ بِٱلْخِلَعِ وَأَنْ يُقَرَّبَ لَهُ ٱلْقَرَابِينُ (لابي الفداء)

الفتيان الثلاثة في اتون النار

٤٩٥ وَرَأَّسَ بُخْتَ نَصَّرُ دَانِيَالَ عَلَى جَمِيعِ حُكَمَاءِ بَابِلَ وَوَلَّى أَعْمَامَهُ حَنَنْيَا وَعَزَرْيَا وَمِيشَائِيلَ أَمْرَ مَدِينَةِ بَابِلَ. وَسَمَّاهُمْ بِأَسْمَاءٍ نَبَطِيَّةٍ شَدْرَكَ وَمِيشَكَ وَعَبْدَ نَجُو. ثُمَّ ٱتَّخَذَ بُخْتَ نَصَّرُ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سِتَّةِ أَذْرُعٍ. وَتَقَدَّمَ إِلَى جَمِيعِ عُظَمَاءِ دَوْلَتِهِ أَنْ يُوَافُوا عِيدَ ٱلصَّنَمِ وَأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا صَوْتَ ٱلْقَرْنِ وَبَاقِي أَنْوَاعِ ٱلزَّمْرِ يَخِرُّونَ سُجَّدًا لِلصَّنَمِ. فَٱمْتَثَلَ ٱلْجَمِيعُ أَمْرَهُ مَا عَدَا حَنَنْيَا وَعَزَرْيَا وَمِيشَائِيلَ فَسَعَى بِهِمْ قَوْمٌ إِلَى بُخْتَ نَصَّرَ أَنَّهُمْ لَا يَعْتَدُّونَ بِأَمْرِهِ. فَٱسْتَشَاطَ مِنْ ذٰلِكَ غَضَبًا وَأَمَرَ أَنْ يُسْجَرَ ٱلْأَتُّونُ فَوْقَ مَا كَانَ يُسْجَرُ سَبْعَةَ أَضْعَافِ ٱلْوُقُودِ وَأَنْ يُزَجُّوا بِسَرَاوِيلِهِمْ وَقَلَانِسِهِمْ وَبَاقِي ثِيَابِهِمْ فِي أَتُّونِ ٱلنَّارِ. فَلَمَّا فُعِلَ بِهِمْ ذٰلِكَ أَحْرَقَتِ ٱلنَّارُ ٱلَّذِينَ سَعَوْا بِهِمْ وَأَمَّا هُمْ فَمَكَثُوا فِي ٱلنَّارِ مُمَجِّدِينَ لِلّٰهِ. وَمَلَاكُ ٱلظِّلِّ نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَأَمَالَ عَنْهُمْ لَهِيبَ ٱلنَّارِ فَلَمْ تَنَكْ فِيهِمْ وَلَا فِي ثِيَابِهِمْ وَلَا فِي لِبَاسِهِمْ. فَلَمَّا شَاهَدَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ بُهِتَ تَعَجُّبًا وَقَالَ: أَرَى ٱلرَّابِعَ مِنْهُمْ شَبِيهَ ٱلْمَنْظَرِ بِبَنِي ٱلْآلِهَةِ يَعْنِي ٱلْمَلَاكَ. وَنَادَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَائِلًا:

يَا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱخْرُجُوا. فَخَرَجُوا مِنَ ٱلنَّارِ وَلَمْ يَشِطْ شَيْءٌ مِنْ ثِيَابِهِمْ وَلَا شُعُورِهِمْ. فَرَفَعَ بُخْتَ نَصَّرُ دَرَجَاتِهِمْ

وليمة بلشصَّر بن بخت نصر

٤٩٦ وَمَلَكَ بَعْدَ بُخْتَ نَصَّرَ ٱبْنُهُ بَلْشَصَّرُ وَعَمِلَ هٰذَا وَلِيمَةً عَظِيمَةً لِأَلْفِ رَجُلٍ مِنْ أَكَابِرِ دَوْلَتِهِ. وَكَانَ يَشْرَبُ ٱلْخَمْرَ بِإِزَائِهِمْ. وَأَمَرَ وَهُوَ يَشْرَبُ أَنْ يُؤْتَى بِآنِيَةِ هَيْكَلِ ٱلرَّبِّ ٱلَّتِي سَبَاهَا أَبُوهُ مِنْ أُورَشَلِيمَ. وَشَرِبَ فِيهَا مَعَ عُظَمَائِهِ فَظَهَرَتْ قُبَالَتَهُ كَفُّ يَدٍ كَاتِبَةٍ عِقَابَهُ فِي ضَوْءِ ٱلْمِصْبَاحِ عَلَى ٱلْحَائِطِ. فَرَابَتْهُ ٱلْكِتَابَةُ وَأَحْضَرَ حُكَمَاءَ بَابِلَ لِيُتَرْجِمُوا ٱلْكِتَابَةَ فَعَجَزُوا عَنْ حَلِّهَا. فَٱمْتَعَضَ لِذٰلِكَ ٱمْتِعَاضًا شَدِيدًا. فَأَخْبَرَتْهُ أُمُّهُ عَنْ دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ أَنَّهُ دَرَّاكُ غَيْبٍ وَحَلَّالُ عُقَدٍ فَٱسْتَدْعَاهُ وَضَمِنَ لَهُ أَنْ يُلْبِسَهُ ٱلْأُرْجُوَانَ وَأَنْ يُوَلِّيَهُ ثُلْثَ ٱلْمُلْكِ إِنْ أَوَّلَ ٱلْكِتَابَةَ. فَقَالَ دَانِيَالُ: لِتَكُنْ مَوَاهِبُكَ لَكَ وَٱجْعَلْ ذَخَائِرَ بَيْتِكَ لِغَيْرِي. أَمَّا ٱلْكِتَابَةُ فَقِرَاءَتُهَا: أُحْصِيَ إِحْصَاءً وُزِنَ وَأُعْرِيَ. وَتَأْوِيلُهَا أَنَّ ٱللهَ أَحْصَى مُلْكَكَ وَسَلَبَهُ وَوَزَنَكَ زِنَةً فَوَجَدَكَ شَائِلًا فَلِذَا أَعْرَاكَ مِنْ مُلْكِكَ فَأَنْتَ عَارٍ عُرْيَةً. وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱغْتَالَهُ دَارِيُوسُ ٱلْمَادِيُّ وَقَتَلَهُ

دانيال في جبّ الاسد

٤٩٧ دَارِيُوسُ ٱلْمَادِيُّ ٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلْمُلْكِ وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَحَسُنَتْ مَنْزِلَةُ دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ عِنْدَهُ. وَأَقَامَ فِي وِلَايَتِهِ مِائَةً

وَعِشْرِينَ قَائِدًا. وَرَأَسَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ أَحَدُهُمْ دَانِيَالُ وَكَانَ يَرْجِعُ فِي سَرَائِرِهِ إِلَيْهِ. فَسَاءَ ذَلِكَ أَرْبَابَ الدَّوْلَةِ وَجَعَلُوا يَطْلُبُونَ عَلَيْهِ حُجَّةً يُوقِعُونَهُ بِهَا عَنْ مَرْتَبَتِهِ. فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِهَفْوَةٍ غَيْرَ أَنَّهُ يَدِينُ بِغَيْرِ دِينِ ٱلْمَلِكِ. فَسَارُوا إِلَى ٱلْمَلِكِ وَقَالُوا: إِنَّ دَانِيَالَ يَعْبُدُ إِلٰهًا غَرِيبًا. وَفِي سُنَّتِنَا أَنَّ مَنْ دَانَ فِي أَرْضِنَا بِدِينٍ غَيْرِ دِينِنَا وَتَعَدَّى سُنَّةَ أَهْلِ مَادَايَ وَفَارِسَ قُذِفَ بِهِ فِي جُبِّ ٱلْأُسْدِ. فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرِ ٱلْمَلِكُ عَلَى إِبْطَالِ شَرِيعَةِ قَوْمِهِ تَقَدَّمَ بِقَذْفِ دَانِيَالَ فِي جُبِّ ٱلْأُسْدِ وَقَالَ لَهُ: إِلٰهُكَ يُنَجِّيكَ. وَٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَبَاتَ طَاوِيًا وَطَارَ عَنْهُ نَوْمُهُ إِشْفَاقًا عَلَى دَانِيَالَ. وَجَاءَ ٱلْمَلِكُ دَارِيُوسُ فِي صَبَاحِ ٱلْيَوْمِ ٱلثَّانِي لِيَبْكِيَ عَلَى دَانِيَالَ لِكَثْرَةِ ٱغْتِمَامِهِ لَهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ ٱلْجُبِّ نَادَاهُ: يَا دَانِيَالُ هَلْ قَدَرَ مَعْبُودُكَ أَنْ يُنَجِّيَكَ مِنَ ٱلسِّبَاعِ. أَجَابَهُ دَانِيَالُ قَائِلًا: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْ خَالِدًا إِنَّ إِلٰهِي بَعَثَ لِي مَلَاكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ ٱلْأُسْدِ فَلَمْ تُهْلِكْنِي. فَحَسُنَ مَوْقِعُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمَلِكِ جِدًّا وَأَخْرَجَ دَانِيَالَ مِنَ ٱلْجُبِّ وَأَلْقَى وُشَاتَهُ فِيهِ مَعَ نِسَائِهِمْ وَبَنِيهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ. فَمَا ٱسْتَقَرُّوا فِي قَرَارِ ٱلْجُبِّ إِلَّا وَمَزَّقَتْهُمُ ٱلْأُسْدُ وَرَضَّتْ عِظَامَهُمْ رَضًّا

انتهاء جلاء بابل

٤٩٨ ثُمَّ وَلِيَ دَارِيُوسَ كُورَشُ ٱلْفَارِسِيُّ وَأَذِنَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عِمَارَةِ أُورَشَلِيمَ. فَجَمَعَهُمْ كُورَشُ ٱلْمَلِكُ وَخَيَّرَهُمْ قَائِلًا: مَنِ ٱخْتَارَ ٱلصُّعُودَ فَلْيَصْعَدْ وَمَنْ أَبَاهُ فَلْيُقِمْ. فَكَانَ عَدَدُ مُؤْثِرِي ٱلصُّعُودِ خَمْسِينَ

أَلْفاً مِنَ ٱلرِّجَالِ غَيْرَ ٱلنِّسَاءِ وَٱلْأَوْلَادِ فَحَصَلَ زَرُبَّابِلُ مَلِكَهُمْ وَيَشُوعُ كَاهِنَهُمْ. وَعَنْهُمَا قَالَ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ لِزَكَرِيَّاءَ ٱلنَّبِيِّ إِنَّ هٰذَيْنِ ٱبْنَا ٱلدَّلَالِ وَهُمَا يَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. فَصَعِدَتْ هٰذِهِ ٱلشِّرْذِمَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَى مِنْ مُلْكِ كُورَشَ إِلَى أُورَشَلِيمَ وَهَمُّوا بِعِمَارَتِهَا. وَلِأَنَّ ٱلْفِلَسْطِينِيِّينَ مُجَاوِرِيهِمْ أَعْنَتُوهُمْ كَانَ تَشْيِيدُهُمُ ٱلْهَيْكَلَ عَلَى ٱلتَّرَاخِي فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَعَظَّمَ كُورَشُ أَيْضاً شَأْنَ دَانِيَالَ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ سِيَاسَةَ مُلْكِهِ. فَغَارَ لِلّٰهِ غَيْرَةً وَكَسَرَ ٱلصَّنَمَ ٱلْمُسَمَّى بِيلَا وَقَتَلَ ٱلتِّنِّينَ مَعْبُودَ ٱلْبَابِلِيِّينَ. فَمُقِتَ وَرُمِيَ فِي جُبٍّ فِيهِ سَبْعَةُ أُسْدٍ. وَكَانَ حَبَقُّوقُ ٱلنَّبِيُّ فِي ٱلشَّامِ قَدْ طَبَخَ طَبِيخاً وَمَضَى يُطْعِمُ ٱلْحَوَاصِيدَ. فَأَخَذَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ بِشَعْرِ رَأْسِهِ وَوَضَعَهُ فِي بَابِلَ عَلَى فَمِ ٱلْجُبِّ فَقَالَ: دَانِيَالُ دَانِيَالُ قُمْ خُذِ ٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي أَنْفَذَ لَكَ رَبُّكَ. فَقَالَ دَانِيَالُ: ذَكَرَنِي ٱللّٰهُ وَلَمْ يُهْمِلْنِي. وَأَخَذَ ٱلْمَلَاكُ بِحَبَقُّوقَ وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ. وَنَجَا دَانِيَالُ مِنَ ٱلْجُبِّ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَهَلَكَ مُبْغِضُوهُ. ثُمَّ رَأَى ٱلرُّؤْيَا عَلَى نَهْرِ ٱلْفُرَاتِ وَعَرَّفَهُ مَلَاكُ ٱلرَّبِّ مُدَّةَ ٱلسِّنِينَ ٱلَّتِي بَقِيَتْ مِنَ ٱلسَّبْيِ وَمِنْ ظُهُورِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ وَآلَامِهِ وَمَوْتِهِ. وَمَاتَ دَانِيَالُ وَدُفِنَ فِي قَصْرِ شُوشَنَ أَعْنِي مَدِينَةَ تُسْتَرَ

احشوروش واستير

٤٩٩ وَجَرَى مُلُوكُ ٱلْفُرْسِ عَلَى سُنَّةِ كُورَشَ فِي تَكْرِيمِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا قَلِيلاً فِي أَيَّامِ أَحْشُورُوشَ مِنْهُمْ. كَانَ وَزِيرُهُ هَامَانَ وَكَانَ مِنَ

ٱلْعَمَالِقَةِ ... فَكَانَ هَامَانُ يُعَادِيهِم لِذَلِكَ وَعَظُمَتْ سِعَايَتُهُ فِيهِمْ وَحَمَلَ أَحْشُورُوشَ عَلَى قَتْلِهِمْ. وَكَانَ مَرْدَخَايُ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ قَدْ زَوَّجَ أُخْتَهُ مِنَ ٱلرِّضَاعِ (وكانت ابنة عمه) لِأَحْشُورُوشَ. فَدَسَّ إِلَيْهَا مَرْدَخَايُ أَنْ تَشْفَعَ إِلَى ٱلْمَلِكِ فِي قَوْمِهَا. فَقَبِلَهَا وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ وَأَعَادَهُمْ إِلَى أَنِ ٱنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ ٱلْفُرْسِ بِهَلَكِ دَارَا

ملك ارتحششتا

٥٠٠ أَرْتَحْشَشْتَا ٱلطَّوِيلُ ٱلْيَدَيْنِ مَلَكَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنْ مُلْكِهِ أَمَرَ عِزْرَا ٱلْحِبْرَ وَهُوَ ٱلَّذِي تُسَمِّيهِ ٱلْعَرَبُ ٱلْعُزَيْرَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى أُورَشَلِيمَ وَيَجْتَهِدَ فِي عِمَارَتِهَا. وَفِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ أَرْسَلَ نَحَمْيَا ٱلسَّاقِيَ ٱلْخَصِيَّ أَيْضًا لِيَجِدَّ فِي تَرْمِيمِهَا. وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ لَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ نَارُ قُدْسٍ لِأَنَّهُمْ رَمَوْهَا فِي بِئْرٍ وَقْتَ جَلَائِهِمْ. فَأَتَوْا بِحَمْأَةٍ مِنْهَا وَوَضَعُوهَا عَلَى حَطَبِ ٱلْقُرْبَانِ فَٱشْتَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ بَعْدَ أَنْ طَفِئَتْ مِائَةَ سَنَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بِٱلتَّقْرِيبِ (لابي الفرج)

يهوديت واليفانا

٥٠١ قَمْبَاسُوسُ بْنُ كُورَشَ مَلَكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ. وَفِي أَيَّامِهِ (*) كَانَتْ يَهُودِيتُ ٱلْمَرْأَةُ ٱلْعِبْرَانِيَّةُ ٱلَّتِي ٱحْتَالَتْ عَلَى أَلِيفَانَا ٱلْمَاجُوجِيِّ صَاحِبِ جَيْشِ قَمْبَاسُوسَ. وَقَطَعَتْ رَأْسَهُ وَأَمِنَتِ ٱلْيَهُودُ بَأْسَهُ

(*) ان زمان هذا الحادث مجهول

الاسكندر في بيت المقدس

٥٠٢ وَٱسْتَوْلَى بَنُو يُونَانَ بِمَهْلِكِ دَارَا عَلَى مُلْكِ فَارِسَ وَمَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ بْنُ فِيلِبُّسَ وَدَوَّخَ ٱلْأَرْضَ وَفَتَحَ سَوَاحِلَ ٱلشَّامِ وَسَارَ إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ لِأَنَّهَا مِنْ طَاعَةِ دَارَا. وَخَافَ ٱلْكَهَنَةُ مِنْ وُصُولِهِ إِلَيْهِمْ. وَرَأَى فِي بَعْضِ تِمْثَالِ رَجُلًا فَقَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُرْسِلْتُ لِمَعُونَتِكَ وَنَهَاهُ عَنْ أَذِيَّةِ ٱلْمَقْدِسِ وَأَوْصَاهُمْ بِٱمْتِثَالِ إِشَارَتِهِمْ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ٱلْبَيْتِ لَقِيَهُ ٱلْكَاهِنُ فَبَالَغَ فِي تَعْظِيمِهِ وَدَخَلَ مَعَهُ إِلَى ٱلْهَيْكَلِ وَبَارَكَ عَلَيْهِ. وَرَغِبَ إِلَيْهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ أَنْ يَضَعَ هُنَالِكَ تِمْثَالَهُ مِنَ ٱلذَّهَبِ لِيُذْكَرَ بِهِ. فَقَالَ: هٰذَا حَرَامٌ لٰكِنْ تَصْرِفُ هِمَّتَكَ فِي مَصَالِحِ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْمُصَلِّينَ وَيُجْعَلُ لَكَ مِنَ ٱلذِّكْرِ دُعَاؤُهُمْ لَكَ وَأَنْ يُسَمَّى كُلُّ مَوْلُودٍ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ بِٱلْإِسْكَنْدَرِ. فَرَضِيَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَحَمَلَ لَهُمُ ٱلْمَالَ وَأَجْزَلَ عَطِيَّةَ ٱلْكَاهِنِ. وَسَأَلَهُ أَنْ يَسْتَخْبِرَ ٱللهَ فِي حَرْبِ دَارَا. فَقَالَ لَهُ: ٱمْضِ وَٱللهُ مُظَفِّرُكَ. وَقَرَأَ لَهُ سِفْرَ دَانِيَالَ. وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ رُؤْيَا رَآهَا فَأَوَّلَهَا لَهُ بِأَنَّهُ يَظْفَرُ بِدَارَا ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ

(لابن خلدون)

ذكر نقل التوراة

٥٠٣ لَمَّا مَلَكَ ٱلْإِسْكَنْدَرُ وَعَظُمَ مُلْكُ ٱلْيُونَانِ وَقَهَرُوا ٱلْفُرْسَ أَطَاعَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَغَيْرُهُمْ. وَتَوَلَّتْ مُلُوكُ ٱلْيُونَانِ بَعْدَ ٱلْإِسْكَنْدَرِ

وَكَانَ يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بَطْلِيمُوسُ. وَذَلِكَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ مَاتَ فَمَلَكَ بَعْدَهُ بَطْلِيمُوسُ بْنُ لَاغُوسَ عِشْرِينَ سَنَةً. ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ بَطْلِيمُوسُ مُحِبُّ أَخِيهِ فَوَجَدَ نَحْوَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ أَسِيرٍ مِنَ ٱلْيَهُودِ فَأَعْتَقَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِٱلْعَوْدِ إِلَى بِلَادِهِمْ. فَفَرِحَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِذَلِكَ. وَأَرْسَلَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْمُقِيمِينَ بِٱلْقُدْسِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُرْسِلُوا إِلَيْهِ عِدَّةً مِنْ عُلَمَائِهِمْ لِنَقْلِ ٱلتَّوْرَاةِ وَغَيْرِهَا إِلَى ٱللُّغَةِ ٱلْيُونَانِيَّةِ. فَسَارَعُوا إِلَى أَمْرِهِ وَٱزْدَحَمُوا عَلَى ٱلرَّوَاحِ إِلَيْهِ. ثُمَّ ٱتَّفَقُوا أَنْ يَبْعَثُوا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ أَسْبَاطِهِمْ سِتَّةَ نَفَرٍ فَبَلَغُوا ٱثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَطْلِيمُوسَ أَحْسَنَ قِرَاهُمْ وَصَيَّرَهُمْ سِتًّا وَثَلَاثِينَ فِرْقَةً وَخَالَفَ بَيْنَ أَسْبَاطِهِمْ وَأَمَرَهُمْ فَتَرْجَمُوا لَهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ نُسْخَةً مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَقَابَلَ بَطْلِيمُوسُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ فَوَجَدَهَا مُسْتَوِيَةً لَمْ تَخْتَلِفِ ٱخْتِلَافًا يُعْتَدُّ بِهِ. وَفَرَّقَ ٱلنُّسَخَ ٱلْمَذْكُورَةَ فِي بِلَادِهِ. وَبَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنَ ٱلتَّرْجَمَةِ وَصَلَهُمْ وَجَهَّزَهُمْ إِلَى بَلَدِهِمْ. وَسَأَلَهُ ٱلْمَذْكُورُونَ نُسْخَةً مِنْ تِلْكَ ٱلنُّسَخِ فَأَسْعَفَهُمْ بِنُسْخَةٍ. وَعَادُوا إِلَى بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. فَنُسْخَةُ ٱلتَّوْرَاةِ ٱلْمَنْقُولَةُ لِبَطْلِيمُوسَ حِينَئِذٍ أَصَحُّ ٱلتَّوْرَاةِ وَأَثْبَتُهَا (لابن الوردي)

اضطهاد انطيوخوس الشهير

٥٠٤ وَلَمَّا مَلَكَ أَنْطِيُوخُوسُ ٱلصَّغِيرُ ٱلْمُلَقَّبُ بِأَبِيفَانِسَ أَيِ ٱلشَّهِيرِ وَرَدَ ٱلْبَيْتَ ٱلْمُقَدَّسَ وَنَجَّسَ ٱلْهَيْكَلَ بِنَصْبِهِ صَنَمَ زَاوُسَ وَهُوَ ٱلْمُشْتَرِي فِيهِ. وَأَلْزَمَ أَلِيعَازَرَ ٱلْكَاهِنَ أَنْ يُضَحِّيَ لِلصَّنَمِ ٱلْأُضْحِيَةَ وَلِأَنَّهُ أَبَى

أَماتَهُ بِالْعِقابِ. ثُمَّ سُعِيَ إِلَيْهِ بِامْرَأَةٍ اسْمُها إِشْمُونِي مَعَ سَبْعَةِ بَنِيها أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ الْأَصْنامَ. فَأَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَمَرَ بِقَطْعِ لِسانِ الْأَوَّلِ وَأَطْرافِ جَمِيعِ أَعْضائِهِ وَإِلْقائِهِ فِي الطَّاجِنِ. وَسَلَخَ جِلْدَةَ رَأْسِ الثَّانِي. وَكَذٰلِكَ أَماتَ الْباقِينَ وَبَعْدَهُمْ أُمَّهُمْ بِأَنْواعِ الْعَذابِ وَدُفِنُوا فِي أُورَشَلِيمَ. ثُمَّ بَعْدَ مَجِيءِ الْمُخَلِّصِ نَقَلَ مُؤْمِنُو النَّصارَى أَجْسادَهُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَنْطاكِيَةَ وَبَنَوْا عَلَيْها كَنِيسَةً (لابي الفرج)

اخبار متتيا ويهوذا ابنهِ المكابي

٥٠٥ ثُمَّ فَرَّ الْيَهُودُ إِلَى الْجِبالِ وَالْبَرارِي وَكانَ فِي مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ مَتَّتْيا ابْنُ يُوحَنَّا بْنِ شِمْعُونَ الْكاهِنُ الْأَعْظَمُ وَيُعْرَفُ بِحَشْمَنايَ مِنْ نَسْلِ هارُونَ. وَكانَ رَجُلًا صالِحًا خَيِّرًا شُجاعًا وَأَقامَ بِالْبَرِّيَّةِ. وَحَزِنَ لِما نَزَلَ بِقَوْمِهِ. فَلَمَّا أَبْعَدَ أَنْطِيُوخُوسُ الرِّحْلَةَ عَنِ الْقُدْسِ بَعَثَ مَتَّتْيا إِلَى الْيَهُودِ يُعَرِّفُهُمْ بِمَكانِهِ وَيَتَمَعَّضُ لَهُمْ وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى الثَّوْرَةِ عَلَى الْيُونانِيِّينَ. فَأَجابُوهُ وَتَراسَلُوا فِي ذٰلِكَ وَبَلَغَ الْخَبَرُ أَفْلُنْيُوسَ قائِدَ أَنْطِيُوخُوسَ فَسارَ فِي عَسْكَرِهِ إِلَى الْبَرِّيَّةِ طالِبًا مَتَّتْيا وَأَصْحابَهُ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ حارَبَهُمْ فَغَلَبُوهُ وَانْهَزَمَ فِي عَساكِرِهِ. وَقَوِيَ الْيَهُودُ عَلَى الْخِلافِ. وَهَلَكَ مَتَّتْيا خِلالَ ذٰلِكَ وَقامَ بِأَمْرِهِ ابْنُهُ يَهُوذا فَهَزَمَ عَساكِرَ أَفْلُنْيُوسَ ثانِيَةً. وَشُغِلَ أَنْطِيُوخُوسُ بِحُرُوبِ الْفُرْسِ فَزَحَفَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَقْدُونِيَةَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمِ ابْنَهُ أُوباتِيرَ وَضَمَّ إِلَيْهِ عَظِيمًا مِنْ قَوْمِهِ اسْمُهُ لِيسِيَّاسُ. وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا الْعَساكِرَ إِلَى الْيَهُودِ فَبَعَثُوا

ثلاثة من قوادهم وهم نيقانور وبطليموس وجرجياس وعهد إليهم بإبادة اليهود حيث كانوا. فسارت العساكر واستنفروا سائر الأرمن من نواحي دمشق وحلب وأعداء اليهود من فلسطين وغيرهم. وزحف يهوذا بن متتيا مقدم اليهود للقائهم. بعد أن تضرعوا إلى الله وطافوا بالبيت وتمسحوا به. ولقيهم عسكر نيقانور فهزموه وأثخنوا فيه بالقتل وغنموا ما معهم. وقبضوا على أفلنيوس القائد الأول لأنطيوخوس فأحرقوه بالنار. ورجع نيقانور إلى مقدونية فدخلها وخبر ليسياس وأوباتير ابن الملك بالهزيمة فجزعوا لها. ثم جاءهم الخبر بهزيمة أنطيوخوس أمام الفرس ثم وصل إلى مقدونية واشتد غيظه على اليهود وجمع لغزوهم فهلك دون ذلك بطاعون في جسده ودفن في طريقه. وملك أوباتير وسموه أنطيوخوس باسم أبيه. ورجع يهوذا بن متتيا إلى القدس فهدم جميع ما بناه أنطيوخوس من المذابح وأزال ما نصبه من الأصنام وطهر المسجد وبنى مذبحاً جديداً للقربان وأصعد المحرقات وأشعل النار ولم تنطفي إلى الخراب الثاني أيام الجلوة. واتخذوا ذلك اليوم عيداً سموه عيد المساكر. وناز لهم ليسياس فزحف إليه يهوذا بن متتيا في عسكر اليهود وثبت عسكر ليسياس فانهزموا ولجأ إلى بعض الحصون. وطلب النزول على الأمان على أن لا يعود إلى حربهم. فأجابه يهوذا على أن يدخل أوباتير معه في العقد وكان ذلك وتم

ٱلصُّلْحُ. وعاهد أوباتير ٱلْيهود على أن لا يسير إِلَيْهِمْ. وَشُغِلَ يهوذا بِٱلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ قَوْمِهِ

ولاية يوناتان وشمعون اخوي يهوذا

٥٠٦ ثُمَّ خَرَجَ دِيمِتْرِيُوسُ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ ٱلرُّومِ لِمُحَارَبَةِ ٱلْيَهُودِ. وَخَرَجَتْ عَسَاكِرُهُمْ مِنَ ٱلْقُدْسِ. وَفَرُّوا عَنْ قَائِدِهِمْ يَهُوذَا وَٱفْتَرَقُوا فِي ٱلشِّعَابِ. وَأَقَامَ مَعَهُ مِنْهُمْ فَلٌّ قَلِيلٌ وَأَتْبَعَهُمْ دِيمِتْرِيُوسُ. فَلَقِيَهُ يَهُوذَا وَأَكْمَنَ لَهُ. فَٱنْهَزَمَ ٱلْيَهُودُ وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَمِينُ ٱلرُّومِ فَقُتِلَ يَهُوذَا فِي كَثِيرٍ مِنْ وُلَاتِهِ وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ أَبِيهِ مَتَّثْيَا. وَلَحِقَ أَخُوهُ يُونَاتَانُ فِي مَنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْيَهُودِ بِنَوَاحِي ٱلْأُرْدُنِّ وَتَحَصَّنُوا بِبَيْتِ حَجْلَةَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَحَاصَرَهُمْ قَائِدُ دِيمِتْرِيُوسَ هُنَالِكَ أَيَّامًا. ثُمَّ بَيَّتُوهُ فَهَزَمُوهُ وَخَرَجَ يُونَاتَانُ وَٱلْيَهُودُ فِي أَتْبَاعِهِ فَقَبَضُوا عَلَيْهِ. ثُمَّ أَطْلَقُوهُ عَلَى مُسَالَمَةِ ٱلْيَهُودِ وَأَنْ لَا يَسِيرَ إِلَى حَرْبِهِمْ. فَهَلَكَ يُونَاتَانُ إِثْرَ ذَلِكَ وَقَامَ بِأَمْرِ ٱلْيَهُودِ أَخُوهُمَا ٱلثَّالِثُ شِمْعُونُ. فَٱجْتَمَعَ إِلَيْهِ ٱلْيَهُودُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَعَظُمَتْ عَسَاكِرُهُ وَغَزَا جَمِيعَ أَعْدَائِهِمْ وَمَنْ ظَاهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ ٱلْأُمَمِ. وَزَحَفَ إِلَيْهِ دِيمِتْرِيُوسُ قَائِدُ ٱلرُّومِ بِأَنْطَاكِيَةَ فَهَزَمَهُ شِمْعُونُ وَقَتَلَ غَالِبَ عَسْكَرِهِ وَلَمْ تُعَاوِدْهُمُ ٱلرُّومُ بَعْدَهَا بِٱلْحَرْبِ إِلَى أَنْ هَلَكَ شِمْعُونُ (لابن خلدون بتصرُّف)

ذكر ملك هرقانس وابنه

٥٠٧ ثُمَّ وَلِيَ أَمْرَ ٱلْيَهُودِ بَعْدَ شِمْعُونَ هِرْقَانُسُ ٱبْنُهُ وَجَمَعَ ٱلْمُلْكَ

وَٱلْكَهَنُوتَ. وحاصر في ولايته أنطيوخوس أغريبوس أورشليم فتح هرقانس قبر داود النبي ووجد فيه ثلاثة آلاف قنطار من الذهب كان قد خزنها القدماء هناك. فأعطى منها ثلاثمائة قنطار لأغريبوس ورحل عنه. وفي هذا الزمان أخرب هرقانس مدينة شمرين وهي نابلس. وقام بعد هرقانس ملك اليهود أرسطابولس ابن يوناثان سنة واحدة متوجًا

ملك يوحنا الاسكندر وولديه

٥٠٨ ثم اغتاله أخوه أنطيغونس واغتيل من يوحنا أخيه الآخر الذي سمي الإسكندر. وولي سبعًا وعشرين سنة وكان ذا بأس. ثم مات يوحنا الإسكندر ملك اليهود وخلف ولدين هرقانس وأرسطابولس مسمين باسمي عمّيهما. وكانت أمهما سيلينا أي القمر ذات سطو. فنصبت هرقانس ابنها رئيس الكهنة وأرسطابولس ابنها الآخر ملكًا. وبعد قليل جلاه بمبيوس قائد جيش قيصر إلى رومية. واستمر هرقانس أخوه ملكًا لليهود أربعًا وثلاثين سنة. وفي سنة ست من ملك أوغسطس قيصر سبي هرقانس ملك اليهود إلى فارس ووليهم هيرودس بن أنطفطروس العسقلاني من قبل قيصر وهدم سوري أورشليم واحتجز على تركة الكهنوت ولم يترك أحدًا يتولى رئاسة الكهنة إلا سنة واحدة وفي أيامه ظهر المسيح

(لابي الفرج)

العذراء في الهيكل

٥٠٩ قَالَ ٱلطَّبَرِيُّ: وَكَانَتْ حَنَّةُ أُمُّ مَرْيَمَ لَا تَحْبَلُ فَنَذَرَتْ لِلّٰهِ إِنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا حَبِيسًا بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ عَلَى خِدْمَتِهِ عَلَى عَادَاتِهِمْ فِي نَذْرِ مِثْلِهِ. فَلَمَّا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْهَا لَفَّتْهَا فِي خِرْقَتِهَا وَجَاءَتْ بِهَا إِلَى ٱلْمَسْجِدِ. فَدَفَعَتْهَا إِلَى عُبَّادِهِ وَهِيَ ٱبْنَةُ إِمَامِهِمْ فَتَنَازَعُوا فِي كَفَالَتِهَا. وَأَرَادَ زَكَرِيَّاءُ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا لِأَنَّ زَوْجَهُ إِيشَاعَ (أَلِيصَابَاتَ) خَالَتُهَا. وَنَازَعُوهُ فِي ذٰلِكَ لِمَكَانِ أَبِيهَا مِنْ إِمَامَتِهِمْ. فَٱقْتَرَعُوا فَخَرَجَتْ قُرْعَةُ زَكَرِيَّاءَ عَلَيْهَا. فَكَفَلَهَا وَوَضَعَهَا فِي مَكَانٍ شَرِيفٍ مِنَ ٱلْمَسْجِدِ لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا وَهُوَ ٱلْمِحْرَابُ فِيمَا قِيلَ. وَٱلظَّاهِرُ أَنَّهَا دَفَعَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ مُدَّةِ إِرْضَاعِهَا. فَأَقَامَتْ فِي ٱلْمَسْجِدِ تَعْبُدُ ٱللّٰهَ وَتَقُومُ بِسِدَانَةِ ٱلْبَيْتِ فِي نَوْبَتِهَا حَتَّى كَانَ يُضْرَبُ بِهَا ٱلْمَثَلُ فِي عِبَادَتِهَا. وَظَهَرَتْ عَلَيْهَا ٱلْأَحْوَالُ ٱلشَّرِيفَةُ وَٱلْكَرَامَاتُ.

ذكر يوحنا المعمدان

٥١٠ وَكَانَتْ خَالَتُهَا إِيشَاعُ زَوْجُ زَكَرِيَّاءَ أَيْضًا عَاقِرًا. وَطَلَبَ زَكَرِيَّاءُ مِنَ ٱللّٰهِ وَلَدًا فَبَشَّرَهُ بِيَحْيَى (يُوحَنَّا) نَبِيًّا كَمَا طَلَبَ لِأَنَّهُ قَالَ: يَرِثُنِي. فَكَانَ كَذٰلِكَ. وَكَانَ حَالُهُ فِي نُشُوئِهِ وَصِبَاهُ عَجَبًا وَوُلِدَ فِي دَوْلَةِ هِيرُودُسَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ يَسْكُنُ ٱلْقِفَارَ وَيَقْتَاتُ ٱلْجَرَادَ وَيَلْبَسُ ٱلصُّوفَ مِنْ وَبَرِ ٱلْإِبِلِ. وَوَلَّاهُ ٱلْيَهُودُ ٱلْكَهَنُوتِيَّةَ بِبَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ. ثُمَّ أَكْرَمَهُ ٱللّٰهُ بِٱلنُّبُوَّةِ وَكَانَ لِعَهْدِهِ عَلَى ٱلْيَهُودِ بِٱلْقُدْسِ

(والصحيح بالجليل) أَنتيباس بْنُ هِيرُودُس. وكَانَ يُسَمَّى هِيرُودُس بِٱسْمِ أَبِيهِ وكَانَ شرِيرًا فَاسِقًا وٱغْتَصَبَ ٱمْرَأَةَ أَخِيهِ وتَزَوَّجَهَا. ولَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ فِي شَرْعِهِمْ مُبَاحًا فنَكَرَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ وٱلْكَهْنُوتِيَّةُ وفِيهِم يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ ٱلْمَعْرُوفُ بِيُوحَنَّانَ ويَعْرِفُهُ ٱلنَّصَارَى بِٱلْمَعْمَدَانِ. فَقَتَلَ جَمِيعَ مَنْ نَكَرَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ وقَتَلَ فِيهِم يَحْيَى

خطبة العذراء مريم

٥١١ وأَمَّا مَرْيَمُ سَلَامُ ٱللهِ عَلَيْهَا فكَانَتْ بِٱلْمَسْجِدِ عَلَى حَالِهَا مِنَ ٱلْعِبَادَةِ إِلَى أَنْ أَكْرَمَهَا ٱللهُ بِٱلْوِلَايَةِ. وفِي كِتَابٍ أَنَّ أُمَّهَا حَنَّةَ تُوُفِّيَتْ لِثَمَانِ سِنِينَ مِنْ عُمْرِ مَرْيَمَ. وكَانَ مِنْ سُنَّتِهِمْ أَنَّهَا إِنْ لَمْ تَقْبَلِ ٱلتَّزْوِيجَ يُفْرَضْ لَهَا مِنْ أَرْزَاقِ ٱلْهَيْكَلِ. فأَوْحَى ٱللهُ إِلَى زَكَرِيَّاءَ أَنْ يَجْمَعَ أَوْلَادَ هَارُونَ (والصحيح يهوذا) ويَرُدَّهَا إِلَيْهِمْ فَمَنْ ظَهَرَتْ مِنْ عَصَاهُ آيَةٌ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ تَكُونُ لَهُ شِبْهَ زَوْجَةٍ ولَا يَقْرَبُهَا. وحَضَرَ ٱلْجَمْعَ يُوسُفُ ٱلنَّجَّارُ فَخَرَجَ مِنْ عَصَاهُ حَمَامَةٌ بَيْضَاءُ ووَقَفَتْ عَلَى رَأْسِهِ. فقَالَ لَهُ زَكَرِيَّاءُ: يَا يُوسُفُ هٰذِهِ عَذْرَاءُ ٱلرَّبِّ تَكُونُ لَكَ شِبْهَ زَوْجَةٍ ولَا تَرُدَّهَا. فَٱحْتَمَلَهَا وهِيَ بِنْتُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى نَاصِرَةَ

بشارة الملاك لمريم

٥١٢ فَأَقَامَتْ مَعَهُ إِلَى أَنْ خَرَجَتْ يَوْمًا تَسْتَسْقِي مِنَ ٱلْعَيْنِ. فَعَرَضَ لَهَا ٱلْمَلَكُ أَوَّلًا وكَلَّمَهَا ثُمَّ عَاوَدَهَا وبَشَّرَهَا بِوِلَادَةِ عِيسَى فَحَمَلَتْ وذَهَبَتْ إِلَى زَكَرِيَّاءَ. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى نَاصِرَةَ. ووَقَعَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى أَنَّ

يُوسُفَ خَطِيبَ مَرْيَمَ وَوَجَدَهَا حَامِلًا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا فَعَزَمَ عَلَى فِرَاقِهَا خَوْفًا مِنَ ٱلْفَضِيحَةِ. فَأُمِرَ فِي نَوْمِهِ أَنْ يَقْبَلَهَا وَأَخْبَرَهُ ٱلْمَلَكُ بِأَنَّ ٱلْمَوْلُودَ مِنْ رُوحِ ٱلْقُدُسِ. وَكَانَ يُوسُفُ صِدِّيقًا وَوُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ يَسُوعُ (لابن خلدون باختصار)

ميلاد المسيح

٥١٣ أُوغُسْطُسُ قَيْصَرُ مَلَكَ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَبِٱسْمِهِ سُمِّيَ شَهْرُ آبَ أُوغُسْطُسَ. وَفِي أَيَّامِهِ جَدَّدَ هِيرُودُسُ مَدِينَةَ نَابُلُسَ وَعَظَّمَ قَصْرَ أَسْطَرَاطُونَ وَسَمَّاهَا قَيْصَرِيَّةَ. وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِفِيلِبُّسَ وَبَنَى أَيْضًا مَدِينَةَ جَبَلَةَ. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ وَٱلْأَرْبَعِينَ مِنْ مُلْكِ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ وَهِيَ سَنَةُ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِنْ تَارِيخِ ٱلْإِسْكَنْدَرِ وُلِدَ ٱلسَّيِّدُ ٱلْمَسِيحُ مِنْ مَرْيَمَ ٱلْعَذْرَاءِ لَيْلَةَ ٱلثُّلَاثَاءِ فِي ٱلْخَامِسِ وَٱلْعِشْرِينَ مِنْ كَانُونَ ٱلْأَوَّلِ. وَفِي تِلْكَ ٱلسَّنَةِ كَانَ قَدْ أَرْسَلَ قَيْصَرُ ٱلْمَلِكُ كِيرِينُوسَ ٱلْقَاضِيَ مَعَ أَصْحَابِ ٱلْجِزْيَةِ إِلَى أُورَشَلِيمَ. فَصَعِدَ يُوسُفُ خَطِيبُ مَرْيَمَ مِنَ ٱلنَّاصِرَةِ مَدِينَتِهِ إِلَى أُورَشَلِيمَ لِيُثْبِتَ ٱسْمَهُ. وَعِنْدَ مُوَافَاتِهِمْ بَيْتَ لَحْمٍ وَلَدَتْ مَرْيَمُ. وَأَتَى ٱلْمَجُوسُ بِأَلْطَافِهِمْ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأَهْدَوْهَا إِلَى ٱلْمَسِيحِ. وَهِيَ ذَهَبٌ وَمُرٌّ وَلُبَانٌ. وَكَانُوا قَدْ مَرُّوا أَوَّلًا بِهِيرُودُسَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ عَظِيمًا كَانَ لَنَا وَهُوَ قَدْ أَنْبَأَنَا بِكِتَابٍ وَضَعَهُ ذَاكِرًا فِيهِ: سَيُولَدُ فِي فِلَسْطِينَ مَوْلُودٌ أَصْلُهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَيَتَعَبَّدُ لَهُ أَكْثَرُ ٱلْعَالَمِ. وَآيَةُ ظُهُورِهِ أَنَّكُمْ تَرَوْنَ نَجْمًا غَرِيبًا وَهُوَ يَهْدِيكُمْ إِلَى حَيْثُ هُوَ.

فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَٱحْمِلُوا ذَهَبًا وَمُرًّا وَلُبَانًا وَٱنْطَلِقُوا إِلَيْهِ وَأَلْطِفُوهُ بِهَا وَٱسْجُدُوا لَهُ. وَٱلْآنَ قَدْ ظَهَرَ ٱلنَّجْمُ وَأَتَيْنَا لِيَتِمَّ مَا أُمِرْنَا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ هِيرُودُسُ: قَدْ أَصَبْتُمُ ٱلرَّأْيَ فَٱنْطَلِقُوا وَٱبْحَثُوا عَنِ ٱلصَّبِيِّ نِعِمَّا. فَإِذَا وَجَدْتُمُوهُ فَأَعْلِمُونِي لِأَنْطَلِقَ أَنَا أَيْضًا فَأَسْجُدَ لَهُ. فَمَضَوْا وَلَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا. وَأَمَرَ بِذَبْحِ جَمِيعِ أَطْفَالِ بَيْتَ لَحْمَ مِنِ ٱبْنِ سَنَتَيْنِ وَمَا دُونَ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِوَقْتِ وِلَادَةِ ٱلْمُخَلِّصِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ يَوْمَئِذٍ ٱبْنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَعُمِّرَتْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَكَتَبَ لُنْغِينُوسُ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِلَى قَيْصَرَ يُعْلِمُهُ عَنْ مَجِيءِ ٱلْمَجُوسِ قَائِلًا فِي رِسَالَتِهِ: إِنَّ فُرْسَ ٱلْمَشْرِقِ دَخَلُوا سُلْطَانَكَ وَقَرَّبُوا ٱلْقَرَابِينَ لِصَبِيٍّ وُلِدَ بِأَرْضِ يَهُوذَا فَأَمَّا مَنْ هُوَ وَٱبْنُ مَنْ هُوَ فَلَمْ يَبْلُغْنَا بَعْدُ. فَأَجَابَهُ قَيْصَرُ: إِنَّ هِيرُودُسَ عَامِلَنَا عَلَى ٱلْيَهُودِ هُوَ يُعْلِمُنَا مَا أَمْرُ هٰذَا ٱلْمَوْلُودِ وَقَضِيَّتُهُ. وَكَتَبَ قَيْصَرُ إِلَى هِيرُودُسَ يَسْتَعْلِمُهُ ٱلْخَبَرَ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ وَعَرَّفَهُ قَوْلَ ٱلْمَجُوسِ لَهُ وَأَنَّهُ ذَبَحَ أَطْفَالَ بَيْتَ لَحْمَ أَجْمَعِينَ لِيَكُونَ قَدْ أَتَى عَلَى نَفْسِ ٱلصَّبِيِّ مَعَهُمْ. وَفِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي أَتَتِ ٱلْمَجُوسُ هَرَبَ يُوسُفُ مَعَ مَرْيَمَ وَٱلْمَوْلُودِ إِلَى مِصْرَ وَلَبِثُوا بِهَا سَنَتَيْنِ. وَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَوْتُ هِيرُودُسَ عَادُوا إِلَى ٱلنَّاصِرَةِ مَدِينَتِهِمْ. وَقَبْلَ أَنْ يَمُوتَ هِيرُودُسُ قَتَلَ ٱمْرَأَتَهُ مَرْيَمَ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱبْنَةَ يُوحَنَّا ٱلْإِسْكَنْدَرِ مَلِكِ ٱلْيَهُودِ وَأَخَاهَا وَأُمَّهَا وَبِٱلْجُمْلَةِ كُلَّ مَنْ وُجِدَ مِنْ نَسْلِ ٱلْمُلُوكِ. ثُمَّ حَدَثَ لَهُ ٱسْتِسْقَاءٌ زِقِّيٌّ وَنِقْرِسٌ شَدِيدٌ. وَبَقِيَ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ.

مدة سنتين. ثم مات وولي مكانه أرخيلاوس ابنه تسع سنين. ثم اعتقله أوغسطس وجعل ملك اليهود أرباعًا وولى في الثلاثة الأرباع ثلاثة من إخوة أرخيلاوس وهم هيرودس وأنطفطرس وفيلبس وفي الربع الرابع لوسانيا

ملك طيباريوس قيصر

٥١٤ طيباريوس قيصر ملك اثنتين وعشرين سنة. وفي السنة الأولى من ملكه عرضت زلزلة عظيمة وسقط فيها مواضع كثيرة ومات خلق من الناس والمواشي. وفي السنة السابعة بنى هيرودس ابن هيرودس مدينة طبرية على اسم طيباريوس الملك. وفي السنة الرابعة عشرة ولي بيلاطس القضاء على اليهود ونصب تمثال قيصر في الهيكل. واضطرب لذلك اليهود وبعد ثلاث سنين اعتمد المسيح من يوحنا بن زكرياء يوم الأربعاء وقيل يوم الأحد لست خلون من كانون الأخير. وكان ابن ثلاثين سنة ومن ههنا بدأ بإظهار الآيات الباهرة وإفشاء سر ملكوت الله والحث على العمل بسنة الفضيلة فضلًا عن سنة العدالة

ابجر ملك الرها والمسيح

٥١٥ وفي السنة التاسعة عشرة من ملك طيباريوس وهي سنة ثلاثمائة واثنتين وأربعين أرسل أبجر ملك الرها رسولًا اسمه حنان إلى المسيح بكتاب يقول فيه: من أبجر الأسود إلى يسوع المتطبب

الطَّاهِر بأورشليم . أمَّا بعد فإنه بلغني عنك وعن طبك الرُّوحاني وأنك تبرئ الأسقام من غير أدوية ... فأنا أسألك أن تصير إليَّ لعلك تشفي ما بي من السقم . وقد بلغني أن اليهود يرومون قتلك . ولي مدينة واحدة نزهة وهي تكفيني وإياك نسكن فيها في هدوء والسلام . فأجابه المسيح بكتاب قائلا: طوباك أنك آمنت بي ولم ترني . وأمَّا ما سألتني من المصير إليك فإنه يجب أن أتمّ ما أرسلت له وأصعد إلى أبي . ثم أرسل إليك تلميذا لي يبرئ سقمك ويمنحك ومن معك حياة الأبد . فلما أخذ حنان الجواب من المسيح جعل ينظر إليه ويصور صورته في منديل لأنه كان مصورا وأتى به إلى الرها ودفعه إلى أبجر الأسود . وقيل إن المسيح تمندل بذلك المنديل ماسحا به وجهه فانتقشت فيه صورته . وبعد صعود المسيح إلى السماء أرسل أدي أحد الاثنين والسبعين إلى الرها وأبرأه من سقامه. (لابي الفرج باختصار)

كرازة المسيح

٥١٦ ثم جاء يوحنا المعمدان من البرية وهو يحيى بن زكرياء ونادى بالتوبة والدعاء إلى الدين . وقد كان أشعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح . وجاء المسيح من الناصرة ولقيه بالأردن فعمده يوحنا وهو ابن ثلاثين سنة . ثم خرج إلى البرية واجتهد في العبادة والصلاة

وَالرَّهْبَانِيَّةِ وَٱخْتَارَ تَلَامِذَتَهُ الِاثْنَيْ عَشَرَ . سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَأَخُوهُ أَنْدَرَاوُسُ وَيَعْقُوبُ بْنُ زَبْدَى وَأَخُوهُ يُوحَنَّا وَفِيلِبُّسُ وَبَرْتَلْمَاوُسُ وَتُومَا وَمَتَّى ٱلْعَشَّارُ وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَا وَتَدَاوُسُ وَسِمْعَانُ ٱلْقَانَوِيُّ وَيَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيُّ . وَشَرَعَ فِي إِظْهَارِ ٱلْمُعْجِزَاتِ . ثُمَّ قَبَضَ هِيرُودُسُ ٱلصَّغِيرُ عَلَى يُوحَنَّا وَهُوَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ لِنَكِيرِهِ عَلَيْهِ فِي زَوْجَةِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ شَرَعَ ٱلْمَسِيحُ ٱلشَّرَائِعَ مِنَ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّوْمِ وَسَائِرِ ٱلْقُرُبَاتِ وَحَلَّلَ وَحَرَّمَ . وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ ٱلْخَوَارِقُ وَٱلْعَجَائِبُ وَشَاعَ ذِكْرُهُ فِي ٱلنَّوَاحِي . وَٱتَّبَعَهُ ٱلْكَثِيرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ ٱلْيَهُودِ عَلَى دِينِهِمْ وَتَآمَرُوا فِي قَتْلِهِ

٥١٧ وَجَمَعَ عِيسَى ٱلْحَوَارِيِّينَ فَبَاتُوا عِنْدَهُ لَيْلَتَيْنِ يُطْعِمُهُمْ وَيُبَالِغُ فِي خِدْمَتِهِمْ بِمَا ٱسْتَعْظَمُوهُ . قَالَ : وَإِنَّمَا فَعَلْتُهُ لِتَتَأَسَّوْا بِهِ . وَقَالَ يَعِظُهُمْ : لَيَكْفُرَنَّ بِي بَعْضُكُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ ٱلدِّيكُ ثَلَاثًا وَيَبِيعُنِي أَحَدُكُمْ بِثَمَنٍ بَخْسٍ وَتَأْكُلُوا ثَمَنِي . ثُمَّ ٱفْتَرَقُوا وَكَانَ ٱلْيَهُودُ بَعَثُوا ٱلْعُيُونَ عَلَيْهِمْ . فَأَخَذُوا وَاحِدًا مِنَ ٱلْحَوَارِيِّينَ فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَتَرَكُوهُ . وَجَاءَ يَهُوذَا ٱلْإِسْخَرْيُوطِيُّ وَبَايَعَهُمْ عَلَى ٱلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ دِرْهَمًا . وَأَرَاهُمْ مَكَانَهُ ٱلَّذِي كَانَ يَبِيتُ فِيهِ وَأَصْبَحُوا بِهِ إِلَى فَلَاطُسَ (بِيلَاطُسَ) ٱلنَّبَطِيِّ قَائِدِ قَيْصَرَ عَلَى ٱلْيَهُودِ . وَحَضَرَ جَمَاعَةُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالُوا : هٰذَا يُفْسِدُ دِينَنَا وَيُحِلُّ نَوَامِيسَنَا وَيَدَّعِي ٱلْمُلْكَ فَٱقْتُلْهُ . وَتَوَقَّفَ فَصَاحُوا بِهِ وَتَوَعَّدُوهُ بِإِبْلَاغِ ٱلْأَمْرِ إِلَى قَيْصَرَ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ (لابن خلدون)

موت المسيح وصعوده الى السماء

٥١٨ وفي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ تَمَّتِ ٱلْأَرْبَعَةُ وَٱلسَّبْعُونَ سَبَةً ٱلَّتِي أَوْحَى ٱللهُ إِلَى دَانِيَالَ ٱلنَّبِيِّ أَنَّ سَبْعِينَ أُسْبُوعًا تَطْمَئِنُّ أُمَّتُكَ ثُمَّ يَأْتِي ٱلْمَلِكُ ٱلْمَسِيحُ وَيُقْتَلُ. هٰذَا إِذَا ٱبْتَدَأْنَا بِتَعْدِيدِهَا مِنْ آخِرِ سَنَةِ عِشْرِينَ لِمُلْكِ أَرْتَحْشَشْتَا ٱلطَّوِيلِ ٱلْيَدَيْنِ. وَهِيَ ٱلسَّنَةُ ٱلَّتِي أُرْسِلَ فِيهَا نَحْمِيَا ٱلسَّاقِي إِلَى أُورَشَلِيمَ وَجَدَّدَ ٱلْعَهْدَ بِتَقْرِيبِ ٱلْقَرَابِينِ وَكَتَبَ عِزْرَا كُتُبَ ٱلْوَحْيِ. وَفِي هٰذِهِ ٱلسَّنَةِ أَعْنِي ٱلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ صُلِبَ ٱلْمَسِيحُ يَوْمَ ٱلْجُمْعَةِ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ أَذَارَ. وَكَانَ فِصْحُ ٱلْيَهُودِ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ وَإِنَّمَا أَكَلَهُ ٱلْمَسِيحُ مَعَ تَلَامِيذِهِ لَيْلَةَ ٱلْجُمْعَةِ لِتَعَذُّرِ إِتْمَامِهِ فِي وَقْتِهِ بِسَبَبِ صَلْبِهِ نَهَارَ ٱلْجُمْعَةِ. وَكَانَ ٱلصُّعُودُ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِثَلَاثٍ خَلَوْنَ مِنْ أَيَارَ. وَصَارَ ٱلْفَنْطِيقُوسْطِي يَوْمَ ٱلْأَحَدِ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ أَيَارَ. وَفِي هٰذَا ٱلْيَوْمِ سَمِعَ كَهَنَةُ ٱلْيَهُودِ مِنْ دَاخِلِ ٱلْهَيْكَلِ صَوْتَ هَاتِفٍ يَهْتِفُ بِهِمْ قَائِلًا: قَدْ أَزْمَعْنَا عَلَى ٱلْٱنْتِقَالِ مِنْ هٰهُنَا فَرَاعَهُمْ ذٰلِكَ جِدًّا (لابي الفرج)

ابتداء النصرانيّة

٥١٩ ثُمَّ ظَهَرَ عِيسَى لِتَلَامِيذِهِ بَعْدَ صَلْبِهِ وَأَمَرَهُمْ بِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ فِي ٱلنَّوَاحِي كَمَا عَيَّنَ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ. وَعِنْدَ عُلَمَاءِ ٱلنَّصَارَى أَنَّ ٱلَّذِي بُعِثَ مِنَ ٱلْحَوَارِيِّينَ إِلَى رُومَةَ بُطْرُسُ وَمَعَهُ بُولُسُ مِنَ ٱلْأَتْبَاعِ وَلَمْ يَكُنْ حَوَارِيًّا. وَإِلَى أَرْضِ ٱلسُّودَانِ وَٱلْحَبَشَةِ وَيُعَبِّرُونَ عَنْ هٰذِهِ

ٱلنَّاحِيَةِ بِٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي تَأْكُلُ أَهْلَهَا وَٱلنَّاسَ مَتَّى ٱلْعَشَّارُ . وَأَنْدَرَاوُسُ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ . وَإِلَى ٱلْمَشْرِقِ تُومَا . وَإِلَى أَرْضِ أَفْرِيقِيَةَ فِيلِبُّسُ . وَإِلَى أَفْسُسَ قَرْيَةِ أَصْحَابِ ٱلْكَهْفِ يُوحَنَّا . وَإِلَى أُورَشَلِيمَ وَهِيَ بَيْتُ ٱلْمَقْدِسِ يَعْقُوبُ . وَإِلَى أَرْضِ ٱلْعَرَبِ وَٱلْحِجَازِ بَرْتُلْمَاوُسُ . وَإِلَى أَرْضِ بَرْقَةَ وَٱلْبَرْبَرِ سِمْعَانُ ٱلْقَانَوِيُّ . قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ وَثَبَ ٱلْيَهُودُ عَلَى بَقِيَّةِ ٱلْحَوَارِيِّينَ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ . وَسَمِعَ قَيْصَرُ ذٰلِكَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ فِلَاطُسُ (بِيلَاطُسُ) ٱلنَّبَطِيُّ قَائِدُهُ بِأَخْبَارِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ وَبَغْيِ ٱلْيَهُودِ عَلَيْهِ وَعَلَى يُوحَنَّا قَبْلَهُ فَأَمَرَهُمْ بِٱلْكَفِّ عَنْ ذٰلِكَ . وَيُقَالُ قَتَلَ بَعْضَهُمْ . وَٱنْطَلَقَ ٱلْحَوَارِيُّونَ إِلَى ٱلْجِهَاتِ ٱلَّتِي بَعَثَهُمْ إِلَيْهَا عِيسَى فَآمَنَ بِهِ بَعْضٌ وَكَذَّبَ بَعْضٌ ... وَأَمَّا بُطْرُسُ كَبِيرُ ٱلْحَوَارِيِّينَ وَبُولُسُ ٱللَّذَانِ بَعَثَهُمَا عِيسَى إِلَى رُومَةَ فَإِنَّهُمَا مَكَثَا هُنَالِكَ يُقِيمَانِ دِينَ ٱلنَّصْرَانِيَّةِ . ثُمَّ كَتَبَ بُطْرُسُ ٱلْإِنْجِيلَ بِٱلرُّومِيَّةِ وَنَسَبَهُ إِلَى مَرْقُسَ تِلْمِيذِهِ . وَكَتَبَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ بِٱلْعِبْرَانِيَّةِ فِي بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . وَكَتَبَ لُوقَا إِنْجِيلَهُ بِٱلرُّومِيَّةِ وَبَعَثَهُ إِلَى بَعْضِ أَكَابِرِ ٱلرُّومِ . وَكَتَبَ يُوحَنَّا بْنُ زَبْدَى إِنْجِيلَهُ بِرُومَةَ (والصواب بأفسس) . ثُمَّ ٱجْتَمَعَ ٱلرُّسُلُ ٱلْحَوَارِيُّونَ بِرُومَةَ (والصحيح بالقدس) وَوَضَعُوا ٱلْقَوَانِينَ ٱلشَّرْعِيَّةَ لِدِينِهِمْ وَصَيَّرُوهَا (بعد موت بطرس) بِيَدِ إِقْلِيمَطْسَ (إِكْلِمَنْضُسَ) تِلْمِيذِ بُطْرُسَ . وَكَتَبُوا فِيهَا عِدَّةَ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا . فَمِنَ ٱلْقَدِيمَةِ ٱلتَّوْرَاةُ خَمْسَةُ أَسْفَارٍ وَكِتَابُ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ وَكِتَابُ ٱلْقُضَاةِ وَكِتَابُ رَاعُوثَ وَكِتَابُ

يهوذا وأسفار الملوك أربعة كتب وسفر المقابيين ثلاثة كتب وكتاب عزرا الإمام وكتاب قصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود النبي وكتب ولده سليمان خمسة. ونبوات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتابا وكتاب يشوع بن شارخ (سيراخ). ومن الحديثة كتب الإنجيل الأربعة وكتب القتاليقون سبع رسائل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة والأبركسيس وهو قصص الرسل تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه (لابن خلدون)

ولاية هيرودس اغرياس

٥٢٠ وفي السنة الأولى من ملك غايوس قيصر ولي هيرودس أغرياس على اليهود سبع سنين. وفي هذه السنة قتل بيلاطس النبطي نفسه وأرسل فيلكس قاضيا إلى أورشليم وملأ محاريب اليهود أصناما. فأرسلوا رسولين حكيمين هما فيلون ويوسيفوس العبريان إلى قيصر يتضوّرون من صنيع الناظر. فمضيا واستعطفاه متقدما بإزالة ما كره اليهود عنهم. وفي السنة الرابعة ورد فطرنيوس الناظر من رومة إلى أورشليم ونصب صورة زاوس أي المشتري في هيكل الرب. وتمت نبوة دانيال النبي الذي قال: علامة نجسة قائمة حيث لا ينبغي

ملك قلوذيوس قيصر

٥٢١ ثم ملك بعد غايوس قيصر قلوذيوس. وفي السنة الثانية من

مُلْكِهِ ظَهَرَ رَجُلٌ مِصرِيٌّ بِأَرْضِ يَهُوذَا وَادَّعَى ٱلنُّبُوَّةَ وَأَفْسَدَ خَلْقًا مِنَ ٱلنَّاسِ. وَأَرَادَ أَنْ يَكْبِسَ أُورَشَلِيمَ قَهْرًا فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِيلِكْسُ ٱلْبِطْرِيقُ فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ عَامَّةَ أَتْبَاعِهِ. وَظَهَرَ أَيْضًا رَجُلٌ يُسَمَّى قُودَنْتُوسَ وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ فِي مَلَكُوتِ ٱللهِ أَكْلًا وَشُرْبًا. وَفِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ أَمَرَ قُلُوذِيُوسُ قَيْصَرُ بِإِحْصَاءِ ٱلْيَهُودِ ٱلَّذِينَ فِي سُلْطَانِهِ فَبَلَغَ عَدَدُهُمْ سِتَّمِائَةٍ وَأَرْبَعًا وَتِسْعِينَ رِبْوَةً وَأَرْبَعَةَ آلَافِ نَفْسٍ. وَفِي يَوْمِ عِيدِ ٱلْفِصْحِ وَقَعَ ٱلْيَهُودُ فِي ٱلْخَلِيطِ. وَضَغَطَ ٱلنَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَمَاتَ فِي ٱلزِّحَامِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ نَفْسٍ. وَكَانَ ٱلْيَهُودُ مُتَفَرِّقِينَ عَلَى سَبْعِ فِرَقٍ. ٱلْأُولَى ٱلرَّبَّانِيُّونَ وَهُمْ كُتَّابُ ٱلنَّامُوسِ وَمُعَلِّمُوهُ. وَٱلثَّانِيَةُ ٱللَّاوِيُّونَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُفَارِقُوا خِدْمَةَ ٱلْهَيْكَلِ. وَٱلثَّالِثَةُ ٱلْمُعْتَزِلَةُ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِقِيَامَةِ ٱلْمَوْتَى وَيَقُولُونَ بِوُجُودِ ٱلْمَلَائِكَةِ وَيَصُومُونَ يَوْمَيْنِ فِي ٱلْأُسْبُوعِ. وَٱلرَّابِعَةُ ٱلزَّنَادِقَةُ ٱلَّذِينَ يَجْحَدُونَ ٱلْقِيَامَةَ وَٱلْمَلَائِكَةَ. وَٱلْخَامِسَةُ ٱلْمُغْتَسِلُونَ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا ثَوَابَ ٱلْإِنْسَانِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلْ كُلَّ يَوْمٍ. وَٱلسَّادِسَةُ ٱلنُّسَّاكُ ٱلَّذِينَ لَا يَأْكُلُونَ شَيْئًا فِيهِ رُوحٌ. وَٱلسَّابِعَةُ ٱلسَّمَرَةُ ٱلَّذِينَ لَا يَقْبَلُونَ مِنَ ٱلْكُتُبِ إِلَّا ٱلتَّوْرَاةَ وَهِيَ ٱلْمُجَسِّمَةُ

ملك نيرون وعصيان اليهود

٥٢٢ نِيرُونُ قَيْصَرُ مَلَكَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ ٱضْطَهَدَ ٱلنَّصَارَى وَضَرَبَ عُنُقَ بُولُسَ وَصَلَبَ بُطْرُسَ مُنْعَكِسًا. وَعَصَى ٱلْيَهُودُ عَلَيْهِ فَغَزَاهُمْ إِسْفَسْيَانُوسُ ٱلْقَائِدُ مَعَ جُيُوشٍ

كَثيرةٍ . وحاصرَ أُورشليمَ زماناً طويلاً فلمّا دنا من فتحِها أتاهُ الخبرُ بموتِ نيرونَ . فنصبَ إسفسيانوسُ ابنَهُ طيطشَ مكانَهُ في محاربةِ اليهودِ . ونهضَ راجعاً إلى رومةَ . وغزا الإسكندريَّةَ وفتحها وركبَ في البحرِ وسارَ إلى رومةَ وملكها (لابي الفرج)

حصار اورشليم وانقراض دولة اليهود

٥٢٣ وعظمتِ الفتنُ والحروبُ بينَ اليهودِ داخلَ القدسِ وكثرَ القتلُ وسالتِ الدماءُ في الطرقاتِ وقُتلَ الكهنةُ على المذبحِ . وهم لا يقربونَ الصلاةَ في المسجدِ لكثرةِ الدماءِ . وتعذّرَ المشيُ في الطرقاتِ من سقوطِ حجارةِ الرَّمي ومواقدِ النيرانِ بالليلِ . وكانَ يوحنانُ أخبثَ القومِ وشرَّهم . ولمّا انسلخَ الشتاءُ زحفَ طيطشُ في عساكرِ الرومِ إلى أن نزلَ على القدسِ . وركبَ إلى بابِ البلدِ يتخيّرُ المكانَ لمعسكرِهِ ويدعوهم إلى السلمِ فصمّوا عنهُ وأكمنوا لهُ بعضَ الخوارجِ في الطريقِ فقاتلوهُ وخلصَ منهم بشدَّتِهِ . فعبّى عسكرَهُ من الغدِ ونزلَ بجبلِ الزيتونِ شرقيَّ المدينةِ ورتّبَ العساكرَ والآلاتِ للحصارِ . واتّفقَ اليهودُ داخلَ المدينةِ ورفعوا الحربَ بينهم وبرزوا إلى الرومِ فانهزموا . ثمّ عاودوا فظهروا . ثمّ انتقضوا بينهم وتحاربوا ودخلَ يوحنانُ إلى القدسِ يومَ الفطرِ فقتلَ جماعةً من الكهنةِ وقتلَ جماعةً أخرى خارجَ المسجدِ . وزحفَ طيطشُ وبرزوا إليهِ فردّوهُ إلى قربِ معسكرِهِ . وبعثَ إليهم قائدَهُ نقانورَ في الصلحِ فأصابهُ سهمٌ

فقتله . فغضب طيطش وصنع كبشاً وأبراجاً من الحديد توازي السور وشحنها بالمقاتلة . فأحرق اليهود تلك الآلات ودفنوها وعادوا إلى الحرب بينهم . وكان يوحنان قد ملك القدس ومعه ستة آلاف أو يزيدون من المقاتلة ومع شمعون عشرة آلاف من اليهود وخمسة آلاف من أدوم . وبقية اليهود بالمدينة مع العازر . وأعاد طيطش الزحف بالآلات وثلم السور الأول وملكه إلى الثاني فاصطلح اليهود بينهم وتذامروا واشتدت الحرب وباشرها طيطش بنفسه . ثم زحف بالآلات إلى السور الثاني فثلمه . وتذامر اليهود فمنعوهم عنه ومكثوا كذلك أربعة أيام . وجاء المدد من الجهات إلى طيطش ولاذ اليهود بالأسوار وأغلقوا الأبواب ورفع طيطش الحرب ودعاهم إلى المسالمة فامتنعوا . فجاء بنفسه في اليوم الخامس وخاطبهم ودعاهم وجاء معه يوسف بن كريون فوعظهم ورغبهم في أمنة الروم ووعدهم وأطلق طيطش أسراهم فجنح الكثير من اليهود إلى المسالمة . ومنعهم هؤلاء الرؤساء الخوارج وقتلوا من يروم الخروج إلى الروم . ولم يبق من المدينة ما يعصمهم إلا السور الثالث . وطال الحصار واشتد الجوع عليهم والقتل ومن وجد خارج المدينة لرعي العشب قتله الروم وصلبوه حتى رحمهم طيطش ورفع القتل عمن يخرج في ابتغاء العشب . ثم زحف طيطش إلى السور الثالث من أربع جهاته ونصب الآلات وصبر اليهود على الحرب وتذامر

ٱلْيَهُودُ وَصَعُبَ ٱلْحَرْبُ وَبَلَغَ ٱلْجُوعُ فِي ٱلشِّدَّةِ غَايَتَهُ . وَٱسْتَأْمَنَ مَنَايَ ٱلْكَاهِنُ إِلَى ٱلرُّومِ وَهُوَ ٱلَّذِي خَرَجَ فِي ٱسْتِدْعَاءِ شِمْعُونَ فَقَتَلَهُ شِمْعُونُ . وَقَتَلَ بَنِيهِ وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْكَهَنَةِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْأَئِمَّةِ مِمَّنْ حَذِرَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَأْمِنَ . وَنَكَرَ ذٰلِكَ أَلِعَازَرُ بْنُ عَنَانِي وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَكْثَرَ مِنَ ٱلْخُرُوجِ عَنْ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . وَعَظُمَتِ ٱلْمَجَاعَةُ فَمَاتَ أَكْثَرُ ٱلْيَهُودِ . وَأَكَلُوا ٱلْجُلُودَ وَٱلْحَشَاشَ وَٱلْمَيْتَةَ . ثُمَّ أَكَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَعُثِرَ عَلَى ٱمْرَأَةٍ تَأْكُلُ ٱبْنَهَا فَأَصَابَتْ رُؤَسَاءَهُمْ لِذٰلِكَ رَحْمَةٌ وَآذَنُوا فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْخُرُوجِ فَخَرَجَتْ مِنْهُمْ أُمَمٌ . وَهَلَكَ أَكْثَرُهُمْ حِينَ أَكَلُوا ٱلطَّعَامَ . وَٱبْتَلَعَ بَعْضُهُمْ فِي خُرُوجِهِ مَا كَانَ لَهُ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَوْهَرٍ ضِنَّةً بِهِ . وَشَعَرَ بِهِمُ ٱلرُّومُ فَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ وَيَشُقُّونَ عَنْهَا بُطُونَهُمْ وَشَاعَ ذٰلِكَ فِي تَوَابِعِ ٱلْعَسْكَرِ مِنَ ٱلْعَرَبِ وَٱلْأَرْمَنِ فَطَرَدَهُمْ طِيطُشُ . وَطَمِعَ ٱلرُّومُ فِي فَتْحِ ٱلْمَدِينَةِ وَزَحَفُوا إِلَى سُورِهَا ٱلثَّالِثِ بِٱلْآلَاتِ . وَلَمْ يَكُنْ لِلْيَهُودِ طَاقَةٌ بِدَفْعِهَا وَإِحْرَاقِهَا فَثَلَمُوا ٱلسُّورَ . وَبَنَى ٱلْيَهُودُ خَلْفَ ٱلثُّلْمَةِ فَأَصْبَحَتْ مُنْسَدَّةً . وَصَدَمَهَا ٱلرُّومُ بِٱلْكَبْشِ فَسَقَطَتْ مِنَ ٱلْجِدَّةِ . وَٱسْتَمَاتُوا فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ إِلَى ٱللَّيْلِ . ثُمَّ بَيَّتَ ٱلرُّومُ ٱلْمَدِينَةَ وَمَلَكُوا ٱلْأَسْوَارَ عَلَيْهِمْ . وَقَاتَلُوهُمْ مِنَ ٱلْغَدِ فَٱنْهَزَمُوا إِلَى ٱلْمَسْجِدِ وَقَاتَلُوا فِي ٱلْحِصْنِ . وَهَدَمَ طِيطُشُ ٱلْبِنَاءَ مَا بَيْنَ ٱلْأَسْوَارِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ لِيَتَّسِعَ ٱلْمَجَالُ . وَوَقَفَ ٱبْنُ كَرْيُونَ يَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلطَّاعَةِ فَلَمْ يُجِيبُوا . وَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْكَهَنَةِ فَأَمَّنَهُمْ وَمَنَعَ ٱلرُّؤَسَاءُ بَقِيَّتَهُمْ . ثُمَّ بَاكَرَهُمْ طِيطُشُ

بِالْقِتَالِ مِنَ الْغَدِ فَانْهَزَمُوا إِلَى الْأَقْدَاسِ وَمَلَكَ الرُّومُ الْمَسْجِدَ وَصَحْنَهُ. وَاتَّصَلَتِ الْحَرْبُ أَيَّامًا وَهُدِمَتِ الْأَسْوَارُ كُلُّهَا. وَثُلِمَ سُورُ الْهَيْكَلِ وَأَحَاطَ الْعَسَاكِرُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى مَاتَ أَكْثَرُهُمْ وَفَرَّ كَثِيرٌ. ثُمَّ اقْتَحَمَ عَلَيْهِمِ الْحِصْنَ فَمَلَكَهُ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ فِي الْهَيْكَلِ وَمَنَعَ مِنْ تَخْرِيبِهِ. وَنَكَرَ رُؤَسَاءُ الرُّومِ ذَلِكَ وَدَسُّوا مَنْ أَضْرَمَ النَّارَ فِي أَبْوَابِهِ وَسَقْفِهِ. وَأَلْقَى الْكَهَنَةُ أَنْفُسَهُمْ جَزَعًا عَلَى دِينِهِمْ وَحُرِقُوا. وَاخْتَفَى شَمْعُونُ وَيُوحَنَّانُ فِي جَبَلِ صِهْيُونَ. وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ طِيطُشُ بِالْأَمَانِ فَامْتَنَعُوا وَطَرَقُوا الْقُدْسَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فَقَتَلُوا قَائِدًا مِنْ قُوَّادِ الْعَسْكَرِ وَرَجَعُوا إِلَى مَكَانِ اخْتِفَائِهِمْ. ثُمَّ هَرَبَ عَنْهُمْ أَتْبَاعُهُمْ وَجَاءَ يُوحَنَّانُ مُلْقِيًا بِيَدِهِ إِلَى طِيطُشَ فَقَيَّدَهُ. وَخَرَجَ إِلَيْهِ يُوشَعُ الْكَاهِنُ بِآلَاتٍ مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ مِنْ آلَاتِ الْمَسْجِدِ فِيهَا مَنَارَتَانِ وَمَائِدَتَانِ. ثُمَّ قَبَضَ عَلَى فِنْحَاسَ خَازِنِ الْهَيْكَلِ فَأَطْلَعَهُ عَلَى خَزَائِنَ كَثِيرَةٍ مَمْلُوءَةٍ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ وَطِيبًا فَامْتَلَأَتْ يَدُهُ مِنْهَا. وَرَحَلَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالْغَنَائِمِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَسْرَى. وَأُحْصِيَ الْمَوْتَى فِي هٰذِهِ الْوَقْعَةِ فَكَانَ عَدَدُهُمْ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَةَ أَلْفٍ وَالسَّبْيُ وَالْأَسَارَى مِائَةَ أَلْفٍ. وَكَانَ طِيطُشُ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يُلْقِي مِنْهُمْ إِلَى السِّبَاعِ إِلَى أَنْ فَرَغُوا. وَكَانَ فِي مَنْ هَلَكَ شَمْعُونُ أَحَدُ الْخَوَارِجِ الثَّلَاثَةِ... وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ الْيَهُودِ أَجْمَعَ. وَالْبَقَاءُ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا انْقِضَاءَ لِمُلْكِهِ

(لابن خلدون باختصار)

نخبة

من كتاب دخول قبط مصر في النصرانية لتقي الدين المقريزي

في تعريف النصارى والمسيح عيسى كلمة الله

٥٢٤ إعلَمْ أنَّ ٱلنصارى أتباعَ عيسى بنِ مريمَ عليهِ ٱلسلامُ سُمُّوا نصارى لأنَّهم ينتسبون إلى قريةِ ٱلناصرةِ من جبلِ ٱلجليلِ. ويُعرفُ هذا ٱلجبلُ بجبلِ كنعانَ. وهو ٱلآنَ في زمانِنا من جملةِ معاملةِ صفدَ. وٱلأصلُ في تسميتِهم نصارى أنَّ عيسى لمَّا نشأ بقريةِ ٱلناصرةِ قيلَ لهُ يسوعُ ٱلناصريُّ. ثمَّ تلاعبتِ ٱلعربُ بهذهِ ٱلكلمةِ وقالوا لمن آمنوا بعيسى نصارى. وٱلتنصُّرُ ٱلدخولُ في دينِهم

٥٢٥ وٱعلَمْ أنَّ ٱلمسيحَ روحَ ٱللهِ وكلمتَهُ ٱلتي ألقاها إلى مريمَ هو عيسى. وأصلُ ٱسمِهِ بٱلعبرانيَّةِ ٱلتي هي لغةُ أمِّهِ إنَّما هو يشوعُ وسمَّتهُ ٱلنصارى يسوعَ. ومعنى يسوعَ في ٱللغةِ ٱلربَّانيَّةِ ٱلمخلِّصُ. ونُعتَ بٱلمسيحِ وهو ٱلصدِّيقُ وقيلَ لأنَّهُ كانَ لا يمسحُ بيدِهِ صاحبَ عاهةٍ إلَّا برأَ. وقيلَ ٱلمسيحُ ٱسمٌ مشتقٌّ من ٱلمسحِ أي ٱلدهنِ لأنَّ ٱلروحَ ٱلقدسَ قامَ لجسدِ عيسى مقامَ ٱلدهنِ ٱلذي كانَ عندَ بني إسرائيلَ يُمسَحُ بهِ ٱلملكُ ويُمسَحُ بهِ ٱلكهنوتُ. وقيلَ لأنَّهُ مُسِحَ بٱلبركةِ. وقيلَ هي كلمةٌ عبرانيَّةٌ أصلُها ماشيحُ وتلاعبتْ بها ٱلعربُ وقالتْ مسيحُ. وكانَ من خبرِهِ عليهِ ٱلسلامُ أنَّ مريمَ بينما هي في محرابِها بشَّرها ٱللهُ تعالى بعيسى. فحملتْ بعيسى كما تحملُ ٱلنساءُ لكنْ من

غَيرِ ذَكَرٍ. ثُمَّ وَضَعَتْ بَعْدَ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ بِقَرْيَةِ بَيْتَ لَحْمٍ مِنْ عَمَلِ مَدِينَةِ ٱلْقُدْسِ فِي خَامِسِ عِشْرِينَ كَانُونَ ٱلْأَوَّلِ. وَقَدِمَتْ رُسُلُ مَلِكِ فَارِسَ فِي طَلَبِهِ وَمَعَهُمْ هَدِيَّةٌ لَهُ فِيهَا ذَهَبٌ وَمُرٌّ وَلُبَانٌ. فَطَلَبَهُ هِيرُودُسُ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ بِٱلْقُدْسِ لِيَقْتُلَهُ وَقَدْ أُنْذِرَ بِهِ. فَسَارَتْ بِهِ مَرْيَمُ وَهُوَ طِفْلٌ عَلَى حِمَارٍ وَمَعَهَا يُوسُفُ ٱلنَّجَّارُ حَتَّى قَدِمُوا أَرْضَ مِصْرَ فَسَكَنُوهَا مُدَّةَ أَرْبَعِ سِنِينَ وَقِيلَ سَبْعِ سِنِينَ. ثُمَّ عَادُوا فَنَزَلَتْ بِهِ مَرْيَمُ قَرْيَةَ ٱلنَّاصِرَةِ مِنْ جَبَلِ ٱلْجَلِيلِ وَٱسْتَوْطَنَتْهَا فَنَشَأَ بِهَا عِيسَى حَتَّى بَلَغَ ثَلَاثِينَ سَنَةً. فَصَارَ هُوَ وَيَحْيَى (يُوحَنَّا) بْنُ زَكَرِيَّاءَ إِلَى نَهْرِ ٱلْأُرْدُنِّ فَٱغْتَسَلَ عِيسَى فِيهِ وَمَضَى إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ وَأَقَامَ بِهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا يَتَنَاوَلُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا. ثُمَّ طَافَ ٱلْقُرَى وَدَعَا إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَأَبْرَأَ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأَحْيَا ٱلْمَوْتَى بِإِذْنِ ٱللهِ. وَبَكَّتَ ٱلْيَهُودَ وَأَمَرَهُمْ بِٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلتَّوْبَةِ مِنَ ٱلْمَعَاصِي. فَآمَنَ بِهِ ٱلْحَوَارِيُّونَ وَكَانُوا قَوْمًا صَيَّادِينَ وَعَدَدُهُمُ ٱثْنَا عَشَرَ رَجُلًا. وَكَذَّبَ عِيسَى عَامَّةُ ٱلْيَهُودِ وَضَلَّلُوهُ وَٱتَّهَمُوهُ بِمَا هُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ وَكَانَتْ لَهُ وَلَهُمْ عِدَّةُ مُنَاظَرَاتٍ آلَتْ بِهِمْ إِلَى أَنِ ٱتَّفَقَ أَحْبَارُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ وَطَرَقُوهُ لَيْلَةَ ٱلْجُمُعَةِ. وَأَخَذُوهُ وَأَتَوْا بِهِ إِلَى بِيلَاطُسَ ٱلْبُنْطِيِّ شِحْنَةِ ٱلْقُدْسِ مِنْ قِبَلِ ٱلْمَلِكِ طِيبَارِيُوسَ قَيْصَرَ. وَرَاوَدُوهُ عَلَى قَتْلِهِ وَهُوَ يُدَافِعُهُمْ عَنْهُ. حَتَّى غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ بِأَنَّ دِينَهُمُ ٱقْتَضَى قَتْلَهُ فَأَمْكَنَهُمْ مِنْهُ

رسالة الحواريين والسبعين

٥٢٦ ثُمَّ ٱجْتَمَعُوا بَعْدَ رَفْعِهِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ فِي عِلِّيَّةِ صِيُونَ ٱلَّتِي يُقَالُ لَهَا ٱلْيَوْمَ صِهْيُونُ خَارِجَ ٱلْقُدْسِ. وَظَهَرَتْ لَهُمْ خَوَارِقُ فَتَكَلَّمُوا بِجَمِيعِ ٱلْأَلْسُنِ. فَآمَنَ بِهِمْ فِيمَا يُذْكَرُ عِنْدَ ذٰلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ إِنْسَانٍ. فَأَخَذَهُمُ ٱلْيَهُودُ وَحَبَسُوهُمْ فَظَهَرَتْ كَرَامَتُهُمْ وَفَتَحَ ٱللهُ لَهُمْ بَابَ ٱلسِّجْنِ لَيْلًا. فَخَرَجُوا إِلَى ٱلْهَيْكَلِ وَطَفِقُوا يَدْعُونَ ٱلنَّاسَ. فَهَمَّتِ ٱلْيَهُودُ بِقَتْلِهِمْ وَقَدْ آمَنَ بِهِمْ نَحْوُ ٱلْخَمْسَةِ آلَافِ إِنْسَانٍ فَلَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ قَتْلِهِمْ. وَتَفَرَّقَ ٱلْحَوَارِيُّونَ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرْضِ يَدْعُونَ إِلَى دِينِ ٱلْمَسِيحِ. فَسَارَ بُطْرُسُ رَأْسُ ٱلْحَوَارِيِّينَ وَٱسْمُهُ شِمْعُونُ ٱلصَّفَا إِلَى أَنْطَاكِيَةَ وَرُومَةَ. فَٱسْتَجَابَ لَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ وَقُتِلَ فِي خَامِسِ أَبِيبَ وَسَارَ أَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ إِلَى نِيقِيَةَ وَمَا حَوْلَهَا فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ. وَسَارَ يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدَى أَخُو يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيِّ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَتَبِعَهُ جَمَاعَةٌ وَقُتِلَ. وَسَارَ يُوحَنَّا ٱلْإِنْجِيلِيُّ إِلَى بِلَادِ آسِيَا وَأَفَسُسَ فَكَتَبَ إِنْجِيلَهُ بِٱلْيُونَانِيِّ بَعْدَ مَا كَتَبَ مَتَّى وَمَرْقُسُ وَلُوقَا أَنَاجِيلَهُمْ فَوَجَدَهُمْ قَدْ قَصَّرُوا فِي أُمُورٍ فَتَكَلَّمَ عَلَيْهَا. وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ رَفْعِ ٱلْمَسِيحِ بِثَلَاثِينَ سَنَةً. وَكَتَبَ ثَلَاثَ رَسَائِلَ وَمَاتَ وَقَدْ أَنَافَ عَلَى مِائَةِ سَنَةٍ. وَسَارَ فِيلِبُّسُ إِلَى قَيْسَارِيَةَ وَمَا حَوْلَهَا وَقُتِلَ بِهَا وَقَدِ ٱتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَسَارَ بَرْتُولُومَاوُسُ إِلَى أَرْمِينِيَةَ وَبِلَادِ ٱلْبَرْبَرِ وَوَاحَاتِ مِصْرَ فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ وَقُتِلَ. وَسَارَ تُومَا إِلَى ٱلْهِنْدِ وَقُتِلَ هُنَاكَ. وَسَارَ مَتَّى ٱلْعَشَّارُ إِلَى

فِلَسْطِينَ وَصُورَ وَصَيْدَا وَمَدِينَةِ بُصْرَى. وَكَتَبَ إِنْجِيلَهُ بِالْعِبْرَانِيِّ بَعْدَ
رَفْعِ الْمَسِيحِ بِتِسْعِ سِنِينَ وَقُتِلَ بَعْدَ مَا اسْتَجَابَ لَهُ بَشَرٌ كَثِيرٌ.
وَقُتِلَ يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَا فِي الْقُدْسِ. وَسَارَ يَهُوذَا مِنْ أَنْطَاكِيَةَ إِلَى
الْجَزِيرَةِ فَآمَنَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَسَارَ شَمْعُونُ إِلَى سُمَيْسَاطَ وَحَلَبَ
وَمَنْبِجَ وَبِزَنْطِيَةَ فَقُتِلَ. وَسَارَ مَتِيَاسُ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ وَسَارَ بُولُسُ
الطَّرَسُوسِيُّ إِلَى دِمَشْقَ وَبِلَادِ الرُّومِ وَرُومَةَ فَقُتِلَ فِي خَامِسِ أَبِيبَ
٥٢٧ وَتَفَرَّقَ أَيْضًا سَبْعُونَ رَسُولًا أُخَرُ فِي الْبِلَادِ فَآمَنَ بِهِمُ الْخَلَائِقُ.
وَمِنْ هٰؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مَرْقُسُ الْإِنْجِيلِيُّ. وَمَضَى إِلَى بُطْرُسَ بِرُومَةَ وَصَحِبَهُ
وَكَتَبَ الْإِنْجِيلَ عِنْدَهُ بِالْفِرَنْجِيَّةِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.
وَدَعَا النَّاسَ بِرُومَةَ وَمِصْرَ وَالْحَبَشَةِ وَالنُّوبَةِ. وَأَقَامَ حَنَانِيَا أُسْقُفًّا عَلَى
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَخَرَجَ إِلَى بَرْقَةَ وَكَثُرَتِ النَّصَارَى فِي أَيَّامِهِ وَقُتِلَ فِي
ثَانِي عِيدِ الْفِصْحِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ (٦٢ للمسيح). وَمِنَ السَّبْعِينَ أَيْضًا لُوقَا
الْإِنْجِيلِيُّ الطَّبِيبُ تِلْمِيذُ بُولُسَ (والاصح انه ليس من السبعين). كَتَبَ
الْإِنْجِيلَ بِالْيُونَانِيَّةِ بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ بِعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قُتِلَ (٧٥)
٥٢٨ وَكَانَ بُطْرُسُ لَمَّا نَزَلَ بِأَنْطَاكِيَةَ أَقَامَ بِهَا دَارِيُوسَ (أفوديوس)
بَطْرَكًا وَأَنْطَاكِيَةُ إِحْدَى الْكَرَاسِيِّ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي لِلنَّصَارَى وَهِيَ
رُومِيَةُ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةُ وَالْقُدْسُ وَأَنْطَاكِيَةُ فَأَقَامَ دَارِيُوسُ بَطْرَكَ
أَنْطَاكِيَةَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَهُوَ أَوَّلُ بَطَارِكَتِهَا وَتَوَارَثَ مِنْ بَعْدِهِ
الْبَطَارِكَةُ بِهَا الْبَطْرَكِيَّةَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَدَعَا شَمْعُونُ الصَّفَا بِرُومِيَةَ

خمسًا وعشرين سنة فآمنت به بطركيّةٌ وسارت إلى القدس وكشفت عن خشبات الصليب وسلّمتها إلى يعقوب الأسقف وبنت هناك كنيسة وعادت إلى رومية وقد اشتدّت على دين النصرانيّة فآمن معها عدّة من أهلها. ولمّا قتل الملك نيرون قيصر بطرس رأس الحواريين برومة أقيم من بعده لينوس بطرك رومة. وهو أوّل بطرك صار على رومة. وقام من البطاركة بها واحدًا بعد واحد إلى يومنا هذا الذي نحن فيه. ولمّا قتل يعقوب أسقف القدس على يد اليهود هدموا بعده البيعة وأخذوا خشبة الصليب والخشبتين معها ودفنوها وألقوا على موضعها ترابًا كثيرًا فصار كومًا عظيمًا حتى أخرجتها هيلاني أم قسطنطين. وأقيم بعد قتل يعقوب سمعان ابن عمه. فمكث اثنتين وأربعين سنة أسقفًا ومات فتداول الأساقفة بعده الأسقفية بالقدس واحدًا بعد آخر

بطاركة الاسكندرية والاضطهادات العشرة

٥٢٩ ولمّا أقام مرقس حنانيا بطرك الإسكندرية جعل معه اثني عشر قسًّا وأمرهم إذا مات البطرك أن يجعلوا عوضه واحدًا منهم. ويقيموا بدل ذلك القس واحدًا من النصارى حتى لا يزالوا أبدًا اثني عشر قسًّا. فلم تزل البطاركة تعمل من القسوس إلى أن اجتمع الثلاثمائة والثمانية عشر كما ستراه إن شاء الله تعالى. وكان بطرك الإسكندرية يقال له البابا من عهد حنانيا هذا أوّل بطاركة

ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى أَنْ أُقِيمَ دِيمِتْرِيُوسُ وَهُوَ ٱلثَّانِي عَشَرَ مِنْ بَطَارِكَةِ
ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَلَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ مِصْرَ أَسَاقِفَةٌ فَنَصَبَ ٱلْأَسَاقِفَةَ بِهَا
وَكَثَّرُوا بِقُرَاهَا. وَصَارَ ٱلْأَسَاقِفَةُ يُسَمُّونَ ٱلْبَطْرَكَ ٱلْأَبَ. وَٱلْقُسُوسُ
وَسَائِرُ ٱلنَّصَارَى يُسَمُّونَ ٱلْأُسْقُفَ ٱلْأَبَ وَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ ٱلْبَابَا تَخْتَصُّ
بِبَطْرَكِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمَعْنَاهَا أَبُ ٱلْآبَاءِ. ثُمَّ ٱنْتَقَلَ هٰذَا ٱلِٱسْمُ عَنْ
كُرْسِيِّ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى كُرْسِيِّ رُومَةَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كُرْسِيُّ بُطْرُسَ
رَأْسِ ٱلْحَوَارِيِّينَ فَصَارَ بَطْرَكُ رُومَةَ يُقَالُ لَهُ ٱلْبَابَا. وَٱسْتَمَرَّ عَلَى ذٰلِكَ
إِلَى زَمَنِنَا ٱلَّذِي نَحْنُ فِيهِ. وَأَقَامَ حَنَانِيَا فِي بَطْرَكِيَّةِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ
ٱثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. فَأُقِيمَ بَعْدَهُ مِيلِيُو (ميليوس او ابيليوس ٨٤)
فَأَقَامَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَمَاتَ. وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ ثَارَ ٱلْيَهُودُ
عَلَى ٱلنَّصَارَى وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ ٱلْقُدْسِ فَعَبَرُوا ٱلْأُرْدُنَّ وَسَكَنُوا تِلْكَ
ٱلْأَمَاكِنَ. وَكَانَ بَعْدَ هٰذَا بِقَلِيلٍ خَرَابُ ٱلْقُدْسِ وَجَلْوَةُ ٱلْيَهُودِ
وَقَتْلُهُمْ عَلَى يَدِ طِيطُشَ بَعْدَ رَفْعِ ٱلْمَسِيحِ بِنَحْوِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.
فَكَثُرَتِ ٱلنَّصَارَى فِي أَيَّامِ بَطْرَكِيَّةِ مِيلِيُو وَعَادَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ إِلَى ٱلْقُدْسِ
بَعْدَ تَخْرِيبِ طِيطُشَ لَهَا. وَبَنَوْا بِهَا كَنِيسَةً وَأَقَامُوا عَلَيْهَا سِمْعَانَ أُسْقُفًا..

٥٣٠ ثُمَّ أُقِيمَ بَعْدَ مِيلِيُو بِٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي ٱلْبَطْرَكِيَّةِ كِرْدِيَانُو
(كِرْدُو ٨٧) وَفِي أَيَّامِ ٱلْمَلِكِ تَرِيَانُوسَ قَيْصَرَ أَصَابَ ٱلنَّصَارَى مِنْهُ بَلَاءٌ
كَبِيرٌ وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةً كَثِيرَةً وَٱسْتَعْبَدَ بَاقِيَهُمْ. فَنَزَلَ بِهِمْ بَلَاءٌ لَا
يُوصَفُ فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ حَتَّى رَحِمَهُمُ ٱلْوُزَرَاءُ وَأَكَابِرُ ٱلرُّومِ وَشَفَعُوا

(٣٠٤)

فيهم. فمن عليهم قيصر وأعتقهم. ومات كرتيانو بطرك الإسكندرية (١٠٧) وكان جيد السيرة. فقدم بعده أبريمو (افرام) فأقام اثنتي عشرة سنة. واشتد الأمر على النصارى في أيام الملك أدريانوس قيصر وقتل منهم خلائق لا يحصى عددهم. وقدم مصر فأفنى من بها من النصارى. وخرب ما بني في مدينة القدس من كنيسة النصارى. ومنع اليهود من التردد إليها وأنزل عوضهم بالقدس اليونانيين وسمى القدس إيليا. فلم يتجاسر اليهود أن يدنوا من القدس. وأقيم بعد موت أبريمو بطرك الإسكندرية يسطس (١١٩) فأقام إحدى عشرة سنة. فخلفه أوميانو (١٣٠) فأقام ثلاث عشرة سنة. ثم أقيم بعده مرقيانو (١٤٣) بطرك الإسكندرية وأقام تسع سنين وستة أشهر. فقدم بعده على الإسكندرية كلوتيانو (١٥٣) فأقام أربع عشرة سنة. وفي أيامه اشتد الملك أراليانوس (اوريليوس) قيصر على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا. وقدم على كرسي الإسكندرية بعد كلوتيانو أغريبو (أغربينوس) بطركا أقام ثنتي عشرة سنة. وفي أيام بطركيته اتفق رأي البطاركة بجميع الأمصار على حساب فصح النصارى ووقت صومهم ورتبوا كيف يستخرج ووضعوا الحساب الإبقطي وبه يستخرجون معرفة وقت صومهم وفصحهم واستمروا على ما رتبوه فيما بعد. وكانوا قبل ذلك يصومون بعد الغطاس أربعين يوما كما صام المسيح ويفطرون في عيد الفصح لأن عيد الفصح كانت

فيه قيامة المسيح من الأموات بقولهم . وكان الحواريون قد أمروا
أن لا يغير عن وقته وأن يعملوه كل سنة في ذلك الوقت . ثم أقيم
بكرسي الإسكندرية بعد أغريبو في البطركية يوليانوس (١٧٩)
فأقام عشر سنين . واستخلف بعده ديمتريوس (١٨٩) فأقام في البطركية
ثلاثا وأربعين سنة ومات وكان فلاحا أميا وله زوجة لم يعرفها قط .
وفي أيامه أثار الملك سوريانوس قيصر على النصارى بلاء كثيرا في
جميع مملكته وقتل منهم خلقا كثيرا . وقدم مصر وقتل جميع من فيها
من النصارى وهدم كنائسهم وبنى بالإسكندرية هيكلا لأصنامه
٥٣١ ثم أقيم بعده في بطركية الإسكندرية تاوكلا (ويسمى
هيركلاس) فأقام ست عشرة سنة . فلقي النصارى من الملك
مكسيمنوس قيصر شدة عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا . فلما ملك
فيلبس قيصر أكرم النصارى . وقدم على بطركية الإسكندرية
ديونيسيوس (٢٤٧) فأقام تسع عشرة سنة . وفي أيامه كان الراهب
أنطونيوس المصري وهو أول من ابتدأ بلبس الصوف وابتدأ بعمارة
الديارات في البراري . وأنزل بها الرهبان . ولقي النصارى من الملك
دقيوس قيصر شدة فإنه أمرهم أن يسجدوا لأصنامه فأبوا من
السجود لها فقتلهم أبرح قتل . وفر منه الفتية أصحاب الكهف من
مدينة أفسس واختفوا بمغارة في جبل شرقي المدينة وناموا . فضرب
الله على آذانهم فلم يزالوا نائمين ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا . وقام من

بَعْدِه بِالْإِسْكَنْدَرِيَّة مكْسِيمُوسُ (٢٦٥) فَأَقَامَ بطرَكًا اُثْنَتِي عَشْرَةَ سَنَة. فَأُقِيمَ بَعْدَه تَاوُنَا (٢٨٧) بطرَكًا مُدَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَمَاتَ. وكَانَتِ النَّصَارَى قَبْلَهُ تُصَلِّي بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ خِفْيَةً مِنَ الرُّومِ خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ. فَلَاطَفَ تَاوُنَا الرُّومَ وَأَهْدَى إِلَيْهِمْ تُحَفًا جَلِيلَةً حَتَّى بَنَى كَنِيسَةَ مَرْيَمَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَصَلَّى بِهَا النَّصَارَى جِهَارًا. وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى النَّصَارَى فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ أُورِيلِيَانُوس قَيْصَرَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ دِقْلِطِيَانُوس قَيْصَرَ خَالَفَ عَلَيْهِ أَهْلُ مِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا. وَكَتَبَ بِغَلْقِ كَنَائِسِ النَّصَارَى وَأَمَرَ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَقَتَلَ مَنِ امْتَنَعَ مِنْهَا. فَاسْتُشْهِدَ خَلَائِقُ كَثِيرَةٌ جِدًّا. وَأُقِيمَ فِي الْبَطْرَكِيَّةِ بَعْدَ تَاوُنَا بُطْرُسُ (٣٠٠) فَأَقَامَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً وَقُتِلَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِالسَّيْفِ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ. فَقَامَ بَعْدَهُ تِلْمِيذُهُ أَرْشِلَاوُسُ (اشيلاس ٣١١) فَأَقَامَ سَنَتَيْنِ وَمَاتَ. وَبِدِقْلِطِيَانُوس هَذَا وَقَتْلِهِ نَصَارَى مِصْرَ يُؤَرِّخُ قِبْطُ مِصْرَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ مَكْسِمِيَانُوس قَيْصَرُ فَاشْتَدَّ عَلَى النَّصَارَى وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى كَانَتِ الْقَتْلَى مِنْهُمْ تُحْمَلُ عَلَى الْعَجَلِ وَتُلْقَى فِي الْبَحْرِ.

تنصُّر قسطنطين وبدعة آريوس وحرمهُ

٥٣٢ ثُمَّ قَامَ بَعْدَ أَرْشِلَاوُسَ فِي بطرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِسْكَنْدَرُوسُ تِلْمِيذُ بُطْرُسَ الشَّهِيدِ فَأَقَامَ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ فِي ثَانِي عِشْرِينَ بَرْمُودَه. وَفِي بطرَكِيَّتِهِ كَانَ مَجْمَعُ النَّصَارَى بِمَدِينَةِ نِيقِيَةَ. وَفِي أَيَّامِهِ

كُتُبَ ٱلنَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ رُومَةَ إِلَى قُسْطَنْطِينَ وَكَانَ عَلَى مَدِينَةِ بِزَنْطِيَةَ يَحُثُّونَهُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَهُمْ مِنْ جَوْرِ مَكْسَنْطِيسَ وَشَكَوْا إِلَيْهِ عُتُوَّهُ فَأَجْمَعَ عَلَى ٱلْمَسِيرِ لِذَٰلِكَ. وَكَانَتْ أُمُّهُ هِيلَانِي مِنْ أَهْلِ قُرَى مَدِينَةِ ٱلرُّهَا قَدْ تَنَصَّرَتْ عَلَى يَدِ أُسْقُفِ ٱلرُّهَا وَتَعَلَّمَتِ ٱلْكُتُبَ. فَلَمَّا مَرَّ بِقَرْيَتِهَا قُسْطُسُ صَاحِبُ شُرْطَةِ دِقْلَطْيَانُوسَ رَآهَا فَأَعْجَبَتْهُ فَتَزَوَّجَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى بِزَنْطِيَةَ مَدِينَتِهِ فَوَلَدَتْ لَهُ قُسْطَنْطِينَ وَكَانَ جَمِيلًا. فَأَنْذَرَ دِقْلَطْيَانُوسَ مُنَجِّمُوهُ بِأَنَّ هٰذَا ٱلْغُلَامَ قُسْطَنْطِينَ سَيَمْلِكُ ٱلرُّومَ وَيُبَدِّلُ دِينَهُمْ فَأَرَادَ قَتْلَهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى ٱلرُّهَا وَتَعَلَّمَ بِهَا ٱلْحِكْمَةَ ٱلْيُونَانِيَّةَ حَتَّى مَاتَ دِقْلَطْيَانُوسُ فَعَادَ إِلَى بِزَنْطِيَةَ فَسَلَّمَهَا لَهُ أَبُوهُ قُسْطُسُ وَمَاتَ فَقَامَ بِأَمْرِهَا بَعْدَ أَبِيهِ إِلَى أَنِ ٱسْتَدْعَاهُ أَهْلُ رُومَةَ. فَأَخَذَ يُدَبِّرُ فِي مَسِيرِهِ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَوَاكِبَ فِي ٱلسَّمَاءِ عَلَى هَيْئَةِ ٱلصَّلِيبِ وَصَوْتَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ يَقُولُ لَهُ: ٱحْمِلْ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَةَ تَنْتَصِرْ عَلَى عَدُوِّكَ فَقَصَّ رُؤْيَاهُ عَلَى أَعْوَانِهِ. وَعَمِلَ شَكْلَ ٱلصَّلِيبِ عَلَى أَعْلَامِهِ وَبُنُودِهِ وَسَارَ لِحَرْبِ مَكْسَنْطِيسَ بِرُومَةَ. فَبَرَزَ إِلَيْهِ وَحَارَبَهُ فَٱنْتَصَرَ قُسْطَنْطِينُ عَلَيْهِ وَمَلَكَ رُومَةَ. وَتَحَوَّلَ مِنْهَا فَجَعَلَ دَارَ مُلْكِهِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَكَانَ هٰذَا ٱبْتِدَاءَ رَفْعِ ٱلصَّلِيبِ وَظُهُورِهِ فِي ٱلنَّاسِ فَٱتَّخَذَهُ ٱلنَّصَارَى وَعَظَّمُوهُ. وَأَكْرَمَ قُسْطَنْطِينُ ٱلنَّصَارَى وَدَخَلَ فِي دِينِهِمْ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ مُلْكِهِ عَلَى ٱلرُّومِ. وَأَمَرَ بِبِنَاءِ ٱلْكَنَائِسِ فِي جَمِيعِ مَمَالِكِهِ وَكَسَّرَ ٱلْأَصْنَامَ وَهَدَمَ بُيُوتَهَا وَعَمِلَ ٱلْمَجْمَعَ بِمَدِينَةِ نِيقِيَةَ.

وسببه أن الإسكندروس بطرك الإسكندرية منع آريوس من دخول الكنيسة وحرمه لمقالته ونقل عن بطرس الشهيد بطرك الإسكندرية أنه قال عن آريوس أن إيمانه فاسد وكتب بذلك إلى جميع البطاركة. فمضى آريوس إلى قسطنطين ومعه أسقفان فاستغاثوا به وشكوا الإسكندروس فأمر بإحضاره من الإسكندرية فحضر هو وآريوس. وجمع له الأعيان من النصارى ليناظروه. فاستحسن الملك قسطنطين كلام إسكندروس وأمره أن يحرم آريوس فحرمه. وسأل الإسكندروس الملك أن يحضر الأساقفة. فأمر بهم فأتوه من جميع ممالكه واجتمعوا بعد ستة أشهر بمدينة نيقية وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر. فمال قسطنطين إلى قولهم وأعرض عما سواه. وأقبل على الثلاثمائة والثمانية عشر وأمر لهم بكراسي وأجلسهم عليها. ودفع إليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم في جميع مملكته. فباركوا عليه ووضعوا له كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيه ما يتعلق بالمحاكمات والمعاملات وكتبوا بذلك إلى سائر الممالك. وكان رئيس هذا المجمع الإسكندروس وأسطاس بطرك أنطاكية ومقاريوس أسقف القدس. ووجه سلطوس (سلوسترس) بطرك رومة بقسيسين اتفقا معهم على حرم آريوس فحرموه ونفوه. ووضع الثلاثمائة والثمانية عشر الأمانة المشهورة عندهم وأوجبوا أن يكون الصوم متصلا بعيد الفصح على ما رتبه البطاركة في أيام الملك

أوراليوس قيصر كما تقدم. وانصرفوا من مجلس قسطنطين بكرامة جليلة. والإسكندروس هذا هو الذي كسر الصنم النحاس الذي كان في هيكل زحل بالإسكندرية وكانوا يعبدونه ويجعلون له عيدا في ثاني عشر هتور ويذبحون له الذبائح الكبيرة. فأراد الإسكندروس كسر هذا الصنم فمنعه أهل الإسكندرية. فاحتال عليهم وتلطف في حيلته إلى أن قرب العيد. فجمع الناس ووعظهم وقبح عندهم عبادة الصنم وحثهم على تركه وأن يعمل هذا العيد لميكائيل رئيس الملائكة الذي يشفع فيهم عند الإله فإن ذلك خير من عمل العيد للصنم فلا يتغير عمل العيد الذي جرت عادة أهل البلد لعمله. فرضي الناس بهذا ووافقوه على كسر الصنم فكسروه وأحرقوه وعمل بيته كنيسة على اسم ميكائيل فلم تزل هذه الكنيسة بالإسكندرية إلى أن حرقها جيوش الإمام المعز لدين الله لما قدموا في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة واستمر عيد ميكائيل عند النصارى باقيا يعمل في كل سنة

وجدان الصليب وانتشار شيعة آريوس

٥٣٣ وفي السنة الثانية والعشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلاني إلى القدس وبنت بها كنائس للنصارى. فدلها مقاريوس الأسقف على الصليب وعرفها ما عملته اليهود. ثم دلوها على الموضع فحفرته فإذا قبر وثلاث خشبات. زعموا أنهم لم يعرفوا الصليب المطلوب من الخشبات الثلاث إلا بأن وضعت كل واحدة منها على

ميت قد بلي. فقام حياً عندما وضعت عليه خشبة منها. فعملوا لذلك عيداً عُرف عندهم بعيد الصليب. وعملت له هيلاني غلافاً من ذهب وبنت كنيسة القيامة وأقامت مقاريوس على بناء بقية الكنيسة. وكانت مدة ما بين ولادة المسيح وظهور الصليب ثلاثمائة وثماني وعشرين سنة

٥٣٤ ثم قام في بطركية الإسكندرية بعد الإسكندروس تلميذه أثاناسيوس الرسولي (٣٢٦). فأقام ستاً وأربعين سنة ومات بعد ما ابتلي بشدائد وغاب عن كرسيه ثلاث مرات. وفي أيامه جرت مناظرات طويلة مع أوسابيوس الأسقف آلت إلى حرمه وفراره. فإنه تعصب لأريوس وقال: إن الإنجيل لم يقل إن المسيح خلق الأشياء وإنما قال: به خلق كل شيء لأنه كلمة الله التي بها خلق السماء والأرض وإنما خلق تعالى جميع الأشياء بكلمته فالأشياء به كونت لا أنه كونها. وإنما الثلاثمائة والثمانية عشر تعدوا على آريوس وفي أيامه بعثت هيلاني بمال عظيم إلى مدينة الرها فبني بها كنائسها العظيمة

٥٣٥ فلما قام قسطنطين (قسطنس) بن قسطنطين في الملك بعد أبيه غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية وصار أكثر أهل مصر آريوسيين واستولوا على ما بها من الكنائس ومال الملك إلى رأيهم وحمل الناس عليه. وأخبر كيرلس أسقف القدس أنه ظهر من السماء على القبر الذي بكنيسة القيامة شبه صليب من نور في يوم عيد العنصرة بعشرة أيام من شهر أيار في الساعة الثالثة

مِنَ ٱلنَّهارِ حتّى غلَبَ نُورُهُ على نُورِ ٱلشَّمسِ . ورآهُ جميعُ أهلِ ٱلقُدسِ عِيانًا . فأقامَ فوقَ ٱلقبرِ عدّةَ ساعاتٍ فآمنَ مِنَ ٱليهودِ وغيرِهم عدّةُ آلافٍ

اضطهاد يوليانوس الجاحد وشيعة مقدونيوس

٥٣٦ ثُمَّ لمّا ملكَ يُوليانُوسُ ٱبنُ عَمِّ قسطنطينَ ٱشتدّتْ نِكايتُهُ بٱلنّصارى وقتلَ مِنهُم خلقًا كثيرًا ومنعَهُم مِنَ ٱلنّظرِ في شيءٍ مِنَ ٱلكُتُبِ . وأقفلَ ٱلكنائسَ وٱلدِّياراتِ ونصبَ مائدةً كبيرةً عليها أطعمةٌ مِمّا ذبحهُ لِأصنامِهِ ونادى : مَن أرادَ ٱلمالَ فليضعِ ٱلبَخُورَ على ٱلنّارِ وليأكُلْ مِن ذبائحِ ٱلحُنفاءِ ويأخذْ ما يُريدُ مِنَ ٱلمالِ . فٱمتنعَ كثيرٌ مِنَ ٱلرُّومِ وقالوا : نحنُ نصارى . فقتلَ مِنهُم خلائقَ ومحا ٱلصّليبَ مِن أعلامِهِ وبُنُودِهِ . وفي أيّامِهِ سكنَ ٱلقدّيسُ أناريُونُ (إلاريون) بَرّيّةَ ٱلأُردُنِّ وبنى بِها ٱلدِّياراتِ . وهُوَ أوّلُ مَن سكنَ بَرّيّةَ ٱلأُردُنِّ مِنَ ٱلنّصارى . ولمّا ملكَ يُونيانُوسُ على ٱلرُّومِ وكانَ مُتنصّرًا أعادَ كُلَّ مَن فرَّ مِنَ ٱلأساقفةِ إلى كُرسيِّهِ . وكتبَ إلى أثاناسيُوسَ بطركِ ٱلإسكندريّةِ أن يشرحَ لهُ ٱلأمانةَ ٱلمُستقيمةَ . فجمعَ ٱلأساقفةَ وكتبُوا لهُ أن يلزمَ أمانةَ ٱلثّلاثمائةِ وٱلثّمانيةَ عشرَ . فثارَ أهلُ ٱلإسكندريّةِ على أثاناسيُوسَ لِيقتُلُوهُ . ففرَّ فأقامُوا بدلَهُ لُوقيُوسَ وكانَ آريُوسيًّا . فٱجتمعَ ٱلأساقفةُ بعدَ خمسةِ أشهُرٍ وحرمُوهُ وأعادُوا أثاناسيُوسَ إلى كُرسيِّهِ فأقامَ بطركًا إلى موتِهِ

٥٣٧ فخلفَهُ بُطرُسُ (٣٧٣) ثُمَّ وثبَ ٱلآريُوسيُّونَ عليهِ بعدَ سنتينِ ففرَّ مِنهُم وٱستجارَ بِبطركِ رُومةَ وأعادُوا لُوقيُوسَ فأقامَ ثلاثَ سِنينَ

ووثب عليه أعداؤه ففر منهم فردوا بطرس فأقام إلى موته. وكان في أيامه والنس ملك الروم وكان آريوسياً. ونهى سائر الأساقفة لمخالفتهم لرأيه وقام في بطركية الإسكندرية طيماتاوس (٣٨٠) فأقام خمس سنين ومات. وفي أيامه كان المجمع الثاني من مجامع النصارى بقسطنطينية (٣٨١). فاجتمع مائة وخمسون أسقفاً وحرموا مقدونيوس عدو روح القدس وكل من قال بقوله. وسبب ذلك أنه قال بأن روح القدس مخلوق. وحرموا معه غير واحد لعقائد شنيعة تظاهروا بها في المسيح. وزاد الأساقفة في الأمانة التي رتبها الثلاثمائة والثمانية عشر: ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب. وحرموا أن يزاد فيها بعد ذلك شيء أو ينقص منها شيء. وفي أيامه بنيت عدة كنائس بالإسكندرية واستتيب جماعة كثيرة من مقالة آريوس. ورد الملك أغرديانوس كل من نفاه والنس من الأساقفة. وأمر أن يلزم كل واحد دينه ما خلا المنانية

٥٣٧ ثم أقيم بكرسي الإسكندرية تاوفيلا (٣٨٥–٤١٢). واشتد الملك تاوداسيوس على الآريوسيين وأمر فأخذت منهم كنائس النصارى. وأسقط من جيشه من كان آريوسياً وطرد من كان في ديوانه وخدمه منهم. وهدم بيوت الأصنام. وفي أيامه بنيت كنيسة مريم بالقدس

القديس كيرلس وهرطقة نسطوريس

٥٣٨ ثم أقيم على بطركية الإسكندرية كيرلس (٤١٢) فأقام

اُثنتينِ وَثلاثين سنة ومات وَفي أيّامِه كانَ المجمعُ الثّالثُ مِن مجامعِ النَّصارَى بِسببِ نسطوريس بطركَ قسطنطينيّة. فإنّه منع أن تكون مريمُ أمّ عيسى. وقالَ: إنّما وَلدت مريمُ إنسانًا أتّحد بمشيّةِ الله يعني عيسى فصارَ الاتّحادُ بالمشيّةِ خاصّةً لا بالذّاتِ وَإنّ إطلاقَ الإلهِ على عيسى لَيسَ هو بالحقيقةِ بل بالهبةِ والكرامةِ. وقالَ في خطبةِ يومِ الميلادِ: إنّ مريمَ ولدت إنسانًا وأنا لا أعتقدُ في ابنِ شهرينِ أو ثلاثةِ الإلهيّةَ وَلا أسجدُ له سجودي للإله. فلمّا بلغَ كيرلُّس بطركَ الإسكندريّة مقالةَ نسطوريس كتبَ إليهِ يرجعُه عنها فلم يرجع. فكتبَ إلى بطركِ رومةَ وإلى يوحنّا بطركِ أنطاكيةَ وإلى يونا ليوس أسقفِ القدسِ يعرّفهم بذلكَ. فكتبوا بأجمعهِم إلى نسطوريس ليرجعَ عن مقالتِه فلم يرجع. فتواعدَ البطاركةُ على الاجتماعِ بمدينةِ أفسس فاجتمعَ بها مائتا أسقفٍ وامتنعَ نسطوريس من المجيءِ إليهم بعدَ ما كرّروا الإرسالَ في طلبِه غيرَ مرّةٍ. فنظروا في مقالتِه وحرموه (٤٣١). ونُفي إلى الصّعيدِ فنزلَ مدينةَ إخميمَ وأقامَ بها سبعَ سنينَ وماتَ فدُفنَ بها. وظهرت مقالتُه فقبلها برصوما أسقفُ نصيبينَ ودانَ بها نصارى أرضِ فارسَ والعراقِ والموصلِ والجزيرةِ إلى الفراتِ وعُرفوا إلى اليومِ بالنّسطوريّة

اوطاخي وديوسقوروس وحرمهما في مجمع الخلقيدوني

٥٣٩ ثمّ قدمَ تاودسيوس الصّغيرُ ملكُ الرّومِ في الثّانيةِ من ملكِه ديوسقورس بطركًا بالإسكندريّةِ (٤٤٤). فظهرَ في أيّامِه مذهبُ

أوطاخي أحد القسوس بالقسطنطينية . وزعم أن جسد المسيح لطيف غير مساو لأجسادنا وأن الابن لم يأخذ من مريم شيئاً . فاجتمع عليه مائة وثلاثون أسقفاً وحرموه . ثم صار المجمع الرابع من مجامع النصارى بمدينة خلقدونية (٤٥١) وسببه أن ديوسقورس بطرك الإسكندرية قال : إن المسيح جوهر من جوهرين وطبيعة من طبيعتين ومشية من مشيتين . وكان رأي مرقيان والنصارى أنه جوهران وطبيعتان ومشيتان وأقنوم واحد فوافقه الأساقفة على رأيه ما خلا ديوسقورس وستة أساقفة فإنهم لم يوافقوا الملك . فحرم ديوسقورس ونفي وأقيم عوضه برطارس (٤٥١) . وأما ديوسقورس فإنه توجه في نفيه فعبر على القدس وفلسطين وعرفهم مقالته فتبعوه وقالوا بقوله . وقدم عدة أساقفة يعقوبية ومات وهو منفي . وسبب تسمية اليعقوبية بهذا أن ديوسقورس كان له تلميذ اسمه يعقوب وكان يرسله وهو منفي إلى أصحابه فنسبوا إليه . وفي أيامه ظهر الفتية أهل الكهف . وفي أيام مرقيان وثب أهل الإسكندرية على برطارس البطرك وقتلوه في الكنيسة وحملوا جسده إلى الملعب الذي بناه بطليموس وأحرقوه بالنار من أجل أنه ملكي الاعتقاد (٤٥٧) وملك زينون وأكرم اليعقوبية وأعزهم لأنه كان يعقوبياً . وفي أيامه احترق الملعب الذي بناه بطليموس . ولما ملك نسطاس أغراه ساويروس على تأثير اعتقاد اليعقوبية فأمر أن يكتب إلى جميع مملكته بقبول قول ديوسقورس وترك المجمع

الْخَلْقِيدُونِيّ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَطْرَكُ أَنْطَاكِيَةَ بِأَنَّ هٰذَا الَّذِي فَعَلَهُ غَيْرُ وَاجِبٍ وَأَنَّ الْمَجْمَعَ الْخَلْقِيدُونِيَّ هُوَ الْحَقُّ . فَغَضِبَ الْمَلِكُ وَنَفَاهُ وَأَقَامَ بَدَلَهُ. وَفِي أَيَّامِ يُسْطَانُوس أُقِيمَ أَسْتِيرِيُوسُ فِي بَطْرَكِيَّةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فَجَدَّ بِرُجُوعِ النَّصَارَى إِلَى رَأْيِ الْمَلَكِيَّةِ فَقَبِلَ نَصَارَى مِصْرَ الْأَمَانَةَ وَوَافَقَهُ رُهْبَانُ دِيَارَاتِ بُومَقَار. وَفِي أَيَّامِ يُوسْطِينْيَانُوس ثَارَتِ السَّامِرَةُ عَلَى فَلَسْطِينَ وَهَدَمُوا كَنَائِسَ النَّصَارَى وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنْهُمْ . فَبَعَثَ الْمَلِكُ جَيْشًا قَتَلُوا مِنَ السَّامِرَةِ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَدَّدَ بِنَاءَ الْكَنَائِسِ وَأَنْشَأَ مَارِسْتَانًا بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ لِلْمَرْضَى وَوَسَّعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةِ بَيْتَ لَحْمَ وَبَنَى دَيْرًا بِطُورِ سِينَاءَ. وَعَمِلَ فِيهَا حِصْنًا حَوْلَهُ عِدَّةَ قَلَالٍ وَرَتَّبَ فِيهَا حَرَسًا لِحِفْظِ الرُّهْبَانِ. وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ الْمَجْمَعُ الْخَامِسُ مِنْ مَجَامِعِ النَّصَارَى وَفِيهِ حُرِمَ أُرِيجَانِسُ لِقَوْلِهِ بِتَنَاسُخِ الْأَرْوَاحِ (٥٥٣). وَفِي أَيَّامِ فُوقَا مَلِكِ الرُّومِ بَعَثَ كِسْرَى مَلِكُ فَارِسَ جَيْشَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَمِصْرَ فَخَرَّبُوا كَنَائِسَ الْقُدْسِ وَفِلَسْطِينَ وَقَتَلُوا النَّصَارَى وَسَبَوْا مِنْهُمْ سَبْيًا وَأَخَذُوا قِطْعَةً مِنْ عُودِ الصَّلِيبِ. فَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى بِلَادِ فَارِسَ وَغَلَبَ الْفُرْسَ وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ عَلَى كِسْرَى وَرَجَعَ هِرَقْلُ ظَافِرًا. ثُمَّ دَخَلَ الْقُدْسَ وَقَدْ تَلَقَّاهُ النَّصَارَى بِالْأَنَاجِيلِ وَالصُّلْبَانِ وَالْبَخُورِ وَالشُّمُوعِ. ثُمَّ رَمَّمَ الْكَنَائِسَ وَجَدَّدَهَا وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ فِي أَيَّامِهِ وَخَرَجَ مُلْكُ مِصْرَ وَالشَّامِ مِنْ يَدِ النَّصَارَى ذِمَّةً لِلْمُسْلِمِينَ

(تمّ بحوله تعالى)

فهرس الجزء الاول من كتاب مجاني الادب

وجه

المقدمة

الباب الاول في التدين والتقوى

الاعتقاد بوجود الله ٥
قدرة الله علم الله ٥
حكمة الله وتدبيره تقوى الله ٦
حمد الله تعالى ملازمة الصلاة ٧
ذكر الآخرة ٨
ذلة الدنيا ٩
زهد ابرهيم بن ادهم في الدنيا ١٠

الباب الثاني في الحكم ١٤

الباب الثالث في الامثال السائرة ٢٢

ابيات لشعراء العرب يتمثل بها ٢٦

الباب الرابع في امثال عن ألسنة الحيوانات ٣١

كلاب وثعلب الوز والخطاف ٢٩
قطة صبي وعقرب ٢٩
الناموس والدجاج ٣٠
انسان وصنم انسان والموت ٣٠
قطتان وقرد ٣١
صائد وعصفور أسود ٣١
ثعلب وطبل ٣٢
اسد وثعلب وذئب ٣٢
مثل فارة البيت وفارة الصحراء ٣٣
خنفسة ونحلة الخنزير والاتان ٣٣
كلب وشوحة ارانب وثعالب ٣٤
غزال وثعلب ٣٥
اسد وثور كلبان ٣٥
ناسك ومحتالون ٣٦
انسان واسد ودبّ في بئر ٣٦
ثعلب وصبع ٣٧
انسان واسد ودبّ ٣٧
حمار وثور ٣٨

الباب الخامس في الفضائل والنقائص

النصيحة والمشورة ٣٩
المودة والصداقة ٤٠
اسباب العداوات ٤٠
حفظ اللسان ٤١
كتمان السرّ ٤٣
الصدق والكذب ٤٣
مذمة الحسود ذمّ سوء الخلق ٤٤
ذمّ الغضب ٤٥
مدح التواضع وذمّ الكبر ٤٥
ذم من اعتذر فاساء ذمّ الخمر ٤٧
مدح الكرم ٤٨
مدح العدل مدح الصفح ٤٩
ذمّ المماراة ٥٠
ذمّ المزاحة ٥١
وصيّة نزار لبنيه ٥١

الباب السادس في الحكايات واللطائف ٥٥

الاعرابي والقمر ٥٦

	وجه
الاعرابي والناقة المفقودة	٥٦
لقمان والعبد	٥٨
الحاج والوديعة	٥٩
امير بلخ وكلبهُ	٦١
ابو دلف وجارهُ	٦٢
ابو العلاء المعرّيّ والغلام	٦٢
يزيد وبدوية	٦٢
العفو الرشيد وحميد	٦٣
المصوّر المسروق	٦٣
النديم والجام الكنز والسيّاح	٦٤
الجارية والقصعة الرشيد وأبو معاوية	٦٥
رسول قيصر وعمر بن الخطّاب	٦٦
عفو زياد	٦٦
عفو عبد الملك جعفر وغلامهُ	٦٧
المهدي وابو العتاهية	٦٧
الموبذ وانوشروان	٦٨
الإيثار الاعرابي والجراد	٦٨
عبد الرحمان بن عوف وعمر بن الخطّاب	٦٩
راكب البغل	٦٩
يحيى وأبو جعفر عمر والسكران	٧٠
عروة وعبد الملك	٧٠
الفيلسوف والحسن الوجه	٧١
عمر والغلام	٧١
صلاح الدين والمرأة المفقودة الولد	٧١
الربيع والاجانة غلام وعمهُ الجار السوء	٧٢
السليك بن السلكة	٧٣
صباح أبي العتاهية	٧٤
يحيى بن اكثم والمأمون	٧٤

	وجه
يحيى البرمكي وسائلهُ	٧٤
الاطيان الاخشان حكاية ادهم	٧٥
حكاية عبد العزيز	٧٦
لقمان والناسك	٧٦
المتوكل وأبو العيناء السفيه والحليم	٧٧
الرازي وصبيان الحاج والعجوز	٧٨
حكاية أبي يعقوب يوسف	٧٩
المنصور والمعتدَى عليهِ	٨٠
النجاة بعون الله	٨١
الجندي والمحتال	٨٢
المأمون والصائغ	٨٤
حكاية نظام الملك وابي سعيد الصوفي	٨٥

الباب السابع في الفكاهات

الحجّاج والشيخ	٨٩
الرشيد ومدّعي النبوءة	٨٩
المعتصم وابن الجنيد	٩٠
الضيف المضجر المملّ	٩١
البصريّ والمدنيّ الشاعر والمأمون	٩١
هارون الرشيد وجعفر مع الشيخ البدوي	٩٢
العليل والناسك الاعرابيان	٩٤
قصة أبي دلامة والخليفة السفّاح	٩٥
المأمون والطفيلي	٩٦
اللصان والحمار	٩٧
القاضي والتاجر	٩٧
المتشوّق الى الحرب	٩٩
الراعي والجرّة	١٠٠
المنصور وابن هرمة	١٠١

	وجه
حكاية بشار والطفيلي	١٠١
كرم معن بن زائدة	١٠٢
طفيلي ومسافر	١٠٣
المهدي والاعرابي	١٠٣
ابو سلمة الطفيلي	١٠٤
حكاية باقل	١٠٥
اسحاق الموصلي وكلثوم العتابي	١٠٥
جعفر والرشيد	١٠٦
الشيخ المحتال والمرأة	١٠٧
المغفل والشاطر	١٠٩
الباب الثامن في النوادر	
قوّة المعتصم	١١١
المعتصم والحمار	١١٢
السلطان وناصر الدولة	١١٢
المعتصم والطبيب سلمويه	١١٣
البخيل والدينار	١١٣
ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك	١١٤
طباع الهنود	١١٤
ملبوس ملوك الهند	١١٥
ذكر عمود السواري في الاسكندرية	١١٥
سبب موت الوليد بن عبد الملك	١١٥
دير سمعان	١١٦
ذكر موتى اهل الصين	١١٦
محمد بن مروان وملك النوبة	١١٦
الطبيب والميت	١١٧
المستحسن من افعال السودان	١١٧
غناء ابرهيم بن المهدي	١١٨
انصاف هرمز لرعيته	١١٩

	وجه
شهادة جالينوس للنصارى	١١٩
محمد الزيّات ظلم أبي رغال	١٢٠
المتظلمون في بلاد الصين	١٢١
نظام الملك والشيخ الفقير	١٢١
قيس بن سعد والاعرابي	١٢١
قلعة ماردين	١٢٢
موت ملوك السودان	١٢٢
ضعف راي الخليفة الامين	١٢٣
موت ملوك سرنديب	١٢٤
حذاقة اهل الصين	١٢٤
عدل نور الدين	١٢٦
الشيخ ابو عبدالله والفيلة	١٢٦
موت المنصور	١٢٧
يحيى بن خالد والفص	١٢٨
الذل بعد العزّة	١٢٨
الخطيب والتلميذ	١٢٩
صفة مسجد البصرة وذكر خطيبها	١٣٠
حلم المأمون	١٣٠
ذكر عجلات بلاد الروم	١٣٠
كرم حسن بن سهل	١٣١
ملك الروم وحاتم الطائي	١٣٢
وفاة نجل ملك إيذج	١٣٢
الباب التاسع في الاسفار	
سفر ابن بطوطة الى مدينة بلغار	١٣٥
رحلة ابن بطوطة الى الصين ومحنته	١٣٦
نبذة من مروج الذهب للمسعودي	١٤٤
السفرة الثانية للسندباد البحري	١٥٠
السفرة الثالثة	١٥٥

	وجه
الباب العاشر في غرائب الموجودات	
المعدنيَّات	١٦٤
الاثمد الرجوم القار	١٦٥
العنبر	١٦٦
النحاس الياقوت	١٦٧
ذكر معدن الياقوت في جزيرة سيلان	١٦٧
النبات	١٦٨
بطّيخ خوارزم	١٦٩
التورزي	١٦٩
التنبول العود الهندي	١٧٠
القرنفل الكافور	١٧١
اللبان المصطكى	١٧٢
النارجيل المهوا	١٧٣
الحيوان	١٧٤
نوع النعم	١٧٤
الابل	١٧٤
الزرافة	١٧٥
نوع السباع	١٧٥
الثعلب	١٧٥
خيل البحر الدبّ	١٧٦
الفيل	١٧٧
القاقم والسمور القرد	١٧٨
الكركدن الكلب	١٧٩
نوع الطيور	١٨١
الباز الحمام	١٨١
الخطّاف الخفّاش الزنبور	١٨٢
العلق الطيّار الكركي	١٨٣
غرائب مائية	١٨٤

	وجه
الجوهر ذكر مغاص الجوهر	١٨٤
الرَّعاد المرجان	١٨٥
الباب الحادي عشر في اوصاف	
آثار آسية	١٨٦
ذكر الشام	٢١٥
آثار اوروبا	٢٢٢
آثار افريقيا	٢٢٧
الباب الثاني عشر في التاريخ	
خلق العالم والابوين الاولين وسقوطهما	٢٣٢
ابناء آدم	٢٣٣
ذكر الطوفان	٢٣٤
ابناء نوح	٢٣٥
برج بابل وتبلبل الالسنة	٢٣٦
ذكر ابرهيم	٢٣٦
ذكر اسحاق وولديه	٢٣٧
ذكر اسر يوسف	٢٣٩
ولادة موسى	٢٤٠
بعثة موسى	٢٤١
خروج آل اسرائيل من مصر	٢٤٢
السير في البرية واعطاء الوصايا	٢٤٥
التيه	٢٤٦
قضاة اسرائيل	٢٤٩
يشوع بن نون	٢٤٩
دبورة وبارق	٢٥٠
المديانيون وجدعون يفتاح	٢٥١
شمشون عالي الكاهن	٢٥٢
صموئيل	٢٥٣

وجه

ملوك اسرائيل ٢٥٤
ملك شاول ٢٥٤
مسح داود ٢٥٥
جليات وداود ٢٥٦
موت شاول ٢٥٧
ملك داود بن يسّى ٢٥٨
ملك سليمان بن داود ٢٦٠
رحبعام وافتراق العشرة الاسباط ٢٦٢
ملك يوشافاط ويورام عثليا ويوآش ٢٦٣
امصيا وعزّيا ٢٦٤
آحاز وانتهاء ملك اسرائيل ٢٦٤
ملك حزقيا ٢٦٥
هلاك جيش سنحاريب ٢٦٥
ملك منسى واسرهُ وتوبتهُ ٢٦٦
ملك آمون ويوشيا ٢٦٦
ملك يوآحاز ويوياقيم ابني يوشيا ٢٦٧
ملك يوياكين وجلاء بابل ٢٦٧
ملك صدقيا بن يوشيا ٢٦٨
رؤيا بخت نصّر ٢٦٩
الفتيان الثلاثة في اتون النار ٢٧٠
وليمة بلشصّر بن بخت نصّر ٢٧١
دانيال في جب الاسد ٢٧١
انتهاء جلاء بابل ٢٧٢
احشوروش واستير ٢٧٣
ملك ارتحششتا ٢٧٤
يهوديت واليفانا ٢٧٤
الاسكندر في بيت المقدس ٢٧٥
ذكر نقل التوراة ٢٧٥

وجه

اضطهاد انطيوخوس الشهير ٢٧٦
اخبار متيا ويهوذا ابنهِ المكابي ٢٧٧
ولاية يوناتان وشمعون اخوي يهوذا ٢٧٩
ذكر ملك هرقانس وابنهِ ٢٧٩
ملك يوحنا الاسكندر وولديهِ ٢٨٠
العذراء في الهيكل ٢٨١
ذكر يوحنا المعمدان ٢٨١
خطبة العذراء مريم ٢٨٢
بشارة الملاك لمريم ٢٨٢
ميلاد المسيح ٢٨٣
ملك طيباريوس قيصر ٢٨٥
ابجر ملك الرها والمسيح ٢٨٥
كرازة المسيح ٢٨٦
موت المسيح وصعوده الى السماء ٢٨٨
ابتداء النصرانية ٢٨٨
ولاية هيرودس اغريباس ٢٩٠
ملك قلوذيوس قيصر ٢٩٠
ملك نيرون وعصيان اليهود ٢٩١
حصار اورشليم وانقراض دولة اليهود ٢٩٢
نخبة من تاريخ المقريزي ٢٩٦
تعريف النصارى والمسيح عيسى كلمة الله ٢٩٦
رسالة الحواريين والسبعين ٢٩٨
بطاركة الاسكندرية والاضطهادات ٣٠٠
تنصّر قسطنطين وبدعة آريوس وحرمهُ ٣٠٤
وجدان الصليب وانتشار شيعة آريوس ٣٠٧
اضطهاد يوليانوس وشيعة مقدونيوس ٣٠٩
القديس كيرلّس وهرطقة نسطوريس ٣١٠
اوطاخي وديوسقوروس وحرمهما ٣١١

لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس